الرأي العام والإعلام

(دراسة منهجية في الرأي العام والإعلام والإشاعة والدعاية)



آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

تحقيق وتعليق

الشيخ صاحب مهدي



مؤسسة الوعي الإسلامي



الفقه

الرأي العام والإعلام

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

ان فضيلة الشيخ صاحب [illegible] دام عزه

مخول عنا في طبع كتبنا والتقاضي

مع المعتدين [illegible]

١١ ص / ١٤١٥ هـ محمد الشيرازي

مؤسسة التوحيد الإسلامي

للثقافة والترجمة والطباعة والنشر

بيروت - لبنان



المكتب : حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919

ص . ب : 13/6080 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650

www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

الفقه
الرأي العام والإعلام

دراسة منهجية في الرأي العام والإعلام والإشاعة والدعاية

تأليف

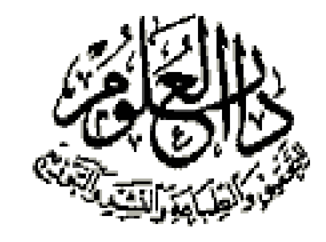
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

تحقيق وتعليق

الشيخ صاحب مهدي

مؤسسة التوحيد الإسلامي
للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر
بيروت - لبنان




بسم الله الرحمن الرحيم

في البدء كانت كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطيبين.

وبعد..

لقد أضحى الإعلام بوسائله المقروءة والمسموعة والمرئية، الأرضية والفضائية منها، الأداة الفاعلة لتلبية ما يحتاجه الإنسان من امتلاك المعرفة بمحيطه وطبيعته، مدفوعاً بحبّه للاستطلاع والبقاء، وإسهاماً منه في عملية التغيير الثقافي والاجتماعي والسياسي، حيث أصبح الشريك الأوفر حظّاً في انتخاب الخيارات، وفي عملية صنع القرار، وفي تسليط الأضواء على الهفوات وأماكن الفشل في العملية السياسية، وفي كيفية استخلاص العبر والدروس منها.

كما وأصبح للإعلام الدور المهم في تنمية الطاقة الفكرية والإبداعية لدى الأمم والشعوب وخاصة الشباب، حيث يسعى لتغذيتهم بالأفكار والرؤى والحلول الواقعية أو الوسطية، وتنظيم قدراتهم، وتطوير مهاراتهم.

وأخذ الإعلام يلعب دوراً بارزاً في الجانب الاقتصادي عبر التحكّم بالتجارة صناعة وتسويقاً واستهلاكاً وفق تقنيات يصعب على المرء فهم أبعادها وخلفياتها.

وتقاس قوة الدول في الحال الحاضر بما تملك من علوم وتكنولوجيا

ووسائل للإعلام، لا بقدر ما تملكه من أموال وثروات ومعادن وبترول وغاز، لذا نرى أنّ البلاد الغربية تسعى جاهدة للانفراد بالتكنولوجيا والتصنيع والتطوير والتفوّق الإعلامي، وما يسمحون للآخرين بامتلاكه هو الجزء اليسير وضمن خطة مدروسة ومحكمة المعالم والأهداف، فعلى سبيل المثال: أنّ شبكة الإنترنيت تسيطرعليها الولايات المتحدة الأمريكية برمتها، مما جعلها تمتلك كل المعلومات الواردة عبر هذه الشبكة، ومن خلالها تستطيع أن تحلل تلك المعلومات وتقوم بالتخطيط المناسب للتعامل مع الآخرين.

لقد استخدم الغرب الإعلام لعولمة السياسة والاقتصاد والسوق والفكر وما أشبه عبر طرح صيغة التعايش ـ وفق المفهوم الغربي الذي يدل على التعايش مع شيء رغم الاعتقاد بأنه شرّ وخاطئ، وليس الإسلامي الذي يدل على وجود أرضية مشتركة بين الأطراف ـ لنشر معتقداته ومفاهيمه وثقافته بالإعلان والترويج والاستهلاك وما أشبه ذلك، فقد أنفق سنة ١٩٩٧ م ٧٩٠ مليار دولار في الجانب الإعلامي، وأنفق أكثر من ١٢٠٠ مليار دولار سنة ٢٠٠٢ م، وبعبارة أخرى ما يزيد عن الدخل السنوي لـ٤٧٪ من فقراء العالم.

وهذه التحديات تدعو الدول الإسلامية إلى ضرورة التلاحم لبحث الحلول الكفيلة بجعل الإعلام الإسلامي بكلا قسميه ـ الإيجابي والسلبي ـ يمارس دوره في التربية والتثقيف الديني والوطني ـ وفق أسس مبتنية على تأصيل الوعي وإلغاء سياسة التجهيل ومنهج التقليد الذي يقود إلى التبعية ـ، ونشر روح الأخوة الإسلامية والأمة الواحدة والشورى، وتجذير العلاقات الإنسانية، وتعليم الناس كيفية التعبير عن آرائهم بموضوعية، والتطلّع لمشاكلهم وحاجاتهم ومعاناتهم، لا الانشداد لمصلحة الحكام ومن يدور في فلكهم. وأن يوجِّه الناس نحو الاكتفاء الذاتي وترك النزعة الاستهلاكية التي يسعى الاستعمار

إلى تغذيتها لتحقيق طموحاته ورغباته في جعل العالم الإسلامي سوقاً استهلاكيةً لتصريف منتجاته وبالمقايضة مع البترول والغاز. وأن يعلّم الناس كيف يحصلون على الأموال، وكيف ينفقونها دون تبذير وإسراف. وأن يقف أمام أمواج التضليل والتخدير واللامبالاة وحالة الإحباط التي يسعى الإعلام الغربي إلى غرسها في نفوس المسلمين، ولا يسمح له بتوظيف الأحداث الداخلية واستخدامها كوسيلة ضغط معاكسة، وهذا يتطلب:

١ـ زيادة الأنشطة الإعلامية من حيث الكم والكيف عبر إلغاء الموانع القانونية التي تحدّ من إيجاد وسائل إعلام مستقلة بكافة أسسها وعناصرها من صحفيين وإداريين وإعلاميين متخصصين.

٢ـ وضع استراتيجية تتواكب مع متطلبات العصر لمواجهة الغزو الإعلامي الغربي الذي يجيّش العالم لخدمة مصالحه عبر تسليط الأضواء على كل من يعادي سياسته والتمهيد لإيجاد مبررات للغزو والاحتلال.

٣ـ التركيز على القيم الفكرية والعمق العلمي بدل التسطيح الفكري والثقافي وعرض مسلسلات العنف أوالعشق والغرام التي تثير الغريزة الجنسية لدى الشباب ونحو ذلك.

٤ـ الارتكاز على أيديولوجية إسلامية واضحة المعالم والمعطيات والأهداف.

٥ـ فتح الباب أمام المفكرين والمبدعين ليدلوا بدلوهم، فإنّ إغلاق الباب أمامهم معناه الوقوع في فخ التقليد للغرب في العمل الإعلامي وفي العادات والتقاليد الاجتماعية.

٦ـ عدم تقليد الغرب بأساليب العمل؛ لأنّ ذلك مؤداه إغلاق لباب التفكير، ولأنّ الغرب يعلمنا أساليب من شأنها أن تؤدي وبشكل خفي إلى وقوعنا في

شراك التبعية، ولأنّ تلك الأساليب المستعملة حالياً سيتضح فشلها في المستقبل القريب، وبعبارة أخرى: إن تحسين الواقع الإعلامي يتم بالاعتماد على النفس والسعي لتطوير الإمكانات الاقتصادية والتكنولوجيا، وكذلك عدم تقليد الغرب من ناحية التوجيه الإعلامي؛ لأن ذلك يؤدي إلى التبعية في كل شيء.

٧ـ عدم الخلط بين سياسات الإعلام الداخلية والخارجية عند التخطيط، وعدم الارتباك والتخبّط في تحديد الأولويات.

٨ـ ردم الهوة بين النظرية والممارسة، والالتزام بالمصداقية والنزاهة في العمل، والاهتمام بالسياسة الداخلية إضافة إلى السياسة الخارجية. والسعي لجعل المواطن يتشوّق للإعلام الإسلامي بدلاً من الانكباب على وسائل الإعلام الغربية.

٩ـ تقوية التنسيق بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية ومؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي لأجل تقوية المادة الإعلامية.

١٠ـ وضع خطط وسياسات إعلامية ناظرة إلى المصلحة العامة ومحافظة على هويتنا وقيمنا الدينية.

١١ـ إيجاد نظام دولي جديد للإعلام مبني على القيم الإنسانية.

١٢ـ التوجّه في الإعلام المضاد إلى الخلفية الثقافية، ومراعاة اختلاف درجات التقدم الاجتماعي والعلمي والتكنولوجي وتباين النظم والمعتقدات السياسية؛ لأنّ بهذه الخلفية تتحدد مدى انعكاسات المادة الإعلامية، كما يجب الالتزام بالموضوعية والمنطق والحجج والبراهين، وتحرّي الدقة في الإعلام المضاد، والقيام بتحليل ما ينشره الإعلام المعادي، والنظر إلى العوامل النفسية للمرسل إليهم لمعرفة مدى استجابتهم وتعاطفهم وردود

أفعالهم، لأن الإنسان بحد ذاته يشكل مجموعة أحاسيس ومشاعر ومعتقدات وقيم وأفكار، كما تجب المبادرة السريعة إلى نشر المادة الإعلامية المضادة لتعطي ثمارها المطلوبة وفي الوقت المحدد.

ونسأل الله العليّ القدير أن يحقق للمسلمين ما يصبون إليه من إعلام ناجح وفعال في سبيل خدمة قضاياهم المصيرية.

إنّه نعم المولى ونعم النصير.

من جوار عقيلة الهاشميين

السيدة زينب عليها السلام

ربيع الثاني ١٤٢٦هـ

صاحب مهدي

موبايل: ٩٣٢٧٢٩٩٨-٠٠٩٦٣


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعلام هو موضة العصر...

فعصرنا هو عصر الفضائيات المتطوّرة وعصر الهوائيات وعصر الإنترنيت.

فمن يمتلك هذه الوسائل فقد امتلك وسائل تغيير العالم؛ لأنّه بهذه الوسائل يستطيع أن يقتحم كلّ بيت ويدخل إلى كلّ عقل. فبالإعلام يستطيع أن يغيّر عقائد الناس ويؤثّر في حياتهم ويجعلهم يأكلون كما يريد أن يأكلوا، ويتكلّمون كما يريد أن يتكلّموا، ويفكرون كما يريد أن يفكروا.

وبهذا استطاع الغرب أن يغزو بلادنا في القرن العشرين.

فهو لم يغزُنا بجيوشه ولا عساكره ولا بدباباته، بل غزانا بإعلامه الواسع، بفضائياته وبالإنترنيت، وفي عصر الفضائيات تمكّنت الولايات المتّحدة الأمريكية أن تحتل المرتبة الأولى في التقدم الإعلامي، حيث تمتلك أكثر من ٨٠٪ من البرامج والمسلسلات والأفلام المنتجة في العالم، وتبلغ صادراتها سنوياً أكثر من ٨٠ مليار دولار، واستطاعت أن تسيطر على عقول الناس وطراز معيشتهم وأسلوبهم في التفكير، وبذلك احتلت الموقع الأوّل في استعمار

العالم.

ونحن المسلمون كنّا ـ وإلى ما قبل قرن من الزمان ـ نحتل موقع الصدارة في العالم..

يوم كنّا نملك الإعلام، يوم كنّا أصحاب كلمة..

نتكلّم ونحاور.. بينما كان الغرب بعلمائه ومفكريه وشعوبه يصغون إلى ما نقول.

يوم كنّا نكتب المؤلّفات في كلّ العلوم.

يوم كنّا أمّة واحدة.. أصبحنا أصحاب كلمة واحدة، وأصحاب فكر وقّاد.

وقد شعّ هذا الفكر بإشعاعاته حتّى بلغ الآفاق ووصل إلى أعماق الحضارة الغربية، لكن بعد أن تحوّلنا إلى أشلاء متقطعة وإلى دول صغيرة بل إلى دويلات، فقدنا كلّ شيء.

فقدنا كلمتنا التي كانت تفتح طريقها إلى العالم بأسره.

وفقدنا الصولة والجولة، وأصبح حالنا يرثى له، تلاحقنا اللعنات من كل حدب وصوب، حتّى أمسينا أضعف من الكيان الصهيوني الدخيل، واليوم إذا أردنا أن نعيد الكرّة لنصبح أسياداً لهذا العالم، لا بدّ لنا من العودة إلى روح الإسلام، وروح الإسلام ليست الصلاة والصيام وحسب بل هي الأخوة الصادقة والإحساس بالمسؤولية لنصبح أمّةً واحدة، قويّة في الإرادة، متينة في التحرّك،

عندها فقط سيبدأ العدّ الصحيح في تاريخنا، وسنكون صادقين ليس فقط مع أنفسنا بل مع ديننا ومع قادتنا الأبرار الذين أرادوا منّا أن نكون مؤمنين أقوياء ونكون قبل كلّ شيء صادقين مع الله ﷻ الذي أراد منّا أن نكون دائماً خير أمّة أخرجت للناس.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ، يطرح الإمام الشيرازي ﵀ طريق التقدّم، وهو كسائر كتب الإمام الشيرازي ينحو نحواً مركزياً لدعوة الأمّة إلى بناء حضارتها، والعودة بالقوّة إلى الحياة لتأخذ مكانها الطبيعي في العالم كما أراد لها ربّها ودينها ورسولها.

وفي هذه المرّة يتناول الشيرازي ﵀ جانباً حيوياً من جوانب الحياة الحضارية وهو الإعلام، والإعلام باعتباره وسيلة للوصول إلى المكانة والدور المطلوب، والإعلام باعتباره أحد عوامل القوة في الأمّة.

ومع الأسف عندما نعرض إعلامنا على هذا الكتاب سنجد أنفسنا مفتقدين إعلاماً في مستوى التحدي الحضاري المعاصر، فإعلامنا ومع الأسف في بعض صفحاته ما هو إلاّ هذيان أو صراع أو...

فلا بدّ من تصحيح ممارساتنا الإعلامية قبل كلّ شيء بعد معرفة الأسس السليمة والصحيحة للإعلام الإسلامي، وقد طرح الشيرازي ﵀ في هذا الكتاب القيّم هذه الأسس والضوابط على ضوء ما ورد في القرآن الكريم وأقوال

وممارسات الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

ولما كانت الأمّة الإسلامية قد استيقظت من سباتها الطويل وهي تسعى اليوم للعود إلى موقعها الحضاري، كان لابدّ من رفد المكتبة الإسلامية بهذه الأفكار والنظريات التي عالجها الشيرازي قدس سره في هذا الكتاب.

ويعد هذا السفر اضافة فكرية هامة الى المكتبة الفقهية الاسلامية في الوقت الراهن ولا يزال المجال فيه واسعاً أمام العلماء والفقهاء للبحث والتأليف.

مؤسسة الوعي الإسلاميّ

بيروت – لبنان

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد، فهذا الكتاب «الرأي العام والإعلام» جزء من موسوعة «الفقه»، تعرضت فيه لمباحث عدّة، وللتسهيل على القارئ قسّمته إلى أربعة فصول؛ حيث تعرضت في الفصل الأول: للرأي العام وأقسامه، ومنشَئه، وأساليبه، وخلفياته، والقواعد التي تحكمه، وسلوكياته، ووظائفه، وطرق الحصول عليه، وعلاقته بالفطرة والعاطفة والوراثة والحياة والعقل واللغة والبيئة والحرب والسلم والاستطلاع، كما أشرت إلى العوامل التي تتدخل في صنعه ومعوقاته، وما أشبه ذلك.

وتناولت في الفصل الثاني: الإعلام ووسائله وتاريخه وعلاقته بالمستقبل، وبينت فيه شروط تفعيله والشروط التي يجب أن يتصف بها الإعلام الإسلامي، ونحو ذلك.

وذكرت في الفصل الثالث: تعريف الإشاعة، وأقسامها، وأنواعها، ومرتكزاتها، وأسباب انتشارها، وشواهدها من التاريخ، وموقف الدين منها.

أما في الفصل الأخير فقد تطرقت إلى أقسام الدعاية وشروطها ومرتكزاتها وعلاقتها بالحواس الظاهرة والباطنة.

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه، وأن يجعله ذخراً لنا ليوم لاينفع فيه مال ولا بنون، وما ذلك على الله بعزيز.

قم المقدسة

محمد الشيرازي





الفصل الأول

الرأي العام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تعريف الرأي العام

مسألة: الرأي العام[1] عبارة عن ضروب من سلوك أفراد، يتضمّن التعبير باللغة والألفاظ الخاصّة بما يفهمه ذلك الشعب أو تلك الأمّة، وهي تمارس من جانب أفراد عدة، وتنشط وتوجّه نحو موضوع معيّن أو موقف معروف على نطاق واسع في أمور عقدية أو اقتصادية أو سياسية أو تربوية أو غيرها[2].

---

(١) يعرّف الرأي بأنه: أ- تكوين فكرة أو حكم على موضوع أو شخص ما، أو مجموعة من المعتقدات القابلة للنقاش وبذلك تكون صحيحة أو خاطئة. ب - التعبير عن موقف إزاء نقطة متنازع عليها قابلة للجدل.
جـ - عقيدة أو اقتناعاً أكثر قابلية للإثبات وأشد قوة من مجرد إحساس أو انطباع.
وتعريف العام بأنه: أ- عبارة عن أعضاء في جماعة أو أمة تشترك في الرأي رغم تباينهم الطبقي أو الثقافي أو الاجتماعي، وبذلك تعترض مع الخاص الذي يشير إلى أمور ومسائل شخصية تتعلق بفرد واحد.
ب - المسائل والمصالح أو الشؤون التي يشترك نوعاً ما في الاهتمام بها كل الأعضاء البالغين في جماعة أو أمّة.

(٢) وهذا التعريف الذي ذكره الإمام المؤلف هو أشمل مما ذكره غيره، حيث عرّف بأنه:
١- التعبير عن آراء جماعة من الأشخاص إزاء قضايا، مسائل، أو مقترحات معينة تهمهم، سواء أكانوا مؤيدين أو معارضين لها، بحيث يؤدي موقفهم بالضرورة إلى التأثير السلبي أو الإيجابي على الأحداث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في لحظة معينة من التاريخ. كما جاء في كتاب الرأي العام والإشاعة للمؤلف عبد المنعم سامي: ص١٤.
٢- مجموع معين من الأفكار والمفاهيم التي تعبّر عن مواقف مجموعة أو عدة مجموعات اجتماعية إزاء أحداث أو ظواهر من الحياة الاجتماعية، إزاء نشاط الطبقات والأفراد. كما جاء في الموسوعة الفلسفية العربية: للدكتور معن زيادة.
٣- الرأي المشترك خصوصاً عندما يظهر أنه رأي العامة من الناس. كما جاء في قاموس وبستر.

والموضوع المتعلّق بالرأي العام هو موضوع يهمّ أفراداً كثيرين، وهو يمثل استعداداً للحركة، التي قد تأتي على شكل قبول أو رفض للموضوع المشترك بين أمّة أو شعوب أو شعب خاصّ، وهي تمارس في حالات كثيرة في ظلّ إدراك بأنّ الآخرين تصدر عنهم ردود أفعال بشأن الموقف ذاته، وبالطريقة ذاتها، سواء كانوا أفراداً يمارسونها، أو يزمعون ممارستها، قد يفعلون أو لا يفعلون ذلك، في حضور شخص، أو في حضور أشخاص آخرين، أي تتّخذ بشكل جهود، يكون الغرض منها مقاومة أو تحقيق شيء ما، والرأي

٤- وجهات النظر والشعور السائد بين جمهور معين في وقت معين إزاء موقف أو مشكلة من المشكلات. كما جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية.

٥- اتجاهات ومواقف الناس إزاء موضوع معين حين يكون هؤلاء الناس أعضاء في نفس الجماعة المعينة. كما ذُكر ذلك في كتاب الرأي العام وتأثره بالاعلام والدعاية: ص٤٦ عن ليونارد دووب.

٦- الرأي الذي ينتج عن المؤثرات وردود الأفعال المتبادلة بين أفراد أية جماعة كبيرة من الناس. كما جاء ذلك في المصدر السابق: ص٤٩ للدكتور عبد القادر حاتم.

٧- عبارة عن قبول وجهة نظر واحدة من بين وجهتي نظر متعارضتين أو جهات نظر كثيرة متعارضة على حين أنّ كل واحدة منها تصلح لأن يتقبّلها العقل الرشيد بوصفها وجهة النظر الوحيدة الصادقة. كما قال بذلك لاويل.

٨- اصطلاح مستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التي يدين بها الناس إزاء المسائل التي تؤثّر في مصالحهم العامة والخاصة. كما ذكر ذلك جيمس برايس في كتابه الديمقراطيات الحديثة.

٩- حكم عقلي يصدر من جمهور من الناس يشتركون بالشعور بالانتماء ويرتبطون بمصالح مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرّف من التصرّفات أو مسألة من المسائل التي يثار حولها الجدل بعد مناقشة عقلية. راجع كتاب العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع: ص٢٣٠ للدكتور حسين عبد الحميد.

١٠ - الرأي الغالب أو الاعتقاد السائد أو إجماع الآراء أو الاتفاق الجماعي لدى غالبية فئات الشعب أو الجمهور تجاه أمر أو ظاهرة أو قضية أو موضوع معين يدور حوله الجدل، وهذا الاجماع له قوة وتأثير على القضية أو الموضوع الذي يتعلق به. راجع كتاب الاعلام والرأي العام تحرير دانييل كاتز.

العام في الغالب يكون على شكل نـزاع بـين أفـرادٍ وأمـم يقفـون علـى طرفـي نقيض، مثل طرفي وجود اللـه أو عدمه، وبين مـنْ يقـول: أنّ اقتـصاده جيّـد، أو غير جيّد، وهكذا.



أهمية الرأي العام

مسألة: ينبغي الانتباه إلى أهمية دور الرأي العام في عملية التغيير ـ سواء كان التغيير جزئياً أو كلياً، أو كان من الحالة السيئة إلى الحسنة وبالعكس ـ لأنّه القوة الخلفية والأداة الفاعلة في عملية التغيير والنهوض، فبدونه لا تتم العملية، ولو تمت لكانت ناقصة. وبالرغم من أنّ الرأي العام ليس أداة المعركة لكنّه هو الذي يهيّيء للانتصار فيها[1].

---

(١) فعلى سبيل المثال، استطاع الإمام السجاد ﷺ استعمال الرأي العام من خلال ارتقائه المنبر في الشام وقيامه بفضح بني أمية ويزيد بن معاوية، وبه استطاع أهل البيت ﷺ من الضغط على الطاغية يزيد بن معاوية للإفراج عن أهل البيت ﷺ وإقامة مجالس العزاء على الإمام الحسين ﷺ وشهداء الطف.

والتاريخ يحدثنا عن شاعر أوجد رأياً عاماً مضاداً للخليفة الذي كان يحب جارية اسمها دريرة؛ حيث فوض الخليفة أمر الحكومة إلى وزرائه وبنى خارج المدينة محلاً لطيف السكن يسمى بحيرة، وذهب إلى هناك للاصطياف بصحبة الزمارين والمغنين؛ فهجاه هذا الشاعر ببيتين من الشعر:

ترك الناس بحيرة ... وبنى عند البُحيرة

قاعد يضرب بالطبل ... على جسرٌ دريرة

ممّا دفع بالخليفة إلى ترك ذلك المكان والعودة إلى البلد.

ثم إنّ نكتة ولّدت رأياً عاماً ضد وزير أمريكي، ففي سنة ١٩٧٤م روى وزير الزراعة الأمريكي إيرل بوتز نكتة نقلت على نطاق واسع: سئلت امرأة إيطالية عن موقف البابا من تحديد النسل؟ فأجابت: من لا يلعب اللعبة لا يضع القواعد. فاعتقد أكثر الناس أنّ نكتة هذا الوزير مهينة، ورأوا أنه غير مناسب لتولي منصب عام رفيع المستوى مما فقد منصبه. راجع كتاب صناعة الخبر في كواليس الصحف الأمريكية: ص١٠٦ للمؤلفين جون ماكسويل

فمن أدوات المعركة الرأي العام ـ رأي الشعب ـ فإذا كان مع الحق أمكن زجُّه فيها وكذلك العكس، وهكذا في سائر التغييرات الجماهيرية، فإنّ الإنسان الذي لا يعتقد بنشاط أو عمل معين لا يُقدم عليه، وإذا أجبر على ذلك فإنه لا يعمل بكلّ طاقاته وإنّما يعمل لإرضاء ذلك الذي يخشى منه.

ولذا نشاهد في الحال الحاضر كما شاهدنا في القديم أن كلاً من أراد التغيير من حالة حرب إلى حالة سلم، ومن حالة إلى أخرى سواءٌ في الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو التربية، يحتاج إلى حشد الرأي العام.

من هنا، جاءت ضرورة التعرُّف إلى الرأي العام لنتّخذ منه وسيلة لما نريد من إحداثه من تغيير، ولمّا كان هدفنا هو تغيير واقع الأمة الإسلامية إلى ما هو

هاملتون، وجورج اكريمسكي.

كما أنّ الرأي العام يعدّ المخرج الأخلاقي لمنع الحروب وتأجيجها؛ ومثال على ذلك أنه جعل من المستحيل على الحكومة الأمريكية أن تستخدم السلاح النووي في الحرب الكورية أو الحرب الفيتنامية، كما أنه أجبر الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون على الاستقالة إثر فضيحته في قضية ووترغيت.

ومن الأمثلة على بيان دور الصحافة في صياغة الرأي العام أن وليام راندولف هيرست دفع بالشعب الأمريكي إلى خوض الحرب الأمريكية ـ الأسبانية عبر مقالاته التي كان ينشرها في صحيفة نيويورك مورننغ جورنال؛ حيث أوجد تياراً داعياً إلى الحرب.

وكما يكون الرأي العام مع الحق كذلك يمكن أن يكون مع الباطل كالمظاهرات والاحتجاجات التي أقامها جند الإمام أمير المؤمنين في الكوفة، عندما حاول الإمام عليه السلام عزل شريح القاضي عن تولية القضاء، ومنع صلاة التراويح التي ابتدعها عمر بن الخطاب، حيث قال الإمام عليه السلام في هذا الصدد: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه ناقضين لعهده، مغيّرين لسنته، ولو حملتُ الناس على تركها، وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله». راجع الكافي (روضة): ج٨ ص٥٩ ح٢١.

أحسن، فإنّنا بحاجة ماسّة إلى الرأي العام كوسيلة لهذا التغيير[1].



(١) يشكك البعض بوجود الرأي العام من المنطلق التالي:

١- أن الرأي العام الموحد للجماعة لا يمكن تصوره حتى في أوقات كفاح الشعوب من أجل مصيرها. ذلك أن الشجاعة في إبداء الرأي تختلف من فرد إلى آخر.

٢- أن الرأي العام لا وجود له في الحقيقة، فمما لا شك فيه دائماً أن هناك رأياً ظاهراً بين آراء الجميع أو رأياً غالباً على ما حوله من آراء الجميع. ومعنى ذلك بطريقة أخرى أنه ليس هناك ما يسمى بالرأي العام، بل هناك رأي في الجماعة، وبين العبارتين فارق لا سبيل إلى إنكاره. راجع كتاب الرأي العام والإشاعة: ص٤٢ للمؤلف عبد المنعم سامي.

أقسام الرأي العام

مسألة: يجب على العامل بالرأي العام ملاحظة أقسامه والعمل وفقها عند إرادة فهم المستقبل وأبعاده، فإن للرأي العام آثاراً مستقبلية يجب التوجه إليها، ومنها:

العفوي والتحصيلي

القسم الأول: العفوي، الذي يحصل تجاه جماعة في وقت ومكان محدد ويتقلب للعوامل المؤثرة فيه، مثلاً: عندما يجتمع الناس حول دكان الخباز، يجمعهم شيء واحد وهو الحصول على الخبز؛ وهذا نمط من أنماط الرأي العام الذي يحدث بصورة عفوية.

القسم الثاني: التحصيلي، ما يريده الإنسان من تغيير بنية المجتمع من سيء إلى حسن، أو من حالة فساد إلى حالة إصلاح، ولتحقيق هذه الغاية لا بدّ من تهيئة الرأي العام، الذي يمثل أداة فاعلة وحقيقية للوصول إلى الهدف.

وقد عمل رسول الله ﷺ بهذه الخطوة، حيث حشّد الرأي العام عبر الآيات المتتالية التي نزلت في القرآن الكريم والتي نقلت الإنسان من حالة التشرذم إلى الاستواء، وكذلك فعل أمير المؤمنين عليه السلام وسائر القادة الأمر نفسه، سواء كانوا قادة إصلاح أو قادة إفساد.

أقسام أخرى

ومن أقسام الرأي العام أيضاً: الرأي العام الخامل، وذلك بأنْ يقف الشعب موقف اللامبالاة أمام الحكومة لضعفٍ أو خوفٍ أو ما أشبه ذلك، وفي قبال ذلك، الرأي العام الفعّال بأن يقوم الشعب ضدّ الحكومة القائمة بثورة شعبية تسقط الحكومة، ولكن ليس عبر الانقلابات العسكرية، فهي وإن كانت واقعية وغير مستندة إلى الأجنبي بشيء لكنها غير صحيحة، لأن التجربة أثبتت أنّ الانقلابات العسكرية أدت إلى تأخُّر البلاد وجرّ الشعوب نحو التخلف.

ثم إنّ الرأي العام المؤقّت الذي يرتبط بموضوع أو زمان أو مكان محدود بسبب كارثة أو زلزال أو فيضان، ليس شيئاً ثابتاً ومستقراً وإنّما هو شيء عاطفي على الأغلب ينتهي بانتهاء الظروف التي أدت إلى وجوده، ولذا وبعد فترة قصيرة من انتهاء الخطر وما أشبه ذلك تزول آثار هذا الرأي العام، فيرجع إلى حالته السابقة. ومثل هذا الرأي العام يحدث كذلك من أمر مروّع أو خطابة زعيم مفوّه، وهكذا الرأي العام قد يكون كلّياً[1] من جهة كلّ أفراد الشعب؛ وهو مستقر في قبال الرأي العام اللوني الذي يسيطر على المجتمع لسبب ما كما في صحيفة إخبارية أو ما أشبه ذلك، ثمّ يتلاشى مثل هذا الرأي العام بعد أيّام كما رأينا شبه ذلك أيّام السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله[2] حيث قتل ولده

---

(١) وهو ما يتصل بالدين والأخلاق العامّة والعادات والتقاليد الثابتة.

(٢) السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني، ولد في مدينة أصفهان الإيرانية سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٧م) وقيل: ١٢٨٤هـ كما عن الشيخ الطهراني في نقباء البشر. فقيه ومجاهد، هاجر إلى العراق سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م)، يعد من تلاميذ الميرزا حبيب

فأشاع جواسيس بريطانيا وأجهزتها أنّ القاتل من الأفغانيين واسمه الشيخ علي الأفغاني فهاج الرأي العام ضدّهم حتّى أنّهم اختفوا في البيوت مدّة من الزمن، وجاءت عشائر جنوب العراق إلى السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله يريدون منه فتوىً بقتل كلّ أفغاني، لكن السيد الأصفهاني رحمه الله سارع في تهدئة الأوضاع قائلاً لهم: «إنّ الذي قتل ولدي رجل معروف اسمه علي وهو من أطراف مدينة قم المقدّسة ويغلب عليه الجنون، ولهذا لم يكن للأفاغنة دور في قتل ابني». وبعد ثلاثين يوماً خرج الأفغان من مخابئهم بعد أن اطمئنوا أنّ الناس قد هدؤوا وتوقفّوا عن هيجانهم الذي سبّبه البريطانيون، وقد صرف السيد الأصفهاني الأموال الطائلة والجهود الكبيرة لإفشال خطة البريطانيين، وقد قام جواسيس بريطانيا بنفس الدور في إيران في إثارة الإيرانيين ضدّ الأفغان وضدّ العراقيين المهاجرين إلى إيران، وكثيراً ما كانت تنطلي المكيدة على السذّج والبسطاء من الناس.

الله الرّشتي والشيخ كاظم الخراساني والشيخ الجواهري، شارك في ثورة العشرين وعارض تنصيب فيصل الأول من قبل الإنجليز ملكاً على العراق، تصدّى لمهام المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني سنة ١٣٥٥هـ، كما شارك في الحركة الدستورية في إيران، له عدة مؤلفات، منها: وسيلة النجاة، منتخب المسائل، ذخيرة العباد ليوم المعاد، شرح كفاية الأصول، حاشية على تبصرة المتعلمين، حاشية على العروة الوثقى، توفي في الكاظمية سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) ودفن في النجف الأشرف. راجع أعيان الشيعة: ج٢ ص٣٣١، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ص٤١.

الرأي الباطني والظاهري

ثم هناك تقسيم آخر للرأي العام وهو: الباطني[1] والظاهري[2]، والباطني عبارة عن رضى المجتمع عن شيء دون أن يستطيع إظهار رأيه والتعبير عنه جهراً فيحتفظ به في باطنه سلباً أو إيجاباً؛ وسبب عدم الإفصاح عن الرأي هو الخوف من الضرر أو فوات المنافع أو بدافع ملاحظة الأهم والمهم أو ما شابه ذلك، وأفضل نموذج لهذا الرأي العام إحساس المجتمع الإسلامي إزاء الإمام الحسين عليه السلام في ذلك العهد الذي اعتلى فيه يزيد بن معاوية[3] منصّة

---

(١) ويعبّر عنه كذلك بالخفي او الداخلي.

(٢) ويعبّر عنه كذلك بالخارجي.

(٣) يزيد بن معاوية ثاني خلفاء بني امية، رمز التسلّط والاستبداد والانحراف الديني والسياسي والأخلاقي، ينتمي نسباً الى الشجرة الملعونة في القرآن، اشتهر بشرب الخمور وارتكاب الفجور واللعب بالنرد والقرود، واشتهر كذلك بنكاح أمهات الأولاد والبنات والأخوات وبشرب الخمر ويدع الصلاة والصيام؛ كما وصفه عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٦٧. ولد سنة ٢٥ هـ، وقتل سنة ٦٤ هـ، وحكم ثلاث سنوات، وفي السنة الأولى من حكمه قتل سبط الرسول، الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وانشد الأشعار في قتله قائلاً:

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل

لعبت هاشمُ بالملكِ فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

وفي السنة الثانية أباح مدينة الرسول صلى الله عليه وآله لجنوده ثلاثة أيام في واقعة الحرة بعد أن قتل وسبى الآلاف من سكانها، التي قال في حقها الرسول صلى الله عليه وآله : (من اخاف أهل هذا الحيّ من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين - ووضع يده على جبينه -). وقد ذُكر في التاريخ أنه قتل سبعمائة رجل من حملة القرآن وهم خيار أمة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنه قتل ١٠٧٨٠ من الأنصار والمهاجرين الذين لاذوا بقبر الرسول صلى الله عليه وآله حتى أنه لم يبق بدريٌ بعد هذه الواقعة؛ كما ذكر ذلك في كتاب الكنى والألقاب: ج٣ ص٨٢، وكذا ذكر نظير ذلك في الإمامة والسياسة لابن قتيبة وتذكرة الخواص: ص٢٥٩-٢٦١، وقد ذكر السيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء: ص١٦٧ أنهم افتضّوا ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار. وأنه لم يُسمع الأذان طيلة ثلاثة أيام

الخلافة، وقد عبّر الشاعر الفرزدق[1] عن هذا الرأي العام الباطني عندما قال

إلا من قبر الرسول ﷺ كما ذكر ذلك ابن الأعثم في الفتوح: ج٥ ص٢٩٥.

وفي السنة الثالثة ضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها، فكان الجيش يرمي كل يوم عشرة آلاف صخرة على الكعبة؛ وهذه الصخور فيها نار ونفط ومشاقات الكتان. وقال المسعودي في هذا الصدد: وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب. ثم أضاف: وسيرته سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته. راجع الأخبار الطوال: ص٢٦٧. الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج٢ص١٦.

(١) هُمام بن غالب بن صعصعة الأسدي التميمي، الملقب بالفرزدق وذلك لغلاظة وجهه، ولد في البصرة سنة ٢١ هـ (٦٤١م) وتوفي بذات الجنب سنة ١١٠هـ كما عن السيد المرتضى وقيل: سنة ١١٢هـ وقيل: ١١٤ هـ (٧٣٢م) ، نظم الشعر وهو صغيراً فجاء به أبوه إلى الإمام علي ﷺ وقال: إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه. قال له الإمام: علمه القرآن. ويعد من أعلام اللغة والتاريخ والأدب وأحد الشعراء في الصدر الأول، دارت بينه وبين الشاعر جرير حرب لسانية دامت قرابة خمسين سنة. يتسم شعره بالمفاخرة والجزالة والقوة والعبارات الملتوية، وله ديوان شعري، قيل في حقه: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، وله قصيدة في مدح الإمام زين العابدين ﷺ تتألف من سبعة وعشرين بيتاً، مطلعها:

هذا الذي تَعرِفُ البَطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يَعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ

وقد ارتجلها أمام هشام بن عبد الملك أيام خلافة أبيه، عندما طاف هشام بالبيت، وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليتسلمه، فلم يقدر على ذلك لكثر الزحام، فنُصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان الشام. فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام السجاد ﷺ فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر. فقال رجل من أهل الشام لهشام بن عبد الملك: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام: لا أعرفهُ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان من ضمن الحضور الشاعر الفرزدق. فقال: أنا أعرفه، ثم أنشده قصيدته الميمية. وعندما سمع هشام القصيدة غضب وحبس الفرزدق بين مكة والمدينة. وعندما سمع الإمام السجاد ﷺ أرسل إليه اثني عشر ألف درهم. فقال الفرزدق: مدحته لله تعالى لا للعطاء. فقال الإمام السجاد ﷺ: إنّا أهلُ بيتٍ اذا وهبنا شيئاً لانستعيده. فقبلها الفرزدق.

وعندما رأى الفرزدق قافلة الإمام الحسين في منطقة الصِّفاح ـ موضع بين حنين وانصاب الحرم من طريق نجد والعراق يقع على يسار الداخل الى مكة ـ، وقيل في منطقة ذات عرق

للإمام الحسين عليه السلام حين التقى به في الطريق: «قلوب الناس معك وسيوفهم عليك»[1]. ولا شكّ أنّ تأثير هذا الرأي العام الباطني لم يكن سريعاً، لكنه كان فعالاً. صحيح أنّ القلوب لم تسرع لنصرة الإمام الحسين عليه السلام لكنها أسرعت للانتقام من بني أميّة بصورة سريعة ومذهلة، فلم تمض خمس سنوات حتّى قام المختار[2] وقتل الذين حضروا كربلاء مقتلة عظيمة، وقد رأيت في أحد

كما في أنساب البلاذري ـ موضع يبعد عن مكة ليلتين وهو آخر وادي العقيق، قال: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي. قال الفرزدق فأتيته وسلّمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأمّلك في ما تحب. بأبي أنت وأمي ما أعجلك عن الحج؟ فقال الإمام الحسين عليه السلام: لو لم أعجل لأُخذتُ. ثم قال لي: من أنت، ومن أين اقبلت. قلتُ: امرؤٌ من العرب أقبلتُ من الكوفة. فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك. ثم قال: أخبرني عن الناس خلفك. فقلت: الخبيرَ سألت؛ قلوب الناس معك وسيوفهم عليك، والقضاء ينزلُ من السماء والله يفعل ما يشاء. فقال الإمام الحسين عليه السلام: صدقت، لله الأمر، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب، فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته. راجع ديوان الفرزدق: ج٢ ص١٧٨، الكنى والألقاب: ج٣ ص٢٢، مقتل الحسين للمقرّم: ص١٧٤، مقتل الحسين لابن مخنف الأزدي: ص٦٨-٦٩، عوالم العلوم للمحدث البحراني: ج١٧ ص ٢١٥، تاريخ الطبري: ج٤ ص٢٩٠، الكامل في التاريخ: ج٤ ص٤٠، إرشاد المفيد: ج٢ ص٦٧، البداية والنهاية: ج٨ ص١٨٠، تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري: ص٢٨٢، أدباء العرب لبطرس البستاني: ج١ ص٣٢٨، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج٦ ص٢٦١٢، وفيات الأعيان: ج٦ ص٩٥، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٢٨٩، مرآة الجنان: ج١ ص٢٢٨.

(١) راجع مقتل الحسين للمقرّم: ص١٧٤، مقتل الحسين لابن مخنف الأزدي: ص٦٨-٦٩، مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم: ص١٧٧، الفتوح: ج٥ ص١٢٠.

(٢) المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي، مجاهد مقدام، ولد في السنة الأولى للهجرة النبوية (٦٢٢م)، أحد الثوار الذين ثاروا على الطغيان الأموي، فسجنه عبيد الله بن زياد وعذبه وضربه بالقضيب حتى شتر عينه ثم نفاه للحجاز، حكم الكوفة سنة ٦٦ هـ ثم ألحق بها الموصل وأرمينيا وآذربيجان بعد أن انتصر قائد جيشه إبراهيم بن مالك الأشتر ـ الذي كان مسجوناً في زمن معاوية مع أربعة آلاف وخمسمائة من الشيعة وأطلق سراحهم بعد هلاك يزيد ـ على الجيش الأموي في معركة (الخازر) في شمال العراق حيث قُتل فيها من الأمويين ثمانون ألفاً بمن فيهم عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير. وتتبع قتلة الإمام

الكتب أنّ الذين قتلهم المختار الثقفي تجاوزوا الثلاثة آلاف ممّن شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام وحضروا كربلاء لهذه الغاية[1].

وقد هدّم الوهابّيون[2] المراقد المطهّرة في الحجاز قبل ما يقارب المائتي

الحسين عليه السلام واقتص منهم فأدخل بذلك السرور والفرح على قلب الإمام السجاد عليه السلام وآل الرسول والثكالى واليتامى الذين استشهد آباؤهم مع الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بعد خمس سنوات من استشهاد الإمام، وأنقذ العلويين من عبد الله بن الزبير عندما أراد إحراقهم في شعب أبي طالب حيث أرسل المختار إليه أربعة آلاف مقاتل كما ذكر ذلك المسعودي، وقد ترحّم عليه الإمام الصادق عليه السلام. واستشهد سنة ٦٧ هـ (٦٨٧م) في الدفاع عن الكوفة في الحرب التي دارت بينه وبين مصعب بن الزبير الذي طلب الولاية لنفسه في البصرة. راجع الأعلام للزركلي: ج٨ ص٧٠، الفتوح لإبن الأعثم المجلد السادس، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٥٨، الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٨٨، مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص١٧٣، الكامل في التاريخ: ج٤ ص٢٢٨، سفينة البحار: ج٢ ص٧٥٢، منتهى المقال للمازندراني: ج٦ ص٢٤٠، مجالس المؤمنين للتستري: المجلس الثامن، رجال العلامة الحلي: ص١٦٨، مستدركات أعيان الشيعة: ج٤ ص١٧٥.

(١) راجع كتاب الفتوح لإبن الأعثم: ج٦ ص١٢٨.

(٢) نسبةً إلى الوهابية، وهي من المذاهب التي ابتدعتها السياسة البريطانية في نجد وما حولها، عندما قام الأعرابي محمد بن عبد الوهاب وبالتعاون مع آل سعود بإحياء أفكار صاحب البدع والعقائد المنحرفة والمتعصب الحاقد السلفي النزعة ابن تيمية الدمشقي الحنبلي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ومن معتقدات ابن تيمية الفاسدة والتي رد عليها علماء السنّة وباحثيهم في كتبهم وأقوالهم ـ أمثال تقي الدين السّبكي وولده وابن جماعة الشافعي وأحمد بن عمر المقدسي الحنبلي ومحمد بن أبي بكر المالكي وكمال الدين ابن الزملكاني ـ قبل علماء الشيعة، نذكر: ١- القول بالجسمية والتركيب في الذات الإلهية ٢- حرمة زيارة قبر الرسول الأكرم وتعظيمه بحجة أنها تؤدي إلى الشرك ٣- حرمة التوسل بالأولياء والصالحين ٤ - حرمة بناء القبور وتعميرها ٥ - عدم صحة أكثر الفضائل المنقولة في الصحاح والسنن في حق علي بن أبي طالب وآله ٦ - تكفير بقية المذاهب وعلى الخصوص المسلمين الشيعة وإراقة دمائهم وانتهاك أعراضهم ونهب أموالهم.

وبعد سقوط النظام الصدامي في العراق سعى هؤلاء لنشر الرعب والارهاب في العراق خاصة وفي العالم الإسلامي عامة. وقد ألف علماء المذاهب الاسلامية أكثر من ٣٠٠ كتاب ورسالة في الرد على الوهابية؛ للمزيد راجع كتاب الغدير المجلد الثالث: ص ١٤٨-٢١٧،

عام[1]، لكن لما كانت قلوب المسلمين مع هذه المراقد الشريفة، لم يمض وقت طويل حتّى تمّ بناء هذه العتبات وطردهم من الحجاز، ولكن وبعد فترة وبمساعدة الاستعمار الانجليزي عادت الوهابية إلى حكم الحجاز فهدموا المراقد الشريفة في المدينة المنوّرة[2]، وبما أنّ قلوب المسلمين إلى جانب

الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية للسبكي، شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي، هذه هي الوهابية لمحمد جواد مغنية، البراهين الجلية في ضلال ابن تيمية للسيد حسن الصدر الكاظمي، ابطال فتوى الوهابيين للبلاغي، طبقات الفقهاء للسبحاني: ج٨ ص٢٨، رسالة في رد الوهابية للبلاغي، الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية لسليمان بن عبد الوهاب.

(١) وكان ذلك سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م). عن هذا الموضوع راجع كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق: ص ٢٦٠ للكاتب لونكريك ترجمة جعفر الخياط، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر للكاتب ياسين العمري.

ولا يخفى أن الملك أبا الفضل سعد بن محمد بن موسى القمي شيَّد القباب في البقيع سنة ٣٥٠هـ، ثم جددت في زمن العباسيين.

(٢) وكان ذلك في ٨ شوال سنة ١٣٤٤ هـ (٢١ نيسان ١٩٢٥م) وبفتوى عبدالله بليهد. فقد هدم الوهابيون البقيع الغرقد والتي تقع في الاتجاه الجنوبي الشرقي من الروضة النبوية، الذي يضم قبور أربعة أئمة وهم الإمام الحسن المجتبى سبط رسول الله والإمام علي بن الحسين حفيد الرسول الأكرم والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهم آلاف التحية والسلام. وكذلك يضم الكثير من الصحابة الأجلاء أمثال عثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود وسعد بن معاذ وقيس بن سعد بن عبادة وأسامة بن زيد بن حارثة، وبنات الرسول الأكرم السيدة رقية والسيدة أم كلثوم والسيدة زينب، والعباس بن عبد المطلب عم الرسول، وعمات الرسول صفية وعاتكة بنات عبد المطلب، ومحمد بن الحنفية ابن الإمام علي، وعقيل اخي الإمام علي، وعبدالله بن جعفر الطيار زوج العقيلة زينب بنت الإمام علي، وابراهيم ابن رسول الله، وفاطمة بنت حزام الكلابية أم البنين زوجة الإمام علي، واسماعيل بن الإمام الصادق، وتسعاً من زوجات الرسول، وحليمة السعدية مرضعة الرسول، وفاطمة بنت أسد أم الإمام علي، ورقية الكبرى بنت الإمام علي. وإضافة إلى الهدم فقد سرقوا ما بها من حلي وذهب ومجوهرات ثمينة وأحرقوا الكتب الإسلامية، وذكر مالك أن عشرة آلاف صحابي مدفون في البقيع، وكان على قبورهم علامة هدمها الوهابيون. وهدموا كذلك قبر عبدالله والد الرسول الأكرم ﷺ وقبر السيدة فاطمة بنت

هذه المراقد فإنهم يتربّصون بالوهابية الدوائر للانقضاض عليهم وتخليص المراقد الشريفة من عدوانهم المستمر.

من هنا يمكننا القول: إنّ الرأي العام الباطني له تأثير أيضاً، وليس من الصحيح القول: ما فائدة أن يكون الناس إلى جانبك في الباطن وضدّك في الظاهر؟!.

وفي قبال الرأي العام الباطني هناك الرأي العام الظاهري، وهو أن يكون الشعب قد استطاع بوسائل الإعلام المختلفة أن يعبّر عن رأيه في موضوع معيّن كتعبير الأفراد في المجتمعات الديمقراطية، وهذا الرأي العام يسمى بالحقيقي، فهو يبقى مادامت الميول النفسية قائمة، فإذا ذهبت الميول النفسية لايسمى الرأي العام حقيقياً، وإنّ الناس لايعملون بهذا الرأي العام،نعم قد يصبح صغيراً لخوفِ ذهاب إصلاح أو طمع في مال أو سلطة وما أشبه ذلك.

والذين يريدون تكوين الرأي العام يجب عليهم أن يعملوا بالأمرين، بمعنى: أن يكوّنوا الميول الداخلية الكامنة في النفس الإنسانية ثمّ بعد ذلك يظهروا تلك الميول إلى الخارج، وكما أنّ لكلّ شيء أثر من الآثار يعرف مستقبل تلك الأشياء، كذلك للرأي العام آثار مستقبلية، أي نعرف الرأي العام المستقبلي بالأسباب التي تكوّن الرأي العام، ويكون ذلك أساساً للرأي العام، فمن طريق الدراسة والتحويل والمقارنة وما أشبه ذلك يمكن أن نفهم الرأي العام

أسد والدة الإمام علي عليه السلام وقبر السيدة خديجة بنت خويلد وقبر آمنة بنت وهب وقبر ابي طالب وعبد المطلب وعبد مناف، وكذلك هدموا قبر نبي الله يسع في القطيفية وقبر السيدة حواء في جدّة، وهدموا اكثر من اربعين مسجداً كما وهدموا الآثار الإسلامية كباب خيبر وبيت الأحزان والبيت الذي ولد فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبيت الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الموضوع راجع موسوعة العتبات المقدسة: قسم مكة: ج٢ ص٢٧٦ وقسم المدينة:ج٣ ص٢٥٣ وص٢٨٠ وص٢٨٩-٣٢٨ لجعفر الخليلي وكتاب قبور أئمة البقيع قبل تهديمها للسيد عبد الحسين الحيدري.

المستقبلي الذي تفرزه الأوضاع السياسية العامّة.

يبقى هناك فرقٌ شاسع بين الرأي العام الذي تتبناه الطبقة المثقّفة من الأمّة، وبين الرأي العام الذي ينشده الجمهور، فالأوّل مستند إلى العقل والعلم، بينما الثاني مستند إلى العاطفة، والتي بدورها إمّا تدفع بالإيجابية أو بالسلبية[1].



(١) وهناك أقسام أخرى إضافة لما سبق، نذكرها بإيجاز:

١- الرأي العام العالمي: الذي يشترك فيه الجميع رغم اختلافهم في الجنسيات والثقافات واللغات والأديان، مثلاً: التباني على خطورة الأمراض كمرض الإيدز أو الطاعون، أو التباني على الجنوح إلى السلم ونبذ الحرب، أوالتباني على كراهية الاستعمار ومحاربته.

٢- الرأي العام القار: الذي ينبعث من عوامل حضارية وثقافية للمجتمع الواحد كالتربية المنزلية والمدرسة والشارع والتقاليد والأعراف.

٣- الرأي العام الكامن: الذي يأخذ اتجاهاً واحداً.

٤- الرأي العام المستنير: الذي يمثل رأي النخبة المثقفة في المجتمع ويرتكز على التحليل والنقاشات العلمية.

٥- الرأي العام المنقاد: وهو رأي أغلبية الشعب.

٦- الرأي العام المسيطر: وهو رأي القادة والزعماء والحكام.

٧- الرأي العام الدائم: الذي يرتكز على أسس سواء كانت تاريخية أو دينية أو ثقافية، ويمتاز بالاستقرار والثبات.

٨- الراي العام اليومي: الذي يتأثر بالأحداث اليومية ومجريات الأمور، والاشاعات، وما تنشره وسائل الاعلام المختلفة.

للتفصيل راجع كتاب الرأي العام والإشاعة: ص٣٧ للمؤلف عبد المنعم سامي، وكتاب العلاقات العامة والاعلام للدكتور حسين عبد الحميد: ص٢٣٦-٢٤٠.

الرأي العام والسلوك الانساني

مسألة:إنّ الرأي العام يستند إلى السلوك الإنساني بصورة عامّة، والسلوك الإنساني يستند إلى حبّ البقاء، أو دفع الضرر، أو غريزة الجنس، أو القدرة على التقليد ومحاكاة الآخرين، أو إلى العلاقات الاقتصادية السائدة في المجتمع، أو إلى التقاليد الثقافية المتوارثة، أو إلى كيفية التفكير السياسي.

وقد يرجع السلوك كما هو موجودٌ الآن في بعض المجتمعات البدائية إلى عوامل خفية غيبية توارثوها واعتقدوا بها منذ أزمنة بعيدة؛ كاعتقادهم بأنّ الجن والعفريت أو المَلَك أو ما شابههم يسيّرهم، ولا يُقصد بالمَلَك ما نعتقده بقوله ﷻ ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[1]، بل اعتبار أنّ الإله وملائكته ـ أي القوى الخيرة المنبعثة منهم ـ، توجب هذا السلوك الذي سيسلكونه.

إن القوى الاجتماعية، والخصائص الثقافية، والمعتقدات والموضوعات والمواقف والاتجاهات، واختلاف الناس في واقعهم، أوجبت تكوّن الرأي العام، ومعرفة هذه الأمور على نحو الكلية، ومعرفتها على نحو التطبيق الجزئي في المجتمع، مثلاً: من المفيد للذين يريدون توجيه الرأي العام إلى هذه الجهة أو تلك أن يتبصروا بهذه الأمور، كما أنّ من ذكاء الشخصية أوعدم ذكائها يمكن أن نتعرّف إلى الرأي العام الذي تنخرط هذه الشخصية فيه، فاختبارات الذكاء التي تجري في الوقت الحاضر في بعض عواصم العالم على

---

(١) سورة النازعات: الآية ٥.

الأطفال أو المميزين منهم إنّما تسير على نحوٍ يطلب فيه من الفرد حل بعض المشكلات غير المعقدة أو بعض المشكلاتَ المعقدة غير المتجانسة سواء كانت مشكلات اقتصادية أو اجتماعية ثمّ تعطى الإجابات في زمن محدد كيومٍ أو أسبوع أو ما أشبه ذلك بدون الاتّكال على الآخرين وبدرجات متفاوتة، وعبر دراسة هذه الإجابات يعرف مقياس قدرته، وعلى أساس هذا القياس يمكن إدراك الطريقة التي سيحل بها مسائل أو مشاكل جديدة تواجهه في المستقبل، مثلاً: الذكي إذا عرف حل عشر مسائل حسابية معقدة في يومٍ واحد، يقاس عليه أنه سيكرر ذلك أيضاً في المستقبل بالنسبة إلى المسائلَ الأخرى التي لم تعرض عليه الآن.

وعلى كل حال: فهذه الشخصيات إذا اجتمعت يمكن لها أن تنتخب فلاناً أو فلاناً، مثلاً: الأشخاص المتدينون الذين يسكنون كربلاء المقدسة ينتخبون رجلاً متديّناً، بينما الأشخاص العلمانيون الذين يسكنون بغداد لا بدّ وأن ينتخبوا رجلاً علمانياً، فالشخصية هي مفتاح معرفة الرأي العام، لكن الشخصية المنفردة لا يأتي منها ذلك وإنّما الشخصيات المتعدّدة القائمة في مدينة أو قطر أو ما شابه ذلك، أمّا الشخصية التي هي وراء الرأي العام والتي تدفع به إلى الأمام فهي ليست على وتيرة واحدة وإنّما تتغيّر بحسب الظروف والمواصفات والخصوصيات والمزايا الفردية والاجتماعية والطبقية، فمثلاً يثبت الإنسان على نحوٍ معيّن حين يتعامل مع أعضاء طبقته لكنّه يميل إلى السلوك على نحو آخر مختلف تماماً حين يتعامل مع شخصٍ آخر لا ينتمي إلى طبقته، كأن يكون الفرد أرستقراطياً مع طبقاته ثمّ يصبح ديمقراطياً مع الذين يميلون إلى الديمقراطية، وليس هذا خاصاً بما نذكره من الرأي العام، بل إن الأفراد يتعاملون مع الأفراد ومع الجماعات بأشكال مختلفة، مثلاً الزوجة مع

زوجها غير الزوجة مع أقرباء الزوج، وكذلك الطبيب يكون مع الغني غير الطبيب مع الفقير، فالشخصية في شكلها الواقعي غير الشخصية في شكلها المجرّد، ففي شكلها المجرّد هي هي، أمّا في شكلها الواقعي الخارجي قد تكون هي وقد لا تكون، حسب التضمينات والتمسّكات والترجيحات والاتجاهات والأشخاص والجمعيات وما أشبه ذلك، وكلّ هذه الأمور تتفق أو تتناقض مع درجات مختلفة من الأهميّة في تكوين الرأي العام بالفرد والفردين والثلاثة، وكذلك في الاجتماعات المختلفة التي يراد تحصيل الرأي العام منها واستجابة الناس حتّى تكوّن الرأي العام.

والرأي العام بحاجة إلى قوّة الدفع، فما لم يكن المنبه أو المؤثر أو السبب قوياً وملحاً إلى حجم كبير، وما لم يكن الدافع نشيطاً وفعالاً، فإنّه لا تكون هناك استجابة.

مثال على ذلك: الناس يأكلون ويلبسون وينامون ونحو ذلك، فإنّهم على الأغلب يفعلون هذه الأفعال حين الاحتياج إليها، كونهم جائعين أو عطاشى أو بحاجة إلى النوم.

فمن الواضح أنّ الدافع يصبح قوياً عندما يشعر الفرد بالفراغ والتوتر والفقر والمرض والجهل والافتقاد إلى السعادة وعدم الأمن، عندها تحسّ أنّ هذا الفرد بحاجة إلى تغيير ما حتّى يزال ذلك المنبّه الذي جعلته في مشكلة حقيقية؛ ولذا يقول الحكماء: الألم واللذة هما دافعان قويان نحو أعمال خاصّة، وكلّما كان الألم أشدّ كان الاندفاع أكثر، كما أنّه كلّما كانت اللذة أكثر احتياجاً إليها كان الدفع نحو ما يحققها أكثر، فالشخص يسعى لتخفيف حدة الدافع وهو أمرٌ لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بتغيير السلوك، وذلك ما يصطلح عليه قسمٌ من العلماء بالاستجابة الهادفة، ولذا قالوا: «إنّ العلاقة بين المنبه والدافع هي

علاقة مزدوجة ذات شقّين: المنبّه والمؤثر؛ ومعاً يشكلان الدافع»، والدافع في الطرف الآخر هو الذي يهيئ الفرد للبحث عن منبّه جديد، وهكذا دواليك تتقدّم الحياة إلى الأمام، أو تخطو إلى الخلف نتيجة لوجود الدافع كالجوع والعطش، فالإنسان يسعى إلى ملء بطنه بالطعام، فإذا وجد لوحة كتب عليها عبارة «مطعم» فإنّه يدخل إليه، وهذه هي الاستجابة، بينما لو لم يكن جائعاً فإنّه لا يستجيب لهذه اللوحة ولا يسيل لها لعابه.

والحياة كما تمضي إلى الأمام فهي تمضي إلى الخلف أيضاً. ويشاهد ذلك في الأفراد والحكومات التي تأخذ بالتراجع إلى الضعف بصورة تدريجية حتى تنتهي وتزول. كما قال ﷻ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[1].

وقانون التناقص لا يسري على الأعمار فقط بل يسري على حالات الإنسان في التقدم والتأخّر، فهو يمضي من ضعف إلى آخر حتّى ينتهي أمره[2].

(١) سورة الروم: الآية ٥٤.

(٢) ولا بأس هنا أن نشير إلى بعض الطرق السلمية للتعبير عن الرأي العام والتي تتجسد في النقاط التالية: أ. الإضراب العام المنظم والخالي من الشغب. ب. المظاهرات والمسيرات، كمسيرة ماوتسي تونغ في الصين. ج. المقاطعة كمقاطعة الشركات الأمريكية من قبل بعض المسلمين. د. العصيان المدني كطريقة غاندي ضد الاستعمار الإنجليزي في الهند.

أقسام الرأي الميداني

مسألة: ينقسم الرأي العام في الميدان إلى أربعة أقسام:

١ـ أن يكون الرأي العام مؤيّداً.

٢ـ أن يكون الرأي العام مخالفاً.

٣ـ أن يكون الرأي العام محايداً.

٤ـ أن يكون الرأي العام منقسماً، بمعنى أنّ نصفه إلى هذا الجانب والآخر إلى جانب آخر، وهذا في الحقيقة ليس برأي عام وإنّما الرأي العام غير موجود حينئذ.

وكما أنّ الرأي الشخصي يكون ظاهرياً أحياناً وواقعياً أحياناً أخرى، كذلك يكون في الرأي العام، فإنّ الإنسان قد يكون له رأي واقعي لكن لا يريد أن يبديه وإنّما يبدي رأياً ظاهرياً لمحذور يراه في إبداء ذلك الرأي، ولذا تكون هناك استطلاعات سرّية واستطلاعات علنية. ففي الاستطلاعات السرية يوزع المسؤول عن العمل أوراقاً سرية على مائة من الأشخاص الّذين يخضعون لعملية الاستطلاع فيكتبون أجوبتهم، فإذا جمعوا الأجوبة رأوها من جانب، أمّا إذا كان الاستطلاع علنياً فقد يكون الرأي العام إلى جانب آخر أو يكون منقسماً، ولذا نجد في كلّ باب أن التصويت السرّي كثيراً ما يخالف التصويت العلني.

وقد يكون الرأي العام إيجابياً، وذلك عندما يريدون شيئاً معيناً، وقد يكون الرأي العام سلبياً، وذلك عندما لا يريدون شيئاً معيناً؛ مثال ذلك: عندنا ثلاثة

مرشحين، ويتكون إزاء هؤلاء المرشحين الثلاثة ثلاثة آراء عامّة، فلكلّ مرشح رأي عام إما إيجابي أو سلبي، ويتفاعل هذه الآراء في السلب والإيجاب يتم اختيار أحد الثلاثة للمنصب المخصّص سواء كان المنصب إدارة تنظيم أو إدارة شركة أو إدارة حزب أو إدارة منظمة. وعندما تنحصر المسألة في جانبين فقط فمن المحتمل أن يكون الرأي العام إلى هذا الجانب أو ذاك الجانب أو محايداً. أمّا إذا كانت الجوانب أكثر من اثنين، فمن الممكن أن يكون الرأي العام غير موافق لأحد الجوانب وإنّما تكون هناك آراء، ولكلّ جانب رأي.



الرأي العام والحياة

مسألة: ينبغي تطوير وسائل الإعلام وطرق الوصول للرأي العام في عالمنا الذي شهد تطوراً هائلاً في العلوم والفنون والآداب، فالرأي العام المتطوّر في عالم متغيّر هو القادر على التأثير، فهناك علاقة طردية وتأثير متبادل بين الرأي العام والحياة، فكلّما تقدمت الحياة تقدّم الرأي العام أيضاً، وكلّما فسدت الحياة فسد الرأي العام أيضاً.

وتتجلى هذه الحقيقة بالمثال التالي: لمّا أراد قادة الفساد والإفساد نشر السفور والتبرج في البلاد الإسلامية، قاموا بتهيئة الرأي العام لهذا الأمر بمختلف الوسائل والطرق.

ففي العراق عندما أراد البريطانيون نشر السفور في أوساط المجتمع العراقي، جنّدوا عدداً من البريطانيات السافرات وطالبوهنّ بالسير في شوارع بغداد في حالة من السفور والإثارة، وكان الشباب يتجمّعون لمشاهدتهن، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح السفور أمراً مألوفاً بل وشائعاً بين النساء العراقيات أيضاً.

أضف إلى ذلك أنّهم جنّدوا الأدباء[1] والشعراء لهذا الغرض، ومنهم شاعرهم

---

(١) أمثال قاسم أمين مؤلف كتاب تحرير المرأة.

جميل صدقي الزهاوي حيث نظم قصيدة مطلعها:

أسفري فالحجاب يا ابنة فهرٍ	هو داءٌ في الاجتماع وخيمُ
كل شيء إلى التجدد ماضٍ	فلماذا يُقَرّ هذا القديم[1]

---

(١) من البحر الخفيف، للشاعر جميل صدقي بن محمد فيض بن الملا أحمد بابان الزهاوي، والزهاوي نسبة الى «زهاو» وهي من مناطق إيران، ولد في بغداد سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢م) وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦م) تقلد مناصب عديدة في الحكومة العراقية ابتداءً بعضوية مجلس المعارف في بغداد ومروراً بمحكمة الاستئناف وانتهاءً بعضوية مجلس الأعيان. له عدة مؤلفات،منها: ديوان الزهاوي، الشذرات، نزعات الشيطان، الكائنات، رباعيات الزهاوي، الجاذبية وتعليلها، الكلم المنظوم.

وللزهاوي قصائد ضد الحجاب تنبأ عن خبث سريرته ذكرها في ديوانه: ص٣٠٩ تحت عنوان «هزأوا بهنّ» راجع تاريخ الأدب العربي لحنا فاخوري: ص١٠١٥، دراسات في الشعر العراقي الحديث: ص٧٠، ديوان الزهاوي، الأعلام للزركلي: ج٢ ص١٣٢.

ولا يخفى انه قد ردّ على الزهاوي شعراء كثيرون، منهم الشاعر معروف الرصافي في قصيدة جاء فيها:

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً	بين الرجال يجلن في الأسواق
يفعلن أفعال الرجال لواهياً	عن واجبات نواعس الاحداقِ

ويقول الشاعر الأزري:

أفلم يروا أنّ الفتاة بطبعها	كالماء لم يحفظ بغير إناء
لايخدعنك شاعرٌ بخياله	إنّ الخيال مطية الشعراء

وقال شاعر آخر:

صوني جمالك بالحجاب الداني	ودعي الثياب طويلة الأردان
وتحجبي أختاه إنكِ دُرّةٌ	لاتشترين بأبخس الأثمان
لاتخدعي إن التبرج خدعةٌ	فينالُ منكِ فتخذلي وتُهاني
كوني كلؤلؤة نغوصُ لصيدها	في البحر عن شغفٍ بكل تفاني

ويقول الشاعر علي الجارم كما جاء في مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبش: ص٤٣ – ص٤٤:

والغريب في أمر المستعمرين أنّهم لم يكتفوا بهذا القدر بل أشاعوا هذه الأبيات الشعرية وجعلوها في مناهج طلاّب المدارس حتى أصبحت على لسان كلّ طالبٍ وطالبة، ناهيك عن استخدام التجارة والتسويق لبضائعهم باستخدام صور النساء الخليعات وبكيفيات مغرية.



يــا ابـنتي إن أردتِ آيــة حـسنٍ — وجمــالاً يــزين جــسماً وعقــلا

فانبــذي عــادة التــبرج نبــذاً — فجمــالُ النفــوس اسمــى وأعلــى

صــبغةُ الله صــبغةٌ تبهــر النفــ — ــس، تعــالى الإلــه عــز وجــلا

ثــم كــوني كالــشمس تــسطع للنــا — س ســواءٌ مــن عــز مــنهم وذلا

زينــة الوجــه أن تــرى العــينُ فيــه — شــرفاً يــسحرُ العــين ونــبلا

واجعلــي شــيمة الحيــاء خمــاراً — فهــو بالغــادة الكريمــة أولى

لــيس للبنــتِ في الــسعادة حــظٌ — إن تنــاءى الحيــاء عنهــا وولّى

والبــسي مــن عفــاف نفــسك ثوبــاً — كــل ثــوبٍ ســواه يفنــى ويبلــى

حقيقة الرأي العام

مسألة: إنّ الرأي العام يتكون من ذرّات صغيرة، وتتجمّع هذه الذرّات لتصبح سيلاً جارفاً، فلابدّ ألاّ ييأس العاملون في حقل الرأي العام بل عليهم ألاّ يستعجلوا في قطف الثمار، قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1].

والقرآن بهذه الآية يضع أمامنا قاعدة هامّة، وهي: أن لا نهمل الأشياء الحسنة حتّى لو كانت صغيرة بل حتّى لو كانت بحجم الذرّة، كما علينا أن لا نحقّر الشر حتّى لو كان صغيراً بحجم الذرّة أيضاً، لذا كان أحد الغربيين يقول: «إنّ الرأي العام هو الجواد الذي يمتطيه الحاكم ليصل إلى هدفه»[2].

ويمكننا القول: إنّ الأذان بالأوقات الثلاثة أو الخمسة هو إشعارٌ بالعبادة، وهو شكلٌ من أشكال الرأي العام؛ حيث يبعث بالناس إلى التسابق نحو الصلاة.

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ٧-٨.

(٢) هذه المقولة تنسب للشاعر المسرحي والممثل الإنجليزي وليم شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦م) في إحدى المسرحيات التي كتبها. وقد ترك هذا الشاعر عدة أعمال فنية ومسرحية، منها: هاملت، الملك لير، ماكبث، حلم ليلة منتصف الصيف، تاجر البندقية، روميو وجوليت، يوليوس قيصر، هنري الثامن. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٥ ص٢٢٤٣.

علاقة الرأي العام بالفطرة

مسألة: يجب أن ينسجم الرأي العام مع الفطرة الإنسانية، فإذا تعاكس مع الفطرة البشرية فإنّه سيصطدم مع منهج الإنسان في الحياة وسيكون مصيره إلى الزوال، لأنّ الرأي العام السليم هو المنسجم مع الفطرة البشرية؛ كما قال ﷻ في كتابه: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[1].

والرأي العام كالماء الذي إذا أسن لا يطهر إلاّ بماء طاهر. كذلك لو وجد إنسانٌ رأياً عاماً مخالفاً وأراد معالجته، فعلاجه لا يتمّ إلاّ برأي عام طاهر، يستطيع أن يزيح الرأي العام الأول ليقوم مقامه، وهكذا فعل رسول الله ﷺ عندما جاء برأي عام موافق للفطرة البشرية في مقابل الرأي العام المخالف للفطرة البشرية والمطابق للجاهلية.

والغريب في الأمر أنّ المفسدين ينطقون بلسان المصلحين فيردّدون كلماتهم حتّى لا يستطيع المصلحون من التكلّم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[2]، أي ردّ الظالمون أيديهم في أفواه المصلحين من الأنبياء والأوصياء ومن أشبههم، وهكذا كان أعداء رسول الله ﷺ يمنعون الناس من سماع القرآن الكريم؛ لأثره في الرأي العام فكانوا

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٩.

يملؤون آذانهم بالقطن حتّى لا يسمعوا كلام الله ﷺ[1] أو كانوا يدعون كهّانهم ليجلسوا بين الناس ويحكوا لهم قصص الأوّلين لإبعادهم عن رسول الله ﷺ.

لكن الإنسان المصلح لا يبالي بهذه الأساليب والطرق فهدفه الأسمى هو تغيير المجتمع، وهكذا كان حال رسول الله ﷺ فقد أصرّ على تغيير المجتمع، وتمكّن أن يوصل كلمته إلى قلوب الناس، وأوجد ذلك الرأي العام الذي تحوّل إلى فكرة محرّكة في المجتمع.



(١) يحدثنا التاريخ أنّ الكفار عندما لا يجدون القطن كانوا يملؤون آذان الناس بحشائش الأرض ليمنعوهم من الاستماع إلى الرسول الأكرم ﷺ.

حتمية الاعتقاد

مسألة: من مستلزمات تكوين الرأي العام أن يعتقد العاملون في تكوين الرأي العام بمبادئهم اعتقاداً جازماً لا شكّ فيه؛ لذا ورد في الدعاء: (اللهم أرنا الحق حقاً حتى نتبعه، وأرنا الباطل باطلاً حتى نجتنبه)[1]، وفي دعاء آخر وارد عن المعصومين عليهم السلام: (اللهم أرنا الحقائق كما هي)[2]؛ لأنّه كثيراً ما لا يرى الإنسان الشيء كما هو، وإنّما يرى ضدّه أو نقيضه أو على ما يكون بينه وبين الواقع عموم من وجه، مثلاً: يرى كلّ إنسان أبيضَ أو كلّ أبيض إنساناً؛ على اصطلاح المنطقيين، فإذا رأى الإنسان رأياً صائباً يصبح هذا الرأي قوياً في نفسه واعتقد به واعتمد عليه، وأخذ بنشره بين الناس، وأصبح له مؤيدون من نخبة المجتمع، وتصبح هذه النخبة هي الداعية لهذه الفكرة، وتنتشر هذه الفكرة في المجتمع، وهذا ما يحدث بالنسبة إلى الأفكار الإصلاحية والأفكار الإفسادية على حدٍّ سواء.

مثلاً: كان هتلر[3] يعتقد بتفوّق الجنس الألماني على الجنس

---

(١) رسالة حول الحديث للشيخ المفيد: ص٢٤. ونظير ذلك ورد في البلد الأمين: ص٣١، مصباح الكفعمي: ص٤٣، مصباح المتهجد: ص١١١، مفتاح الفلاح: ص٢٦٢ ب٤، فلاح السائل: ص٢٥٤ الفصل السادس والعشرون.

(٢) غوالي اللآلي: ج٤ ص١٣٢ ح٢٢٨.

(٣) أدولف هتلر، ولد في قرية بروناو النمساوية في ٢٠ نيسان سنة ١٨٨٩م، عمل كرسام في مكتب أحد المهندسين، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى انضم متطوعاً إلى الجيش الالماني وترقى إلى رتبة كابورال واشترك في الجبهة الغربية حتى قبل نهاية الحرب حيث

البشري[١]، وأخذ يبشّر بهذه الفكرة فأوجد تياراً في المجتمع الألماني يعتقد بتفوّق العنصر الألماني، وهذا التيار هو النازيّة.

وكان اعتقاد النازي بأفكاره اعتقاداً راسخاً فكان على استعداد لأن يضحي من أجل أهدافها على الرغم من أنّها أهداف باطلة ومنحرفة. وهكذا الأمر بالنسبة إلى الفاشية؛ والدّاعي إليها موسيليني[٢]. وكذلك الأمر بالنسبة إلى

اصيب إصابة بالغة أدت إلى فقد بصره عدة أسابيع. بدأ بتنظيم الحزب الاشتراكي الوطني للعمال الألمان أو ما سُمّي بالحزب النازي سنة ١٩٢١ م، ودخل المعترك السياسي سنة ١٩٢٣ م، وفي سنة ١٩٣٣م أصبح برتبة مستشار وألف حكومة أئتلافية تضم النازيين واليمين، وفي سنة ١٩٣٤م انفرد بالحكم بعد أن قضى على المعارضين للحزب النازي وكانوا بالمئات وحل جميع الأحزاب السياسية وألغى النقابات. أدت سياسته المتعجرفة إلى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م، والتي ذهب ضحيتها قرابة الخمسين مليون إنسان، وخسر المعركة بهجومه على روسيا سنة ١٩٤٣م. انتحر في قبو مبنى المستشارية ببرلين سنة ١٩٤٥م وأحرق جثمانه بناء على وصيته. من مؤلفاته كتاب: «كفاحي» الذي عرض فيه سيرته الذاتية ومذهبه ورؤيته لمستقبل المانيا، وقد حرر كتابه هذا سنة ١٩٣٩م وطبع منه في سنة ١٩٣٩م أربعة ملايين نسخة، وقد اعتبر النازيون كتابه هذا إنجيل الألمان رغم أنّ أفكاره لاتصمد أمام أي نقد عقلائي. راجع موسوعة جريدة العالم: ج٥ ص١٧٤.

(١) يطلق على هذه النظرية تسمية المبدأ الجرماني - والجرمان هم شعب آري غزا أوربا الوسطى في الزمان القديم - وهي تنص على أن توزيع الدول يجب أن يستند إلى الأجناس بمعنى أن من حق كل جماعة من جنس واحد أن تقوم كدولة مستقلة. وقد أخذ هتلر هذه النظرية من الكاتب الايطالي منشيسني، حيث دعى هذا الكاتب إلى مبدأ الجنسيات سنة ١٨٥١ م لتوحيد إيطاليا. ولا يخفى ما في هذه النظرية من خلل حيث أنها لاتضمن استقرار العلاقات الدولية بل تكون خطراً على السلم العالمي لأنه يترتب عليها من ناحية اندماج كثير من الدول في جماعات كبيرة يصبح وجودها مهدداً لغيرها وللسلام في العالم. وكذلك يلزم منه تقسيم عدد من الدول الحالية التي يعيش أهلها في وئام إلى عدة دويلات صغيرة وضعيفة لاتستطيع الحياة بذاتها والعيش بسلام بجانب الجماعات الكبيرة.

وقبال نظرية الجنسيات توجد نظريات اخرى، وهي: أ- نظرية تدرج القواعد القانونية، ب - نظرية المصلحة في قيام العلاقات بين الدول، جـ - نظرية التوازن السياسي، د - نظرية الحدث الاجتماعي.

(٢) بنيتو موسيليني ديكتاتور إيطاليا، ولد سنة ١٨٨٣م، مؤسس الحزب الفاشي الإيطالي في

الشيوعية والداعي إليها لينين[1] وستالين[2] وغيرهما. هذا في جانب الشرّ، أمّا

ميلانو سنة ١٩١٩م، زحفت ميليشياته على روما سنة ١٩٢٢م، وأسندت إليه الوزارة من قبل الملك فكتور عمانوئيل الثالث، أصبح رئيساً لإيطاليا في نفس السنة، أنشأ مع هتلر محور روما ـ برلين سنة ١٩٣٦م، تحالف مع هتلر في الحرب العالمية الثانية، وأدّت هزيمة قواته إلى سقوطه. وأدت سياسته الاستعمارية إلى إعلان الحرب على إثيوبيا سنة ١٩٣٥-١٩٣٦م، والتدخل في الحرب الأهلية الإسبانية سنة ١٩٣٦-١٩٣٩ م، وضم ألبانيا سنة ١٩٣٩م، أقصي من الحكم سنة ١٩٤٣م ثم أعاده الألمان إلى الحكم مرة أخرى بعد شهرين سنة ١٩٤٤م، وعند انهيار الجيوش الهتلرية حاول الفرار إلى سويسرا، لكنه أسر وقدّم إلى المحاكمة وأعدم في ٢٨ نيسان ١٩٤٥م.

(١) فلاديمير إيليتش أوليانوف، المشهور بـ (لينين) نسبة إلى اسم نهر لينا حيث كان منفياً على ضفافه في العهد الملكي الإمبراطوري، زعيم وكاتب روسي، ولد في مدينة سيميرسك سنة ١٨٧٠م ومات سنة ١٩٢٤م، دخل المعترك السياسي بتأسيس الحزب الشيوعي في روسيا، وقاد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م وأطاح بحكومة كيرنسكي، أسس الاتحاد السوفيتي ـ السابق ـ وأصبح رئيساً للبلاد بين سنة ١٩١٧-١٩٢٤م اعلن ديكتاتورية البروليتارية، وأمم الأراضي ووسائل الإنتاج وما أشبه، أهم مؤلفاته: الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، من هم أصدقاء الشعب، تطور الرأسمالية في روسيا، خطوة للأمام وخطوتان إلى الوراء، حق الأمم في تقرير مصيرها، أهمية المادية النضالية. راجع موسوعة السياسة: ج٥ ص٦٠٣.

(٢) جوزيف فيساريونوفيتش دجوغاشفيلي المشهور بجوزيف ستالين. الرجل الفولاذي. واتخذ هذا الاسم بعد انخراطه في الحركة الثورية، ولد سنة ١٨٧٩م في جورجيا، اتهم في سرقة أحد البنوك في تفليس سنة ١٩٠٦م التي ذهب إليها للدراسة، وعين بدعم من لينين سنة ١٩١٢م عضواً في قيادة الحزب الشيوعي، واعتقل سنة ١٩١٣م وصدر الحكم بنفيه إلى سيبريا مدى الحياة. وبعد الإطاحة بالنظام القيصري سنة ١٩١٧م أصبح وزيراً للقوميات في وزارة لينين وعضواً للمكتب السياسي للحزب، وكلف بمهمات تنظيمية داخلية مكنته من السيطرة على الحزب لذا أصبح الأمين العام للحزب سنة ١٩٢٤م، واستمر في منصبه إلى سنة ١٩٥٣م، وأصبح رئيساً للجمهورية بين الفترة ١٩٤١-١٩٥٣م، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية، وقد قضى على خصومه في محاكم صورية بين سنة ١٩٣٤-١٩٣٨م عرفت بمحاكم موسكو، وقتل من الشعب أكثر من عشرين مليوناً لأجل تحويل النظام الزراعي التقليدي إلى المزارع الجماعية أو المزارع الحكومية. وقد سبب هذا التحويل سحق الطبقة الوسطى في المجتمع ممّا أدّى إلى خفض الإنتاج الزراعي، ونقص الملايين من رؤوس الماشية، وإحداث مجاعات في البلاد وعلى الخصوص في أوكرانيا وشمال القوقاز، ومات سنة ١٩٥٣م. وبعد تولي خروشوف الحكم في الاتحاد السوفيتي نقل جثمان ستالين من

جانب الخير؛ فنجد موسى عليه السلام ودعوته في التوحيد ومقاومة أقاويل فرعون[1]. ونجد أيضاً عيسى عليه السلام ودعوته في تطهير العبادة لله تعالى. ونجد أيضاً نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله ودعوته في توحيد الخالق العظيم في قبال الشرك والوثنية التي كانت منتشرة يومذاك.

وقد بدأت هذه الرسالات بفكرة واضحة وبداعية يدعو إليها، فيؤمن بها جمع من الناس، وهذا الجمع يحمل بدوره الفكرة إلى الآخرين، وهكذا حتّى تصل إلى أكبر عدد من الناس.

الضريح الكبير إلى مقبرة عادية، وحطمت تماثيله ونصبه التذكارية. راجع موسوعة السياسة: ج٣ ص١٣٧، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٥ ص١٩٩١، الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين للمؤلف أ. ن كالوسليك. وقد ناقش الإمام المؤلف قدس سره النظرية الشيوعية في المجلد الأول من الفقه. الاقتصاد: ص١٩٥.

(١) الوليد بن مصعب، ويكنى بأبي مصعب وهو فرعون موسى، الطاغوت والجبار والمتكبر والظالم والساحر والباغي الذي قال: «أنا ربكم الأعلى»، وقد اختلف أرباب التاريخ في نسبه فبعض قال: إنه من اليمن، وآخر: إنه من العمالقة، وثالث: إنه من أقباط مصر كما ذكر ذلك اليعقوبي في تاريخه: ج١ ص ١٨٦. وكلمة «فرعون» في اللغة المصرية القديمة تعني الملك المتصرّف أو الرب الذي له حق الأمر والنهي في شعبه أو من هم تحت سلطته وقيل النبيل او الشريف وقيل البيت الكبير او قصر الزعيم. وقد ورد اسم فرعون في القرآن ٧٤ مرة، وتحدث عنه الباري تعالى في ٢٧سورة، وقد حكم مصر وفلسطين وبلاد الشام وبلاد ما بين الرافدين في العراق واستمر حكمه على أقل التقادير ٢٠٠ سنة وعاش ٤٠٠سنة، وقد استعان في ترسيخ حكمه ببعض الكهنة والسحرة، وقد وصفه القرآن الكريم بما يلي: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ «سورة القصص، الآية ٤» و﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ «سورة يونس، الآية ٨٣». و﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ «سورة الدخان، الآية ٣١». أرسل الله تعالى له موسى النبي وآزره بأخيه هارون وبعث معه آيات عديدة منها: العصا، والجراد، والقمل، والضفادع. لكن فرعون استكبر ولم يؤمن، فأغرقه الله وجنوده والبالغ عددهم مليون شخص في النيل.

ولأجل هذا نلاحظ أنّ اليهودية لازالت باقية بالرغم من انحرافها عن خطّ موسى عليه السلام: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [(١)].

كذلك النصرانية قائمة إلى يومنا هذا بالرغم من التحريف: ﴿تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [(٢)].

وهكذا بقي الإسلام كرسالة خالدة، تعتقد بها البشرية جمعاء. لأنّ يداً غيبية تقوم برعايتها والدفاع عنها كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [(٣)]. لذا لم يسجل منذ أربعة عشر قرناً أي مساس في كتاب الله العزيز.

وببركة القرآن الكريم ظلّت الأحاديث النبويّة وكلمات الأئمّة المعصومين عليهم السلام: تنير الدرب للإنسان وتفتح له ثلاثة أبواب للتفكير: التفكير بنفسه، والتفكير بغيره، والتفكير بمصيره في الآخرة.

أمّا غير المسلم فلا يفكر بالأمر الثالث، إذ أن تفكيره منحصرٌ بنفسه، كيف يستطيع أن يجلب لها الطيّبات؟ وكيف يجنبها الشرور؟

والتفكير بغيره، كيف يستطيع أن يتعايش مع غيره ويتلاءم معه؟.

علاقة الرأي العام بالإنسان

والإنسان سواء كان ذا التفكير ثلاثي الأبعاد أو التفكير ذي البعدين، يعيش في محيط يفرض عليه الرأي العام حاجات ومستلزمات لابدّ له من اتّباعها، وقلّما نجد إنساناً لا يتأثّر بالرأي العام الذي حوله كالمؤمن الواحد الذي يعيش

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٦، سورة المائدة: الآية ١٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧١.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

بين مجموعة من الكفّار، فمن المفترض أن لا يتأثّر هذا المؤمن بالرأي العام الذي يفرزه هؤلاء الكفّار.

لذا كان سبيل العقلاء هو خلق الرأي العام المطابق للناس وجعلهم ينسجمون مع الرأي العام، سواءٌ كان هؤلاء العقلاء على خطأٍ في إيجاد الرأي العام على اللون المعيّن أو لم يكونوا على خطأ.

مثلاً: الديكتاتور يحاول أن يوجد رأياً عاماً حول نفسه يظهره وكأنّه شخصيّة مثالية وفوق القدرات البشرية، فيدفع بالمجتمع إلى الاستسلام لقوانينه.

أمّا الإنسان الواقعي، فهو يحاول توسيع الاستشارية لتضمّ المجتمع بأسره والتّي يعبّر عنها في وقتنا الراهن بالديمقراطية.

وهذا الذي ذكرناه هو الذي يصفه بعض الفلاسفة الغربيين[1] بقوله: «الحياة أشكال للإرادة العقلية التي تضع الفرد، بوصفه شخصاً يعطي ويأخذ، في مواجهة الطبيعة بأسرها، فالإنسان يحاول السيطرة على الطبيعة والأخذ منها أكثر ممّا يعطيها، غير أنه من خلال الطبيعة، يواجه الإنسان بإرادة عقلية أخرى تسعى إلى نفس الهدف أيضاً، أي يواجه بفردٍ آخر يريد أن يكسب على حسابه، وفي كلّ الحالات، فإنّ الشخص الذي ينتمي تفكيره إلى تفكير المجتمع سواء أكان يعتبر نفسه السيد الآمر في ثروته، أم السيد الآمر فقط في جهده الجسماني وقدرته على العمل، أو أية قدرة أخرى، هو الذي يكون دائماً، طموحاً ومدبراً وقادراً على تقبّل الأفكار تقبلاً انتقادياً، وقادراً على استخدامها على النحو الذي يحقّق أغراضه ومصالحه»[2].

---

(١) وهو فرديناند تونيز المتوفى سنة ١٩٣٦م.

(٢) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص٢٨ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

أقول: والذي ذكرناه هو أعمّ ممّا ذكره هذا الفيلسوف، بل يكون في بعض فقراته وفقرات كلامنا، بينهما عموم من وجه؛ على اصطلاح المناطقة.

ثمّ يقول هذا الفيلسوف: «إن الوظيفة الرئيسية من وظائف الرأي العام في تنظيم المجتمع هي اختزال أخلاقيات ذلك النمط من الحياة بقصد تحويلها إلى قواعد ومناهج، وبالنسبة للرأي العام فإنّه يكون من اليسير التماس القوى ذات الطغيان ضدّ الطبقات السفلى، مثلما يكون من اليسير طلب منح الحرية للطبقات العليا. والصحافة هي السلاح الحقيقي للرأي العام، إنّه سلاح وأداة في أيدي أولئك الذين يعرفون كيف يستخدمونها ويعرفون كيف يجعلونها تخدمهم. إنّ ما يسود هو المعتقدات الشعبية الشائعة التي يجب التمييز بدقّة بينها وبين الأحكام الاجتماعية، التي يشار إليها بوصفها الرأي العام، ذلك أنّ الرأي العام هو ما يتّصل بالموضوعات المتنازع عليها القابلة للجدل والمناقشة بالنسبة للجماهير المعنية، لا تلك الضروب من الحياة العقلية الثابتة ثباتاً نسبياً».

وقال فيلسوف آخر[1]: «إنّ الرأي العام باعتباره مجموعة من المعتقدات والقيم والتحزبات، فضلاً عن التيارات التي تلتقي معاً نتيجة لمناقشة الموضوعات والمسائل المتنازع عليها القابلة للجدل».

أقول: إنّ الرأي العام قد يكون مستنداً إلى حقائق في داخل الإنسان مثل العدالة والحب والرفاه والحرّية والتعاون وما أشبه ذلك. وقد يكون الرأي العام مستنداً إلى جهة طائفة، مثلاً: إطاعة الناس للديكتاتور ليست نابعة من الإنسان نفسه وإنّما هي نابعة عن الضغوطات التي تأتي من فوق، سواء من الديكتاتور أو أتباعه، فلذا يتكون الرأي العام نتيجة السكوت على الديكتاتور وعلى

---

(١) وهو أ. ف. دايسي.

جرائمه وأتباعه وإن كانوا في داخل أنفسهم يرون ذلك باطلاً، وهذا الرأي العام ليس كالأوّل، فالرأي العام الأوّل هو الذي ينمو ويظهر وينتشر ويمتدّ على طول الزمان إلاّ أن يرتطم بمانع، أمّا الرأي العام الثاني فلا يطول.

إشكال وجواب

قد يعترض معترض على هذا القول: كيف لا يطول الرأي العام الثاني ـ المستند إلى جهة طائفة ـ ونحن نرى أنّ بني العباس قد حكموا البلاد الإسلامية زهاء خمسة قرون [1]، من الاستبداد والفساد وما أشبه ذلك؟.

في الإجابة عن هذا الاعتراض، نقول: إنّ بني العباس لم يكونوا حكومة واحدة بل مجموعة حكومات؛ فقد آلت الحكومة إلى الفرس ثمّ إلى الترك ثمّ إلى الديلم ثمّ إلى العرب ـ وكان الحكام العباسيين مختلفين من حيث درجة الاستبداد، وهم مختلفون أيضاً في علاقاتهم مع الشعب، فهناك حاكم عباسي

(١) حكموا خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة ابتداءً من ١٣٢ هـ (٧٥٠م) وإلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) عندما احتلها هولاكو وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة هم: ١. السفاح، ٢. المنصور، ٣. المهدي، ٤. الهادي، ٥. هارون، ٦. الأمين، ٧. المأمون، ٨. المعتصم، ٩. الواثق، ١٠. المتوكل، ١١. المنتصر، ١٢. المستعين، ١٣. المعتز، ١٤. المهتدي، ١٥. المعتمد، ١٦. المعتضد، ١٧. المكتفي، ١٨. المقتدر، ١٩. القاهر، ٢٠. الراضي، ٢١. المتقي، ٢٢. المستكفي، ٢٣. المطيع، ٢٤. الطائع، ٢٥. القادر، ٢٦. القائم، ٢٧. المقتدي، ٢٨. المستظهر، ٢٩. المسترشد، ٣٠. الراشد، ٣١. المقتفي، ٣٢. المستنجد، ٣٣. المستضيء، ٣٤. الناصر، ٣٥. الظاهر، ٣٦. المستنصر، ٣٧. المستعصم.
وفي زمانهم انفصلت عنهم دول عديدة منها الحمدانية في حلب والإخشيدية والفاطمية والأيوبية في مصر والغزنوية في أفغانستان والهند والسامانية في خراسان وما وراء النهر.
وفي زمانهم انتشر الشذوذ والخلاعة والترف، وأصبح شرب الخمر من أبرز مظاهر الحياة اللاهية، وانتشرت الحانات في طول البلاد وعرضها حتى انتشرت موجة التشكيك بحرمة الخمر، وكان رائد هذه الحملة أبو نواس وأمثاله.

كان يراعي مصالح الناس نسبياً، وهناك من كان يتشدّد عليهم، ونتيجة لهذا الاختلاف وجدنا كيف أنّهم حكموا هذه المدّة الطويلة، والأمر نفسه مع اختلاف في التفاصيل بالنسبة إلى حكومة بني أميّة [1]؛ فلم تكن حكوماتهم حكومة واحدة بل كان لكلّ حاكم أسلوبه الخاصّ في الحكم، فأسلوب

---

(١) بنو امية نسبة إلى أميّة وهو من الروم، استلحقه عبد شمس، حكموا اثنتين وتسعين سنة ابتداءً من ٤٠ هـ (٦٦١ م) وإلى ١٣٢ هـ (٧٥٠ م)، وامتدّت دولتهم من شواطئ المحيط الأطلسي وجبال البرانس غرباً إلى نهر السند وتخوم الصين شرقاً، وعدد خلفائهم أربع عشرة خليفة هم: ١. معاوية بن أبي سفيان، ٢. يزيد بن معاوية، ٣. معاوية الثاني، ٤. مروان بن الحكم، ٥. عبد الملك بن مروان، ٦. الوليد بن عبد الملك، ٧. سليمان بن عبد الملك، ٨. عمر بن عبد العزيز، ٩. يزيد بن عبد الملك، ١٠. هشام بن عبد الملك، ١١. الوليد بن يزيد، ١٢. يزيد بن الوليد، ١٣. إبراهيم بن الوليد، ١٤. مروان الحمار.

اتّسمت سيرتهم باللهو، واللعب، والغناء، والطرب، وشرب الخمور، وإحياء الباطل، وإماتة السنة، وإظهار البدعة، ووضع الأحاديث والعبث بأحاديث الرسول الأكرم ﷺ، ومصادرة الأموال، وبث روح العصبية العربية، وإثارة النزاعات القبلية، وإعادة المسلمين إلى الجاهلية الأولى بالتفريق بين العرب وغيرهم من المسلمين، وقتل أهل البيت ﷺ. وفي زمانهم كانوا يختمون على أعناق الصحابة والتابعين على أنهم عبيد للخليفة، وكانوا يسجنون النساء ويأتي من أراد الزنا فيدخل إلى السجان ويختار من النساء ويقضي وطره مقابل مبلغ من المال، وفي زمانهم كانت تبقر بطون النساء الأسرى كما حصل لقبيلة تغلب حيث بقرت بطون ألفين من نسائها. ومن أسباب زوال ملكهم كما جاء في المجلد الثالث من مروج الذهب للمسعودي: ص٢٤١ ما يلي: عندما سُئل أحد وجهاء بني أمية عن سبب زوال ملكهم قال: «إنّا شُغِلنَا بلذّاتِنا عن تَفَقّدِ ما كان تَفَقُّد يلزمنا، فظلّمنا رعيّتنا؛ فيأسوا من إنصافنا، وتمنّوا الرّاحة منّا، وتحومِل على أهل خراجنا فتخلّوا عنّا، وخرجت ضياعنا، فخلَتْ بيوتُ أموالنا، ووثقنا بوزرائنا، فآثَرُوا مرافقهم على منافعنا، وأمضَوا أمُوراً دوننا أخفَوا علمها عنّا، وتأخّر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا، فتضافروا معهم على حربنا، وطلّبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنّا من أوكَد أسباب زوال ملكنا».

وقامت في عهدهم عدة ثورات منها: ١. ثورة الإمام الحسين ﷺ، ٢. ثورة أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة، ٣. ثورة أهل مكة بقيادة عبد الله بن الزبير، ٤. ثورة المختار، ٥. ثورة مصعب بن الزبير، ٦. ثورة زيد بن علي، ٧. ثورة بني المهلب.

معاوية[1] يختلف عن أسلوب يزيد، وأسلوب يزيد يختلف عن

---

(١) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية الأموي، مؤسس الدولة الأموية في بلاد الشام، وأمه هند بنت عتبة، المشهورة بالزنا وقد هجاها الشاعر حسان بن ثابت بالزنا وبمحضر الرسول ﷺ ولم ينكر ﷺ عليه ذلك، كما ذكر الزمخشري في ربيع الابرار وابن أبي الحديد في شرح النهج، والملقبة بـ «آكلة الأكباد» لأكلها كبد سيدنا حمزة ؑ عم الرسول ﷺ. وكان ابوه من المؤلفة قلوبهم، ولد بمكة سنة ٢٠ قبل الهجرة، أسلم يوم الفتح سنة ٨هـ. لعنه الرسول ﷺ في عدة احاديث، منها: (اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، (اذا رايتم معاوية بن ابي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه)، ولاه عمر بن الخطاب الأردن ثم دمشق معها، وولاه عثمان بن عفان كلّ بلاد الشام، عزله الإمام أمير المؤمنين ؑ من منصبه ثم حاربه في واقعة صفين، التي كانت الميزان في تشخيص الباغي لدى الصحابة، حيث قال النبي ﷺ لعمار بن ياسر: «يا عمار، تقتلك الفئة الباغية» وقد استشهد فيها مع الإمام ؑ سبعة وثمانون رجلاً من اهل بدر، أمثال عمار بن ياسر وأويس القرني وجندب الخير، منهم سبعة عشر رجلاً من المهاجرين وسبعون من الانصار وألف وثمانمائة من الصحابة منهم ثمانمائة من أصحاب بيعة الرضوان،الذين عبر عنهم الرسول الأكرم ﷺ قائلاً: «أنتم خير أهل الارض». مات معاوية في دمشق سنة ٦٠هـ (٦٨٠م) بعد أن حكم ٢٠ سنة في الخلافة وحكم ٤٠ سنة في الإمارة، أشهر فضائله؛ هي ما جاء عن ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة النسائي، عندما سئل عن معاوية وما روي من فضائله، قال: «ما أعرف له فضيلة إلاّ (لا اشبع الله بطنه)»؛ وهذه الكلمة قالها الرسول الأكرم ﷺ في حقّه، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤ ص٥٥، وأسد الغابة: ج٤ ص٣٨٦.

من مثالب معاوية أنه أول من استعمل الولاة النصارى امثال ابن آثال على خراج حمص، وأول من استكتب النصارى، وأول من جعل التختم باليسار نكاية بالرسول الأكرم ﷺ الذي سنّ التختم باليمين، وأول من رفع الرؤوس على الرماح بعد احتزازها في الاسلام، واول من دفن المسلمين احياءا، وأول من اتخذ الخصيان خدماً له، وأول من جعل ابنه ولياً للعهد، وأول من قتل مسلماً صبراً حجراً وأصحابه، وأول من اسقط البسملة عن السورة بعد الفاتحة في الصلاة. فلما تمت الصلاة ناداه المسلمون من كل مكان، يا معاوية: اسرقت الصلاة أم نسيت؟!. وقد أشار إلى ذلك السيد شرف الدين العاملي في كتابه المسائل الفقهية. يقول الإمام الباقر ؑ: (سرقوا اكرم آية في كتاب الله، بسم الله الرحمن الرحيم)، وفي حديث عن الإمام الصادق ؑ: (ما أنزل الله كتاباً إلاّ وتحته بسم الله الرحمن الرحيم) وفي تفسير البرهان: ج١ ص٤١٢ عن الإمام الباقر ؑ (ما لهم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم). كما انه فرّق الأمة الاسلامية حيث كتب إلى عماله في جميع الأمصار أنّ

يسبوا الصحابة أمثال علي بن أبي طالب ، كما أنه حوّل الحكومة إلى استبدادية وشخصية وجعل البلاد إرثاً له ولأقربائه وأستمر على منهج ابو بكر وعمر في المنع من تدوين الحديث الشريف، وجعل مقابل ذلك سرد القصص الخيالية والخرافية منهجاً ينوب عن الحديث الشريف، وهذا المنهج هو الذي جعل أهل الخلاف يفتقدون إلى النصوص في مجال التشريع، مما دعا فقهائهم الى التخبط في البحث عن بدائل كالقياس والاستحسان وسد الذرائع وسنة الخلفاء ورأي أهل المدينة، وجمّد الحركة الفكرية الإسلامية عبر القضاء على الصحابة ؛ فقد قتل عمار بن ياسر وحجر بن عدي الكندي وأصحابه ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وعمرو بن الحمق الخزاعي والإمام علي والإمام الحسن وعبد الرحمن بن خالد، وقضى على المعارضة الداخلية بتوجيه الناس إلى الحروب الخارجية؛ وقد أشار لعثمان بذلك حيث قال له: «رأيٌ لك يا أمير المؤمنين، أنْ تأمرهم بالجهاد يشغلهم عنك وأن تجمهرهم في المغازي حتى يذلّوا لك فلا يكون همُّ أحدهم إلاّ نفسه»، وكان يأخذ على التهمة والظنة حتى كان الرجل يسقط بكلمة فيضرب عنقه، واستعان بمن لعنهم رسول الله في توطيد حكمه أمثال عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وسمرة بن جندب وبسر بن أرطاة، وكتب إلى عماله وولاته في جميع البلاد والأمصار أمثال بسر بن أرطاة، واليه على المدينة ومكة واليمن ؛ وسفيان بن عوف الغامدي واليه على الأنبار والمدائن ألا يجيز لأحد من شيعة علي ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته، الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادةً، وكتب أيضاً: «انظروا من يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة»، وفي كتاب آخر: «من اتهمتموه ـ أنه محب لعلي ـ ولم تقم عليه بينة فاقتلوه»، فقد قتل بسر بن أرطاة ثلاثين ألف انسان وأحرق قوماً بالنار. وعندما أغار على بني همدان سبى النساء وعرضهن في الأسواق، وكان يكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقاً أشتريت على عظم ساقها كما ذكر ذلك في سفينة البحار: ج١ ص١٦١، وأمر سفيان بن عون الغامدي حين أرسله للعراق: «اقتل من لقيته ممن هو ليس على مثل رأيك وأخرب كل ما مررت به من قرى»، وأخذ سفيان بقتل الناس وسبي النساء وسرقة الأموال وعرض الناس على البراءة من الإمام علي كما يفعل في هذا الزمان سنة ١٤٢٦هـ الوهابيون التكفيريون بشيعة العراق، فإنهم يقتلون الناس رجالاً ونساءاً وأطفالاً ـ بقطع رؤوسهم أو رميهم بالرصاص بعد تعذيبهم ـ على الهوية الصادرة من أي محافظة أو على الاسم أو طلب البراءة من أهل البيت وكل من يذبح عشرة من الشيعة يلقب بالأمير. يقول الجاحظ ان قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: «إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل ـ أي علي ـ. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً. راجع الكنى والألقاب: ج١ ص٨٩. وقد تفرغ معاوية لمحاربة شيعة الإمام علي وتتبعهم قتلاً وتشريداً حتى

أسلوب عمر بن عبد العزيز (١)، وهم يختلفون عن أسلوب الوليد بن

أصبح الشيعي في زمن الامويين يفضّل ان يقال عنه كتابي ولا يقال عنه شيعي، كما جاء في الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٢١٤-٢١٥، للمزيد راجع بحار الأنوار: ج٤٤ ص١٢٥ ب٢١ ح١٦، الغارات: المجلد الثاني، تاريخ بغداد: ج١ص٢٠٧، أسد الغابة: ج٤ ص٣٨٥، الإصابة: ج٦ ص١٢٠، شذرات الذهب: ج١ص٦٥، تهذيب التهذيب: ج٣ ص٢٧٦ وص٤٧٢ وج١٠ص٤٧٢، الكامل في التاريخ: ج٣ ص٧٦، وفيات الأعيان: ج١ ص٧٧، منهاج البراعة: ج٧ ص١٤٢-١٤٣، الكنى والألقاب: ج١ ص٢١٤، تفسير العياشي: ج١ ص١٩ ح٤، تفسير البرهان: ج١ ص٤٢، النصائح الكافية لمن تولى معاوية، لمحمد بن عقيل بن عبد الله، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٥٨، البداية والنهاية: ج٨ ص١٢٤، السيرة النبوية: ج٢ ص٩٦، الاستيعاب في معرفة الاصحاب: القسم الثالث ص١٤٢٠، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٤ ص٥٧ وج١١ ص٤٤-٤٧، سير أعلام النبلاء: ج٣ ص١١٩، سفينة البحار: ج١ ص١٥٧-١٦٢، النص والاجتهاد: ص٣١٩ المورد ٨٨-٩٧.

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ثامن خلفاء بني أمية، ولد سنة ٦١هـ (٦٨١م) وقتل في دمشق بالسم سنة ١٠١هـ (٧٢٠م)، حكم من سنة ٩٩هـ (٧١٧م) وإلى سنة ١٠١ هـ (٧٢٠م) وقد حكم سنتين وخمسة اشهر وأربعة عشر يوماً، ومما يؤخذ عليه في فترة حكمه تغاضيه عن بني مروان وما اغتصبوه ونهبوه من أموال وأراض في أيام الحكام السابقين والتي تقدر بثلث ما بحوزة الناس من أموال، وإقراره ببقاء يزيد على ولاية العهد رغم ما عرف به من انشغال باللهو واللذات، ومما يؤخذ عليه أيضاً تسامحه مع اليهود والنصارى الذين سعوا في الأرض فساداً، ولم يتمكن المظلومون في عهده من الاحتجاج على الأعمال التي اقترفها بنو أمية أو ذكرهم بسوء أو كشف حقائقهم ومثالبهم ومظالمهم، راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٧ ص١٠٢. وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه: ج٤ ص٥٨-٥٩ قصة عمر بن عبد العزيز ونهيه عن سب الإمام أمير المؤمنين علي(ع) قائلاً: «كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن علياً. فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان، وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رآني قام فصلّى وأطال في الصلاة ـ شبه المعرض عني ـ حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت: نعم. قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلت: يا أبت، وهل كان عليّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك وهل كانت بدر كلها إلاّ له؟! فقلت: لا أعود. فقال: والله انك لا تعود. قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها، ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذٍ أمير المدينة، فكنت

يزيد [1]، فلم تكن لهم منهجية واحدة بل عدّة منهجيات، والاسم الواحد لا

أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه حتى يأتي إلى لعن علي ﷺ فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك. فقلت له يوماً: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن؟ فقال: يا بني، إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيّرنه، فلما منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وكتب به إلى الآفاق فصار سنّة. وكذا راجع الأعلام للزركلي: ج٥ ص٢٠٩، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٠١، تاريخ الطبري: ج٥ ص٣١٨.

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك: ولد سنة ٨٨ هـ (٧٠٧م) وقيل سنة ٩٠هـ كما عن تاريخ الخلفاء، وقتل من قبل جنده في الحرب التي وقعت بينه وبين ابن عمه يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ (٧٤٤م)، من حكام بني أمية، ويعد الحاكم الحادي عشر وحكم سنة واحدة وشهرين. أجمع أرباب التاريخ على كفره وزندقته، وعرف باستحلاله لكل حرمة، وارتكابه لكل بدعة، واقترافه لكل موبقة، فقد سلّ سيف البغي على رقاب العلويين، وشدّد الحصار على شيعة أهل البيت وأئمتهم ﷺ.

وانتشرت في زمانه الدعارة، والمجون، فقد جاء في التاريخ أنه أزال بكارة ابنته وزنا بجواري أبيه اللائي ولدن له أولاداً، وجاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٠١: أنه اشتهر بالتلوط حتى أنه راود ابن عمه سليمان على نفسه، وكان يتظاهر بالفسق، وكان مشهوراً بالالحاد كما ذكر ذلك الزركلي في كتابه الأعلام: ج٩ ص١٤٥. وهو أول من حمل المغنين من البلدان إلى البلاد الإسلامية، وأظهر الشراب والملاهي والعزف في المجالس، حتى ذكر الطبري في تاريخه: ج٥ ص ٥٥٧: أنه شرب سبعين قدحاً في ليلة واحدة. كما أنه اتخذ في قصره بركة فكان يملأها خمراً ثم يتعرى ويدخل فيها ويشرب منها ويظل هكذا حتى يظهر النقص عليها، وفي إحدى الأيام أذّن المؤذن لصلاة الصبح وكان الوليد في حالة سكر ومعه إحدى الجواري وأقسم أن تصلي الجارية بالناس فألبسها لباس الخلافة وبعث بها إلى المسجد وهي في حالة سكر وجنابة لتصلّي بالناس كما أنه أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة، وانتشر في عهده المغنون أمثال ابن سريج، ومعبد، والغريض، وابن عائشة، وابن محرز، ودحمان، وفي مصادر التاريخ من أفعاله وأشعاره في الفسق ما يأباه الذوق والعرف الاجتماعي، وقد عزم على أن يبني أعلى الكعبة في بيت الله الحرام قبّة يشرب فيها الخمر، ويشرف منها سكران منتشياً على الطائفين ببيت الله

يدلّ على الحقيقة وإنّما يدلّ على الإطار العام.

ضريبة الرأي العام

ليس هناك أحد إلاّ فيما ندر من الأطفال أو السفهاء يستطيع أن يعتبر ما يفعله عملاً سائغاً عادلاً مطابقاً للواقع إذا ما اعتبره الآخرون عملاً خاطئاً منحرفاً، وكذلك ما من أحد إلاّ فيما ندر يمكن أن يعتبر نفسه بطلاً إذا كان العالم يعتبره جباناً، أو يعتبرَ نفسه نزيهاً إذا كان العالم يعتبره شريراً، فإنّ الإسلام دائماً ينسجم مع الاتجاه العام إلاّ في الحالات التي ينبغي السير في اتجاه آخر لبطلان الاتجاه السابق، وإلاّ النادر من السفهاء الذين يرون صحّة

الحرام.

وفي إحدى المرات، رأى آيات في المصحف الشريف، تتحدث عن الحساب والجزاء، فرمى المصحف بسهام وهو ينشد:

تذكرني الحساب ولست أدري	أحقاً ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعني طعامي	وقل لله يمنعني شرابي

ومرة فتح القرآن فوجد ورقة فيها قول الله ﷻ: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾، فمزق المصحف بسهمه وأنشد:

تهددني بجبار عنيد	فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جِئتَ ربكَ يوم حَشرٍ	فقُل يا رب مزّقني الوليد

كما ذكر ذلك في كتاب حياة الحيوان: ج١ ص ١٠٣، وكتاب مروج الذهب: ج٢ ص٢٢٥-٢٢٨.

كما واعتبر المسلمين عبيداً له، فيحدثنا التاريخ أنه كان يبيع الولايات الإسلامية بما فيها، من الناس، والموظفين، والإمكانات، والثروات؛ فعلى سبيل المثال: باع ولاية خراسان لنصر بن سيار، ثم بدا له أن يبيعها مرّة ثانية لمن يدفع أكثر، فباعها بما في ذلك واليها وعُمّاله إلى يوسف بن عمر. للمزيد راجع تاريخ الطبري وتاريخ السيوطي والأغاني والمستطرف ومروج الذهب وحياة الحيوان وعيون أخبار الرضا والعقد الفريد الجزء الرابع.

أعمالهم أو فسادها، فإنّ السفيه كثيراً ما يكون منحرفاً لكن يعتبر نفسه مصيباً، يقول الله ﷻ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[2]، إلى غير ذلك ممّا نجده الآن منطبقاً في مجتمعاتنا وسائر المجتمعات التي تصل أخبارها إلينا، فإنّ أوّل قوة يملكها الناس هي قدرتهم على توجيه السفيه أو الخارج عن التيار ضدّ نفسه ووضعه وفق طريق الآراء التي يعتنقونها بصرف النظر عن مدى مطابقتها للواقع؛ إذ الإنسان مهما كان على صحّة أو بطلان، والمجتمع مهما كان على سداد الرأي أو فساده فإنّه يعاقب المخالف؛ لذا كانوا يقتلون الأنبياء كما قال ﷻ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، وحاولوا قتل نبي الله عيسى عليه السلام لكن الله نجّاه وألقى شبهه على حاخام من الحاخامات فقتلوه، متصورين أنّه عيسى عليه السلام؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[4]، وهذه هي ضريبة الرأي العام عندما يكون مخالفاً له.

ومن أنواع الضريبة التي يدفعها المصلحون هي السخرية المكشوفة التي تحدّث عنها القرآن الكريم، يقول الله ﷻ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[5]، فكلّ الرّسل حسب هذا النص القرآني كانوا يُستهزأ بهم، كما وأن كلّ الرسل كانوا هدفاً للقتل أو السجن والتعذيب

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٩١.
(٤) سورة النساء: الآية ١٥٧.
(٥) سورة يس: الآية ٣٠.

أوالنفي كما قال ﷻ: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾[2].

وكذلك النظرة إلى المنفرد ـ سواء كان منفرداً نادراً أو منفرداً شاذاً ـ بازدراء بإبداء إشارات غير مؤدّبة أو مؤذية.

هكذا يعتبر الرأي العام المحور الأساسي في الأخذ والعطاء بالاستحسان والازدراء في شكل انتقام اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي أو عنف جسماني أو ما أشبه ذلك.

ثم إنّ الرأي العام المخالف لفرد أو جماعة قد يكون ظاهر الازدراء بالخارج، وقد يكون مخفي الازدراء بالخارج على موازينه، أي لا يشعر الخارج بهذا الازدراء، فحاله حال الإكراه الأجوائي الذي يأتي الإنسان به في غاية التسليم والرضى، فالعبيد على الأسلوب الغربي الذي ذكرناه في كتاب العتق[3] وغيره، كانوا راضين بما يفعل بهم السادة من الإذلال والاحتقار، وقد رأينا أنّ الحكومات الديكتاتورية في بلاد الإسلام تقسّم الناس إلى طبقتين طبقة تسمّى بـ(الألف) وطبقة تسمّى بـ(الباء)، وفي العراق؛ قسّموا الناس إلى خمس طبقات: ألف، باء، جيم، دال، هاء، بالنسبة إلى شهادة الجنسية؛ فهذا عراقي أصيل، وهذا عراقي من التبعية الخارجية، وهذا عربي غير عراقي، وهذا من الدرجة الرابعة مثلاً إيراني في الأصل أو باكستاني في الأصل وما أشبه ذلك، وعلى رغم فداحة هذا التقسيم إلاّ أنّ الغالب كانوا مجبرين على هذا

---

(١) سورة غافر: الآية ٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥٦.

(٣) راجع موسوعة الفقه: كتاب العتق: ج ٧٢ ص٣١٧.

التصنيف الذي صنفته الحكومة رغماً على أنوفهم(١).

---

(١) ولا يخفى أن هذا التقسيم أوجده الاستعمار الإنجليزي في العراق سنة ١٩٢٣م لمعاقبة الشعب العراقي لموقفه من الاستعمار البريطاني وقيامه بثورة العشرين التحررية، واستمراراً لسياسته التي يحكم بها الشعوب، وهي: «فرّقْ تسدْ»، إضافة لتحكيم سلطة الأقلية للسيطرة على الأكثرية.

وقد أشرف على تنفيذ هذا القانون الميجر ويلكنز مدير التحقيقات الجنائية وبيرسي كوت مفتش الشرطة، فقسم الشعب العراقي ألى طائفتين عثمانية وغير عثمانية ـ التبعية ـ فإذا حصل العراقي على شهادة الجنسية، فكان يكتب بالخط الأحمر على الشهادة تبعية أي أن أصله إيراني، ووفق هذا القانون اعتبر الجورجي أو التركي ومن أشبه ممن يحملون الجنسية العثمانية مواطنين عراقيين وإن لم يروا العراق في حياتهم. أما ابن العراق المولود فيه والساكن فيه ولايحمل جنسية المحتل العثماني فلايعتبر عراقياً. ووفق هذا القانون منحت الجنسية العراقية للأرمن والآثوريين في حين حرم المسلم الشيعي منها. وقد وضعت قيود جديدة لقانون الجنسية في العهد الجمهوري سنة ١٩٦٣م وسنة ١٩٧٢م وسنة ١٩٧٧م، وعلى الخصوص في عهد صدام التكريتي. ونتيجة لهذه القيود فقد:

أ- حرم ملايين العراقيين من امتلاك الجنسية وطردهم البعث العراقي من بلد آبائهم وأجدادهم عبر تهجيرهم إلى إيران.

ب - خلق في المجتمع العراقي روح الطائفية والمذهبية.

جـ - أدى إلى تفكيك الوضع العائلي وتشتيت الأسرة العراقية. يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري في مذكراته: ج١ ص١٤٥: طفت بكل البلدان العربية، وسألت في بلدان عديدة أخرى عما إذا كان يوجد في أي مجتمع نظيرٌ لمثل هذه الفضيحة ـ الجنسية ـ، أن يكون اهل البلد بعد انحسار الإحتلال الأجنبي ـ العثماني ـ أجانب في التبعية إذا لم يثبت تمتعهم بجنسية الأجنبي المحتل، فلم أجده، ولا أعتقد أنّ هناك من يقدر أنّ يردّ عليّ ويورد مثالاً لذلك في كل ما وجدته قبل وهذا.

ويلزم على العراقيين والمنظمات الحقوقية أن يقوموا برفع دعوى ضد هذا القانون الجائر والمطالبة بتعويضات قانونية ومالية لمن تضرر جراء تطبيقه. علماً أنه في البلاد المتقدمة كأمريكا والدول الغربية يحق لمن ولد في تلك البلدان أن يرشح نفسه للرئاسة، ويمنح من ولدته أمه في طائرة تحلّق في سماء وتحط فيها في بعض بلدان الغرب يعتبرمواطن بحكم دستورها. ومن المفارقات أن وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كسنجر من مواليد ألمانيا والتحق بنفسه لا بأبيه ولا بامه ليصبح وزيراً لأهم وزارة في موطنه الجديد.

عن قانون الجنسية العراقي راجع كتاب: من هو العراقي للدكتور عبد الحسين شعبان.

الهند وتعدد الطبقات

وهكذا صارت الهند مقسّمة مشتتة، حتى أنّ المنبوذين قبلوا لأنفسهم أن يكونوا أنجاساً ومن المخلوقات الدانية المنبوذة.

وفي التاريخ يذكر أنّ المجتمع الهندوسي كان مقسماً إلى أربع طبقات، ويعتقدون أنّ هذه الطبقات لا يمكن إزالتها؛ لأنّها تقسيمات أبدية من خلق الله ﷻ.

وهذه الطبقات كما ورد في قوانين «مانو»[1]:

الطبقة الأولى: البراهمة[2]؛ الذين خلقهم الإله «براهما» من فمه، فمنهم الكاهن والمعلم والقاضي، ولا يجوز تقديم القرابين إلاّ في حضرتهم، فهم المتعلّقون بالإله مباشرة؛ لأنّهم خلقوا من أعلى جسمه، من الجزء الشريف من جسده؛ وهو الفم.

الطبقة الثانية: الكاشتر؛ المخلوقون من وراء الإله في اعتقادهم، وهم حملة السلاح، المحاربون الذين يحفظون البلاد من اعتداء المعتدين، فإذا أراد معتدٍ أن يعتدي على بلادهم فإنهم يدافعون عنها.

---

(١) المانو: معناه الأب الإلهي للجنس البشري، وتطلق على القوانين التي ألفت بين ٢٠٠ ق.م إلى ٢٠٠ ب.م، وهي عبارة عن اثني عشر جزءاً، وتعالج الأجزاء الستة الأولى منها: خلق العالم وطبقة البراهماتيين، ويتناول الجزء السابع المَلِك وواجبته، والثامن والتاسع القوانين سواء كانت قوانين تتعلق بالمسائل القضائية أو القروض والتعاقد والتجارة والسرقة والجروح والزواج والطلاق والزنا والميراث والمسؤولية وواجبات الطبقة والخلافات الطبقية، ويتناول الجزء العاشر الطبقات، والحادي عشر الطقوس التفكيرية، والثاني عشر التناسخ والخلاص.

(٢) وهي مشتقة من جذر «بره» ومعناها النزوع للقوى، وتطلق على الطبقة المتفوقة.

الطبقة الثالثة: الويش [1]، وخلقوا من فخذ الإله بزعمهم وهم المزارعون والتجّار ومن أشبههم من الكسبة والحرفيون.

الطبقة الرابعة: الشدر أو الشودرا، وهم المخلوقون من رجل الإله، وهم الخدم الذين يطلق عليهم طبقة الأنجاس والمنبوذين، وهم أصحاب المهن الحقيرة، وهؤلاء بزعمهم جميعاً وحتّى بزعم أنفسهم خلقوا لخدمة الطوائف الثلاث السابقة.

وكلّ الطوائف الأربع تعتقد أنّ هذا النظام المقدّس ينتهي بهم بعد موتهم إلى الإله في زعمهم، وكلّما ظهر مصلح كغاندي [2] وغيره وأراد أن يحسّن

---

(١) وتسمى كذلك بطبقة فايشياس.

(٢) موهانداس كرمشند غاندي الملقب بالمهاتما ـ صاحب الروح العظيمة ـ، ولد في «بور بانداره الهندية سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، ينتمي إلى طبقة لويش ـ وهم الحرفيون والفلاحون ـ درس في الهند حتى سن الثامنة عشرة ثم ذهب إلى لندن لدراسة الحقوق، وفي سنة ١٨٨٩م سافر إلى جنوب إفريقيا بعد أن أرسله بيت تجاري الى هناك لتسوية قضية ما، وأخذ يتعرّف على الحالة السيئة للمهاجرين الهنود، فاستقر محامياً هناك وأخذ يطالب بحقوق الهنود ثم عاد الى الهند سنة ١٩١٥م، وبدأ كفاحه السلمي لتحرير الهند من الإنجليز سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) وحكم عليه بالسجن مدة ست سنوات باعتباره محرّضاً على الثورة ولكن عفي عنه سنة ١٩٢٤م. تزعم حزب المؤتمر الهندي لعدة دورات، وسعت جهوده إلى تحرير الهند من الاستعمار البريطاني عبر وسيلة المقاومة السلبية ـ اللاعنف ـ والعصيان المدني وعدم دفع الضرائب ومقاطعة البضائع الأجنبية وسياسة عدم التعاون بالامتناع عن العمل والصوم، وقد استعمله كوسيلة سياسية واجتماعية لمدة ثلاثة عقود للتحرر من الهيمنة الإنجليزية وإلغاء التمييز الداخلي بين طبقات الشعب الهندي، والتوفيق بين الهندوس والمسلمين، وقد كلّفه صراعه أن يدخل السجن عدّة مرات، واغتيل سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) من قبل هندوسي متشدد عندما وضع نهاية لالآم بقرة طويلة وشاقة بتجريعها سماً سريع المفعول، وكان هذا بنظر مريديه من الهندوس فضيحة مما سبب اغتياله. من مؤلفاته: «قصة تجاربي مع الحقيقة» عن تجربة الهند ويومياتها وأحداثها ووقائعها راجع الكتب التالية: عند قدمي غاندي للمؤلف براسات، ولمحات من تاريخ العالم لنهرو.

أوضاع الطبقة الرابعة أو يجعل التساوي بين الطبقات بأن يكونوا سواسية كأسنان المشط على التعبير الإسلامي. فإنهم يأبون هذا الإصلاح، ويصرّون على تعدّدية الطبقات بينهم، وهذا الاعتقاد منهم كاعتقادهم بتقديس البقرة واحترامها والتبرّك بأبوالها وحرمة ذبحها وشرب بعض قطرات البول في العيد الوطني لهم.

وقد سئل نهرو[1] وهو رجل مثقّف تخرج من الغرب: كيف تشرب البول في هذا العيد، وأنت رجل مثقّف وتعلم أنّ البقرة ليست إلهاً؟

أجاب: «إنّ هذه تقاليد يجب أن نحترمها»، أي إنّ الرأي العام إذا قرّر شيئاً، فاللازم علينا أن نتّبع هذا الرأي العام إمّا طوعاً أو كرهاً أجوائياً.

الرأي العام والقوالب الجاهزة

والرأي العام قد يكون نابعاً من النفس ومستنداً إلى حقائق نفسية كما تقدّم، وقد يكون بسبب صبّ جماعة وطائفة من الصالحين والمفسدين قوالب خاصّة للرأي الموحّد عند العموم، فإنّه كما أنّ الطباعة العالية تقوم بصبّ حروف خاصّة في صفحة معيّنة ثمّ تستخدم نسخاً متكرّرة ومطبوعة من النسخة الأصلية التي هي القالب المأخوذ بدوره من الحروف المكتوبة والمسكوبة، كذلك عقول الناس تصبّ في قوالب خاصّة جاهزة، وهذه العقول لا تنتج إلاّ نفس الآراء العامة المصبوبة فيها على النمط التي صبّت عليه، وهذا هو الحال

---

(١) جواهر لال نهرو بن موتيلال، ولد سنة ١٨٨٩م ومات سنة ١٩٦٤م، اشترك مع المهاتما غاندي في استقلال الهند، سجنه البريطانيون أكثر من مرة، أصبح رئيساً للوزراء من سنة ١٩٤٧م إلى سنة ١٩٦٤م، شارك في تأسيس دول عدم الانحياز. راجع موسوعة المورد: ج٧ ص ١١٢، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٨ ص ٢٥١٨.

في آراء الشيوعيين والبعثيين والقوميين، وكذلك الاستخبارات فإنّهم يصبّون في قوالب معيّنة، وهذه القوالب المعيّنة يكرّرها من أصغر أفرادهم إلى أكبر أفرادهم، وحيث أنّ الناس غير معتادين على التفكير إلاّ في أمورهم الشخصية المعاشية كالمأكل والمشرب والمنكح والمسكن والمركب وما أشبه ذلك، ولا يتعبون أنفسهم في التفكير فيما عدا ذلك، فإن بعض الناس يستغلون هذه البساطة في عقول الناس سواء كان ذلك البعض من الصالحين أو الفاسدين. فيملؤونها بما يريدون من حقّ أو باطل، ونور أو ظلام، وعدالة أو ظلم. وقد استغل هتلر هذه البساطة في إفساد شعبه وفي إشعال فتيل الحرب العالمية الثانية، فمن أقواله المنقولة: «عليك بإعادة القصّة مرّات ومرّات ومرّات، ذلك أنّ الجماهير لا تعلق بآذانها وذاكرتها إلاّ أكثر الأفكار بساطة، التي تتردّد وتتكرّر ألوف المرّات». فرتّب هتلر على ذلك القول هدم الكنيسة التي كانت من أكثر العوامل تصديقاً، ذلك بأنّه مادامت جماهير الشعب فاسدة حتى قاع قلوبها، فإنّها بسبب بساطة وبدائية عقولها تكون أكثر استعداداً للوقوع ضحية للكذبة الكبرى دون الكذبة الصغرى، وذلك لأنّ هذه الجماهير ذاتها ربّما تكذب أيضاً فيما يتعلّق بوقائع صغيرة ولكنها بكلّ تأكيد تخجل خجلاً أكثر ممّا ينبغي حين تطلق كذبة أكبر ممّا ينبغي[1].

وكان وزير الإعلام الهتلري غوبلز[2] يقول الكذب المتكرّر فيلقى هذا

---

(١) للمزيد راجع كتاب «كفاحي» لهتلر.

(٢) جوزيف غوبلز: سياسي وصحفي وعضو في البرلمان الألماني، ولد سنة ١٨٩٧ م، أصبح وزيراً للدعاية والأنباء في عهد هتلر، وله الفضل الكبير في إدخال النظم الدعائية الحديثة، حيث استخدم التكتيكات الحديثة، وكانت دعايته مبتنية على العاطفة وإثارة المشاعر والتنويم المغناطيسي، فجعلت دعايته الناس يفقدون الإرادة ثم القدرة على الفهم والقدرة على الكراهية، كما جاء في كتاب الاعلام والاتصال في مجتمعاتنا: ص٢٠٤. ويرى البعض

الأسلوب تصديقاً من النازيين حتّى كبارهم والخريجين منهم من المعاهد العالية، فيؤمنون بكلّ حرف ممّا يذكره هتلر، حتّى إنّ هتلر أحياناً كان يُسحر بهذا السحر الغوبلزي.

وأذكر أن هتلر قال مرة بعد خطبة طويلة استغرقت ثلاث ساعات، سلط فيها الضوء على ما يريد بطريقة خاصة: «إنّ الجميع هم الآن تحت إبطي؛ لأنّي أخذت بمشاعرهم السمعية والبصرية واستعداداتهم النفسية، والخطبة التي استغرقت منّي ثلاث ساعات، جعلت الناس كشمع العسل بيدي».



أن دعايته مبتنية على برامج مبلّدة للذهن، اعتباطية، والهدف منها هو انقياد الشعب الألماني إلى العنف. ويرى البعض الاخر أن دعايته مبتنية على نظرية غوستاف لوبون التي طرحها في كتابه سيكولوجية الجماهير، والذي صدر سنة ١٨٩٥م وترجم إلى أكثر من عشر لغات عالمية، وتنص هذه النظرية على استخدام الفكرة المجازية والصور الموحية ولغة الشعارات البسيطة أو القاطعة ـ التي تفرض نفسها دون مناقشة ـ التي تعتمد على قوانين الذاكرة والخيال التحريضي، فالدعاية عنده ذات أساس عاطفي ـ غير عقلائي ومنطقي ـ باعتبار أن الناس لايقتنعون إلاّ بالصور الإيحائية والشعارات الحماسية للأوامر المفروضة من سلطة عليا. وكان غوبلز يقضي على خصومه في الصحافة بعنف في ظل الحصانة البرلمانية. وله كتاب يتحدّث فيه عن مذكراته الشخصية. انتحر في الأول من أيار سنة ١٩٤٥م مع زوجته وأولاده في برلين خلال الساعات الأخيرة من تاريخ الرايخ الثالث. ومن مقولاته. اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الآخرون، باعتبار أن الكذب المتكرر على الناس سيدفعهم إلى تصديقها.

الرأي العام في سياقه التاريخي

مسألة: إنّ الرأي العام ليس وليد أزمات هذا العصر، أو عصر الثورة الصناعية أو ما قبل ذلك بقليل، بل إنَّ الرأي العام موضع احترام الجميع من قديم الزمان[1]؛ حيث أنَّ الإنسان بفطرته يرغب في موافقة العموم، ولهذا فمنذ القِدَم راج مصطلح صوت الشعب والشؤون العامّة والمصلحة العامّة [2] وما أشبه ذلك.

وهو يطلق على الرأي العام سواء كان بصدق وحق أو بسبب تستر الديكتاتور وراء هذه الأمور، مثلاً: الديكتاتور رأيه كذا، فيقول: إنّ الرأي العام كذا، أو الشعب رأيهُ كذا، أو المصلحة العامة تقتضي كذا أو ما أشبه ذلك، فمن راجع تاريخ الأديان والحضارات والقوانين، يرى لفظ الرأي العام أو ما يرادفه موجوداً في الكثير من أدبيات الشعوب.

---

(١) يرى البعض أنّ انطلاقة الرأي العام ترجع إلى بداية ظهور الأديان السماوية، كما يرى البعض أنه جاء في أدبيات اليونانيين والرومانيين وكانت تتجلى صوره في السحروالشعوذة، وقد عبر المصريون عنه بتأليه الفرعون الحاكم وتقديس الكهنة وتشييد المعابد الفاخرة وإقامة الأهرام والمسلات الشاهقة وابتداع الطقوس الدينية وارتداء التيجان الذهبية. للمزيد راجع كتاب: الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية الكتاب الأول: ص٥٨ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

(٢) استخدم هذه المصطلحات الإغريق والرومان كما استخدم اليونانيون صوت الجمهور، ويقال أن المفكر جان جاك روسو أول من استخدم تعبير الرأي العام.

ولا فرق هنا بين كون الرأي العام دينياً صحيحاً أو مزيفاً، كرأي الكنيسة في إحراق العلماء في القرون الوسطى، أو أن يكون دنيوياً كرأي مكيافيللي[1] في كتابه «الأمير»، بقوله: «هذا صوت الشعب»، والذي لا يعدو أن يكون لفظاً بديلاً عن الرأي العام أو المصلحة العامّة أو ما أشبه ذلك، وقد يبدّل لفظ الرأي العام بأنّه بمقتضى الحكمة أو السلوك القويم أو العدل أو نحو ذلك من الألفاظ.

ووسائل الإعلام منذ القدم كانت أمراً فاعلاً في تكوين الرأي العام، ولهذا نجد كل من يعتقد بمبدأ يرى من الضروري أن تكون له صحيفة ناطقة باسمه أو أية وسيلة إعلامية أخرى كالمذياع والتلفاز.

الغرب والرأي العام

وفي القرن الثامن عشر المسيحي[2] حقق الرأي العام أموراً في غاية

---

(١) نيكولا مكيافيللي، أديب وسياسي وكاتب مسرحي ومؤرخ إيطالي، ولد سنة ١٤٦٩م ومات سنة ١٥٢٧م، دخل سلك الحكومة الإيطالية بضع سنوات، فتولى فيها مناصب إدارية ودبلوماسية وعسكرية، ويعدّ من منظري البرجوازية، وهو صاحب فكرة الجيوش المجنّدة الدائمة، إذ كان وراء قانون سنة ١٥٠٦ م الذي فرض الخدمة الإلزامية على الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر والثلاثين سنة. وقد اعتبر المكيافيللي الرأي العام عنصراً يجب أن يؤخذ بالحسبان في عملية الصراع من أجل السلطة. من مؤلفاته: فن الحرب، تاريخ فلورنسا، الأمير، والذي ألفه سنة ١٥١٣م وأهداه إلى حاكم فلورنسا، وسوغ فيه للحاكم اتخاذ كل وسيلة تكفل استقرار حكمه واستمراره ولو كانت منافية للدين والأخلاق والقيم الإنسانية على أساس «الغاية تبرر الوسيلة».

(٢) الذي يسمى بعصر التنوير، ويتميز بخصائص، منها: ١- الإيمان بالتقدم المستمّر نحو الغاية الأصلية للإنسانية ٢- جعل العقل الحكَم المطلق في كل شيء ٣- إخضاع كل العقائد والتقاليد الموروثة لحكم العقل ٤- النزعة الفردية التي تجعل من الفرد من حيث حريته واستقلاله الأساس لكل تقويم سواء كان ذلك في الفن أو الأخلاق أو العلم أو الدين.

الأهميّة بالنسبة إلى الغرب، مثل قيام الثورتين الفرنسية والأمريكية، اللّتين حققتا رغبات الناس الذين كانوا في ضيق وحرج من الحكومات المستبدّة، وقد ظهر في الغرب قبل القرن الثامن وبعده مفكّرون يسمّونهم بالأحرار، وافقوا على هذا الرأي العام وقاموا بنشره، ومن هؤلاء الفلاسفة: مونتسكيو[1]، وفولتير[2]، وروسو[3]،

(١) شارل لوي دي سيكوندا، بارون دي لايريد ودي المشهور بـ «مونتسكيو»، ولد سنة ١٦٨٩م، ومات سنة ١٧٥٥م عن عمر يناهز ٦٦ سنة، كاتب، ومؤرخ، وفيلسوف فرنسي، له باع في تنظير أيديولوجية الملكية الدستورية، تولى منصب رئيس مجلس النواب في مدينة بوردو. له عدة مؤلفات، منها: «روح القوانين» ويحلل فيه مختلف أشكال الحكومة، ويميز فيه بين السلطات الثلاثة ـ التنفيذية والتشريعية والقضائية ـ ويظهر فيه أن هذه السلطات ينبغي أن تكون منفصلة تماماً بعضها عن بعض من أجل المحافظة على الحرية في الدولة وأن تجميع السلطات الثلاثة في يد واحدة يضاعف خطر الاستبداد. وقام على أساس كتابه هذا دستور أمريكا سنة ١٧٨٩م، ومنها «رسائل فارسية» وهو نقدٌ للمجتمع الأوربي، «نظرات في أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم». راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٧ ص ٣٤٠٢.

(٢) فرانسوا ماري أرويه ومشهور بـ «فولتير»، ولد سنة ١٦٩٤م في باريس، ومات سنة ١٧٧٨م، كاتب ومؤرخ وفيلسوف، عمل جاهداً ضد أفكار الكنيسة وحُكمها المطلق، سجن في الباستيل أحد عشر شهراً، وفي مرة أخرى سنتين، ويعد المفكر الإيديولوجي للثورة الفرنسية. من أقواله: «إن الكتب تحكم العالم أو على الأقل تحكم الأمم ذوات اللغات المكتوبة، أما ما سواها فلا تدخل في الحساب». وكان يعتقد «أن ثلاثة عوامل تؤثر في الفكر البشري: المناخ ونوع الحكم والدين. وعبر هذه الأمور نستطيع أن نفسّر لُغز العالم». من مؤلفاته: رسائل فلسفية، تاريخ شارل الثاني عشر، وقد جمعت آثاره في سبعين مجلداً. راجع: عظماء ومشاهير معاقون: ص١٧٧.

(٣) جان جاك روسو، كاتب وفيلسوف وعالم اجتماع ومُنظّر سياسي في عصر التنوير، ولد في جنيف سنة ١٧١٢م، عمل معلماً ثم سكرتيراً بسفارة فينيسيا، ومات سنة ١٧٧٨م، مهدت مؤلفاته لاندلاع الثورة الفرنسية وانبثاق الحركة الرومانتيكية في آن واحد، من اعتقاداته: أن المجتمع يفسد الإنسان الصالح بفطرته. كما كان يعتقد بالمذهب التجريدي، وأن المساواة الاجتماعية تحتاج إلى المساواة في الحقوق والواجبات السياسية واحترام

وديدرو[١]، وتوماس بين[٢]، وجون لوك[٣]، ومن

الإرادة العامة وأن يسود المجتمع نظام تعليم عام. له عدة مؤلفات، منها: «في العقد الاجتماعي» الذي ألفه سنة ١٧٦٢م وحلل فيه المجتمع البشري وأبدى رأيه في الاستبداد، وذكر بأنّ الحرية هي جزء من تكوين الإنسان وبدون الحرية يتحول الانسان إلى جماد، «أصل التعاون بين البشر»، «الاعترافات»، «أحلام المتنزه المتوحد»، «إميل». راجع: «موسوعة السياسة»: ج٢ ص ٨٤٤، «الموسوعة العربية الميسرة والموسعة»: ج٤ ص١٨٦٧، عظماء ومشاهير معاقون: ص١٣١.

(١) دنيس ديدرو، كاتب موسوعي وناقد أدبي وفيلسوف فرنسي، ولد سنة ١٧١٣م في مدينة لانجرز، ومات سنة ١٧٨٤م، درس الحقوق، أصبح سنة ١٧٤٧م رئيساً لتحرير الأنسيكلوبيدية التي اشترك في تصنيفها أهم كتّاب ذلك العصر. سُجن بجريمة الإلحاد نكايةً من المخالفين له. من مؤلفاته: خواطر فلسفية، رسالة عن المكفوفين، ربّ الأسرة، الراهبة. راجع: موسوعة السياسة: ج٢ ص٧٢٨، عظماء ومشاهير معاقون: ص١١٠.

(٢) توماس بين، فيلسوف وسياسي وكاتب أمريكي، ولد سنة ١٧٣٧م في إنجلترا وشغل عدة مناصب إدارية فيها، ثم هاجر إلى أمريكا سنة ١٧٧٤م حيث اشتغل في الصحافة، وكان لمقاله الذي كتبه سنة ١٧٦٦م عن الأزمة الأمريكية الأثر الفعال في رفع الروح المعنوية في نفوس الثوار. عاد إلى إنجلترا سنة ١٧٨٧م وحكم عليه بالسجن نتيجة دفاعه عن الثورة الفرنسية في كتابه حقوق الإنسان. عاد إلى فرنسا سنة ١٧٩٢م وانضم إلى المؤتمر الوطني، ولكنه لم يلبث أن سجن في باريس ولم يفرج عنه إلاّ بوساطة أمريكية، كما هاجم المسيحية في كتابه عصر العقل. من مؤلفاته الأخرى: الذوق العام. توفي سنة ١٨٠٩م. راجع «موسوعة السياسة»: ج١ ص٦٥٩.

(٣) جون لوك، طبيب وعالم نفسي وفيلسوف وسياسي انجليزي، ولد سنة ١٦٣٢م ومات سنة ١٧٠٤م. يعد المؤسّس للتيار الفلسفي ذي النزعة الاختبارية والحسية، ويعتقد لوك أن إحساساتنا هي مصدر أفكارنا وقيمنا وحقائقنا. دعا في بريطانيا إلى مبدأ فصل السلطات، وقد أخذت الثورة الأمريكية مبادئها عنه. وكان يعتقد «أن الفرد يجب أن يستمتع بكافة حقوقه كحقّ الحياة والملكية والفردية، وهذه الحقوق قائمة على الإنتاج وليست منحة من الحكام والملوك، وكل فلسفة تنادي بالفرد تقتضي الحرية، لأنّ الحرية هي الشخصية، والشخصية هي أساس الفردية». من مؤلفاته: الحكم المدني، رسالة حول التسامح، آراء في التربية، بحث في ملكة الفهم البشري، وفيه يطرح المنهج التجريبي في المعرفة، ويرى أن الانسان في الواقع هو كائن عقلاني، وأن الحرية لا تنفصل عن السعادة. كما أن غاية السياسة وغاية الفلسفة واحدة، بمعنى أن البحث عن السعادة يكمن في السلام والانسجام

أشبههم [1]؛ ممن لاذوا بالعقل للتخلّص من الديكتاتوريين وأنصارهم وإن كانوا وقعوا في أسر الإفراط كما يحدّثنا التاريخ، فإنّ العقل مهما كان قوياً لا يتمكّن من الوصول إلى الواقع إلاّ بمؤازرة الشرع، كما وأنّ الشرع ممّا يؤيّده العقل، ولذا قال العلماء: «كلّما حكم به العقل حكم به الشرع، وكلّما حكم به الشرع حكم به العقل» على تفسير للجملتين، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا «الأصول» وذكره أيضاً سائر الأصوليين ممّا لا مجال إلى تكراره، فالجاهل إمّا مفرطٌ أو مفرّطٌ، والجاهل الذي يمشي على الخط الوسط هو قليلٌ جداً وأمرٌ نادر حيث أثبتت الثورة الصناعية في الغرب أنّ الرأي العام هو سيد الموقف، وساعد على ذلك إطلاق الحرّيات والاكتشافات العلمية والاختراعات الواسعة للاتّصالات الجديدة، فإنّ كلّ تلك الأمور هي مجموعة أسباب تسوّغ العلاقات الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية والعائلية وما أشبه ذلك، لذا كان من عوامل دعم الرأي العام انتشار أفكار الديمقراطية والتعدّدية والمؤسّسات الدستورية وما أشبه ذلك حيث تمكّن كل إنسان من أن يبدي رأيه ويقول كلمته.

ومن الواضح أنّ الناس بطبيعتهم ميالون إلى العدل والحقّ، وإن كانوا في الوقت نفسه ميّالين إلى الشهوات والأهواء، لكن ميلهم إلى الشهوات والأهواء دون ميلهم للعدل والحقّ والحرّية. ومن الواضح أيضاً أنّ القرن العشرين الذي ظهر فيه المذياع والتلفاز والسينما والأقمار الصناعية سبّب في دعم الرأي العام

والأمان، فلا سعادة بدون ضمانات سياسية ولا سياسة لا تعمل على نشر سعادة عقلانية. راجع: موسوعة السياسة: ج٥ ص٥٠٨، عظماء ومشاهير معاقون: ص٢٠٢.

(١) أمثال: كونيدياك، وبودان صاحب نظرية السيادة، وتوماس هوبز الذي كتب عناصر القانون وكتاب المواطن، وجون لند صاحب النظرية الليبرالية الحديثة والمؤلف لعدة كتب منها: محاولة في الإدراك البشري، المسيحية المعقولة، بحث في الحكم المدني.

وجدارته وتقدّمه، لأن وسائل الإعلام المتطوّرة والدعاية المبتكرة ونحو ذلك تؤيد الرأي العام إيجاباً أو سلباً، فالأمم المتّحدة [1] بنشوئها وإرادة مؤسسيها أمرٌ ظاهر لسيادة الرأي العام، لكن من الواضح أنّ تلاعب القوى العظمى، وخصوصاً إقرار حقّ النقض ـ الفيتو ـ وحصره فيهم، أدى إلى أن يقع الرأي العام الحاصل في الأمم المتّحدة ضحية للقدرة الظاهرة بالقسر والغلبة،

---

(١) الأمم المتحدة: اصطلاح صاغه الرئيس الامريكي فرانكلن روزفلت للمنظمة الدولية التي شكلت على أنقاض عصبة الأمم ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ في مؤتمر سان فرانسيسكو سنة ١٩٤٥م، والهدف من تشكيلها ضمان السلام العالمي ووضع نهاية للحروب وضمان حقوق الإنسان وتنمية العلاقات بين الدول على أساس المساواة في الحقوق وتعزيز التعاون الاقتصادي والاجتماعي بين أفراد الأسرة الدولية، وكان عدد أعضائها عند إنشائها خمسين عضواً، وحالياً ينتمي إليها مائة وواحد وتسعون دولة. ويقع نظامها في مائة وإحدى عشرة مادة، تتقدمها ديباجة تتضمن إعلان الامم المتحدة نيتها عن: ضم قواها وتوحيد جهودها لتحقيق الغايات المثلى التي تسعى إليها وفقاً للمبادئ المقررة في الميثاق. لغاتها الرسمية الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والإسبانية. وتتألف الأمم المتحدة من ستة أجهزة إدارية رئيسية، وهي كالتالي: الجمعية العامة، مجلس الأمن، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، مجلس الوصاية، محكمة العدل الدولية، الأمانة العامة. ويتكون الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن من خمسة أعضاء، وهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والصين وروسيا، بإضافة أعضاء عشرة من دول أخرى تحتل مقعداً للعضوية بالانتخاب مرة كل سنتين. ويتبع الأمم المتحدة عدد من الوكالات المتخصصة يربو عددها على الثلاثين، كمنظمة العدل الدولية، ومنظمة الأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة التربية والعلوم والثقافة ـ اليونسكو ـ، ومنظمة العمل الدولية، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وصندوق النقد الدولي، والوكالة الدولية للطاقة الذرية. وقد أشكل الإمام المؤلف قدس سره على الأمم المتحدة بإشكالات منها: أ – وجود حق النقض ـ الفيتو ـ الذي يتناقض مع العدالة البشرية والروح الإنسانية. ب – عدم دفاعها عن الحقوق الإنسانية للشعوب كحق الفرد في الحياة والحرية علماً أن تصرف الحكومات مع شعوبها بظلم وإجحاف يتعارض مع المبادئ الإنسانية وقواعد الأخلاق. عن مقاصد الامم المتحدة ومبادئها وأعضائها واختصاصاتها وفروعها راجع كتاب: الأمم المتحدة في نصف قرن للدكتور حسن نافعة، وكتاب القانون الدولي العام للدكتور علي صادق أبو هيف: ص٦١٥- ٦٧٤، وكتاب: موسوعة السياسة: ج١ ص٣١٥ وج٧ ص٢٠٠.

أو القدرة غير الظاهرة الأجوائية والدعائية ونحو ذلك مما يكوّن الأرضية للـرأي العام، فإنّ كل رأي عام له أرضية خاصّة.

وينشأ الفرد ضمن محيط يكوّن لديه رأياً عاماً، فالمحيط الثقافي والعقيـدي يوجد للأفراد بصورة عامّة رأياً عاماً. وقد يكون هذا الرأي مقتصراً علـى مدينـة كبغداد أو البصرة أو ما أشبه ذلك. كما تساهم اللغة بـصورة كبيـرة فـي إيجـاد الرأي العام؛ لأنّ اللغة هي وسيلة للترابط في المجتمع.



عناصر الرأي العام

مسألة: ينبغي ملاحظة خلفيات الرأي العام عند السعي لإيجاده، ومن هذه الخلفيات المفردات التالية: الناس، المعرفة، القيم المشتركة، السُّلوك، الأحداث والوقائع، المعتقدات، العقيدة الإسلامية، الأرض، العادات، الاتجاهات والميول والمواقف، الأسرة، المدارس، الخرافات والأساطير، القادة. وإليك التفصيل:



أولاً: الناس

حيث يحاول الفرد أن يفهم نفسه والقوى التي تؤثّر عليه بما يعلم من أنّه إذا لم يكن نفسه لم يتمكّن من العمل اللائق به، وكذلك إذا لم تكن القوى التي تدفعه لأن ينفّذ ما ينفعه ويدفع ما يضرّه، فكلّ فرد يحاول أن يفهم: من أين وكيف يستخدم الموادّ الخام والوقود للأكل والشرب؟ وكيف يرتدي ملابسه ومن أين؟ وكيف يهيئ لنفسه مسكناً؟ وكيف يحمي نفسه من البرد أو الحرّ؟.

وإذا عرف هذه الأمور يبدأ بمعرفة كيف يستثمرها على النحو الأصلح، مثلاً كيف يستخدم الغسالة أو الثلاجة؟، وكيف تعمل الكهرباء؟ وماهي السبل التي تمكّنه من السيطرة على الطبيعة؟.

فالإنسان في المناطق اليابسة يحاول أن يتعلّم كيفية استخراج الماء من باطن

الأرض بحفر الآبار والعيون.

وإذا كان الإنسان يعيش في منطقة الزلزال يحاول أن يتكيّف بطريقة لا تؤثّر معها الزلزلة كثيراً.

وهكذا يتعلّم الإنسان كيفية السيطرة على الطبيعة.

وثمة مثال يكشف كيفية سيطرة الإنسان على الطبيعة، حيث وقعت زلزلتان متساويتان في القوّة تقريباً في كلٍّ من إيران واليابان فكانت خسائر اليابانيين جرّاء الزلزال جزءاً من ألف جزء مما أصاب الإيرانيين. والفارق هو في مقدار سيطرة الإنسان الياباني على آثار الزلزال والذي فاق سيطرة الإنسان الإيراني.

والشيء نفسه حدث في أمريكا وبنغلادش، عندما وقع سيل في البلدين، فكانت الخسائر في بنغلادش بصورة مضاعفة لعشرات المرّات.

ويعود هذا التمايز إلى تحذّر الناس وإلى قدرة الرأي العام في خلق الاحتياطات والحذر الشعبي، فهناك رأي عام قوي يترك أثره في استعداد الشعب، ورأي عام ضعيف يجعل الشعب ضعيفاً في مواجهة الكوارث.

وقد يكون ما يحصل عليه الإنسان من محيطه جهلاً، بدلاً من أن يكون معرفة، فيسلك سلوكاً مخالفاً لفطرته البشرية وينتهج نهجاً مغايراً للواقع، فيقع فريسة الجهل.

وقد تمضي به المعرفة التي يستمدها من محيطه إلى الانهيار والدمار، فهذه الحروب التي شهدتها البشرية كان أكثرها ناجماً عن سوء التقدير وسوء المعرفة.

وإذا تحرّك الإنسان بدافع الغريزة العمياء يصبح كالحيوان، فالحيوانات تتحرّك وفق الغريزة ولا تدرك شيئاً غير تلك الدوافع التي تدفعها بقوّة، فهناك حيوان يتقدّم بدافع الغريزة ليبحث عن طعامه، وفي طريقه إلى طعامه

سيصادفه حيوانٌ آخر ليفترسه، وهكذا الإنسان الذي يندفع بالغريزة ولا ينتفع من نعمة العقل.

والرأي العام النابع من الأهواء والذي لا يركن إلى العقل، هو أيضاً لا يختلف عن الغريزة التي تدفع بالإنسان إلى حيث هي تريد، لا حيث يريد عقله.

ثانياً: المعرفة

المعرفة عبارة عن المعلومات التي يحصل عليها الإنسان بنفسه نتيجة الأمور الخارجية، وبها يختلف الإنسان عن الحيوان، ودائماً ما يسعى الإنسان إلى إضافة معارف جديدة إلى معارفه القديمة؛ وإذا قدّر للإنسان أن يضيف إلى معارفه معرفة حتّى لو كانت ضئيلة، يفرح بها فرحاً شديداً، مثلاً أنا نرى أن الشخص المريض يحاول أن يعرف كيفية تجنب استفحال المرض، كما وأنه يحاول أن يعرف طريقة مقاومة وإزالة المرض، فإذا قيل له: إنّ الدواء الفلاني ينفع مرضك، تهللت أساريره وسعى لتحصيل ذلك الدواء.

فالمعارف بطبيعتها تحدّ بعض الشيء من المشكلات التي يواجهها الإنسان في مختلف أبعاد حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، فعلم أي شيء أفضل من الجهل به، ومن هذه الجهة نجد أن رسول الله ﷺ مع أنّه في قمة العلم، يقول: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١). فالإنسان منذ الخليقة الأولى مندفع لاكتساب العلم، وبالرغم من أنّ هذه الرغبة قديمة إلاّ أنّنا نجده على رغم هذا الزمن المديد ما زال يقرّ

---

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

بنقصه وعجزه عن الوصول إلى مرحلة الكمال العلمي. لذا نجد بعض كبار العلماء من أمثال ابن سينا[1]،

---

(١) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البلخي، من أعظم الفلاسفة والمتكلمين الذين ظهرو في الشرق، ولد في بخارى في صفر سنة ٣٧٠هـ (٩٨١م) ، فيلسوف، وطبيب، وشاعر، وعالم بالمنطق والطبيعيات والإلهيات، يعرف بالغرب باسم (آفيسين) ، درس العلوم الشرعية والعقلية وحفظ القرآن والعديد من الكتب الدينية ولم يتجاوز العاشرة من عمره وأتم دراسته وهو في الثامنة عشرة، تقلّد منصب وزير الدولة، وكان كثير الاهتمام بالدرس والبحث والتأليف رغم مشاغله بالوزارة، وكان له تضلع بالتحليل النفسي والعصبي، فكان يرى أنّ للعوامل النفسية والعقلية كالحزن، والخوف، والقلق، والفزع، وما أشبه تأثيراً على أعضاء الجسم ووظائفه. ويعد أول من وصف التهاب السحايا الحاد والثانوي، والسكتة الدماغية عن كثرة الدم، وهو أول من أشار بوضع كيس الثلج في قطعة من القماش وتغطية الرأس به، وهو أول من فرّق بين الحصى الكلوية والحصى في المثانة، وهو أول من فرّق بين النقرس والروماتيزم، وهو أول من فرّق بين وصف تشعب الأعصاب في القصب الصدري، وهو أول من اكتشف أن سرطاناً موضعياً يعطي عوارض السرطان العام في الجسم، وهو أول من فرّق بين عوارض المغص المعوي والمغص الكلوي، وله الفضل في نقل الكثير من الكتب الإغريقية إلى اللغة الفارسية. تزيد مؤلفاته عن المائتين في حقول الطب، والفلسفة، والرياضيات، والنفس، والمنطق، والإلهيات، والفلك، والطبيعيات، وعلم طبقات الأرض، وله نظريات مهمة في الفلسفة، ولا زالت كتبه تدرّس في الجامعات الغربية، من أشهر كتبه الطبية: «القانون». وقد ذكر فيه ما ينيف على سبعمائة وستين عقاراً دخلت كلها في علم النبات وعلم الصيدلة وكذلك حذر فيه من تعريض الطفل إلى غضب أو خوف أو غم شديد، لئلا يضطرب مزاجه وتفسد أخلاقه تبعاً لذلك. وهو ينصح بعدم اللجوء إلى الضرب، إلاّ إذا فشلت وسائل التأديب الاخرى. ويشترط ألاّ يكون العقاب مذلاً للصبي، ماساً بكرامته. ويجب الاستماع إليه، وألا يحمل على ملازمة الكتاب كرّة واحدة، وأن يبدأ بالقرآن، ثم يختارله الشعر السهل المهذب ويدعو كذلك إلى ملاحظة ميول الأطفال بعد المرحلة الأولى من التعليم، وتوجيه كل منهم حسب ميوله واستعدادته. كما يطالب بمراعاة الناحية العملية في التربية، وإعداد الناشئين لكسب المعاش. ومن كتبه أيضاً «الشفاء»، «النجاة»، «أسرار الحكمة المشرقية»، «الإشارات والتنبيهات»، «أسرار الصلاة»، «جامع البدائع»، وله قصيدة في «النفس». توفي سنة ٤٢٨هـ (١٠٢٧م) عن عمر يناهز ٥٧ سنة ودفن بهمذان. راجع: أعيان الشيعة: ج٦ ص٦٩، مستدركات أعيان الشيعة: ج١ ص٢٣، موسوعة المورد: ج١ ص ٢٢٣، الكنى والألقاب: ج١ ص٣٢٠، موسوعة السياسة:

والرازي[1]، ومن أشبههما، كانوا يقولون: «كلما ازددنا علماً ازددنا جهلاً»؛ لأنّه كلّما ازدادت دائرة المعرفة توسّعت آفاق جديدة أمام الإنسان، وتكشفت له أمور ما زال يجهلها.

وهناك نوعٌ من المعرفة يتوقّف عليه تطبيق المعرفة الأصلية، فتطبيق الكليات على الجزئيات ليس أمراً سهلاً مهما كان العالم غزيراً بالعلم، ولذا نشاهد علماء الفقه يختلفون اختلافاً بيناً مع أنّ الأدلّة التي بأيديهم أدلّة واحدة، هي الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، ويجتهدون غاية الجهد حتّى يصلوا إلى الواقع، لأنهم يخافون الله ﷻ.

وعلى أي حال: فمعرفة الإنسان لنفسه وللمجتمع وللطبيعة أمرٌ ضروري ومهمّ؛ لأنّ الناس هم العنصر الأول من عناصر الرأي العام ولو ظاهرياً؛ لأنّ الرأي العام أيضاً هكذا، فقد يكون على نحو الجزئية، وقد يكون على نحو الإنذار.

فبالنسبة إلى الجزئية: قد ينتخب الرأي العام زيداً ليكون حاكماً، وقد

ج١ ص٢٢، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٨٤، وفيات الأعيان: ج٢ ص١٥٧، خزانة الأدب: ج٤ ص٤٦٦، مرآة الجنان: ج٣ ص٤٧، الأعلام للزركلي: ج٢ ص٢٦١.

(١) محمد بن محمد الرازي البويهي المشهور بقطب الدين، عالم نحرير، وفقيه لامع، وفيلسوف إلهي، ولد سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥م) وتوفي في ذي القعدة سنة ٧٦٦ هـ (١٣٩٥م)، تتلمذ عند العلامة الحلي، ثم هاجر إلى دمشق سنة ٧٦٣ هـ وذاع صيته هناك، قال عنه الشهيد الأول: «بأنه البحر الذي لا ينزف»، ووصفه العلامة: «العالم الفاضل المحقق زبدة العلماء والأفاضل قطب الملة والدين»، له عدة مؤلفات منها: لوامع الاسرار في شرح مطالع الأنوار، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، رسالة في النفس الناطقة، حاشية على الكشاف، المحاكمات بين الإمام والنصير. تجد ترجمته في: النجوم الزاهرة: ج١١ ص٨٧، أمل الآمل: ج٢ ص٣٠٠، شذرات الذهب: ج٦ ص٢٠٧، رياض العلماء: ج٥ ص١٦٨، أعيان الشيعة: ج٩ ص٤١٣، الكنى والألقاب: ج٣ ص٧٠، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٤ ص ١٧٨٨، منتهى المقال للمازندراني: ج٦ ص١٧٥.

لا ينتخب مثل هذا الانتخاب الشخصي، بل ينتخب العالم العادل الشجاع الكفوء، أما بالنسبة إلى الإنذار فإن جماعة من العلماء يقولون إنّ الناس بصفتهم أصحاب مصلحة لابدّ أن يدركوا أموراً ثلاثة:

الأمر الأوّل: فهم أنفسهم.

الأمر الثاني: إدراك فهم الناس.

الأمر الثالث: إدراك فهم الطبيعة.

والناس في العادة بين متديّن وغير متديّن، أمّا المتديّن فهو بحاجة إلى إدراك رابع، وهو فهم أنّ هذا الكون مخلوقٌ لله، العليم، القدير، الحكيم، السميع، البصير، المسيطر على الكون، أي مهيمن لا تخفى عليه خافية، فإنّ هذا أيضاً له مدخلية في تكوين الرأي العام.

أقسام المعرفة

والمعرفة تنقسم إلى قسمين:

الأول: المعرفة الذاتية، حيث إنّ الإنسان ينظر ويسمع ويرى ويكسب من خلال الحواس المعروفة في مختلف الأبعاد الحسّية والنفسية. فإنّ النفس تعرف بالمعادلات أشياء كثيرة، لذا فإنّ الذي يعيش في المجتمع أو في الغابة يمتلك تلك المعرفة التي يكتسبها من خلال حواسه عن العوامل الخارجية. وهذه المعرفة بدورها تؤثّر في الرأي العام؛ لأنّ الناس يذهبون وراء معارفهم.

الثاني: المعرفة عبر الخبرة، فهي التي يكتسبها الإنسان بالتجربة، فهناك مثلاً طبيبان درسا تحت ظرف واحد، لكن أحد الطبيبين يمتاز بخبرته الجيدة في ممارسة الطب، لذا نرى الناس يتوجهون إليه ويستفيدون من خبرته في علاج مرضاهم ولا يتوجهون إلى الآخر.

وينشأ الرأي العام نتيجة الاختلاف في المعارف، مثلاً: هناك حزبان في بلد

واحد، أحدهما يرى أهميّة الصناعات الخفيفة، والآخر يرى أهميّة الصناعات الثقيلة، فإذا جاء الحزب الأول إلى السلطة قدّم الصناعات الخفيفة، وإذا جاء الثاني قدم الصناعات الثقيلة.

وقد يكون لدينا حزبان أحدهما يدعو إلى الزراعة والآخر يدعو إلى الصناعة، فإذا وصل أحدهما إلى السلطة نرى الرأي العام ينحاز إلى الجهة المعروفة للحزب الذي حكم البلاد، وهكذا يقال في سائر الأمور التي يرغب بها الإنسان ويريدها.

والعنف واللاعنف يؤثّران أيضاً في الرأي العام، فمن كان يؤمن باللاعنف يستطيع أن يؤثّر بالرأي العام أكثر ممن يؤمن بالعنف؛ لأنّ الناس في طبيعتهم يميلون إلى السلم والأمن.

ثالثاً: القيم المشتركة

الإنسان يبدأ من فرد ثمّ أسرة ثمّ قوم ثم عشيرة ثمّ قرية ثمّ مدينة ثمّ مدن ثمّ دولة.

ومن المؤكّد أن لكلّ فرد رأيه، وقد يخالف رأيه رأي الآخرين، والناس ليسوا سواسية في كل شيء، فهم يختلفون في أشكالهم حتى في بصمات أصابعهم، لكنّهم يشتركون في بعض الأمور المعنوية، فهم يشتركون في العيش داخل دولة واحدة، وتكون الدولة بالنسبة لهم قوّة ومنعة وعاملاً لجلب المنافع ودفع المضار، وهذا ما أشار إليه أفلاطون[1] عندما قال:«إنّ الشخص

---

(١) أفلاطون، فيلسوف ومصلح ومفكر وسياسي مثالي، ولد سنة (٤٢٧ ق.م) في أثينا، ومات سنة (٣٤٧ق.م) ، وكان يعتبر التحليل الرياضي طريقة فعالة للتوصل عبر فصل الأفكار إلى معرفة الكون، ومثل هذه المعرفة في تقديره لا يمكن اكتسابها بالحواس وحدها، معلّلاً

المنعزل عن الدولة لا يعتبر شخصاً على الإطلاق، كما وأن الذراع المنعزل عن الجسم لا يستطيع أن يؤدّي وظيفة وإن كان له شكله».

ولا تتشكّل الجماعة إلاّ ضمن القيم[1]، فالقيم هي الإطار العام للجماعة التي تريد جلب المنافع ودفع المضار، وهكذا نجد في الدول الحديثة كألمانيا التي تشكّلت من مجموعة من الولايات، أنَّ المجتمع ينضوي تحت لواء دولة واحدة وإن اختلف الشعب في العقائد والمذاهب والآراء. ومثل الهند ذات الألف مليون نسمة، حيث يوجد فيها المسلم جنباً إلى جنب المشرك، والمسيحي إلى جنب البوذي، والهندوسي إلى جنب اليهودي؛ إذ يشتركون في قيم خاصّة بهم، قيم اقتصادية وسياسية واجتماعية، كما يشتركون في حدود وأحكام واحدة تحكمهم جميعاً.

إذاً الشعب الواحد قد يتكون من تجمّعات بشرية متناقضة، لكن تجمعهم قواسم مشتركة حتّى لو اختلفوا في المعتقد، وهذه القواسم المشتركة هي التي تكوّن الرأي العام، فتجد في الهند الجميع يفتخر بهنديته سواء كان مسلماً

ذلك أن ثمة وراء ظواهر الأشياء حقيقة عليا، معرفتها هي هدف الفلسفة الحقيقي، وفي اعتقاده أن العقل وحده يتيح لنا تجاوز عالم الحواس وبلوغ الحقيقة التي يعكسها بطريقة غير مثالية، وفي رأيه كذلك أن الإنسان السعيد هو الإنسان الفاضل، فلا بدَّ من معرفة الطريق المؤدية إلى الفضيلة، ويعدُّ من تلامذة سقراط فقد سجل مناقشاته، وأدى حبه للدراسة والتعليم إلى تأسيس أكاديمية بأثينا سنة (٣٨٧ ق.م) لتدريس الرياضيات والفلسفة، ويعد معلماً لأرسطو طاليس، وقد بلغت مؤلفاته الثلاثين منها: «الجمهورية»، «القوانين»، «المأدبة»، «فيدون»، «المحاورات»، «السياسي»، «تيمه»، «الاعتذار»، «الشرائع». راجع موسوعة السياسة: ج١ ص ٢٣٢، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٥٠٣.

(١) وهي الصفات الانسانية التي يفضّلها الناس ويرغبون فيها، والتي تشمل الموضوعات والظروف والمبادىء التي اصبحت ذات معنى خلال تجربة الانسان الطويلة كالشجاعة والقوة والاحتمال والايثار والمهارة النفسية وضبط النفس. راجع العلاقات العامة والاعلام: ص٣٧٠ للدكتور حسين عبد الحميد.

أو هندوسياً، وقد تكون القيم المشتركة لأمّة واحدة خاصّة في جميع خصوصياتها وعقائدها ومذاهبها وطرق تفكيرها وما أشبه ذلك.

رابعاً: السُلوك [1]

نشاهد في المجتمعات أفراداً كثيرين يخالفون المجتمع، فتظهر التيارات على خلاف الحالة الاجتماعية، والتي تضطر على إثر عوامل ضغط التيار أن تتحوّل من حالة اجتماعية إلى حالة اجتماعية أخرى، والأمر ليس على نحو الكلية وإنّما على نحو القضية الطبيعية كما هو الشائع في العلوم؛ حيث إنَّ القضايا فيها غالباً على نحو القضايا الطبيعية لا على نحو القضايا الكلية، نعم في الرياضيات، فالقضايا غالباً على نحو القضايا الكلية، مثل قواعد الجمع والضرب والطرح والقسمة والجبر وما أشبه ذلك. ولذا، فالواجب على الإنسان إذا أراد ملاحظة التأثير على الرأي العام أن يلاحظ قوّة ونمط أي تقليد من التقاليد قبل أن يصدر أحكاماً عامة في هذا الشأن، فإنّ صفات الناس تتغيّر بتغير الأحوال والأوضاع والخصوصيات والمزايا في مجتمعاتهم، فإن سلوك الأفراد في وقت معين لا يدلّ على الدوام وإنّما في الغالب.

وينبثق السلوك من التقاليد الثقافية التي يتلقاها الفرد في حالة طفولته إلى كهولته، ولذا ورد: (**العلم في الصغر كالنقش في الحجر**)[2].

---

(١) يعرف السلوك بعدّة تعريفات، منها: ١- ارتكاسات فرد من الأفراد، منظوراً اليه في وسط وفي وحدة من الزمن معيّنة، على إثارة أو مجموعة من التنبيهات. ٢- وظيفة بيولوجية من وظائف العضوية الإنسانية والحيوانية تتحقق في تعديل فاعل إجمالي، أو استجابة بكيفية. راجع المعجم الموسوعي في علم النفس: ج٣ ص١٣٤٧.

(٢) كنز الفوائد: ج١ ص٣١٩، كشف الخفاء: ج٢ ص٦٦ ح١٧٥٧. وفي بحار الأنوار: ج١ ص٢٢٤ ب٧ ح١٣ (العلم من الصغر كالنقش في الحجر).

ويضطر الإنسان أن يتقيّد بثقافة محيطه في سلوكه ومنهجه التفكيري وأدائه الاجتماعي. لذا فالتقليد الثقافي كثيراً ما يرافق الرأي العام لكن لا على نحو الكلية والدقّة. وهذا المرافق للرأي العام قد يتّصف بالدوام، فيقال: «الرأي العام الدائم» وقد يتصف بعدم الدوام، فيقال له: «رأي عام مؤقت»، أمّا أنّه ليس كلياً فلأنه كثيراً ما لا يكون دائماً بل مؤقتاً.

ومن الرأي العام الدائم محاربة الاستعمار وكراهته؛ لأنّ ذلك يستمدّ جذوره من تقليد ثقافي قديم كان يمارسه الآباء والأجداد، بالإضافة إلى ما يشاهده الإنسان من أنّ المستعمرين على خلاف ظاهر اللفظ، يخربون البلاد ولا يستعمرونها أي لا يعمّرونها لذات الأمر الكلّي، وأمّا في الأمر الجزئي؛ فالأمر بنفس ذلك النمط، مثلاً: إذا احترق بيت مع ساكنيه، فإنّه يولّد الرأي العام المؤقّت، وهذا الرأي العام المؤقّت أيضاً يستمدّ جذوره من تقاليدنا السابقة وعواطفنا المشبوبة، لذا، فإنّه يسمّى مؤقّتاً؛ لأنّه خاص بهذا الوقت الذي احترق فيه البيت وأهله، وليس مستمراً.

ومن الواضح أنّ الآراء العامّة تختلف من جماعة إلى جماعة، ومن جنس إلى آخر، مثلاً: النساء يملن غالباً إلى آراء عامة بالنسبة إليهن، وهكذا الرجال يميلون غالباً إلى حالة عامة، مثلاً: ميل النساء نحو الخياطة وحضور حفلات الزواج والتجميل وما أشبه، بينما الرجال يميلون غالباً إلى الرياضة والشهرة والرجولة والفتوة ونحو ذلك. فهناك رأيٌ عام يشمل الجميع، وهناك رأي عام يشمل طائفة من الناس ـ كالنساء والرجال والأطفال ـ أو أمّة خاصّة، كالرأي العام عند اليهود والرأي العام عند المسيحيين اللذين يعيشان في مكان واحد كبغداد مثلاً.

وبما أنّ العوامل المختلفة تؤثّر في الرأي العام، نشاهد في مثال جزئي: أنّ

فردين يعيشان في دكان واحد، قد يميل أحدهما إلى السفر والتجمّل وما أشبه ذلك، بينما يميل الفرد الآخر إلى الانطواء وعدم السفر وما أشبه ذلك. وقد ذكر العلماء وجود الاختلاف بين توأمين ولدا في ظروف مشابهة وكانا متشابهين، لكنهما عاشا في بيئتين ثقافيتين مختلفتين، فكان لكل واحدٍ منهما شخصيته الثقافية المتميّزة عن الآخر.

وقد يحدث الاختلاف نتيجة العامل الثقافي في أبناء العائلة الواحدة، فحبيب بن مظاهر الأسدي (١) وحرملة بن كاهل الأسدي (٢)، كانا في كربلاء

---

(١) أبو القاسم حبيب بن مُظَهّر ـ بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء والراء أخيراً كما عن الشيخ الأميني ـ أو مظاهر ـ كما عن رجال ابن داود ـ بن رئاب بن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قيس بن حارث بن ثعلبة بن دوران الأسدي الكندي، يعد من أصحاب الرسول الأكرم ﷺ كما يعد من أصحاب الإمام علي ﷺ ـ وصَحِبَهُ في كل حروبه ـ والإمام الحسن ﷺ والإمام الحسين ﷺ ومن أعيان الكوفة ووجهائها. وكان حافظاً للقران ويختمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، ومن الذين أخذوا البيعة للإمام الحسين ﷺ في الكوفة وكاتبوه للمجيء إلى العراق، وأرسل الكتب له مع سليمان بن صرد ورفاعة بن شداد البجلي والمسيّب بن نجبة. خرج إلى نصرة الإمام الحسين من الكوفة ليلاً وكان يكمن نهاراً حتى وصل إلى كربلاء المقدسة. شارك في واقعة الطف وكان عمره آنذاك خمساً وسبعين سنة، فجعله الإمام على الميسرة، وكان فرحاً في ساحة الوغى، قال له سيد القراء برير بن خضير: يا أخي ليست هذه بساعة ضحك، قال: فأي موضع أحق من هذا بالسرور؟، والله ما هو إلاّ أن تميل علينا هذه الطغاة بسيوفهم، فنعانق الحور العين، وعند بروزه للقتال كان يقول: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قتل الحسين وفينا عين تطرف.

قتل واحداً وثلاثين رجلاً واستشهد. قال الإمام الحسين ﷺ في حقه، كما عن مقتل أبي مخنف: عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي. راجع عوالم العلوم للمحدث البحراني: ج١٧ ص١٦٩، أعيان الشيعة: ج٤ ص٥٥٣، مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص١٨، مقتل الحسين للوط بن يحيى الأزدي: ص١٤٥، الفتوح لابن الأعثم: ج٥ ص١٩٧، مجالس المؤمنين للتستري: ص٦٢ المجلس الرابع.

(٢) حرملة بن كاهل الأسدي، شارك في قتل الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته سنة ٦١ هـ (٦٨٠م). ومن جرائمه: أ – ذبح عبدالله الرضيع وهو في حجر أبيه الإمام الحسين ﷺ

أثناء واقعة الطف، وهما من عشيرة واحدة، لكن الأول كان مع الإمام الحسين عليه السلام وكان الثاني في معسكر عمر بن سعد، فالمشتركات القبلية والتنشئة الاجتماعية والمدينة الواحدة كانتا في خانة واحدة، لكن العامل الثقافي فرّق بينهما[1]. ولاشكّ هنا أنّ التنشئة الاجتماعية تتأثّر كثيراً بالعامل الثقافي[2].

سلوك الشباب

سلوك الشباب في الحال الحاضر ينتج عن تجارب الماضي في الجملة، كما

حيث رماه بسهم فذبحه من الوريد إلى الوريد. ب - شارك في قتل العباس عليه السلام. جـ - قتل عبدالله بن الحسن الزكي، وهو لم يبلغ الحلم، حيث رماه بسهم. د . شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام حيث رماه بسهم مسموم ذي ثلاث شعب. هـ . شارك في إضرام النار في خيام أهل البيت عليهم السلام مما سبب في احتراق الخيام ونشوب النار إلى بعض النساء والأطفال. و- حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام تارة ورأس العباس عليه السلام تارة أخرى من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى بقية الأمصار ثم إلى الشام. دعا عليه الإمام السجاد عليه السلام - عندما سأل منهال بن عمرو عن حرملة - قائلاً: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار. قتله المختار عندما ألقى عليه القبض في الكوفة. راجع مقتل أبي مخنف، الأمالي للطوسي، بحار الانوار: ج٤٥ ، جزاء أعداء وقتلة سيد الشهداء للسيد هاشم الجزائري.

(١) وهكذا كان حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كأبي ذر الغفاري وزيد بن ثابت؛ حيث أن كليهما عاشرا الرسول الأكرم وسمعا قوله وشاركاه في جملة من المواقف، لكن أبا ذر مات جائعاً وزيد بن ثابت عند موته قسم ورثته ما خلّفه من الذهب بالفؤوس.

(٢) التنشئة الاجتماعية عبارة عن سيرة بطيئة ومستمرة يتمثّل الفرد بها أنماط الفكر، وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه والسلوكيات التي تميزه. وقوام التنشئة الاجتماعية سلوكيات ثلاث: القبول والسكينة، الرفض والتجنّب، الإغراء والتهديد. ثم إنّ ملاك التنشئة الإجتماعية هي تربية الأبوين للأولاد وتقاليد العائلة، وملاك التنشئة الثقافية الأسس العلمية والمدارس والمؤسسات الدينية والمعاهد والجامعات والتجمعات المهنية، فعلاج الطبيب للمريض ناشئ من الأسس العلمية دون الاجتماعية.

ينتج عن ثمرات الطفولة بالذات، فكلا الأمرين ـ تجارب الماضي والطفولة ـ يؤثّران في سلوك الشباب بصورة مشتركة.

فمواقف الشباب تقوم في الأساس على تفاعل عوامل التنشئة المتنوّعة التي اشتركت في تكوينهم النفسي والاجتماعي منذ الطفولة.

فمثلاً: ينشأ الطفل في حال الرفاه أو الفساد الاكتسابيين أو حال الضرر العام أو الصحّة العامة أو حال الحرب أو السّلام أو ما أشبه ذلك، فمثل هذه الأزمات والحالات في كلا طرفيها التي يشهدها المجتمع تؤثّر على الأطفال الذين يعيشون في ظلّها، وقد شاهدنا الذين اشتركوا في ثورة العشرين وعايشوا أحداثها كيف كانت نفوسهم مشحونة بروح البسالة والجهاد، فكانوا أشدّ إقداماً وشجاعة من الآخرين، وأكثر استعداداً للتضحية في سبيل الحقّ والاستقلال. بينما لم يكن الجيل الذي جاء من بعدهم بهذه الصورة. فالجيلان وإن عاصرا في جملة من زمانهما نهايات الجيل السابق وأوائل الجيل اللاحق إلاّ أن خلفية أولئك كانت الثورة التحررية، بينما تضحية هؤلاء لم تكن كذلك، فقد قال بعض العلماء الغربيين بهذا الصدد: «إن هناك علاقة هامّة ومستمرة بين التنشئة الاجتماعية والتراث الثقافي، وهي علاقة أشبه بالمشكلة الفلسفية في كون الأسبقية للدجاجة أم للبيضة». والدجاجة هنا هي الأطفال الذين تتم تنشئتهم في المجتمع، فالقيم الاجتماعية والتراث الثقافي هي التي تحدد وسائل وأساليب التربية، وهي التي تجعل تصرفات الأبناء شبيهة بتصرفات الآباء، مثلما تجعل تصرفات الآباء شبيهة بتصرفات الأجداد، والحال أنّ تصرفات الأبناء أقل شبهاً بتصرفات الأجداد.

والخلاصة: إنّ الرأي العام يتطور عندما تتغيّر وسائل وأساليب التنشئة لا على نحو الكلية وإنّما على ما ذكرناه من تأثير التيارات الوافدة والأفكار

المتفرّقة أو المستقيمة في هذه التنشئة، كما أنّ الظروف والمناسبات يجب أن توضع في الحسبان؛ لأنّها مؤثّرة في المستقبل.

خامساً: الأحداث والوقائع

تنقسم الأحداث إلى: خاصّة وعامّة.

فالأحداث الخاصّة، كتعليم الأم ولدها آداب السلوك أو الطعام أو الثقافة الدينية، أو ما يعرضه الأستاذ على تلاميذه من مواضيع يطرحها بآداب وقيم خاصّة، أو ما يفعله القائد العسكري في جيشه حينما يشرع في بث آداب الجندية الخاصّة، فالحدث الخاص هو نتاج قوىً تفعل فعلها داخل المجتمع الصغير أو المتوسّط أو الكبير.

أمّا الحدث العام، فهو مثل الأعياد الوطنية والأعياد الدينية والمواكب والمسيرات والمجالس والندوات الدينية، مثل قضايا الإمام الحسين عليه السلام، وقد يتحدّث الخطيب في هذه الأمور بالإشارة إلى الحدث الذي ينبّه المجتمع أو الفرد إلى جهة خاصّة بدون ذكر التفاصيل.

ومن الأحداث العامة: الأحداث الكونية مثل الحرارة الشديدة والفيضان والزلزلة وما أشبه ذلك ممّا يستجيب الإنسان لها استجابة خاصّة، فإذا حدث مثل هذا الحدث يكون الناس متسامحين بعضهم مع بعض وينسون الخلافات التي كانت بينهم في السابق، كما وأن الناس في مثل هذه الأحداث يكونون محتاجين سريعي الاندفاع؛ لأنّ الحدث يوجب سلسلة خاصّة من التحرّكات والسكنات وما أشبه ذلك، مثلاً: إذا هاجمت موجّة حرّ البلد هرع الناس إلى المصايف والمناطق ذات الطقس المعتدل، بما يتسبب في ارتفاع أسعار البيوت في تلك المناطق وانخفاض أسعار البيوت في المدينة، وهكذا حال الإعصار

أو الفيضان أو الزلازل أو ما أشبه ذلك، فإنّ كلّ واحد من هذه الأحداث يؤثّر أثراً معيّناً ويتطلب استجابة خاصّة من الناس، وهذه الأمور تكوّن رأياً عاماً مؤقّتاً ـ كما ذكرنا في بحث سابق ـ، وقد يكون الرأي العام دائماً عندما يتكرّر الفيضان أو الزلزال، حيث يستعدّ الناس لمثلها في المستقبل بصنع البيوت التي تقاوم الأعاصير والسيول والزلازل وما شابه ذلك.

والحدث في الغالب يكون تأثيره أشدّ على الضعفاء كالأطفال والمرضى والعجزة وكبار السن والنساء، وأمثال هذه الأحداث لا تؤثّر في القادة فقط بل في عموم الناس أيضاً، أي أنّ الناس يشاركون القادة في سلوك خاصّ تجاه ذلك الحدث.

إنّ الحدث قد يكون من هذا القبيل، وقد يكون من قبيل أنّ الحاكم المستبدّ يأمر بتهجير العراقيين من العراق بدعوى أنّهم إيرانيون وليسوا مواطنين عراقيين، وهذا الحدث أثّر تأثيراً كبيراً على قسم من الناس، لكن الأقسام الأخرى تأثرت بالحدث بصور مختلفة، فهناك طائفة ممن لم يرضوا بهذه الأعمال باعتبار أنّ هذه الأعمال مخالفة لحق المواطنة والموازين الإسلامية والمعايير الإنسانية فقاموا بمساعدة المهجّرين في بيع بيوتهم وإيوائهم في بيوتهم الخاصة، وهناك طائفة من المهادنين للسلطة كانوا ينقلون للسلطات الأخبار عن أمكنة تواجد هؤلاء حتّى يتمّ إلقاء القبض عليهم وتهجيرهم.

وهكذا، فالحدث قد يكون شخصياً، وقد يكون في جماعة خاصّة، وقد يكون عاماً، كما وأنّه ينقسم إلى سماوي أو أرضي، وقد يكون بالأوامر الحكومية ونحوها. وبذلك يتبيّن أنّ الرأي العام قد يكون لعموم الناس وقد يكون بالنسبة إلى بعضهم، فينقسم الناس حياله إلى طرفين متناقضين: طرف ينحاز إلى جانبها وطرفٍ ينحاز إلى الجانب الآخر.

سادساً: المعتقدات

إنّ معتقدات الناس تؤثّر في الرأي العام سواء كانت مطابقة للواقع أو لم تكن مطابقة، فمن الضروري أنّ الاعتقادين المختلفين لا يمكن أن يطابق كلاهما الواقع كما ثبت في علم الكلام والفلسفة.

مثلاً: أن يكون الإله واحداً أو اثنين أو ما أشبه ذلك؛ لوضوح أنّه لا يمكن أن لا يكون إلهاً، لا واحداً ولا اثنين ولا أكثر، كما لا يمكن أن يكون هناك إله واحد واثنان في حال واحد، وكذلك بالنسبة إلى كلّ شيء من العقائد، بالنسبة إلى الله والنبوة والمَعاد والعدل والإمامة والجبر والتفويض وما أشبه ذلك من العقائد، كما أنّه لا يمكن أن يكون الله إلهاً واحداً والصنم أيضاً إلهاً، وهكذا.

فهذه المعتقدات سواء كانت واقعية أو غير واقعية تؤثّر في الرأي العام، مثلاً الرأي العام المكّي إلى قيام الدعوة الإسلامية كان مشركاً، وإن كان هناك بعض الأفراد من غير المشركين كأبي طالب وزوجته، بينما تحوّل هذا الرأي العام مع مجيء الإسلام إلى الوحدانية الإسلامية، وإن بقي بعض أهل مكّة على شركهم.

وهذا الرأي العام المستند إلى الاعتقاد قد يكون في مجتمع واحد وموحّد، وقد يكون في مجتمع متعدد وكبير، مثل: مجتمع الهند؛ حيث هناك من يعتقد بالإله الواحد، ومن لا يعتقد به، وكلاهما في مدينة واحدة.

وهكذا، فالمعتقدات الدينية والإلحادية، تؤثّر في الرأي العام، فليس الاعتقاد خاصاً بالقلب وإنّما يؤثّر في السلوك أيضاً[1]، فالمسيحي يذهب إلى

---

(١) لأنّ العقيدة الدينية تتجلى في ثلاث مظاهر:

١. الدين الذي ينظر إلى علاقة الانسان بخالقه. ٢. فيه مجموعة من العقائد تخص الواجبات والالتزامات بين الخالق والمخلوق. ٣. فيه انماط من السلوك تعبر عن ارادة الخالق ورضا ضمير المخلوق.

الكنيسة يوم الأحد، بينما المسلم في الغرب لا يذهب إلى الكنيسة بل يذهب إلى المسجد وفي يوم الجمعة، بينما المسيحي لا يذهب إلى المسجد.

وإذا انقسم المجتمع الواحد إلى معتقدين متناقضين، فإنّ الاختلاف سيظهر في سلوك ذلك المجتمع، إذ سيحاول كلّ فريق اتّهام الفريق الآخر بأنّه على ضلال. فقد كان الجاهليون يقولون عن رسول الله ﷺ ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [1]. بينما الرسول ﷺ يقول عنهم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [2].

والغالب في مثل هذه الانقسامات الاعتقادية أن يكون أحدهما على حقّ والآخر على باطل، أمّا أن يكون كلاهما على حقّ فلا يمكن كما ذكرناه.

نعم، يمكن أن يكون كلاهما على باطل؛ كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [3]، فإنّ كلاً من اليهودية والنصرانية قد نُسخت بمجيء الإسلام، فمن الممكن أن يكون هكذا الأمر بالنسبة إلى من يعبد اللات ضدّ العزى، أو من يعبد العزى ضد اللات، إلى غير ذلك.

ولا نقصد هنا بالمعتقدات، المعتقدات الدينية أو المذهبية فقط، وإن كان ذلك مثالاً ظاهراً للمعتقدات، وإنّما نقصد الأعم من ذلك الذي يشمل القومية والوطنية، فبعض الناس يعتقدون بالوطنية وإنّ الحدود الجغرافية لهذه الدولة أو اللغة المعيّنة أو القوم المعينين هي التي يجب على الإنسان اتخاذها وسيلة إلى الكرامة والعزّة والألفة والمجتمع الأفضل، وبعض الناس لا يعتقدون بذلك

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٣.

كما في الإسلام؛ فالإسلام لا يؤمن بالحدود الجغرافية المصطنعة كما لا يعتقد بالقومية سواء كانت فارسية أو عربية أو كردية أو هندية أو غير ذلك من القوميات، كما لا يؤمن بالتصنيف على أساس اللغة، وإنّما فضّل اللغة العربية لتوحيد الأمّة الإسلامية في بوتقة لغوية واحدة، وهذا لا يعني إجبار الناس على اللغة العربية أو عدم الاعتراف باللغات الأخرى، وإنّما أنزل الكتاب بلسان عربي؛ لعلة ذكرها علماء الكلام في كتبهم، وقد فرض الإسلام اللغة العربية في صلاتهم وأدعيتهم ومناجاتهم وبعض معاملاتهم، وهذا من المعتقد الذي يؤثّر في الرأي العام.

سابعاً: العقيدة الإسلامية

نحن نعتقد بأنّ الإسلام هو الدين الصحيح المبرهن عليه، والمأخوذ من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، وبعض المسلمين يرون القياس والاستحسان والمصالح المرسلة كمصادر للتشريع إلى جانب القرآن والسنّة، وهذا أيضاً يؤثّر في الرأي العام.

فالدين الإسلامي له أثر كبير على طبيعة الشعوب الإسلامية. ونستطيع أن نلاحظ تأثير ذلك عندما نقارن بين دولة إسلامية في شهر رمضان وبين دولة أوربية، فكم سنجد الفارق كبيراً بين حالة الناس في الدولة الإسلامية وحالتهم في الدولة غير الإسلامية. وللتعاليم الدينية أثرٌ كبير في طبيعة الإنسان، فالدين يجعله غير عنيف؛ يقول ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وقد قال رسول الله ﷺ لذلك الشاب الذي كان يكثر من العبادة: (إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولاتبغضن إلى نفسك عبادة الله، فإنّ المُنبَتَّ[1] لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى)[2].

والدين الإسلامي خاصة يستوعب الإنسان في كافّة مراحله، من قبل الولادة بل وقبل الزواج؛ حيث يقول الرسول الأعظم ﷺ: (فاختاروا لنطفكم فإنّ العرق دساس)[3]، ثم أيام الحمل، وهكذا يسير مع الإنسان إلى أن يموت ويلحد في القبر.

والدين يشمل المعاملات والعبادات والأحوال الشخصية والمواريث والقضاء والديات والحدود والقصاص وغير ذلك ممّا هو معروف، وكلّ هذه الأمور تؤثّر في الإنسان تأثيراً كبيراً، وقد رافق هذا التأثير المسلمين منذ ظهور

---

(١) المُنبَتّ: المنقطع عن أصحابه في السفر، يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته: «قد انبتّ»، من البت: القطع ومنه رجل منبت أي منقطع. «بتّ»: يقال بته وأبته، يريد أنّه بقي في طريقه عاجزاً عن مقصده لم يقض وطره وقد أعطب ظهره، راجع مجمع البحرين: ج٢ ص١٩٠، لسان العرب: ج٢ ص٦ وص٨، العين: ج٨ ص١١٠. وإن عبارة: «فإن المنبتّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى». يضرب به المثل لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط حتى ربما يُفوّته على نفسه. كما ذكر ذلك الميداني في مجمع الأمثال: ج١ ص٧ الرقم ٢.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٦٨ ص٢١٨ ب٦٦ ح٢٣ ونظير هذا الحديث ورد في الكافي (أصول): ج٢ ص٨٧ ح٦، ووسائل الشيعة: ج١ ص١١٠ ب ٢٦ ح ٢٧٠، والكافي (أصول): ج٢ ص٨٦ ح١، والمجازات النبوية للشريف الرضي: ص١٩٥، والجامع الصغير للسيوطي: ج١ ص٣٨٤ ح٢٥٠٩، والسنن الكبرى للبيهقي: ج٣ ص١٨، والدر المنثور للسيوطي: ج١ ص١٩٢، وتاج العروس: ج٨ ص١٥٨.

(٣) ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: (اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين) الكافي (فروع): ج٥ ص٣٣٢ ح٢، دعائم الإسلام: ج٢ ص١٩٤، تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٢ ب٣٤ ح١٢، كشف اللثام للفاضل الهندي: ج٧ ص٨٨ ب٢.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس) مكارم الأخلاق: ص١٩٧ ب٨ الفصل الأول.

الإسلام إلى يومنا هذا، ولم يأت في التاريخ دين له سلطة على النفوس كالإسلام، أمّا بعض البلدان غير الإسلامية مثل الغربية فلا نجد فيها مثل هذه السلطة الكبيرة للدين على أفراد المجتمع، فيشربون الخمرة ويأكلون لحم الخنزير ويفعلون المنكرات وما أشبه ذلك.

وسلطة الدين المسيحي والدين اليهودي على معتنقيهما ضعيفة لاسيّما الطبقة المثقّفة من المنتمين لهاتين الديانتين، ويعود السبب في ذلك لكثرة الخرافات في الديانتين المحرفتين، ولأنّهما لا يلبيان حاجات الإنسان المتطوّرة، لكن قسماً من المؤمنين بالديانتين أخذوا بهذه الخرافات، وأصبحت هي السبيل لتمسكهم بالديانتين.

ثامناً: الأرض

الأرض الموحّدة بعلائمها الخاصّة من جبال أو حدود جغرافية أو ما يستقي من الأنهر الخاصّة تكون سبباً للرأي العام، كأرض الرافدين التي تضم دجلة والفرات، وأرض مصر التي تضمّ نهر النيل. فالموقع الجغرافي يلعب دوراً هاماً في بروز الرأي العام واتجاهه حول موضوع معين في مكانٍ دون آخر، وبما أنّ الأرض واحدة وهي مشتركة بين الجميع، فيجب أن يتعاملَ الناس بعضهم مع البعض الآخر تحت قيم واحدة أو قيم خاصّة.لكن بشرط أن لا تتصادم تلك القيم بعضها مع البعض الآخر؛ لأنّ الصدام يوجب عدم تحقق منافعهم وتوجّه الضرر إليهم.

والإنسان بسبب احتياجه للأرض وعيشه فيها يختار قيماً خاصّة به سواء كانت تلك القيم موحدة أو قيماً متعدّدة وإن كانت متناقضة؛ وذلك لقاعدة «الأهم والمهم». فإنّ هذه القاعدة مسلمة عند العقلاء، فلو خيّر الإنسان بين

قطع يده وقطع رقبته لقدَّم قطع يده على قطع رقبته.

وقد أشار فرعون إلى هذا الأمر قائلاً: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [1]، ففي زعمه أنه يستحقّ أن يكون إلهاً؛ حيث الأرض واحدة، والنيل يجري تحت قصره، وإن كان هذا الأمر على الأغلب مغالطة، لكن كلامنا الآن في أنّه مما يكوّن الرأي العام، والذي يؤثّر في السلوك والحياة بالنسبة إلى الذين هم في تلك الأرض يعيشون وعليها يترعرعون وعليها يموتون أيضاً، فمن الطبيعي أنّه إذا كانت الأرض واحدة كان مستوى المدن المختلفة والقرى المختلفة متساوياً من حيث القانون العام، ومن حيث الاقتصاد، ولو في الجملة، مثلاً: الشعب البنغلادشي هو شعبٌ متأخّر اقتصادياً بجميع طبقاته وإن كان هناك تفاوت، كما وأنّه ليس من كلّي إلاّ وله شواذ، كما أشرنا إليه سابقاً، أمّا الشعب الكويتي فكلّهم مرفهون اقتصادياً وإن كان بينهم اختلاف أيضاً. فالأرض من الأسباب التي تكوّن الرأي العام.

ولا يخفى أنّ الإمام علياً عليه السلام قال عن الناس أنهم: (صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق) [2]. وهكذا كان الدين والخلقة معيارين للعطف على الناس وإعطائهم حقّهم، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [3]، وهي أخوة موجودة حتّى بين المسلم والكافر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [4]،

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٥١.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٢٦ الكتاب ٥٣ من كتابه عليه السلام لمالك الأشتر النخعي، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٧ ص١٣٢، تحف العقول: ص١٢٧، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص٦٠٠ ب٣٠ ح٧٤٤، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص ١٦٠ ب٤٢ ح ١٥٠١٨.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٦٥، سورة هود: الآية ٥٠.

فجعل هوداً أخاً لعاد مع أن «عاد» كانت قبيلة كافرة.

وقال ﷺ أيضاً: ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ [1]، مع أنّ «لوط» كان في قمّة الفضيلة والتقوى، وقومه كانوا في قمّة الانحطاط.

والأخوة في القرآن الكريم لها بُعدان: الأخوة البشرية، والأخوة الحياتية، والثانية أوسع من الأولى، فكلّ الكائنات مرتبطة برباط الخلقة الحياتية. وهذه الأخوة يشترك فيها الإنسان مع الأشجار والطيور؛ كما قال بذلك بعض الفلاسفة. وهناك أخوة بالمعنى الأخصّ وهي الأخوة الدينية، وهناك أخوة أخص منها وهي الأخوة الرحمية التي هي الأخوة الواقعية.

وعلى أي حال: فإنّ الإنسان منشأ العلاقة بين الرأي العام والأرض، فتأتي هذه العلاقة من انعكاس الأرض على الإنسان، وهو ما يظهر على شكل عادة، فالإنسان يعتاد على أمور كثيرة في حياته من التدخين والتكلّم الكثير وما شابه ذلك، فإن بعض هذه العادات ترتبط بنفس الإنسان وبعضها ترتبط ببدن الإنسان، فالحدث يولّد الاستجابة، فإذا ما تكرّرت الاستجابة عدّة مرّات فإنّ ذلك سيكون عادة.

واللازم أن تكون العادة لها خلفيات أو جذور سواء كانت في الأمّة أو في الفرد أو في المنطقة أو غيرهم من غير فرق بين أن تكون العادة إحداثاً أو استئصالاً أو إضعافاً أو تقوية أو ما أشبه ذلك.

والاستجابات التي تنتج عبر العادة، تسمى اتجاهاً أو موقفاً أو ميلاً أو معرفة أو ما أشبه ذلك من الألفاظ التي تشير كلّها إلى معنى واحد.

ومن الواضح أيضاً أنّ العادة تؤثّر في الرأي العام تأثيراً كبيراً، فمثلاً: عندما

---

(١) سورة ق: الآية ١٣.

تكون من عادة البلد أنه إذا وقع فيه زلزال تقوم جماعات بعمليات إنقاذ إنساني واقتصادي، فهذه عادة تؤثّر في الرأي العام، بمعنى أنّ الزلزال يؤثّر في الرأي العام بهذا الاتجاه الخاص. أو مثلاً: إذا اقترب اندلاع الحرب، ففي العادة تلتحق الجيوش المختلفة بوحداتها للدفاع عن البلد.

إنّ العادة غير العرف؛ لأنّ العرف يمكن أن يكون عادة ويمكن أن لا يكون عادة، مثلاً: عندما وصلت السيارة أوّل مرّة إلى بلداننا نصبوا العلائم لتحديد اتجاه السيارات ذات اليمين وذات الشمال أو الوقوف، فإنّ هذا عرف وليس بعادة؛ لأنّه لم يكن سابقاً حتّى تسمّى بعادة.

والاستجابة التي تشكّل عنصراً مهماً للعادة لا يشترط أن تكون متماثلة، فالإنسان قد يأخذ إناء الماء بيده فيشرب وقد يأخذ إبريقاً ويشرب، وقد يدخن النوع الفلاني من السجائر، وقد يدخن نوعاً آخر، وهكذا فالمجموع يسمّى عادة، وإن كانت مفردات هذا المجموع لا يشبه بعضها الآخر إلاّ في الإطار العام، مثلاً: نقول فلان عنده عادة التدخين، أو فلان عنده عادة أكل الطعام في الوقت المحدّد، علماً بأنّ الأطعمة متنوّعة ومختلفة، وقد تزيد العادة أو تنقص في الأكل أو في التدخين، كما أنّه لا يلزم أن تكون العادة دائمة، فمن الممكن أن تكون عادة الإنسان التدخين لكنه لا يدخّن أحياناً، أو الأكل في وقت الظهر لكنه لا يأكل أحياناً، وهكذا، فالعادة بهذا المعنى العام تشمل كلّ ذلك.

تاسعاً: العادات

العادة [1] هي ما تكرر من فعل الإنسان، وهي من الأسباب التي تكوّن الرأي

---

(١) تعرّف العادة بأنها: ١- استعداد دائم ناشيء من تمرين مديد. والعادات على أقسام، منها: حركية، معرفية، اجتماعية، اقتصادية ٢- معيار للسلوك الجمعي بفضل التكرار المستمر

العام. فالأمم لها عادات، سواءٌ عادات النفع أو عادات دفع الضرر، ففي الأولى يجلب الإنسان لنفسه النفع مثل الكسب والتجارة والزراعة والصناعة، وفي الثانية يدفع الإنسان عن نفسه الضرر مثل ضرر البرد والألم وما أشبه ذلك.

والعادات تكتسب إمّا بالتكرار، عندما يجد الإنسان صفة محمودةً عند الناس فيحاول أنْ يتّصف بها ويكرّرها فتتحوّل إلى عادة متأصّلة، أو أن تكون هناك عادة ضارّة تعوّد عليها الإنسان في فترة من حياته كان يعتقد بأنّها تنفعه كالخمرة، ففي فترة من حياته نجده يشرب الخمر معتقداً بأنّه نافع؛ لأنّه يخرجه من مشاكله ثمّ يعتاد عليه، وعندما يعتاد عليه لا يستطيع أن ينفكّ عنه.

وللعادة أثرٌ كبير في صنع الرأي العام، فلو كان لدينا مرشحان في بلد واحد، وكان أحدهما مدمناً على التدخين، فهو يحاول أن ينتصر للمدخنين بإعطاء بعض الامتيازات لهم بالرغم من علمه الجازم بضرره وعلم الناس بضرر التدخين، فإنّ العادة لها مدخلية في الانتخاب وعدمه.

وكذا الأمر بالنسبة إلى التجارة، بين أن تكون حرّة أو تكون غير حرّة، فالناس في العادة يقفون إلى جانب من يمنحهم الحرّية.

وربّما كانت العادة مضرّة بل أكثر الأشياء ضرراً ومع ذلك نجد الإصرار عليها عند البعض، فلما حرّر لنكولن[1] العبيد ـ والعبيد هنا بالمفهوم

للسلوك الفردي وتتطور لتصبح عادة اجتماعية أو سلوكاً جمعياً ومن ثم تتحول إلى قانون تنفذه الدولة.

وإنّ العادات مهدّت لظهور بعض القوانين التجارية مثل مهلة الأيام الثلاثة لتسديد الحساب المطلوب في بعض الدول، أو إدخال التسعيرة في القانون.

(١) إبراهام لنكولن ولد في ولاية كنتاكي الإمريكية سنة ١٨٠٩م، مارس المحاماة سنة ١٨٣٧م، واعتبرها فرصة للدفاع عن الرقيق. أصبح عضواً في نقابة المحامين وهو في الثامنة والعشرين من عمره. تزعم الحركة التي تدعو إلى إلغاء الرقيق. أصبح عضواً في مجلس النوّاب سنة ١٨٤٧م، دخل المعترك السياسي وتزعم الحزب الجمهوري وقاتل الولايات

الأمريكي وليس بالمفهوم الإسلامي؛ لأنّ العبيد الأمريكيين الذين جيء بهم من إفريقيا للاستعباد بينما الإسلام يلاحظ العبيد ويعتبرهم بشراً محترمين ولهم حقوقهم ـ تظاهر قسم منهم مطالبين بإيقاف عملية التحرر، أي أنّهم فضّلوا العبودية؛ لأنّهم اعتادوا عليها ولم يقبلوا التحرر.

ولافرق هنا بين قول الفلاسفة: «اللذة ضد الألم أو اللذة لدفع الألم»، وإنّها ـ أي اللذة لدفع الألم ـ وإن كنا نرى في المسألة أنّ اللذة غير دفع الألم، فالألم واللذة صفتان متضادتان تطرآن على النفس بسبب الحواس أو غير ذلك فيكون منشؤهما داخل النفس.

عاشراً: الاتجاهات والميول والمواقف

إنّ الفرد الاجتماعي يميل إلى الأشياء سلباً وإيجاباً، وقد يميل إلى شيء وقد يميل إلى ضدّه، وميول الإنسان كثيرة لا يمكن إحصاؤها لعددها الكثير وإن كان لها جامع يسمّى بالاتجاه، فقد يميل الفرد إلى مصادقة أهل العلم، وفي ذات الوقت يميل إلى المطالعة الكثيرة، كما يميل أيضاً إلى مشاهدة حلقات التدريس، فهذه الميول بمجموعها تشكّل اتجاهاً موحّداً لهذا الفرد وهو الاتجاه العلمي.

والميل هو دافع موجود في داخل النفس يظهر على المشاعر عيناً وأذناً

الجنوبية في الحرب الأهلية فانتصر عليها، أصبح الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ١٨٦٠-١٨٦٥م. ألغى الاسترقاق رسمياً وأعلن حق الأمريكيين المسترقّين في الحرية وكان ذلك سنة ١٨٦٣م. أعيد انتخابه للرئاسة سنة ١٨٦٤م واغتيل من قبل ممثل مسرحي هو جون وايلكزبوث فيما كان يشهد إحدى الحفلات في مسرح بواشنطن في الرابع عشر من نيسان سنة ١٨٦٥م. من مقولاته: «إنني لا أراقب الأحداث وإنّما الأحداث هي التي تراقبني». راجع عظماء ومشاهير معاقون: ص٢٤.

ولساناً وجنساً أو ما أشبه ذلك. ولهذا عرّفه بعض العلماء بأنه «استجابات داخلية ذات شكل مميّز»، فهي حين تثار تفرض على المرء مسلكاً خاصّاً في اتّخاذ الاستجابات سواء كانت تلك الاستجابات على نحو الكلية أو على نحو الجزئية، فذلك يكون ميلاً في الداخل يظهر أثره في الخارج، مثلاً: الطفل الذي يتألّم عند لمس المدفأة الكهربائية، يدرك أن المدفأة شيء غير ملائم له، فعليه أن يبتعد إذا أراد الأمان، والطفل الذي تقدّم له حلوى يميل إليها سريعاً، وإذا رأى حيواناً خاف منه، وستكون لديه خبرة فيتجنّب هذا الحيوان كلّما رآه من بعيد.

والميل قد يكون شديداً وقد يكون ضعيفاً، وقد يكون إقبالاً وقد يكون إدباراً ونفوراً.

والميل إذا دام طويلاً يسمّى اتجاهاً، وإذا كان في أوقات خاصّة يسمّى موقفاً.

واتجاهات الأفراد وميولهم ومواقفهم تؤثّر في الرأي العام أيضاً، فإذا كان ميل الإنسان إلى الظلم التفّ حول الظالم، بينما إذا كان ميله إلى العبادة التفّ حول العابد، وهذه الالتفافات سواءٌ في هذا الجانب أو في الجانب الآخر تكوّن الرأي العام لتلك الطوائف التي تميل إلى هذا أو إلى ذاك.

هذا، وقد تكون ميول الرأي العام مع السلام، وقد تكون مع الحرب عندما يصبح البلد هدفاً لهجوم غادر، فيكون رد الفعل هو الحرب.

حادي عشر: الأسرة

الأسرة [1] هي عماد المجتمع وهي الوعاء الذي ينهل من خلاله الأطفال ألف

(١) اصطلاح يطلق على الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون في مسكن

باء الحياة وينهلون الثقافة والعمل والحبّ والعاطفة، وهي المدرسة الأولى في حياة الطفل حيث تجيب على استفساراته المتنوّعة. وهي مدرسة الأخلاق والفضيلة، فالأطفال يستقون منها المثل والقيم. والأسرة مسؤولة عن تربية الطفل عاطفياً وعقلياً وتعليماً، وهي تتكون على أساس من الحب والاحترام المتبادل. وهكذا تصبح الأسرة هي الأساس في بناء الرأي العام سواء كان صالحاً أو طالحاً.

وقد قامت الحضارة الحديثة بإهمال الأسرة متأثرة بعاملين:

الأوّل: الشيوعية؛ حيث ترى الشيوعية أنها تناقض الإسرة.

الثاني: الرأسمالية؛ حيث استطاعت أن تفرّق بين أبناء الأسرة، فجعلت الأب يعمل في مكانٍ والأمّ في مكانٍ آخر، وهكذا فرّقت بينهما، ثمّ فرقت بينهما وبين الأولاد عندما جعلت ارتباط الأولاد بمدارسهم ومعلميهم أقوى من ارتباطهم ببيوتهم وبآبائهم. وعندما تفككت الأسرة اضطرب الأبناء وتحولوا إلى أشخاص سلبيين، تتقاذف بهم الجريمة نحو السجون.

ثاني عشر: المدارس

يتلقى الطلاب تعليمهم داخل المدارس، ويبدأ الطالب مواجهته للحياة من داخل المدرسة حيث سيجد له رفاقاً ويتّخذ لنفسه أصدقاء، وحيث يتعلّم في

واحد. وتختلف عن العائلة باعتبار أن العائلة تطلق على الجماعة التي تقوم في مسكن واحد وتتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين والأولاد المتزوجين وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة وابنة الأرمل الذين يقيمون في نفس المسكن ويعيشون في حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة. وتعرّف الاسرة لغة: الدرع الحصينة، وإن أسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم. راجع لسان العرب: ج٤ ص٢٠، معجم البحرين: ج٣ ص٢٠٧.

المدرسة كلّ شيء من علوم وفنون وأخلاق وقيم؛ لذا كان للمدرسة تأثير كبير على الرأي العام، وهي التي تصنع مزاج الرأي العام. فالمدارس الصينية مثلاً تقدِّم نموذجاً لإنسان صيني، يمتاز بثقافة معيّنة وبآراء معيّنة في الحياة. وكذا الحال بالنسبة للمدارس الأمريكية، حيث تصنع أشخاصاً يمتازون بكونهم ينتمون إلى الثقافة الأمريكية. وقد يكون هنا جامع في جميع هذه المدارس، كما في التوقّف عند الإشارة الضوئية، فجميع أرباب السيارات من عادتهم أن يقفوا عند الإشارة الضوئية لكن الرجل الصيني يقف عند الإشارة الخضراء بينما الآخرون يقفون عند الإشارة الحمراء. فوقوف الجميع هو قاسم مشترك بين الجميع لكن الاختلاف في نوعية الوقوف.

والمدارس بصورة عامّة تبني عند الأطفال احترام الشخص واحترام المجتمع والتأكيد على العمل والمثابرة والنجاح، كما تبني البناء الديني والخلقي الرفيع، وتدرّبهم على الشجاعة والإيثار والالتزام بالدين والوطنية، الوطنية في الإطار الإسلامي الذي يعني الوطن الإسلامي الذي لا يؤمن بالحدود الجغرافية أو القومية أو الوطنية في الإطار القومي ولا بالحواجز النفسية المصطنعة. ويمكن للمدارس أن تصنع أناساً مهزومين وساقطين خلقياً وبعيدين عن الدين والوطنية إذا كان المشرفون عليها أناساً طالحين.

والمدرسة تخرِّج نماذج للمجتمع تؤثّر تأثيراً كبيراً في الرأي العام، عندما تخرج من يرى أن وطنه فوق الأوطان الأخرى يتحوّل إلى هتلر جديد [1]، أمّا إذا

---

(١) فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة ها آريتس في ١٥/٢/١٩٩٥ عن الأصولية الصهيونية في المدارس الإسرائيلية مقالة جاء فيها: أثبت الأستاذ بارتال من جامعة تل أبيب في دراسة قريبة العهد إلى أيّ حدّ عُبىء النظام التربوي الإسرائيلي لتبرير موقف إسرائيل من الصراع العربي الإسرائيلي، وألحّ على ضرورة تغيير الطريقة التي يجري فيها الكلام عن العرب في الكتب المدرسية. إنّ التعليم المتعلّق بالمحرقة والمذابح ساهم إلى حدّ بعيد في خلق

خرجت من يعتقد بالوطنية في الإطار القرآني؛ حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [1]، يكون وطنه وطناً طبيعياً فطرياً، إلى غير ذلك من الأمور التي تبينها المدارس في نفوس الأطفال.

ثالث عشر: الخرافات والأساطير

وللخرافات سلطة كبيرة على الرأي العام، فكلّما كان الشعب أمياً وغير مثقّف كانت سلطة الخرافة عليه ذات تأثير كبير.

وقد أصبحت بعض هذه الخرافات جزءاً من حياة الشعوب، وقد نجد الخرافة حتّى في المجتمعات الإسلامية بالرغم من أنّ الإسلام دين العقل وهو يحارب الخرافة ويقف موقفاً صارماً من المتأثرين بها.

وهناك فرقٌ بين الأسطورة والخرافة:

فالأسطورة تطلق على الأشياء القديمة المغمورة في القدم. بينما الخرافة تطلق على كلّ ما لا يتفق والعقل، وقد ذكر القرآن الكريم عن الكفار: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [2]. وغالباً ما تكون الخرافة

ذهنية البلد المحاصر في إسرائيل وغذّى الاعتقاد القائل بأنّ اليهود متفوّقون على غيرهم، وأنهم دوماً على حق. وأضاف: إنّ اسرائيل استخدمت التاريخ والعلوم الأخرى لفائدة الإيديولوجية الصهيونية، ثم إنّ التوراة توزّع على الجيش الإسرائيلي متظمّنة لمقدمة للحاخام «غادناقون» ومزودة بمفاهيم قومية متطرفة تؤكد على العداء بين اليهود وسائر الشعوب الأخرى، وأنّ أرض فلسطين هي حقهم، والحق بالتوراة أطلساً يستطيع عبره كل جندي أن يجد خريطة إسرائيل الكبرى التي تشمل الأردن، ومزودة بخريطة ثانية تدّعي «الأرض التي وهبها الله لليهود». وقد ذيلّت بالعبارة: «الأرض التي تمتد من نهر مصر إلى نهر الفرات الكبير». نقلاً عن كتاب: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص٢٤٨-٣٥٠ للمؤلف روجيه غارودي «بتصرف».

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥.

منسوجة حول بعض الأشخاص الذين يمتازون بالشجاعة والإقدام، وهكذا الأساطير عندما يكون أبطالها تاريخيين. فكلّ شعب من الشعوب يحترم رجاله الماضين؛ وهذا هو دأب العقلاء، أمّا عند الجهلاء فإنّهم يُدخلون إلى جانب الاحترام التقديس الزائد ويربطون هؤلاء الأبطال بجملة كبيرة من الأساطير الخرافية.

ويمكننا ملاحظة أثر الخرافة في الرأي العام في المجتمعات التي تؤمن بالخرافة عن تلك المجتمعات التي لا تؤمن بها. وهذا الأثر جلي وواضح في السلوك اليومي لهذه المجتمعات وفي الفترات الحرجة التي تمر بها في حياتها.

رابع عشر: القادة

القادة هم أشخاص متميّزون عن الآخرين، يقومون بقيادة الأفراد أو الجماعات دينياً أو سياسياً أو مالياً، فيصبح لدينا قائد ديني وقائد سياسي وقائد مالي أو غير ذلك.

والقائد هو القادر على تكوين الرأي العام، مثلاً: القائد في قرية لا يتجاوز عدد بيوتها المائة قد يكوّن الرأي العام لهذه القرية الصغيرة لأنّه متّبع ومطاع، ومن الواضح أنّ المتَّبَع ـ بالفتح ـ يؤثّر في المتَّبِع ـ بالكسر ـ.

ولا يخفى أنّ القيادة الدينية الصحيحة أفضل القيادات في التأثير؛ حيث أنّها دينٌ ودنيا، والإنسان يتكوّن من جزئي: الروحُ والبدن. ومن الواضح أنّ الروح لا تشبع إلاّ بالدين المرتبط بالآخرة وبالمصير الذي ينتظره البشر بالإضافة إلى ارتباطه بالدنيا، ولذا كان القادة غير الدينيين بحاجة إلى القادة الدينيين لتسهيل أمورهم، ولا فرق هنا في هذه الفكرة أن يكون القائد الديني قائداً حقيقياً

وواقعياً أو دينياً مزيفاً، فملوك بني العبّاس وبني أميّة ومن أشبههم هم قادة دينيون مزيفون.

وعلى أي حال: فالقادة بأجمعهم سواء كانوا في مصاف الجيدين أو في مصاف المزيفين لهم تأثير كبير على الرأي العام [1].



(١) ويرى البعض أنّ هناك عوامل أخرى مؤثرة في تكوين الرأي العام، منها: ١- طبيعة النظام السياسي. ٢- نوعية وسائل الإعلام والاتصال. ٣- الحالة الاجتماعية والاقتصادية للفرد، باعتبار أنّ هذه الحالة تؤثر في أفكاره وآرائه تجاه المشاكل أو المواضيع المطروحة للبحث والنقاش في فترة زمنية معينة. ٤- قوة الشائعات وضعفها. ٥- التحديات. ٦- الإمكانيات. ٧- الحاجات.

قواعد الرأي العام

مسألة: يجب التوجه للقواعد التي تحكم الرأي العام، ومن تلك القواعد:

١ـ أنه الموقف الاختياري الذي يتّخذه المرء إزاء شيء معيّن، من عقيدة أو عمل متنازع عليه قابل للجدل والأخذ والعطاء، أمّا المسلّمات فلا تسمّى رأياً عاماً، فإذا كان هناك أناسٌ يقولون بأنّ الشمس شمس وليست بقمر فإنّ ذلك لا يسمّى رأياً عاماً.

٢ـ هناك فرقٌ بين الجماعة والجمهور، فالجماعة عبارة عن أناس خاصين ويقل عددهم عن الجمهور، وقد يعبّر عن الجماهير لإفادة جانب عملي ومهني مثل جمهور الحدّادين وجمهور النجارين وجمهور البنائين.

٣ـ يشترط لقيام الرأي العام أن يكون شعبياً لا برجوازياً. نعم، يصحّ أن يخصّص الرأي العام البرجوازي، أمّا الرأي العام بالصيغة المطلقة فالمراد به: الشعبي.

٤ـ هناك رأيٌ خاصّ في قبال الرأي العام مثل رأي الأدباء، وهنا يصحّ بأن نقول «الرأي العام عند الأدباء»، لكن الرأي العام المطلق إنّما يشتمل على الجميع.

٥ـ الرأي العام هو اجتماع الآراء في مسألة أو قضية اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو غير ذلك من المسائل التي تحتمل الجانبين، فيقف البعض إلى هذا الجانب والبعض الآخر إلى الجانب الآخر، ومعنى هذا أنّ الرأي العام هو العموم بشرط أن يكون نافذاً عن اختيار وإقناع بدون إكراه فردي أو إكراه

أجوائي.

٦ـ الآراء التي تفرضها التنظيمات والأحزاب والهيئات والجماعات ذات السلطة على الأفراد بالقهر والقسر لا تسمّى رأياً عاماً، مهما كانت درجة الاتّفاق في تلك الآراء، فالاتّفاق في الآراء ليس اتّفاقاً بقدر ما هو إملاء من الغير قسراً، سواء كان القسر يشعر به الناس أو قسراً لا يشعر به الناس لحبّ، أو لخوف من عدو أو نحو ذلك.

٧ـ الرّأي العامّ الذي يصنع من الهيجان والإثارة والتخويف والترغيب وما أشبه ذلك نتيجة لظروف خاصّة، مثلاً قبل حدوث السيل أو الحرب أو هجوم العدو أو ما أشبه ذلك، من شأنه أنه لا يدوم طويلاً؛ لأنّه لم يكن نابعاً من القلب والاعتقاد والرأي، وإنّما هو رأي جاء به هؤلاء في ظرف خاص ومعيّن. نعم، يصحّ أن نقول: إنّ الرأي العام العالمي ضد هتلر، فإنّ هذا الرأيَ العام طارئ لكنه غير عادي.

٨ـ الرأي العام شيء، ووسائل تصوير هذا الرأي العام أخذاً وعطاءً شيء آخر، مثلاً المذياع والتلفاز وما أشبه ذلك تكوّن الرأي العام، لا أنّها رأيٌ عام، بل هي وسائل سمعية وبصرية لإيجاد الرأي العام، أو الاستفادة منه.

٩ـ لا فرق في الرأي العام أن يكون سلبياً أو إيجابياً، مثلاً الرأي العام الحربي؛ فيما إذا اتجهت دولة إلى الحرب، أو الرأي العام السلمي؛ فيما إذا اتجهت دولة نحو السلم.

١٠ـ التوافق والتخالف في السلطة الديكتاتورية لا يشكّل رأياً عاماً بقول مطلق، بل هو انصياع واتباع للسلطة المفروضة فرضاً.

١١ـ الأفكار الثابتة والبديهية لا تعتبر رأياً عاماً كما أشرنا فيما سبق، فالقول بأنّ التوقّي في فصل الشتاء لازم لا يعتبر رأياً عاماً اصطلاحياً، وإن كان الجميع

يتّفقون على هذا الرأي.

١٢ـ لا يلزم في الرأي العام أن تجتمع عنده كلّ الآراء، بل الرأي العام هو الذي تكفي فيه الشهرة أي هو الذي يمثّل الأكثرية المطلقة لا الأكثرية المقيّدة، مثلاً إذا كان ٩٠٪ رأيهم هكذا فهذا يسمّى رأياً عاماً ولا يعتنى بالباقي وهو ١٠٪ من الذين لا رأي لهم في الموضوع أو ذوي الرأي المخالف.

١٣ـ الرأي العام من الناحية الفعلية هو حصيلة معرفة الفرد، فكلّما كانت معرفة الفرد عينية وحرّة كان رأيه انتقائياً وحراً، أمّا هل أنّه مطابق للواقع أو ليس بمطابق فهو شيء آخر. والكلام الآن ليس في الحقّ والصدق وإنّما في الرأي العام بميزاته وصفاته وخصوصياته.

١٤ـ الرأي العام الناتج عن الخوف وما أشبه ذلك بسبب الديكتاتور المتسلط بالاستخبارات والتهديد والرعب لا يسمّى رأياً عاماً، بل هو رأيٌ ظاهري في الناس تقف وراءه السلطة الطاغية، ومثل هذا وإن كان رأياً عاماً صورياً لكنه رأي عام مخادع وليس رأياً عاماً حقيقياً.

١٥ـ الرأي العام قد يكون يقظاً وقد يكون نائماً، مثلاً الرأي العام الذي هو في معرض العمل والديناميكية هو رأيٌ عام قائم، أمّا أنه لو كان كذا لكان الرأي العام كذا على نحو التعليق. فليس هو برأي عام على الاصطلاح الذي نصطلح عليه في هذا الكتاب.

الثبات

مسألة: من أسباب تكوّن الرأي العام الثبات في الثابتات والتلوّن في المتغيرات، فإن الأصل هو الثبات في غالب الأشياء إلاّ ما خرج. والإنسان بطبيعته ثابت في أغلب الأحيان وفي أكثر أموره إلاّ إذا كان هناك دافع يزيحه عن الثبات إلى عدم الثبات، كالثبات في الأكل في أوقات خاصّة والثبات في ارتداء الملابس بألوان خاصّة في كل الأوقات. فالغالب أنّ الناس لا يحبّون الألوان الصارخة في اللباس أو الألوان البيضاء كاملاً أو الخضراء كاملاً أو السوداء كاملاً إلاّ في أوقات خاصّة، كما أنهم ثابتون في اختيار المنازل الجميلة ذات النافورات والأحواض والحدائق النضرة، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، وهذه الأمور الثابتة هي بطبيعتها تصنع الرأي العام.

فالرأي العام هو المسؤول عن اختيار البيوت ذات السعة المعيّنة وذات الحدائق وما أشبه ذلك.

نعم، كثير من الأشياء لا يريدها الإنسان ثابتة كعدم الثبات في أشكال الملابس؛ ولذا نجدهم يغيّرونها أسبوعاً بعد آخر سواءٌ من حيث التفصيل أو من حيث اللون، وهكذا في كيفية الأكل، فهم لا يعتادون أكلَ لون واحد على طيلة الأيّام وإنّما يلوّنون في مواده وخصوصياته، وغالب النساءَ يردن الثبات على زوجٍ يقتصر على زوجة واحدة ولا يرغبن بالزوج الذي يُقدم على الزواج من زوجة ثانية أو أكثر. وعكس الأمر نجده عند الرجال؛ فهم يحبّون النساء اللاتي يعطين الحرّية لأزواجهن في الزواج مرّة ثانية.

لذا نجد في بلاد الإسلام، في الوقت الحاضر يتزوّج الرجل زوجة واحدة. بينما كانت العادة عند المسلمين في الأزمنة الغابرة الزواج من عدّة زوجات، فالأمر يتأثّر كثيراً بالرأي العام وبالقوانين الوضعية وبالظروف المحيطة بالمجتمع كالظروف الاقتصادية والاجتماعية.

وإذا أردنا أن نعطي المزيد من الأمثلة على أثر الثبات في الرأي العام، ضربنا مثلاً بالمرشح الذي يجبر الناس على لبس زي موحد، فإنّ كثيراً منهم سوف يبتعد عن هذا المرشح ويختارون من يمنحهم حرّية اختيار الملابس.

وقد تنقلب الصورة الثابتة عند بعض الأفراد إلى صورة أخرى، مثلاً: ينتخب الناس رئيساً لأنّهم أحبّوه وتصوّروه قادراً على حلّ مشكلاتهم ويخلصهم من معضلاتهم، ثمّ بعد توليه أربع سنوات أو أقل تراهم يرفضونه بشدّة؛ لأنّهم لم يروه كما زعم من قبل فيختارون بديلاً عنه.



التوازن بين الأهمّ والمهم

مسألة: ينشأ الرأي العام من التدبيرات التي توازن بين الأهم والمهم، فقد نجد الإنسان لا يريد الشيء لكنه يطلبه لأنّ أمره دائر بين الأهم والمهم، كما لو كان الرأي العام مع الحرب بالرغم من أن الإنسان لا يريده؛ لأنّه يراه أهم من عدم الحرب، فالرأي العام حينئذ يكون مع الحرب مع أنّ الواقع وكوامن النفوس لا رغبة لها فيها، لأنّ الحرب معناها نشوء المشاكل والمعوقات.

لكن المحاربين يحاولون أن يبرروا الحرب، لا من أجل توضيح الواقع بل من أجل تبرير مواقفهم مستندين بذلك إلى قاعدة «الأهم والمهم».

وقد أشرنا ـ في بعض كتبنا ـ إلى مسألة «الأهم والمهم» وأنّها قاعدة عقلية قبل أن تكون قاعدة شرعية.

ونرى في القرآن الكريم إشارة إلى قاعدة «الأهم والمهم» ـ كما أوردنا ذلك في كتاب القواعد الفقهية ـ وهو قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1]، وهكذا كان رسول الله ﷺ في مختلف مواقفه وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام في انتهاج سياسة «الأهم والمهم».

وقد يكون الرأي العام بسبب نقص في جانب من جوانب حياة الأمّة، مثلاً

---

(١) سورة يونس: الآية ١٩، وعن قاعدة الأهم والمهم راجع كتاب القواعد الفقهية للإمام المؤلف قدس سره إصدار معهد التعاليم الإسلامية، طهران سنة ١٤١٤هـ.

الدولة الضعيفة؛ حيث تكون ضعيفة في ذاتها وتشعر بالنقص والألم من هذه الناحية، فتميل إلى التعويض عن ذلك بالميل الشديد إلى الاعتزاز بالعظمة والوطنية والسيادة الشخصية والتاريخ المجيد وما أشبه ذلك، ولذا نجد أنّ الحكومات الديكتاتورية التي تعمل على نفض الناس من حولها تميل إلى إظهار نفسها بمظهر القوّة في المناسبات وفي الأزمنة المختلفة كالأعياد الوطنية، فالناس يبررون مواقف بعضهم بهذه الأشكال، وهذا أمرٌ حاكمٌ في الفرد، كما وأنّه حاكم في الشعب أو الأمّة أو ما أشبه ذلك. فغالباً نجد الفرد أنّه عندما يكون على نقصٍ في جانب كالفقر والمرض والغربة، فيعوّض عن ذلك بشيء آخر كالانغماس في الفرح واللعب وما أشبه ذلك.

وإنّ التبديل قد يجري من الداخل إلى الخارج، مثلاً: الجماعة التي تعاني من مشاكل داخلية تحاول أن تنقل هذه المشاكل إلى الخارج نحو عدوٍّ وهمّي، زاعمة بأنّ هذا العدو يريد القضاء عليهم، فينقل العداء الداخلي إلى عداء الخارجي، أو العكس، أي عندما يكون هناك عدوٌّ خارجي ولا تقف الأمّة بوجهه يتحوّل الصراع معه إلى صراع داخلي. فالرغبة في الصراع كامنة في نفوسهم، وإذا لم يصرفوها في مكانها اللائق فإنهم يصرفونها في مكان غير لائق. وهكذا كانت أوربا أيّام الحرب العالمية الثانية، فقد كانت الدول الأوربية على عداء مستحكم، وقد وجدت هذه الدول في النازية مبرراً لنقل العداء الداخلي فيما بينها إلى الخارج لتصبح في مواجهة هتلر، وهكذا الأمر بالنسبة إلى موسيليني، وكذلك في عهد ستالين ومن أشبههم. فالرأي العام في الداخل يتكون بسبب إرادة التبديل ونقل الشيء من مكانه الواقعي إلى مكانٍ آخر، وكذلك قد يكون الرأي العام على العكس من ذلك تماماً،

وفي قبال هذا المثل الذي ضربناه بحالة أوربا في الحرب العالمية الثانية، نجد الحالة المعاكسة عند الدول الإسلامية التي لم تقف بوجه عدوها المشترك وهو العدو الصهيوني فانتقل هذا الصراع من الخارج إلى الداخل.

والنتيجة: إنّ الرأي العام يحصل بأحد أمور أربعة: إمّا بتمثيل النفس بالآخرين، أو بتمثيل الآخرين بالنفس في طرف الإيجاب، أو في الطرف السلبي من الناخبين. وكل هذه الأمور الأربعة إنّما تنشأ للتخفيف عن الألم ولجلب المنافع، وكذلك للحصول على التوافق النوعي أي أن يوافق الإنسان نفسه مع الآخرين، فإذا عمّ هذا الأمر في المجتمع يكون ذلك سبباً من أسباب الرأي العام؛ إذ الإنسان بطبيعته يشعر باحتياجه للأمن والأمان والوصول إلى حوائجه وأهدافه الواقعية، وحيث يعرف الإنسان أنّه لا يستطيع أن يكون متوافقاً دائماً مع الآخرين لكن ميله إلى التوافق هو الأمر الغالب عليه، لأنّ مصلحته في التوافق أهمّ من مصلحته في الانفراد بنظرياته الشخصية، فالناس يتعلّمون فائدة التوافق ومزاياه منذ صغرهم. فابتداءً ينطلقون في التوافق مع أسرهم ثمّ مجتمعاتهم الصغيرة ثمّ مجتمعاتهم الكبيرة.

إنّ الأفراد بطبيعتهم يفضلون الوصول إلى الهدف الأهم على الوصول إلى الهدف المهم، أمّا ما يستشكل على الحكومات الديمقراطية بأنها تجعل الشعب إمّعة للقادة، فهم كالغنم الذين يتبعون الراعي الذي يتقدّمهم، فهو أمرٌ غير صحيح، فالديمقراطية في قبال الديكتاتورية، والديكتاتورية هي أسوأ بكثير من الديمقراطية؛ حيث يتبع كلّ الناس قائداً واحداً هو الديكتاتور، بينما في الديمقراطية يتّبع كلّ جماعة قائداً هو أميل إلى أهوائهم، مثلاً القائد الديكتاتور يريد تقوية الصناعات الخفيفة بينما الناس على قسمين: قسمٌ منهم

يريد تقوية الصناعات الخفيفة وقسمٌ منهم يريد تقوية الصناعات الثقيلة، وهكذا بالنسبة إلى الزراعة والتجارة، فيعطى الحقّ للرأي العام في الديمقراطية أكثر ممّا يعطى الحقّ في الديكتاتورية.

وعلى أي حال: فالرأي العام إنّما يتكون فيما يتكوّن من إرادة التوافق بين الآراء المختلفة وملاحظة قانون الأهم والمهم.



التبسيط

مسألة: ينبغي التوجّه إلى قاعدة التبسيط في صنع الرأي العام، والتبسيط عبارة عن إرجاع شيء تؤثر فيه مؤثرات متعدّدة إلى مؤثّر واحد؛ وذلك لسهولة هذا الأمر والارتقاء إلى عدّة عوامل، فهو شيء صعب بالنسبة إلى عامّة الناس؛ لأنّهم لا يتمكّنون أو لا يريدون التفكير في المؤثر الحقيقي من كلّ جوانبه، فالغالب أنّ الناس يردّون أمورهم بين ضدين بلا ملاحظة أنّ هناك أضداداً أخرى. فمثلاً يتصوّرون أنّ الأشياء بين أبيض وأسود، أو أنّ الإنسان فقيرٌ أو غنيٌ، أو عالم أو جاهل، فلا يتصوّرون ما عدا الأبيض والأسود من الألوان الأخرى كالأحمر والأخضر والأصفر، ولا يتصوّرون أنّ الغني والفقير هما لفظان فضفاضان، فالفقير ذو مراتب والغني فيه مراتب، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأضداد، نعم إذا دار الأمر بين الوجود والعدم يكون للنقيضين اللذين لا ثالث لهما، مثل أنّ الإنسان إنّما هو موجود أو معدوم، وهكذا.

نعم، هناك أضداد لا ثالث لها مثل النور والظلمة بناءً على القول بأنّهما ضدان. ولاشكّ أنّ في النور أيضاً أقساماً وفي الظلمة أقساماً، ولهذا قال ﷻ بالنسبة إلى الظلمة الشديدة التي فيها الكفار: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1]، مثلاً يقال: «إنّ المرشح الفلاني

---

(١) سورة النور: الآية ٤٠.

إنسان رؤوف بالناس» وكلّهم يردّدون أنّه رؤوف بالناس؛ ولذلك ينتخبونه في وقت الانتخابات، وإذا كانت صفة الرأفة غير كافية لانتخاب صاحبها من قبل الناس، فهناك الحزم، وهناك إدارة البلاد، وهناك تحسين أوضاع الناس، إلى غير ذلك من الأمور. فإنّ التبسيط يوجب الانسياق وراء ذلك السبب المبسط، بينما الأسباب المتعدّدة هي التي تتدخّل في الانتخابات، وغالباً ما تساعد اللغة على هذا الشيء؛ إذ تساعد الفرد على أن ينظر إلى شيء أو إلى شخص أو إلى موقف على أساس غير واقعي، بنظرة أنّه أبيض أو أسود، بينما الأبيض له مراتب والأسود له مراتب، فليس بينهما كل البعد وإنّما بعض البعد، هذا بالنسبة إلى غالب الناس، أمّا الرأي العام المطّلع على ما ذكرناه، فإنّه يستند في قراراته إلى واقع المعرفة لا إلى القبول أو الردّ البسيطين بل يستند بالإضافة إلى ذلك إلى التفهّم والإدراك والتمحيص وتحقّق أكبر عدد ممكن من العوامل الواردة المتعلّقة بهذا الموضوع؛ فلذا يكون أقرب إلى الواقع؛ لأنّ الأسباب ليست كلّها ظاهرة عندنا وإنّما الظاهر ممكن فحصه وتمحيصه.

وبهذا الصدد يقال: إنّ المرض المحدد يضره اللبن ضرراً مطلقاً. وقد جيء بطبيب حاذق، وهو أخ المجدد الشيرازي ـ واسمه السيد أسد الله ـ إلى مريض ابتلي بمرض، فوصف له اللبن فقالوا له: إنّه يضر ولا ينفع وأحياناً يقتل المريض. قال: «هل تعلمون أنّ هذا المرض له ثلاثون قسماً: تسع وعشرون من الأقسام يقتله اللبن أما القسم الأخير وهو الذي ابتلي به المريض فإنّما شفاؤه في اللبن» وبالفعل فقد برئ من مرضه.وهكذا القول بأنّ كلّ مريض ينفعه الإسبرين، بينما اللازم على الطبيب أن يفحص المريض ليعرف إذا كان هذا الدواء ينفعه أو لا ينفعه، وكذلك في العلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية وغيرها، ولذا قال بعض علماء الغرب بهذا الصدد: «إنّ القضايا

والمقولات اللفظية، وكذا التعاريف الموجزة للفعل أو الإجراء، تكون هامّة إلى أقصى حدّ عندما لا يكون الرأي محدّد المعالم، وعندما يكون الناس على استعداد لقبول ما يوحى إليهم من مصدر موثوق به يسعون إليه ليزودهم بتفسير ما أو آخر»[١]. ولذا ورد في الحديث: (**أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله**)[٢]، فالواضح أنّ من يجمع العقول إلى عقله يقلّب وجوه الآراء ويعرف الضارّ والنافع ويعرف الضار والأضر والنافع والأنفع، ولهذا يصيب الهدف أفضل من غيره.

ومن اللازم على الحكومات الصحيحة أن تربّي الناس على التحقيق والفحص والتمحيص حتّى يصلوا إلى الهدف أو إلى ما قبل الهدف بشيء قليل، ولا يكونوا بعيدين عن الهدف بأميال.

والحاصل: أنّه يجب على الإنسان الذي يريد إصابة الواقع أو قريباً من الواقع أن يجمع ألواناً من المعرفة بالإضافة إلى السمو الروحي والاستشفاف النفسي حتّى يتمكّن من الوصول إلى الهدف أو يتمكّن من قرب الوصول، وكمثال على ذلك نقول إنّ الحركة الجزائرية والحركة الهندية كلتيهما كانتا حركتين تهدفان إلى الاستقلال، لكن إنّ حركة الجزائر كانت أعنف، ولذا قتل تسعة ملايين جزائري مليون ونصف ناهيك عن انهدام الاقتصاد وكثرة المشوهين والمعاقين إلى غير ذلك. حتّى تمكّنوا من النجاة من الاستعمار الفرنسي[٣]، بينما حركة

---

(١) راجع الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص١٥٢ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

(٢) جاء في كتاب الانتصار: ص٢٥٤ عن علي ﷺ: (رحم الله من ضمّ عقول الناس إلى عقله). وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ص٣٨٢: (أعقل الناس من شارك الرجال في عقولها).

(٣) احتلت فرنسا الجزائر في الخامس من تموز سنة ١٨٣٠م ودام هذا الاحتلال ١٣٢ سنة.

الهند التقليدية بقيادة حزب المؤتمر الهندي [1] كانت حركة لم تنتهج العنف وقد تمكّنت من تحرير الهند ذات الأربعمائة وخمسين مليون نسمة في سنة ألف وتسعمائة وسبع وأربعين ميلادية بدون خسائر فادحة، وإنّما كانت الخسارة التي وقعت وهي أربعة ملايين قد وقعت حين انفصال الهند عن الباكستان [2]، فكان ذلك خطأ من الأخطاء؛ حيث أنّ بعض زعماء حزب المؤتمر الهندي كانوا يطالبون بإعطاء الأكثرية من الأقلّية المسلمة حقوقها حتّى لا يضطروا للانفصال، بينما أكثرية أعضاء حزب المؤتمر كانوا يطالبون بعدم إعطاء الأكثرية من الأقلّية المسلمة حقوقها، ممّا اضطر المسلمين إلى طلب الانفصال، هذا بالإضافة إلى ما وقع من المآسي التي لازالت تحدث إلى يومنا

وقامت ثورات عديدة ضد هذا الاحتلال، أبرزها ثورة عبد القادر الجزائري، وثورة إخوان الطيبة، وثورة أبو خضرة، وثورة أولاد سيدي الشيخ، وثورة الحاج محمد المقراني. وقد واجه الاستعمار الفرنسي هذه الثورات وغيرها بكل قسوة وعنف، حتى أنهم قتلوا في اليوم الثامن من أيار سنة ١٩٤٥م أكثر من خمسة وأربعين ألف مواطن جزائري. وشكلت الحكومة المؤقتة الجزائرية في ١٩ أيلول سنة ١٩٥٨م برئاسة فرحات عباس معلنة انتهاء الاستعمار الفرنسي، وتحقق الاستقلال في آذار سنة ١٩٦٢ وعين أحمد بن بيلا اول رئيس للجزائر.

(١) حزب المؤتمر: أسّسه مجموعة من المفكرين الهنود، في مجتمع يتكون من مائة وخمسين مذهباً وسبعمائة لغة وثلاثة آلاف قومية وستمائة حكومة لمقاومة الاستعمار البريطاني سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م) وعقد مؤتمره التأسيسي في بومباي من نفس السنة، وقد تناوب على رئاسته عدّة زعماء، منهم: دادا بيه ناروجي، وكوخال، وكرفال ميها وبيلاك، وغاندي، ونهرو، وشاستري، وانديرا غاندي، وقد حقّق الحزب مكاسب جمّة للشعب الهندي وعلى رأسها استقلال البلاد سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وفي سنة ١٩٧٧م حدث انشقاق في الحزب، فجناح تزعمته أنديرا غاندي وآخر تزعمه سردار سينغ وي شافان، ومن بعد أنديرا غاندي تزعم ابنها راجيف ثم ب ف ناراسيمهاراو. راجع موسوعة السياسة: ج٢ ص٥١٩ و«عند قدمي غاندي» لبراسات، و«قصتي مع الحقيقة» لغاندي، و«لمحات من تاريخ العالم» لنهرو.

(٢) حدث ذلك في سنة ١٩٤٧م عندما أعلن محمد علي جناح قيام دولة إسلامية اسمها الباكستان.

هذا، وقرابة خمسين سنة من مأساة كشمير أولاً، ومأساة انفصال بنغلادش[1] ـ الباكستان الشرقية ـ عن الباكستان الغربية ثانياً، وفي الحرب بين الهند والباكستان قتل أكثر من ثلاثة ملايين.



(١) كانت بنغلادش قبل آذار سنة ١٩٧١م تدعى باكستان الشرقية، وكانت تشكل إحدى المقاطعات الخمس التي تؤلف باكستان بعد انفصالها عن الهند سنة ١٩٤٧م، وانفصلت بنغلادش في عهد مجيب الرحمن وبتشجيع من الهند ضد الباكستان. راجع موسوعة السياسة: ج١ ص٥٧١.

علاقة التفكير بالتناقض والتضادّ

مسألة: من أسس الرأي العام أنّ الأمر إمّا هذا وإمّا ذاك، وهذه حقيقة بالنسبة إلى التناقض ـ وهو إمّا وجود أو عدم ـ، ومن المحال جمعهما، كما وأنّه من المحال رفعهما، وهذا المنطق ينسب إلى أرسطو، أمّا منطق الديالكتيك فليس أكثر من مغالطة صريحة، وقد أشرنا إلى هذا الأمر في بعض كتبنا[1]، كما ألمعنا إليه سابقاً.

نعم، كون الأمر إمّا هذا أو ذاك لا يمكن جمعهما ولا يمكن نفيهما خاصاً بالتناقض. أمّا في غير التناقض فلا يصحّ هذا الترديد؛ لإمكان أن يكون وجودين ولإمكان أن يكون عدمين، فلا يصح عند العقلاء أن يقال: اللون إمّا أبيض أو أسود؛ لإمكان عدمهما بأن يكون أصفر، كما لا يصح أن يقال: هذا إمّا إنسان وإمّا حيوان؛ لإمكان أن يكون كلاهما وهو الإنسان؛ حيث أنّه حيوانٌ وإنسان، ولذا فاللازم في الحصر أن يعرض على أنّه من التناقض أولاً فإن كان من التناقض صح الحصر بين هذا أو ذاك، وإذا لم يكن من التناقض لم يصح ذلك، فقول بعضهم: «الأشياء دائماً بين هذا وهذا» غير صحيح. مثلاً: يقول بعضهم اللون إما أبيض أو أسود، والناس إما أخيار وإما أشرار، والشخص إما غني أو فقير، والمعتمد إما خائن أو أمين، والحكومة إما ديمقراطية أو غير ديمقراطية، فإنّ هناك فرقاً بين أن يقال: هكذا، وهو صحيح. وبين أن يقال:

---

(١) راجع كتاب: نقد النظرية الديالكتيكية للمؤلف ﷺ.

الحكومة إما ديمقراطية أو ديكتاتورية، وهكذا بالنسبة إلى كلّ ترديدين. أمّا ظهور القضايا فاللازم أن تقاس بالمنطق، ولذا يقال للمنطق: نظام العلوم.

وحاصل المنطق يرجع إلى الأشكال الأربعة بشرائطها المعروفة، وأن يكون في موادها من الصناعات الخمس، والصناعات الخمس ليست كلّها برهانية وإنّما البرهان إحدى الصناعات الخمس كما ذكر في المنطق.

ثم إنّ المنطق الأرسطي ليس إبداعاً من أرسطو وإنّما كشفاً منه، كما أنّ قانون أرخميدس[1] ليس إبداعاً منه وإنّما هو كشف.

وعلى كلّ: فمن أسس الرأي العام التفكير، إمّا هذا وإمّا هذا في المنطق التناقضي، وعدم إمّا هذا وإما هذا في غير التناقض.

نعم، هناك أشياء عقلية أخرى ترجع إلى التناقض في استحالتها، مثلاً: التضاد، وكون الكلّ يساوي الجزء، والدور كلّها محال؛ لأنّها ترجع إلى التناقض، وكلّ ما لا يرجع إلى التناقض فليس محالاً، حتّى وجود شريك الباري محال، لانهُ راجعٌ إلى التناقض أيضاً.

ولا يخفى أنّ الناس في غير التناقض وما ترجع إليها المحالات لا يكون تفكيرهم صحيحاً على الأغلب؛ لأنّ تفكيرهم يرجع إلى الإطلاق بين الأمور النسبية، مثلاً: فلان ناجح أو فاشل ليس على إطلاقه وإنما يجب أن نعرف أنّ الفشل له درجات كما وأن النجاح له درجات.

نعم، الدرجة الأخيرة من النجاح والدرجة الأخيرة من الفشل متقابلان، ولا يعقل جمعهما ولا يعقل رفعهما بالنسبة إلى الموضوع القابل، وإنّما ذكرنا موضوع القابل لأنّ في غير موضوع القابل لا يصدق لا هذا ولا ذاك.

---

(١) وينص قانون أرخميدس على ان كل جسم إذا ما غُمر في سائل يتلقى دفعة عمودية من أسفل إلى أعلى توازي ثقل ما شغل مكانه من السائل. راجع المنجد في الاعلام: ص٣٢.

مثلاً الإنسان إمّا عاقل وإمّا مجنون، أمّا الله ﷻ فليس بعاقل ولا بمجنون؛ لأنّ الله ليس محل ورود هاتين الصفتين، كما أنّه لا يصح أن يقال: الحائط إمّا سميع أو أصم؛ لأنّ الحائط ليس موضعاً قابلاً لهاتين الصفتين؛ فالسمع والصمم يمكن نسبتهما للإنسان والحيوان والملك والجن ومن أشبه. وهذه مباحث فلسفية ليست من شأن هذا الكتاب التعرّض لها، وإنّما أردنا الإشارة إلى أنّ التفكير بالنسبة إلى التناقض والتضاد وسائر المحالات وما أشبه، فكذلك التفكير النسبي هو أساس الرأي العام.



العاطفة والرأي العام

مسألة: العاطفة لها سلطة على الإنسان غير الحكيم حيث ترجّح عنده على سلطة التعقّل، وهذا السلوك يطلق عليه في الشريعة الإسلامية بالهوى؛ ولذا قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1]، وإنّ الأمر يتطلب خوفاً من الله ﷻ، والخوف من الله ﷻ عبارة عن تقييم الأشياء بموازينها الواقعية، لذا نرى أنّ بعض المدخنين بل أكثرهم يعترفون بأنه ضار لكنهم مع ذلك يرجحون العمل بهواهم وتقديمه على عقولهم فيدخنون، ثم ينتهي أمر جماعة منهم إلى الهلاك بالسرطان[2] أو أمراض أخرى.

---

(١) سورة النازعات: الآيتان ٤٠-٤١.

(٢) ذكرت الإحصاءات أنه يموت سنوياً خمسة ملايين شخص بسبب التدخين، وأن ٣٠٪ من السرطانات سببها التدخين، فقد ذكرت المصادر العالمية: أن ٨٧٪ من سرطانات الرئة، ونحو ٩٦٪ من سرطانات الحنجرة، و٧٦٪ من سرطانات المريء، و٢١٪ من سرطانات عنق الرحم سببها التدخين، وأنّ أربعة آلاف وسبعمائة مادة سامة توجد في السيجارة الواحدة، وإن التدخين يولد الإكتئاب عند الإنسان، لأن النيكوتين يؤثر على الخلايا الدماغية المرتبطة بالإكتئاب. علماً بأنّ منطقة الشرق الأوسط وحدها تستهلك يومياً أكثر من ثمانية مليارات سيجارة، يقدر ثمنها بـ ٢,٥ مليار دولار، وهذا المبلغ يكفي للقضاء على الأمية في هذه المنطقة، وفي أمريكا وحدها أكثر من خمسين مليون شخص يتعاطى السجائر، إن مدمني التدخين الذين بدؤوا في سن الخامسة عشر معرّضون لخطر الوفيات بسبب سرطانات الرئة بواقع واحد من خمسين، وفي غير أمريكا بواقع واحد من ثمانمائة. وإن الشخص الذي يدخن علبتين من السجائر في اليوم ينقص خمس سنوات على الأقل من عمره المتوقع.

تشخيص القضايا

مسألة: يجب التوجّه إلى التشخيصات الحقة لكل فرد والتي يستلهمها من واقعه ورؤيته للأحداث، فإن لكلّ إنسان تشخيصاته التي يأخذها من مختلف مناحي الحياة، وهذه المناحي هي الدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، مثل تشخيصه أنّ إله الكون هو الله أو الصنم، وأنّه من الأفضل أن يتزوّج زوجة واحدة أو أكثر، وأن تجارة الطعام أهم أنواع التجارة لاحتياج الناس إليها، أو أنّ تجارة القماش أفضل وأغلى من تجارة الأطعمة، وأنّ الأفضل في عالم الصناعات التوجه إلى الصناعات الخفيفة ـ لا الثقيلة ـ، أوالتوجّه إلى الصناعات الثقيلة ـ لا الخفيفة ـ، ونحو ذلك من الأمور الكثيرة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر: فإنّ المفاهيم العامّة تشخص في أمور خارجية كالعكس أي الأمور الخارجية توسّع في كليات عقلية، مثلاً: مشخّصية الأخلاق الرفيعة يكمن في سلامنا على كلّ واحد واحد. أو مشخّصية أنّ الشمس نجمٌ يبزغ في النهار، كما أنّ الحرّية والعدالة والقانون والدين وألوف المفردات الأخرى تشخّص في الخارج من قضايا شخصية، فالإنسان إنّما يعاشر القضايا الشخصية لا الكلية، وإنّما الكلّيات محتاجة إليها في التطبيقات الجزئية الخارجية، وبهذا الصدد يقول أحد علماء الغرب: «إنّ العاطفة التي تتحقق بواسطتها في عقل الفرد أسرته أو ناديه أو قريته أو بلاده إنّما تنبعث من صور غامضة وشخصية إلى حد كبير، وإنّ الدافع الذي نحسُّ به لتشخيص بلادنا أو أي شيء آخر يوقظ عاطفة قوية فينا، وإنّما يدلّ على أنّ

تصوّراتنا شخصية جداً إلى درجة أنّ شعورنا العميق يربط نفسه بصورة شخصية يتعذّر اجتنابها»[1].

والرأي العام غالباً ما يتكوّن من هذه المشخّصات والتشخيصات، فالكلّيات والجزئيات والتطبيقات هي التي تدفع بالإنسان إلى العمل والحسن والقبح والثواب والعقاب وغير ذلك، وكلّما كانت تلك أقرب إلى الواقع يكون الرأي العام أقرب إليه، ولذا فاللازم أن يبحث الإنسان ويفحص في المفردات، هل هي مصاديق عن تلك الآراء الكلية التي اتخذها قطعياً أم لا؟

كما أنّه يجب عليه أن يفحص في الكليات هل هذه الكليات صحيحة أم غير صحيحة؟ وهل هي على الصحيح الذي يقول به المنطق الأرسطي، أم صحيح المنطق الديالكتيكي من جهة الكليات التي يتصوّرها كل منطق من هذين المنطقين، وإذا تحقّقت صحّة المنطق الأرسطي فهل من الصحيح أن الشكل الرابع مثلاً من الأشكال الأربعة والتي شرائطها كذا وكذا أو من التي شرائطها كذا وكذا إن هذا مما يعرف بالكليّات القطعية أو بالاستقراءات العامّة، مثلاً: «كلّ حيوان يحرّك فكّه الأسفل عند المضغ» إنّما يعرف بسبب الإحصاءات الدقيقة والاستقراءات العامّة؛ لأنّه لا شأن للعقل والنظر في هذا الجزئي، أمّا أنّ الضرب أو الجمع أو الجذر أو المقابلة نتائجها كذا وكذا، فإنّما تعرف بالكليّات القطعية في ذهن الإنسان، وأحياناً تكون النتائج قطعية لكن ليس من باب الحساب والرياضيات، بل من باب البداهة، مثلاً: إنّا لم نذهب إلى الصين أبداً لكنّا نعلم علم اليقين أن نيران الصين أيضاً تكون حارّة كنيران العراق، وهكذا العقل والعاطفة شيئان يحسّ بهما الإنسان في داخله وإن كانا مجهولين

---

(١) راجع الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص٢٠٩ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

في حقيقتهما كجهلنا لكثير من الأشياء ومعرفتنا الضئيلة المتواضعة التي لا تتجاوز أقلّ من الذرّة بالنسبة إلى العالم الواسع، كما يعرف ذلك بالتأمّل والتفكر، ومع ذلك فإن العقل عقالٌ يمنع الإنسان من ممارسة الأمور غير المناسبة، سواء كانت ممارسة ذهنية أو ممارسة خارجية، بينما العاطفة ميل إلى جانب من الجوانب من غير تساقط العقل.

وعلى سبيل المثال: فإنّ العاطفة المشهودة تقتضي بذل كلّ أموالك لتقي جائعاً يرتجف من البرد هو وأطفاله على قارعة الطريق في شتاء قارص بينما العقل يمنع من ذلك، وهكذا نسبة العقل مع كل إفراط أو تفريط في الجبن أو الشجاعة أو البساطة أو التدقيق أو غير ذلك من أطراف الضد والنقيض لكن بقدر ما للعقل من فائدة فللعاطفة ذلك أيضاً؛ إذ لولا العاطفة لم يتحرّك الإنسان لنصرة المظلوم ودفع الظالم وإعطاء الحقوق، ولم تكن له لذّة فكرية في ما يتلو من الأشعار والأقوال والأعمال العاطفية إلى غير ذلك، ولذا فكما أنّ للعقل أهميّة كبيرة بالنسبة إلى الرأي العام في مجالات الاقتصاد والسياسة والدين والتعليم وما أشبه ذلك، فللعاطفة نفس تلك النسبة، فهما وإن كانا في مجالين لكن الرأي العام ينجم منهما معاً، كالخطيب الذي يستعين بالعاطفة التي تؤثّر في تعقّل الجماهير، إذ لولا الجذب إلى هذا الطرف لا يعتدل الشيء المحمول الذي مال إلى الطرف الآخر، كما نرى فيمن يسوق حيواناً فوقه شيء، فإنّه إذا مال إلى جانب أخذه بشدّة وجذبه إلى الجانب الآخر حتّى يعتدل، وهكذا حال رجل الإعلان والواعظ ممَّن يقومون بعملية الاتّصال مع الجماهير، فالناس يريدون شيئاً منهم لكن بشرط أن يكون الشيء المراد على نحو العقل لا على نحو العاطفة، فقد فرّق أحد الفلاسفة بين الاستعمال المسموح به والاستعمال غير المسموح به للاتّصال لتحقيق هاتين الاستجابتين، قال هذا

الفيلسوف: «فالشعر والنثر والخطابة العاطفية مجالات مشروعة للأحكام العاطفية، أمّا الأحاديث السياسية والاقتصادية وما أشبه ذلك فيجب أن تتجنّب الألفاظ المتسمة بالعاطفة»، فاستخدام الكلمات والإشارات في الخطابات والأعمال التي تتسم بالعاطفة لها موضعها، لكنها ضارة حينما نحاول التفكير بوضوح في موضوع يدور حوله الجدل، كالفقه والأصول والأدبيات والفلسفة والسياسة والاجتماع والاقتصاد وما أشبه ذلك، وإنّما جاز في الشعر ما لا يجوز في غيره، وجاز في غيره ما لا يجوز في الشعر؛ لأنّ في الشعر كبعض أنواع النثر الذي هو بمنزلته في إثارة العواطف كقول المنطقيين في التخييل.

ومثال على ذلك هذا البيت الشعري:

ألا فاسقِني خَمراً وقل لي هِيَ الخَمرُ ... ولا تَسقِني سِراً إذا أمكَنَ الجَهرُ[1]

---

(١) للشاعر أبي نواس من البحر الطويل، وهو البيت الأول من قصيدة تحتوي على ١٢ بيتاً. راجع ديوان أبي نواس: ص٢٤٢ وديوان الخمريات تحقيق الدكتور أسعد ذيبان ط دار المسيرة.

وأبو نواس هو الحسن بن هاني بن عبد الأوّل بن الصباح، وأن جده كان مولى الجرّاح بن عبد الله الحكمي والي خراسان، فنسب إليه؛ وإنّ أباه كان من جند مروان. ولد أبو نواس في الأهواز سنة ١٤٥هـ (٧٦٢م) ومات سنة ١٩٨هـ (٨١٣م) ، مات أبوه وهو رضيع وانتقلت به أمه إلى البصرة وبقي فيها حتى سن الثلاثين، درس عند أبي عبيدة وخلف الأحمر وأبي زيد الأنصاري ويحيى بن القطّان وأزهر السمّان، واتصل بالبرامكة وآل الربيع وبهارون العباسي ثم قصد الخصيب في مصر فمدحه ثم هجاه. ولما صار الأمين خليفة جعل أبا نواس شاعره الخاص وعندما وقع النزاع بين الأمين والمأمون على الحكم، استغل المأمون هذا البيت الشعري لمحاربة الأمين وشاعره أبو نواس، حيث كتب المأمون كتاباً في عيوب أخيه الأمين يقرأ على المنابر وفي المساجد، وذكر فيه أن الأمين استجلس شاعراً ماجناً وكافراً واستخلصه ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ويهتك المحارم. من آثاره: ديوانه «الندى» الذي يتضمن ١٢ ألف بيت من الشعر في الخمر والمجون والغزل والمدح والرثاء والهجاء. راجع: أدباء العرب: ج٢ ص٦٠، تاريخ الأدب العربي لحنّا فاخوري: ص٣٨٧، روضات الجنات: ج٣ ص٣٨، شذرات الذهب: ج١ ص٣٤٥، خزانة الأدب: ج١ ص١٦٨، تاريخ

حيث فسّر أحد المعلمين هذا الشعر لتلاميذه قائلاً: «إنّ الشاعر كان في غاية المعرفة فأراد أن يستفيد من الخمر بحواسه الخمسة؛ حيث إنّه يأخذ كأس الخمر فيلمسه بيده ويتذوقه بلسانه ويشمّه بأنفه ويسمعه بأذنه حيث قال: قل لي هي الخمر. أمّا العين فإذا كانت في النور فترى الخمر وتلتذ، وإذا لم تكن في النور لم تلتذ برؤيته، ولذا قال ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر، والمراد بالجهر والسرّ: النور والظلام».

وقد قال الشاعر حين سمع هذا المعلّم يعلق بهذا التعليق على شعره: بأنّه لم يقصد هذا الأمر الجميل الذي قاله المعلم وإنّما أضاف المعلّم جمالاً إلى الشعر بذلك التفسير.

وكيفما كان: فالمقصود الآن من كلام العقل والعاطفة أنّ هذين الأمرين صانعان للرأي العام، لأنّ الرأي العام إنّما يؤخذ من العقل والعاطفة معاً، فإذا استعمل العقل في موضعه في ألوف المواقع، واستعملت العاطفة في موضعها في ألوف المواقع تكونّان الرأي العام الصحيح، أمّا إذا زاد أحدهما على الآخر كان فيه الخبال والانحراف، فالواضح أنّه كلما تقدّم العمر وكثرت التجارب ونضجت كفاءات الإنسان، أصبح أقل عاطفة وأكثر تعقّلاً، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام (رأي الشيخ أحب إليّ من جَلَد الغلام)[1]، فمواقف الشباب

الأدب العربي لكارل بروكلمان: ج٢ ص٢٤، تاريخ بغداد: ج٧ ص٤٣٦، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٥٠١، مرآة الجنان لليافعي: ج١ ص٤٤٩، تاريخ دمشق: ج١٣ ص٤١١، أعيان الشيعة: ج٥ ص٣٣١، مستدركات أعيان الشيعة: ج١ ص٢٩، نوابغ الرواة في رابعة المئات: ص١٠٣، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص١٩٨، الأعلام للزركلي: ج٢ ص٢٤٠.

(١) نهج البلاغة: ص٤٨٢ قصار الحكم، الحكمة ٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٣٢٧، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤١ القسم الأول ب١ الفصل الأول ح١٤، خصائص الأئمة: ص٩٥، بحار الأنوار: ج٧١ ص١٧٨ ب ١١ ح١٩، ط بيروت.

ومكوناتها العاطفية تتكرس بسبب التجارب والنضج والتقدّم، ولذا نرى الفرق الكبير بين الشباب والشيوخ في مختلف المواقف، مثل الرغبة في الأمن وحبّ المال وإسقاط الامتيازات الطبقية والعنف في حلّ المنازعات والتعصّب العنصري وغير ذلك، فالشباب أكثر حدّة ونشاطاً واندفاعاً في هذا الأمور من الشيوخ الذين أنضجتهم التجارب.

بين الخوف والأمن

ثمّ من العواطف المؤثّرة في الرأي العام عاطفة الخوف، فالخوف يدفع بالإنسان إلى أن يبادر إلى أي شيء يزيله، وحيث يسيطر الخوف على الناس يتكون الرأي العام بفعل شيء يزيل ذلك الخوف من غير فرق بين الخوف من الآخرة أو من أمور الدنيا؛ كالخوف من الفقر والخوف من المرض والخوف من العدوّ والخوف من السيل والخوف من الزلازل ومن المستقبل والشيخوخة وألف شيء وشيء.

ولذا يعرف أصحاب الإعلانات كيف يتصيّدون في الماء العكر لتأميم سفينة أو طائرة أو سيارة أو أمتعة البيوت وحتّى الخوف على أسنانهم من معاجين خاصّة أو مساحيق الأطفال أو المضادات الحيوية للأمراض المحتملة مثل تساقط الشعر والإيدز وما أشبه ذلك.

ومع تعدّد نواحي الحياة انتشرت المخاوف الشخصية في الولايات المتّحدة في نهاية الخمسينيات، وقد وجد أساتذة علم النفس في بعض المعاهد أنّ ثمانين بالمائة من الناس يعانون من مخاوف المتاعب المالية، وأربعاً سبعين يعانون من مشاكل الأمن على أعمالهم، وتسعاً وستين يعانون من مشكلات صحّية حقيقية ومشكلات صحّية متوهّمة، وتسعاً وخمسين يعانون من

مظهرهم الشخصي، وأربعاً وأربعين يعانون من متاعبهم الزوجية، وسبعاً وثلاثين يعانون من مشكلات دينية، وأربعاً وثلاثين يعانون من سلوكهم الجنسي، وستاً وخمسين يعانون من حالات الخوف والهلع على سياسة الدولة، وثلاثاً وثلاثين يعانون من القلق على أقربائهم.

كما إنّ الخوف قد يكون من جهة من الجهات المرتبطة بالإنسان نفسه، وقد يكون من جهة غير مرتبطة بالإنسان مثل معسكرات الاعتقال في الاتحاد السوفيتي سابقاً، والتعذيب في العراق في العهد الجمهوري، وغسل الدماغ في الحكومات الديكتاتورية، حيث توجب تلك الأمور ألم الإنسان، فالإنسان بالمشاركة الوجدانية مع الأفراد الآخرين يسري إليهم خوفهم لأنّ العالم أصبح قرية واحدة[1]، بعضها قرب بعض، ويسري الخوف من مكان إلى آخر، ولذا يدفع الخوف وسائل الإعلام ورجال السياسة ومختلف الزعماء لركوب الموجة تمهيداً لوصولهم إلى ما يريدون، فمن الواضح أنّ المضاد للخوف هو الأمن، والأمن قد يحصله الإنسان بقوّته الشخصية وهو قليل، وقد تحصله الجماهير بسبب إيمانها بالله واليوم الآخر؛ حيث قال ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، وقد يحصل الإنسان على الأمن نتيجة عامل مزيل لذلك الخوف كشركات التأمين ووسائل العلاج.

---

(١) القرية الواحدة اصطلاح صاغه عالم الاجتماع الكندي ماك لوهان أثناء الحرب الأمريكية ـ الفيتنامية، عندما تنبأ بخسارة أمريكا للحرب قائلاً: «ستخسر أمريكا الحرب، لأنّ هذه الحرب تحوّلت إلى حرب تلفزيونية، والتلفزيون بدوره قد حوّل العالم إلى قرية عالمية، وسكان هذه القرية لن يسمحوا للولايات المتحدة في مواصلة قصف فيتنام إلى ما لا نهاية».

(٢) سورة يونس: الآية ٦٢.

الرأي العام وقداسته

مسألة: إنّ الرأي العام ليس مقدساً إلى ذلك الحدّ الذي يقدسه البعض، إذ المقدّس هو الموازين المنطقية العقلية ممّا ذكره المنطقيون من الأشكال الأربعة والصناعات الخمس[1]، أمّا الرأي العام فيدلّ على عدم قدسيته ما نشاهده من رأيين عامين على طرفي نقيض في بلدين مثل بلاد الشيوعية وبلاد الرأسمالية، كما نشاهد من تبدّل الرأي العام إلى رأي عام مخالف، بينما التناقض لا يمكن تحقّقه إطلاقاً، وكذلك الرياضيات؛ لأنّ الرياضيات أيضاً مبتنية على قواعد المنطق كالتناقض في استحالة جمع ورفع وتضاد، واستحالة أن يكون الجزء مساوياً للكلّ أو أعظم منه، واستحالة الكيف، إلى غير ذلك مما ذكر في المنطق، كما وأنّه لا يمكن للرأي العام أيضاً أن يقدّم الحلول لجميع المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما أشبه ذلك وإن زعم بعض الناس ذلك.

وهكذا حال الإحصائيات التي تعارفنا عليها في هذا الزمان، فإنّ الإحصائيات غالبية لا دائمية، مثلاً يحقّق صحافي عن ألف إنسان حول أنّ فلاناً أفضل من فلان حتى يرشح للانتخابات ويعطى زمام البلاد، بينما نشاهد

---

(١) ملَكَة نفسانية وقدرة مكتسبة، يستطيع عبرها استعمال الأمور لغرض من الأغراض صادراً ذلك الاستعمال عن بصيرة بحسب الإمكان، وهذه الأمور هي: البرهان، الجدل، الخطابة، الشعر، المغالطة.

أنّه بعد ذلك إذا وصل إلى الحكم كان أسوأ النفرين، بدليل أنّه يرشح بعد ذلك النفر الثاني ويكون أفضل للحكم، وذلك نتيجة لما ذكرناه سابقاً من وجود عوامل كثيرة تصل إلى الهدف لا عامل واحد أو عاملان أو ثلاثة، ومع ذلك فإنّ العامل العاطفي عامل بالغ القوّة والتأثير سواء من الفرد أو الجماعة، والغالب أنّ الفرد والجماعة والأمّة يحاولون الدفاع عن آرائهم الداخلية التي تكوّنت بسبب عوامل زمنية أو مكانية أو تقليدية أو ما أشبه ذلك، ولهذا فالرأي العام محتاجٌ إلى عدة دراسات من نواحٍ مختلفة، وهذه الدراسات تنتج معلومات قريبة إلى الهدف.

أقسام التجمعات

جماعة من العلماء قسّم التجمّعات إلى أقسام، فقالوا: إذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي المبادئ السياسية والكفاح من أجل تطبيقها، فإنّ هذه الجماعة تسمى حزباً.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي اللغة المختلفة عن لغة غالبية الشعب، فإنّ هذه الجماعة تسمى جالية.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي الدين المختلف عن دين غالبية الشعب، فإنّ هذه الجماعة تسمى طائفة.

أقول: لكن بشرط أن لا يطلق لفظ الطائفة على المعنى الأعم من ذلك، وإلاّ فالطائفة تطلق على لون خاصّ من الدين مثل الطائفة الإسلامية الشيعية أو الطائفة الإسلامية السنية.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي النشاط المؤقت، فإنّ هذه الجماعة تسمى فريقاً، مثل قولهم: فريق الكشافة أو فريق

الجوالة أو فريق كرة القدم وما أشبه ذلك.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي المهنة، فإنّ هذه الجماعة تسمى قطاعاً، مثل قولهم: قطاع العمال وقطاع الموظّفين وقطاع الطلاب المهنيين وما أشبه ذلك.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي مجرّد التجمّع في مكان واحد، مع اختلاف الميول والاتجاهات والمواقف، فهذه الجماعة تسمى شَرذمة أو جمهرة.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي التخصص في خبرة معينة تندرج تحت مهنة واحدة، فتسمى فئة.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي الخروج عن القانون، فإن هذه الجماعة تسمى بالعصابة.

وإذا كانت الروابط المشتركة التي تربط بين جماعة من الناس هي الولاء المشترك للدولة وما أشبه ذلك سُمي شعباً أو جمهوراً عاماً[1].

أقول: وهذا التبويب مع أنّ صحته بالجملة لكنّه ليس بصحيح كليّة، وإنّما هي اصطلاحات خاصّة لبعض الجماعات وإلاّ فالألفاظ تشمل ذلك وغير ذلك، بالإضافة إلى أن ما ذكرناه إنّما هو اصطلاح، والاصطلاح لا يسأل عنه؛ كما قال البلاغيون: «لا مشاحة في الاصطلاح»، وإلاّ فإنّ الفواصل بين هذه الجماعات ليست فواصل ثابتة، وبالتالي فإنّ جماعة صغيرة قد تتحوّل إلى جماعة كبيرة في ظرف معيّن أو نتيجة تغييرات كمية وكيفية تطرأ عليها، بل كلّ المراتب هكذا، ولذا قال

---

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول؛ ص ١٥٧ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

الحاج السبزواري[1]:

كـونَ المراتـبِ فـي الاشـتدادِ أنواعـاً اسـتَنارَ للمُـرادِ[2]

لأنّ الاشتداد دائمي، بل قد يكون من الضعيف إلى القوي والأقوى، بل وقد يكون من الأقوى إلى القوي إلى الضعيف، وقد يكون من المماثل إلى المماثل، فكما أنّ الجماعات تتحوّل من جماعة إلى جماعة، كذلك الأفراد قد يتحوّلون من جماعة إلى جماعة، وهكذا قد يقع الانشقاق في جماعة إلى شقين، لكلٍّ فلسفته الخاصّة في مداركه وسائر خصوصياته[3].

---

(١) الشيخ هادي بن مهدي السبزواري، حكيم وفيلسوف وفقيه وشاعر وعارف، ولد في مدينة سبزوار الإيرانية سنة ١٢١٢هـ، ثم هاجر منها إلى أصفهان للدراسة وبقي فيها عشر سنوات، تتلمذ عند الشيخ محمد تقي؛ صاحب «هداية المسترشدين» والشيخ محمد إبراهيم الكلباسي؛ صاحب «إشارات الأصول»، والملاّ إسماعيل الأصفهاني، والملاّ علي نوري، ثم انتقل إلى مدينة مشهد الرضا سنة ١٢٤٢هـ؛ وأخذ يدرس فيها، ثم انتقل إلى سبزوار سنة ١٢٥٢هـ وطفق يدرّس فيها الفلسفة والعلوم الإلهية ٣٧ سنة، وكان درسه عامراً بالطلاب والفضلاء والعلماء، توفي سنة ١٢٨٩هـ ودفن في مسقط رأسه، ومن تلامذته الشيخ محمد كاظم الخراساني؛ صاحب «كفاية الأصول»، والملاّ عبد الكريم القوجاني، وله أكثر من عشرين مؤلفاً، منها: «شرح المنظومة» وهي على قسمين: في المنطق والفلسفة، وكتاب «شرح الأسماء الحسنى» و«شرح على المثنوي»؛ لجلال الدين الرومي، و«تعليقات على كتاب الأسفار الأربعة» و«حاشية على الشواهد الربوبية» و«حواشٍ على رسالة المبدأ والمعاد، ومفاتيح الغيب»؛ لصدر المتألهين، و«مجموعة رسائل» و«أرجوزة في الفقه»؛ سماها «النبراس في أسرار الأساس» و«الجبر والاختيار» و«شرح دعاء الصباح» و«غرر الفوائد» في الحكمة. ترجمه المآثر والآثار: ص١٤٧، أعيان الشيعة: ج١٠، مستدركات أعيان الشيعة: ج٧ ص٢٣٢.

(٢) شرح منظومة السبزواري قسم الفلسفة: بحث أصالة الوجود: ص١٧٢ للمؤلف قدس سره. والشعر من بحر الرجز.

(٣) اختلفت وجهة نظر علماء الاجتماع للجماعات، فمنهم من قسمها الى أولية وثانوية وآخر داخلية وخارجية وثالث بسيطة ومركبة ورابع منظمة وغير منظمة وخامس طوعية وتلقائية وسادس الى التدرج الاجتماعي. للتفصيل راجع: كتاب العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع: ص٣٢٠-٣٢٤ للدكتور حسين عبد الحميد.

سلوكيات الرأي العام

مسألة، سلوكيات الرأي العام تختلف حسب اختلاف علماء الغرب في الخصوصيات والزيادة والنقيصة، فإنّ الرأي العام أيضاً نوع من الظاهرة المرتبطة بين النفس والخارج المرتبطة بالمصالح التي يرى أغلب الناس أنها في صالحهم، وقد وضع بعضهم قواعد وسلوكيات للرأي العام لكن تلك القواعد ليس لها كلية وشمول، ولهذا وقعت موقع النقد والتجريح من علماء آخرين، ونحن إشارة إلى ذلك نلخصها فيما ذكره بعض العلماء بقولهم: إنّ القوانين التي تتعلّق بسلوكيات الرأي العام هي:

أولاً: يكون الرأي العام في أقصى درجات الحسّاسية بالنسبة إلى الأهداف العامة.

ثانياً: من المحتمل أن تؤدّي الأحداث ذات الجسامة غير العادية إلى تحويل الرأي العام من الطرف النقيض إلى الطرف الآخر وذلك بصفة مؤقّتة، ولا يصبح الرأي العام مستقراً إلاّ إذا نظر إلى ما يتعلّق بهذه الأحداث نظرة فاحصة ودقيقة.

ثالثاً: من الناحية العامة فإنّ الرأي العام يتقرّر ويتحدّد نتيجة للأحداث أكثر ممّا يتقرّر ويتحدّد نتيجة للأقوال، اللهم إلاّ إذا فسرت الأقوال على أنّها أحداث.

رابعاً: تكون القضايا والمقولات الكلامية وكذا الآثار العامة للأحداث متمتّعة بأقصى قدر من الأهمّية عندما يكون الناس على استعداد لتفصيل ما يوحى

إليهم من مصدر مطلع موثوق به يسعون إليه ليفسّر لهم ما يغمض عليهم.

خامساً: لا يتوقّع الرأي العام سلفاً الأحداث الطارئة بل يقتصر دوره على إحداث ردّ الفعل.

سادساً: نظراً للبعد النفسي، فإنّ الرأي بصفة أساسية يتقرّر نتيجة لقوّة الصالح الخاصّ، فالأحداث والأقوال وغير ذلك من المنبهات، تؤثّر في الرأي بقدر العلاقة المتبادلة بينها وبين الصالح الخاصّ.

سابعاً: مادام الصالح الخاصّ مرتبطاً بالموضوع، فإنّ الرأي لا يمكن تغييره بسهولة.

ثامناً: عندما يكون الصالح الخاصّ مرتبطاً بالموضوع في تولي ذات النظم الديمقراطية، فإنّه يكون من المحتمل أن يسبق الرأي العام السياسة الرسمية.

تاسعاً: عندما يكون الرأي متمتعاً بغالبية بسيطة أو عندما لا يكون واضحاً في معالمه وراسخاً في جذوره، فإن من شأن أي حدث هامٍ ينطوي على حقيقة واقعة، أن يحوّل الرأي إلى جانب الموافقة.

عاشراً: في الأوقات الحرجة يصبح الناس أكثر حساسية بالنسبة لكفاءة وقدرة قادتهم، فإذا كانوا يثقون بهؤلاء القادة فإنّهم يصبحون أكثر استعداداً للاعتماد عليهم في تحمّل المسؤولية، أمّا إذا كانوا لا يثقون فيهم فإنّهم يصبحون أقلّ تسامحاً إزاءهم، ومن الفشل أن يكون الناس أقل اعتراضاً على قيام قادتهم باتّخاذ القرارات الهامّة؛ حيث يشعرون بشكل ما أنّهم يجبرون على اتّخاذ هذه القرارات.

حادي عشر: يحتفظ الناس بآراء كثيرة ويقدرون على تكوين الآراء بسهولة أكثر فيما يتعلّق بالأهداف، لا الأساليب الضرورية لبلوغ هذه الأهداف.

ثاني عشر: تقوم الرغبة بتدوين الرأي العام، وشأن ذلك مثل شأن الرأي

الخاص، وحين يكون الرأي مؤسّساً بشكل رئيسي على الرغبة أكثر من تأسيسه على المعرفة والإعلام، فمن المحتمل أن يتأرجح هذا الرأي تأرجحاً كبيراً وخاصّة بالنسبة إلى الأحداث.

ثالث عشر: إنّ الأبعاد النفسية المتعلقة بالرأي هي الاتجاه والصلابة والاتساع والعمق.

رابع عشر: بالرغم من أنّ الرأي العام لا يتّصف دائماً بالثبات إلاّ أن كثيراً من ضروب عدم الثبات تكون أكثر وضوحاً مما هي عليه في الحقيقة. عندما يتمّ إدراك الآثار العامّة للمرجع وعندما يتمّ اكتشاف المستويات الأساسية للحكم وتمييزها عن تلك التي استمدت منها الآراء.

خامس عشر: حين يكون الناس في الدول ذات النظم الديمقراطية حاصلين على فرص التعليم والحصول على المعلومات، فإنّ الرأي العام يكشف عن حسّ عام صلب المراس، وكلّما زاد الناس إدراكاً لمغزى الأفكار والمقترحات المتصلة بالصالح الخاص، ازداد احتمال موافقتهم على الآراء الموضوعية التي تصدر من قادة واقعيين.

مناقشة الآراء

تلك هي المجموعة التي ذكرها بعض علماء الغرب بالنسبة إلى سلوكيات الرأي العام، لكن الظاهر أنّها غالباً موضع نقد وإشكال، فإنّ في البند الثاني الذي يقول: «تحويل الرأي العام من طرف النقيض إلى الطرف الآخر» ليس ذلك كلياً وإنّما هذا يكون قليلاً دائماً، وإلاّ فالناس غالباً يميلون من شيء إلى درجة أرفع منه أو أنزل لا إلى الطرف النقيض.

فإذا قال الرأي العام أنّ سواد الليل سواد غليظ، لا ينقلب الرأي العام بعد

ذلك إلى أنه ليس بسواد بل هو بياض، بل إذا انقلب انقلب إلى أكثر غلظة أو أقل غلظة، وكذا الحال في الحركة السريعة أو ما أشبه ذلك، فإنّها لا تنقلب إلى سكون.

وكذا الحال بالنسبة إلى البند الثالث فإنّ كلّ شيء يثير الناس سواء كان قولاً أو كان حدثاً، فإنّه من أسباب الرأي العام، وكون الرأي العام مستنداً إلى أحد هذين، مرتبط بقوّة هذا أو بقوّة ذاك من غير فرقٍ بين الأحداث والأقوال.

وفي البند الرابع لا يحتاج الأمر إلى أقصى قَدر من الأهمّية، بل الناس ينساقون إلى مصدر متّبع موثوق به يسعون إليه ليفسر لهم ما غمض عليهم سواء كان ذا أهمّية أم لا.

وبالنسبة إلى البند الخامس فإنّ الرأي العام على قسمين: الرأي العام الذي لا يتوقّع حدثاً، والرأي العام الذي يتوقع الحدث كما هو المشاهد، فالرأي العام إذا رأى مقدّمات أمرٍ مهم من الأحداث الطارئة فلا يقتصر دوره على إحداث ردّ الفعل وإرجاعها عندما تقع، بل يكون له الدور قبل الوقوع.

وبالنسبة إلى البند السادس فالرأي العام دائماً يرتبط بالصالح الخاص ولا يحتاج إلى قوّة الصالح الخاصّ من أنّ الناس يريدون مصالحهم، فكلّما وجدت المصالح في زعمهم أرادوا التوصّل إليه بالرأي العام، إلى غير ذلك من الإشكالات والانتقادات التي تتوجّه إلى ما ذكره بعض العلماء مما عددناه إلى خمسة عشر.

الدوافع الأساسية

مسألة: الدوافع الأساسية التي تكوّن الرأي العام هي دوافع مشتركة موجودة في عامة الناس، وهي توجب أن يحصل الإنسان على رأي عام متساو مع سائر الأفراد سواء كانوا من ثقافات أو أديان أو مدن أو حضارات مختلفة بدائية أو متحضرة، فالكلّ مشتركون في هذه الدوافع التي إذا لم يحصلوا عليها تمسكوا بالرأي العام لتحصيلها وهي عبارة عن استنشاق الهواء وتناول الطعام لدفع الجوع، وتناول الماء لدفع العطش، والجماع لدفع الشهوة الجنسية، والاستراحة لدفع تعب الحياة اليومية، والحاجة إلى الإفراغ الذي يدفع إلى التبول والتبرّز، والخوف الذي يسبّب الابتعاد عن الخطر، والألم الذي يدفع الإنسان إلى الابتعاد عن مصدره.

والإنسان بحاجة إلى المأوى المناسب لضمان الراحة والحفاظ على النسل والحصول على الأمان من الشرور.

والحركة هي ضد السكون، فالإنسان يحتاج إلى الحركة في وقت الحركة، وللسكون في وقت السكون.

والنمو الطبيعي الذي هو بحاجة إلى جري الإنسان في مجراه الطبيعي، والصحّة التي يحتاج إليها الإنسان دائماً حتى لا يمرض، ولترجع صحته إلى الحالة الطبيعية إذا مرض.

بالطبع إنّ هذه الأمور كثيرة، ولا يمكن للإنسان توفير حاجاته في هذه الأمور إلاّ في حدود خاصّة في الهواء النقي ومقدار من الحرارة والرطوبة في

الهواء، وقيام أجهزته بالعمل بسلام، وإذا تسارع النسل البشري في التزايد بصورة سريعة، فاللازم على الإنسان أن يهيئ الغذاء والدواء وما أشبه ذلك بالنسبة إلى مضاعفة النسل إلى أرقام مضاعفة.

تحديد النسل

ومن الناس من يرى لزوم تحديد النسل[1]، لكن هذا أمرٌ غير سليم لأنه يتناقض مع رغبات المسلمين وتقاليدهم وعلاقاتهم الاجتماعية وأسسهم الدينية، ومادامت الظروف الحياتية لا تحتم ذلك فلماذا هذا التحديد؟!.

ويمكن للخبراء أن يضعوا حساباً لهذا الأمر فيحسبوا مقدار الموارد الغذائية التي يجب إنتاجها عند زيادة السكان. ففي اليابان لا تزيد المساحة عن مساحة محافظتين من محافظات إيران وهما كيلان ومازندران ومع ذلك فإنّ عدد السكان في اليابان ضعف عدد السكان في إيران، والدخل اليومي في اليابان هو أكثر بكثير ممّا هو في إيران، كما أنّ معدّل العمر هناك أكبر من معدّل العمر في إيران، بالرغم من أنّ الأراضي الإيرانية أصلح للإنتاج لأنّها أراضٍ متّصلة على عكس الأراضي اليابانية التي هي على شكل جزر، وهذا يعني أن لإيران القدرة على استيعاب عدد من السكان يزيد على عدد سكان اليابان لو أخذ الإيرانيون بالأساليب نفسها التي عمل بها

---

(١) تحديد النسل: اصطلاح شائع للتحديد الإرادي للمواليد، ويشمل تحديد الاتصال الجنسي الذي يمارس في بعض المجتمعات البدائية، باتبّاع وسائل طبيعية أو اصطناعية لتحديد عدد أطفال الأسرة، وعادة ما تقوم بذلك الحكومات الجائرة بوسائل متنوعة وحوافز مباشرة أو غير مباشرة، بدءاً بتوفير المعلومات وانتهاءً بالتعقيم الإجباري. وانتشر تحديد النسل في البلاد الغربية في بداية القرن العشرين، وقد عارضه العلماء والمفكرون باعتباره انتهاكاً لنظام الطبيعة. عن هذا الموضوع راجع كتاب: «العائلة» للإمام المؤلف قدس سره.

اليابانيون[1].

وكذا الحال بالنسبة إلى كلّ العالم، ولربّما لم يستغل اليابانيون كلّ ما عندهم من الأراضي والموارد، ومعنى ذلك أنّ الفرص ستزداد أكثر وأكثر.

ولربّما سأل البعض أو شكك في فرضية أن الإنسان لو وصل إلى حد لايتمكّن من الزيادة بالنسبة إلى الموارد الكونية، كأن يقال: الكون لا يستوعب مائة مليار من البشر حتّى إذا استخرجنا كلّ إمكاناته فلماذا الإنتاج يكون بالنسبة إلى النسل الإنساني مستمراً مع أنّ الإله العليم القدير لا يخلق شيئاً اعتباطاً وعبثاً.

وفي الجواب نقول: إنّ الإنسان لم يخلق لهذه الحياة الدنيا فقط، وإنما لما وراء الحياة الدنيا أيضاً من الحياة العظمى التي عرضها كعرض السماوات والأرض في مثال طبيعي لا يريد التحقيق، أو المراد بالسماوات الفضاء اللامتناهي فيكون الأمر على نحو التحقيق، وإذا كان الأمر هكذا فلا مانع أن يكون الإنتاج ظاهراً هنالك، أي مثلاً أن الانتاج الطبيعي يكون بمقدار ألف مليار من البشر، فإنّ مائة مليار من البشر يكون في هذه الحياة الدنيا والبقية الباقية تكون في الدار الآخرة حيث تظهر الكفاءات، والمثال الآن ما يقوله العلماء من أنّ كل طفل يولد في هذه الحياة الدنيا يكون أخاً لمائة مليون طفل

---

(١) وقد ذكرت الإحصاءات أن بلداً كالسودان لو استثمر زراعياً فإنّ إنتاجه الزراعي والحيواني يكفي للوطن العربي وبعض الدول الإسلامية والأوربية، وهكذا فإنّ ولاية تكساس الأمريكية تكفي لسكنى خمسة مليارات إنسان؛ كما قال ذلك الخبراء الأمريكيون. ثم إنّ المشكلة ليست في تحديد النسل وإنمّا في عدم تحويل الطاقات البشرية إلى عامل إنتاج وعامل قوة، وكذلك في سوء توزيع مصادر الثروة وعدم الاستفادة الصحيحة منها، وكذلك في السياسات التنموية الخاطئة وفي ضياع الفوائد والإبداعات البترولية في البنوك الرأسمالية وفي شيوع قيم الاستهلاك وتحويل المجتمع إلى مجتمع استهلاكي. وقد تطرق المؤلف قدس سره إلى مشكلة تحديد النسل في كتابه «العائلة».

آخر تتضمّنهم قطرة المني التي تتدفّق من الإنسان في دفعة واحدة، وكلّ أولئك يذهبون إلى الفناء بينما الطفل الواحد يأتي إلى الحياة الدنيا.

فلا يقال: لماذا هذا الإسراف الكبير في الطبيعة مع أنّها تجري وفق سنن الله ﷻ الذي قدّر كلّ شيء تقديراً دقيقاً.

لأنّا نقول: إنّ الحيامن التي لم تفلح وتخرج إلى الحياة ستكون إخوة للطفل الذي ولد، فمن الممكن أن يكون أولئك من رعية هذا الطفل الذي جاء إلى الحياة الدنيا مع كمال الرضى منهم؛ حيث ورد أن كلّ إنسان في هذه الحياة الدنيا يذهب إلى الجنة يكون هناك مَلِكاً وله أملاك ورعايا ما شاء الله.



علاقة البيئة بالرأي العام

مسألة: يجب مراعاة الظروف البيئية[1] المحيطة بالإنسان في تهيئة الرأي العام، فإن الحضارات تعتمد على المناخ في تحصيل مقوّمات النجاح أو الفشل، سواء كان النجاح مائة في مائة أو خمسين في المائة، فإن الإنسان يستطيع أن يعيش في أي مكان يمكن أن يحصل فيه على الطعام والشراب والجو غير الخانق؛ لأنّ النشاطات البدنية والنسلية والعقلية لا تبلغ درجة عالية من النمو المترقب إلاّ في مناطق قليلة تتوفّر فيها كلّ الإمكانات، فحال الإنسان في حرارته أو بيئته حال الحيوانات والأشجار؛ فإنّها لا تتمكّن أن تعيش إلاّ في بيئات صالحة لعيشها، ولذا كانت حركة هجرة الطيور من مناخ إلى مناخ بحثاً عن المكان المناسب عندما لا تجد البيئة الصحيحة في محلها الأوّل.

والإنسان بالإضافة إلى ما يحتاجه من الأشجار والحيوانات لا يستغني عن الحضارة والتعقّل والأخذ والعطاء والمعاملة وما أشبه ذلك. ولذا فبيئة الإنسان هي أصعب بكثير من بيئة الحيوان، وبيئة الحيوان أسهل من بيئة الأشجار؛ إذ الشجر لا يتمكّن أن ينتقل من مكان إلى مكان، بينما الحيوان يتمكّن من ذلك،

---

(١) مفهوم البيئة يشمل معاً الوسط الكوني، الجغرافي، الفيزيائي، والوسط الاجتماعي، بمؤسساته، وثقافته، وقيمه، ويؤلف هذا المجموع منظومة من القوى تمارس تأثيرها على الفرد الذي يستجيب لها على نحو خاص، وفق اهتماماته وقدراته. وقد ذكر الدكتور ممدوح حامد عطية في كتابه إنهم يقتلون البيئة: ص١٧-١٨ عدّة مفاهيم وتعاريف. وقد تحدّث الإمام المؤلف ﷺ عن الأمور التي تتعلق بالبيئة في موسوعة الفقه كتاب البيئة. علماً أن نسبة ٢٥٪ من الوفيات في العالم ناشئة عن التلوث البيئي.

وهكذا بالنسبة إلى سرعة النمو وبطئه فإنه يتوقّف كثيراً على طبيعة البيئة، فالإنسان في المناطق الحارّة يبلغ أسرع من الإنسان في المناطق الباردة.

ونستطيع أن نعتبر الاستعمار مفسداً للبيئة سواء كان سببه جهل الشعوب أو سببه خبث الاستعمار وأطماعه، فالاستعمار ينهب موارد الشعوب، فهو بالنتيجة يعبث بالبيئة فيجعلها بيئة غير صالحة للعيش من حيث الموارد، ومن جانب آخر غير صالحة للعيش من حيث المناخ السياسي.

إن البيئة تتدخل في تكوين الرأي العام سواء كان الرأي العام سديداً أو غير سديد، ومثال ذلك: البيئة الجافة تدفع بالرأي العام لأجل تحسين البيئة وإنقاذها من الجفاف، والبيئة الحارّة تدفع بالرأي العام إلى تشجيع عمليات التشجير حتّى تصبح بيئة صالحة لبقاء الإنسان فيها في حالة مريحة إلى غير ذلك من الآراء العامّة التي تتولّد من البيئة، وكذلك بالنسبة إلى سائر الشؤون، ومن ذلك: البيئة الحارة جداً فهي لا تصلح لتحصيل العلوم، لذا نرى في كثير من البلاد ذات الحرارة العالية هبوط مستوى التعليم فيها، بينما المناطق المعتدلة يزدهر فيها العلم والتعليم.

وإذا أردنا أن نعيش بسلامٍ وأمان فلا بدّ من تبديل جهل الجاهلين إلى العلم والرشد، وأنّ نبدّل خبث الخبيثين إلى الصلاح، إمّا بتبديلهم إلى الصلاح، أو بعزلهم عن الحياة، حتّى تتحوّل القيادة إلى أناس صالحين لا خبث فيهم.

علاقة العقل بالرأي العام

مسألة: ومما يكوّن الرأي العام: العقل، فالعقل جوهرة لم تعرف حقيقتها إلى الآن، ولعلّها لا تعرف إلى أن يزول الإنسان من الكرّة الأرضية، أو أنّها ستعرف في العالم الآخر، فإنّ كثيراً من قوتنا تتكشف هناك كما دلّ على ذلك بعض الأدلّة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

فالعقل يكوّن الرأي العام، لأنّه مصدر للخير والشر، ونتيجة لهذا الخير والشر يتكوّن الرأي العام في التوجه إلى الخيرات والدفع للشرور.

ولا يخفى أنّ هذه الفائدة للعقل إنّما هي فائدة طريقية لا فائدة هدفية، إذ أن الفائدة الهدفية هي عبارة عن توجيه الإنسان إلى طاعة الله سبحانه وتعالى حتّى يكون في الآخرة في خير وسلام دائميين، ولذا ورد في الحديث الشريف: (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)[1].

وفي حديث آخر: إنّ الله سبحانه وتعالى خاطب العقل بقوله (ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك، بك أعطي وبك أمنع وبك أثيب وبك أعاقب)[2]، فالظاهر أنّ العقاب والثواب سيكونان في الآخرة، أمّا الثواب والعقاب في الدنيا فهما طريقيان

---

(١) المحاسن: ج١ ص١٩٥ ب١ ح١٥، الكافي (أصول): ج١ ص١١ ح٣، معاني الأخبار: ص٢٣٩ ح١، وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٠٥ ب٨ ح٢٠٢٨٨.

(٢) أعلام الدين: ص١٧٢، كنز الفوائد: ج١ ص٥٧.

فقط؛ ولـذا ورد عـن علـي عليه السلام: (الـدنيا دارُ ممـر لا دارُ مقـر)(١)، وقـال عيـسى عليه السلام: (إنمـا الـدنيا قنطـرة فاعبروهـا ولا تعمروهـا) (٢)، والمـراد بـ«لا تعمروها» عمارة مريد البقاء وإلاّ فالعمارة ضرورية للإنسان، وقد قال سبحانه: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٣) أي طلب منكم عمرانها.

نعم، يمكن أن يكون المراد: «بك أثيب وبك أعاقب» حتّى في هـذه الـدنيا، فإنّ الثواب والعقاب في هذه الدنيا بانتشار الخير والشر، وهما من نتائج العقـل كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(٤) ومن تلك البركات العقل.

أقسام العقل

والعقل ينقسم إلى قسمين: الأول طبيعي، والثاني غير طبيعي. والطبيعي كالأرض التي هي قابلة للإنبات فإذا أنبتنا فيها أنبت بكلّ زوجٍ بهيج، وكذلك إذا علّمنا العقل ووجهناه الوجهة الصحيحة ينتج نتائج باهرة لا نعرف منها إلاّ جزءاً صغيراً جداً، كما وأنّ للإنسان صفات باطنة لم نعرف أيّاً منها حتّى الآن ونعبّر عنها بالعقل والنفس والروح، وحالات طارئة مثل الغضب والفرح والألم

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٩٢ قصار الحكم، الحكمة ١٣٢، وورد نظيره في إرشاد القلوب: ج١ ص١٩ ب٢، غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٤٩ القسم الأول ب٦ الفصل الثالث ح٢٧١٨، مجموعة ورام: ج٢ ص٢١٨.

(٢) الخصال: ج١ ص٦٥ ح٩٥، الأمالي للمفيد: ص٤٣ المجلس السادس ح١، التحصين لابن فهد: ص٣٠، روضة الواعظين: ج٢ ص٤٤١، مجموعة ورام: ج١ ص١٤٧، بحار الأنوار: ج٧٠ ص١١٩ ب١٢٢ ح١١١.

(٣) سورة هود: الآية ٦١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

والشدّة لا نعرف كنهها. وقد قال بعض العلماء بأنّ من أسباب العقل الذي هو مخفيٌّ على الإنسان غاية الاختفاء ما نشاهده في المنام؛ حيث أنّه جانباً من جوانب العقل ويسمّى بالعقل الباطن [1].

فما هو المنام وما حقيقته؟. إن ما قاله فرويد[2] وغيره من السيكولوجيين لا

---

(١) قسّم البعض الرؤيا إلى أربعة أقسام: أ - انها حديث النفس بالشيء والتفكّر فيه. ب - أنها ألطاف من الله لبعض خلقه من تنبيه وتيسير وإعذار وإنذار جـ - وسوسة الشيطان يفعلها للانسان ويذكّره بها د - اضغاث أحلام الذي لا تأويل له ولا خير فيه. وقد أشار الرسول الأكرم ﷺ لأقسام ثلاثة بحديث: (الرؤيا ثلاثة: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا مما يحدّث به الرجل نفسه، ورؤيا من تخزين الشيطان).

وذكر الشيخ عباس القمي في سفينة البحار: ج٢ ص٢٤٥: إن الرؤيا على أربعة أقسام: رؤيا من الله تعالى ولها تأويل، ورؤيا من وساوس الشيطان، ورؤيا من غلبة الأخلاط، ورؤيا من الأفكار، وكلها أضغاث أحلام إلاّ الأولى منها.

للتفصيل عن المنامات راجع: روضات الجنات: ج٦ ص١٧١-١٧٣.

(٢) سيغموند فرويد، طبيب أعصاب وعالم نفساني، يهودي الأصل، ولد في النمسا سنة ١٨٥٦م، ومات في لندن إثر مرض السرطان سنة ١٩٣٩م عن عمر يناهز ٨٣ سنة، تخرج من كلية الطب سنة ١٨٨١م، له نظرية في التحليل النفسي عرضها في كتابه «عالم الأحلام». اشترك مع جوزيف بروير في علاج الهستيريا بالنوام او الاسترخاء، مفسراً أعراضها بأنها تعبيرات عضوية عن صدمات مكبوتة، وصراعات نفسية لاشعورية ترجع إلى الطفولة. ثم عمل بمفرده، وترك النوام مستعيضاً عنه بالتداعب الحر، مؤكداً أن الطاقة المسببة لأعراض الهستيريا التحولية طاقة جنسية. أثارت نظريته في تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة الاولى، وفي عقدة أوديب ضجة في الوسط العلمي.

اسس سنة ١٩١٠م جمعية عالمية للتحليل النفسي، مارس التنويم المغناطيسي والايحاء في فيينا. له عدة مؤلفات، منها: المدخل إلى التحليل النفسي، ثلاث محاولات في نظرية الجنس، محاولات في التحليل النفسي، مقدمة عامة للتحليل النفساني، حياتي، الذات والغرائز، موسى والتوحيد. ولا يخفى أن فرويد يُرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والأسرية إلى الغريزة الجنسية؛ كي يبطل قداستها ويُخجل الإنسان منها ويسلبه إيمانه بسموها ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى في نفسه. وقد ردّ الإمام المؤلف قدس سره نظريات فرويد في كتابه الموسوم: نقد نظريات فرويد.

دليل عليه [١].

آثار العقل

ومن آثار العقل التنويم المغناطيسي [٢] حيث بإمكان المنوّم أن يكتشف

---

(١) ويقوم تفسير فرويد للحلم على مايلي: إننا نستطيع أن نملك الدوافع والأحاسيس والرغبات التي تحرّض افعالنا، ومع ذلك لا نملك ادراكاً لها، وقد سمّى هذه الدوافع «اللاشعور» وبه لم يقصد أننا غير مدركين لها وحسب بل كذلك أن «رقيباً» قوياً يحمينا من أن نصبح مدركين لها. ولأيٍّ عدد من الأسباب، التي أهمها خشية فقدان الاستحسان من أهلنا وأصدقائنا. نحن نُكبت هذه الدوافع، التي يجعلنا ادراكنا لها نشعر بالذنب أو نخاف من العقاب. ومهما يكن، فإن كبتنا لهذه الدوافع عن ادراكنا لا يعني أنها لم تعد موجودة، فالحقيقة أنها تظل موجودة بقوة وتجد تعبيرها في أشكال متعددة، ولكن في مثل هذه الحال لا ندرك أنّها دخلت من الباب الخلفي، إن جاز التعبير. ويعتقد نظامنا الشعوري أنه قد تخلّص من مثل هذه المشاعر والرغبات غير المستحبة وترهبه فكرة أنها قد تكون في داخلنا، وحين تعود وتظهرحضورها، تكون محرّفة ومتنكرة إلى حدّ أنّ تفكيرنا الشعوري يُخفق في أن يتبين ما هي.

نقلاً عن كتاب اللغة المنسية: ص٧٨ للمؤلف إريك فروم. ترجمة محمود منقذ الهاشمي الصادر عن اتحاد الكتّاب العرب.

ثم إنّ الإمام المؤلف ﷺ رأى تفسيراً آخر لكلام فرويد. يقول في هذا الصدد: «فإنّ فرويد يرى أنّ الأحلام بقية وراثة في النفس، كما أن الزائدة الدودية بقية وراثة في الجسم. يقول في هذا الصدد أنّ أسلافنا القردة كانت تعيش فوق الأشجار، فكانت تخاف السقوط، كما كان يتفق أن يسقط أطفالنا من أعلى الشجرة، وهذا الخوف هو الذي ورثه أطفالنا، ولذا كثيراً ما يرى الطفل في المنام أنه يسقط من مكان عالٍ أو هو مشرف على السقوط.. فالطفل ورث الأفكار، وتظهر الوراثة في المنام. راجع كتاب نقد نظريات فرويد: ص٤٩ للإمام المؤلف ﷺ. كما فصل المؤلف ﷺ الحديث عن ذلك في موسوعة الفقه كتاب علم النفس.

(٢) يعرف التنويم المغناطيسي: بانه حالة من النوم الجزئي يثار اصطناعيا، يظل الفرد خلاله قادرا على ان يطيع بعض الايحاءات التي يصنعها المنوِّم المغناطيسي. ويعرف كذلك: انه شلل الارادة او ضرب من خدر الشعور.

في التنويم المغناطيسي يصبح الدماغ ووعيه مشلول الحركة، فالمريض يصبح مطيعاً لكل

عوالم غريبة لا توجد فيها المسافات ولا يلاحظ فيها الألم ولا اللذّة المادية.

كما وأنّ التنويم المغناطيسي باستطاعته أن يكشف للإنسان عن أشياء لا سابقة لها ولا لاحقة له بها، فيكتشف أموراً لا يعلمها في السابق ولا في اللاحق.

والبحث في كون التنويم المغناطيسي هو جزء من العقل أو سلطة أعلى من سلطة العقل: فهو خارجٌ عن مجال بحثنا. وقد قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].



فعالياته اللاواعية التي يوجهها المنوّم المغناطيسي، وعندئذ تصبح عواطف المنوّم وأفكاره موجهة في الاتجاه الذي يحدده المنوّم. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٢ ص١٢٢٧، معجم علم النفس: ج٦ ص٢٦٤٠.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

الإدراك والرأي العام

مسألة: الرأي العام تابعٌ للإدراك، فالإدراك الذي يبلغه الإنسان هو الذي يسيّره على شاكلته، سواء كان واقعاً أو غير واقع، فإذا أدرك الناس أنّ فلاناً عدوٌ لهم وإن كان في الواقع صديقاً لهم، عملوا حسب عداوته المزعومة بمحاربته، وإن أدركوا أنّه صديق لهم، عملوا حسب صداقته، سواء كانت واقعاً أو غير واقع، فكذلك بالنسبة إلى إدراكهم أنّ الشيء الفلاني يضرّ اقتصادهم أو ينفعه، أو يضرّ سياستهم أو ينفعها، أو له ضرر في جهة من الجهات أو نفع من جهة من الجهات، فإنّهم يمشون وراء ذلك الإدراك إذا كان بحدّ المنع من النقيض؛ لأنّ الإدراك قد يكون بحدّ المنع من النقيض وقد لا يكون بذلك الحدّ، فإذا كان بحد المنع من النقيض سلكوا سلوكاً واجباً في نظرهم، وإذا لم يكن بحد المنع من النقيض أمكن أن يسلكوا إلى ذلك المُدرَك لكن على سبيل الفضيلة والاستحباب عندهم، أما من زعم من الغربيين كـ(فرويد)؛ حيث اعتبر العامل الجنسي هو الأساس في أفعال الإنسان وتصرفاته[1]، وكـ(ماركس)[2] الذي اعتبر الاقتصاد هو الأساس في الحياة،

---

(١) ولذا استشكل بعض العلماء على النظرية التجزيئية التي دعى إليها فرويد وغيره في مجال التحليل النفسي واعتبروها أضافت إلى المشكلة مشكلة أخرى وأنهم بكلامهم قد تجاوزوا الحدود والقيم العلمية.

(٢) كارل ماركس الألماني، مؤسس الحركة الاشتراكية وفيلسوف الشيوعية، ولد بمدينة «ترير» سنة ١٨١٨م، من أبوين يهوديين، ومات في لندن سنة ١٨٨٣م، دخل العمل السياسي والاجتماعي سنة ١٨٤١م؛ فأبعد من ألمانيا إلى فرنسا ومنها إلى لندن؛ فعمل بالصحافة

وهكذا من زعم غير ذلك من المزاعم، فإنّ جميعهم أخذوا بشيء من خلفيات الإدراك؛ لوضوح أنّ الإدراك إنّما يكون عن مجموع أشياء كالسياسة والثقافة والاقتصاد والتربية والجنس والفردية وما أشبه ذلك.

وعلى أي حال: فالإدراك ملخصاً يكون هو المسيّر للناس والمكوّن لآرائهم العامّة، لكن من الواضح أنّ الإدراك إنّما يراد به في هذا المقام الإدراك المعدّل[1] أي مع ملاحظة التناقضات والمضادات والزوائد والنقائص وملاحظة الأهمّ والمهم والضرر والإضرار وغير ذلك من الأمور.

ومن هذه النقطة تبيّن لنا وهن نظرية ديكارت[2]؛ حيث نشر مقالاً عن

فيها سنة ١٨٤٨م، وكتب مع فردريك إنجلز البيان الشيوعي في نفس السنة، والذي حددا فيه مبادئ الشيوعية الحديثة ووجها فيه نداءً إلى عمال العالم يدعوهم إلى الاتحاد والتعاون. وقد أصبح هذا البيان أحد الركائز الرئيسية التي قامت عليها الأحزاب الاشتراكية والشيوعية، وخلال تواجده في لندن دوّن الكتب التالية: «الصراع الطبقي في فرنسا/١٨٥٠م» وكتاب «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي/سنة ١٨٥٩م»، وكتاب «نداء إلى الطبقات العاملة في أوربا/سنة ١٨٦٤م»، وكتاب «رأس المال/سنة ١٨٦٧م». راجع موسوعة السياسة: ج٥ ص٦٣٥، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج ٧ ص٢٠٨٨.

(١) غير المتساوي.

(٢) رينيه ديكارت، فيلسوف وعالم الرياضيات والهندسة التحليلية والطبيعيات الفرنسي، ولد في لاهاي سنة ١٥٩٦م، ومات بمرض التهاب الرئة سنة ١٦٥٠م. حصل على الحقوق سنة ١٦١٦م. يعد مؤسس العقلانية ذات التوجه العلمي، كما أنه رفض الأخذ بالتقليد المدرسي، فأقام فلسفته على الشك المنهجي، فشك في معارفه جميعاً، حسية كانت أو عقلية، لاحتمال أن يكون مخدوعاً فيها، لكنّه وجد ثمة شيئاً لايقبل الشك، وهو حقيقة كونه يشك. ولم يكن ليستطيع الشك لو لم يكن موجوداً. اذن فهو موجود لأنه يشك. ولما كان الشك تفكيراً. فهو موجود لأنّه يفكر. وبهذا انتهى إلى مقولته المأثورة: «أنا أفكر. إذن فأنا موجود»، ومن هذه البداية اليقينية، انتقل إلى اثبات وجود الله، ثم إثبات وجود العالم. اخترع المحاور الكارتيزية في الهندسة التحليلية والتي تستخدم في التمثيل البياني، واستطاع أن يعالج الجذور السالبة، وأن ينسق رموز الجبر، وان ينشيء الإحداثيات المعروفة باسمه، وحاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة. من مؤلفاته: انفعالات

المنهج، فكتب قائلاً: «إنّ الإدراك السليم موزّع توزيعاً متساوياً بين الناس، فكلّ إنسان يعتقد أنّه مزوّد بقدر كبير من الإدراك الصحيح، إلى حدّ أنّ أشدّ الناس صعوبة في كسب رضاهم حول أي شيء لا يرغبون في زيادة ما لديهم من إدراك».

أقول: من الواضح أن هذا غير تام؛ لأنّ الناس قد يكونون على طرفي نقيض، فهل من الممكن أن يكون الشيء الواحد موجوداً أو معدوماً؟! كما أنّ من الناس من يكون على طرفي نقيض وأن من الممكن أن يكون الشيء أبيض وأسود، وهذا في الحقيقة ناشئ من عدم إدراك موازين التناقض، والتضاد، والخلف، والدور، وفساد تساوي الكلّ والجزء، وما أشبه ذلك؛ ممّا أشرنا إليه سابقاً.

ثم إنّ أصحاب هذه النظريات[1] فسروا بياناتهم في صورة مفاهيم مفكّكة غير متماسكة أحياناً، وفي صورة غامضة وفجة أحياناً أخرى، وفي كلّ الحالات فإنّهم يرجعون نزعة الشذوذ إلى فترات الطفولة ويعتقدون بأشياء تخالف الفطرة البشرية، ويعتقدون بالعلاج من هذا الأساس المتهافت.

ونحن لا ننكر قيمة التحليل النفسي في الكشف عن بعض الأمراض النفسية لكن لا نرى أنّه قادر على إعطاء العلاج الشافي والكامل للمرضى.

ونحن لا ننكر أنّ خبرات الطفولة ذات أثر كبير في حياة الناس، لكن أن تكون هي الأساس في بناء الشخصية الإنسانية فهذا ما لا يتّفق والنظرة الواقعية. وقد أثبت العلماء ـ فيما بعد ـ بعض المصاديق الجزئية لنظرية فرويد

النفس، علم انكسار الأشعة، تأملات في الفلسفة الأولى. راجع موسوعة السياسة: ج٢ ص٧٤٧، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٤ ص١٧٥٠.

(١) كفرويد وماركس وآدمز ويونج وغيرهم.

وماركس، لكن في الجملة استمرت هذه النظريات عرضة للنقد العلمي.

وعلى أي حال: فللإدراك الإنساني دخل في تكوّن الرأي العام لأفراد كثيرين، يشكّلون الرأي العام إمّا لهذا الجانب أو لجانبٍ آخر أو إلى أحد الجانبين.

ولذا يقول أحد العلماء[1]: «لقد كثر اعتماد الباحثين على جمع المعلومات عما يعتقدها الناس أو يتصورون أنه لابد من الاعتقاد بها بدلاً من دراسة العوامل العاطفية من وراء تفكيرهم ومع أن استطلاعات الرأي لها قيمتها في بعض الأعراض. وإنّنا بحاجة لأن نعرف أكثر؛ لأنّ الاستطلاعات ليست الأداة الفاعلة لفهم العوامل التي تعمل تحت سقف الرأي، وبدون معرفة هذه العوامل لا نستطيع التكهن بالطريقة التي يتصرّف بها الأفراد في المواقف الحرجة، وفي الآراء التي يعترفون بأنّهم يؤمنون بها، وفي المذاهب والإيديولوجيات الجديدة التي يرفضونها، فمن ناحية القوى المحرّكة للمجتمع يكون لكلّ رأي قيمته بمقدار الرصيد العاطفي الذي تمتد جذور هذا الرأي فيه».

أقول: إنّ للعاطفة مدخلية كبرى في صناعة الرأي العام، كما وأنّ للعقل مدخلية أيضاً، وكلّ من العقل والعاطفة له جذوره في البناء الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي والعائلي والجغرافي وما أشبه ذلك، ومن هذا المجموع يتكوّن العقل والعاطفة، ومنهما يتكوّن الرأي العام.

كما وأنّ للوراثة مدخلية لا على نحو الكليّة وإنّما على نحو الجزئية، فلو فرضنا أنّ إنساناً ولد في بغداد لأبوين بغداديين ثمّ انتقل إلى النجف الأشرف، فإنّه بعد كبره يصبح متّصفاً بصفات النجفيين، وإن كان لولادته في بغداد تأثير وارد في التفكير والسلوك أيضاً.

---

(١) وهو عالم النفس الأمريكي الألماني الاصل إريك فروم.

من هنا، فليس من السليم حصر الأمر في جهة أو في جهتين وليس من السليم حصر الصفات بناحية معيّنة، بل الصواب أنّ مجموعة الجهات هي التي تكوّن الرأي لدى الأشخاص؛ إذ من الآراء الشخصية يتكوّن الرأي العام.



المشتركات اللفظية والرمزية

مسألة: الإنسان بما هو إنسان يريد أكبر قدر من المصلحة، والمصلحة في كلامنا هذا عبارة عن جلب أكبر قدر من اللذّة الجسدية والعقلية والنفسية ودفع حتّى القدر القليل من الضرر العقلي والجسدي والنفسي، فالجسد عبارة عن الحواس الخمس، والنفس لها ملائماتها ومنافراتها كالأوهام، والعقل له ملائماته ومنافراته، وذلك لا يتيسّر إلاّ باللغة المشتركة من ناحية وجعل الرموز أو الالتفاف حولها فيما هو رمز طبيعي، فالرمز المجعول كالعَلَم بالنسبة إلى الجيش حيث يجعلونه رمزاً للتقدير والاحترام والالتفاف حوله والانضواء تحته، وأمّا الرموز التي هي مجعولة وإنّما تحتاج إلى الالتفاف حولها قبل الالتفاف حول عالمٍ قدير فإنّه رمزٌ بذاته، أو كاتب شهير أو خطيب مصقع أو شاعر مبدع أو من شابه ذلك، فهؤلاء في أنفسهم شخصيات بارزة والالتفاف حولهم يوجب المصلحة، مثلاً تقديس العلامة الحلّي [1] يوجب حثّ الطلاب

---

(١) أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الأسدي الحلي والمشهور بالعلامة الحلي، فقيه وأصولي جمع المعقول والمنقول، ولد في مدينة الحلة في ٢٩ رمضان سنة ٦٤٧ هـ (١٢٥٠م) كما عن أعيان الشيعة، وقيل ٦٤٨هـ (١٢٥١م) كما عن خلاصة الأقوال في معرفة الرجال للحلي: ص٤٥، وتوفي في ٢١ محرم سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٥م) ودفن في النجف الأشرف، تتلمذ عند والده وخاله المحقق الحلي والخواجة نصير الدين الطوسي والقزويني صاحب كتاب الشمسية والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والسيد ابن طاووس وابن ميثم البحراني، نال درجة الاجتهاد ولم يبلغ سن التكليف الشرعي، له اكثر من مائة كتاب، منها: تحرير الأحكام، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، تبصرة المتعلمين في أحكام الدين، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، تذكرة الفقهاء، مصابيح الأنوار، تهذيب

إلى طلب العلم أكثر، وهذا من الدوافع المهمّة في صنع الرأي العام، فالرأي العام له خلفية الاستفادة من المصلحة، والاستفادة من المصلحة بمعناها الإيجابي أو السلبي يوجب اللغة المشتركة؛ إذ بدونها لا يمكن التعليم ولا التعلّم حتّى يصل الإنسان إلى مصلحته، مثلاً: من المصلحة الجسدية إذا لم يكن هناك لفظ الماء لم يتمكّن الطالب من أن يطلبه من شخص يخدمه، وكذلك لم يتمكّن الخادم من الاستفادة من ماله وحفظه وما أشبه ذلك، فالرموز الطبيعية كلّما كانت أكثر تكون سبباً لارتفاع الناس في مختلف الأبعاد التي تشير إليها الرموز أكثر فأكثر، كما أنّ الرموز المجعولة إنّما تكون كثيرة، حيث المهام كثيرة، مثلاً: إنّ الرموز الفاسدة توجب التنفير الكثير من كلّ شيء، هذا الرمز الفاسد رمز له، كما أنّ الرموز الصالحة إذا كانت كثيرة توجب الاندفاع الأكثر إلى الأمام، فإنّ هذه الرموز هي محل احترام الناس فيدافع الناس عنها عاطفياً أو عقلياً أو نفسياً أو جسدياً، فالعَلَم الذي هو رمز للجيش والوطن، والمواقع التاريخية كقصر جمشيد مثلاً في إيران بالنسبة إلى القومية الفارسية ومأذنة سامراء كرمز للخلافة العباسية، وأماكن العبادة كالأضرحة المقدّسة والأقوال المأثورة عن الرسول ﷺ وعلي عليه السلام والأئمة

الوصول في علم الأصول، الجوهر النضيد في شرح التجريد، أنوار الملكوت في شرح الياقوت، نهج الإيمان في تفسير القرآن، تسليك النفس إلى حضيرة القدس، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، مدارك الأحكام، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال. ترجمه: أعيان الشيعة: ج٥ ص٣٩٦، روضات الجنات: ج٢ ص٢٦٩، تنقيح المقال: ج ١ص٣١٤، مرآة الجنان: ج٤ ص٢٧٦، النجوم الزاهرة: ج٩ ص٢٦٧، جامع الرواة: ج١ ص٢٣٠، رياض العلماء: ج١ ص٣٥٨، مصفى المقال: ص ١٣١، معجم المؤلفين: ج٣ ص٣٠٣، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٤ ص١٨٠، أمل الآمل: ج٢ ص٨١، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٨ ص٧٧ رقم ٢٧١٢، الأعلام للزركلي: ج٢ ص٢٤٤، مجالس المؤمنين للتستري: المجلس السابع.

الطاهرين عليهم السلام، كلّها رموز تدفع الإنسان باتجاه الخير في رموز الخير، وتدفع باتجاه الشر في رموز الشر.

ولا يشترط في الرمز أن يكون للأمّة بأجمعها، بل يمكن أن يكون خاصاً لجماعة من الأمّة، فلكلّ جماعة من المجتمع سواء كان حزباً أو جيشاً أو فريقاً رياضياً أو اتحاداً أو نحو ذلك،له رموز خاصّة، وهم يحترمون هذه الرموز ويقدّسونها، ولا يختلف أن يكون الرمز لفظاً[1] أو جسماً أو إنساناً سيئاً أو شخصاً محترماً، فالأوّل لفظٌ والثاني أمرٌ خارجي.

ومن المعلوم أنّ الناس لا يستعملون الرموز إلاّ بقدر مصلحتهم وإرادتهم الواعية أو الإرادة التي قضوا بها من غير وعي فارتكزت في لاوعيهم، وقد يكون الرمز فكرة مجرّدة تنتهي إلى مصالح يريدها الإنسان من بعد من أبعاده النفسية أو العقلية أو الوهمية، مثلاً: معنى الحرّية مع أنّه لا يمكن رؤية الحرّية بالعين ولا سماعها بالأذن ولا تذوّقها باللسان ولا شمّها بالأنف ولا لمسها باليد، ومع ذلك فهي رمز يلتف الناس حوله؛ حتى يصلوا إلى أهدافهم الملائمة لذواتهم في جلب المنفعة ودفع المضرّة، فلذا يجعلونها رمزاً لفظياً كقولهم: «الحرّية»، أو رمزاً مادياً كجعل نصب الحرّية الموجود في نيويورك رمزاً للحرّية. فالرمز هو نقطة الجذب التي تدفع بالناس ليلتفوا حول الحرّية ويعملوا من أجلها في سبيل تثبيتها وتبسيطها حتّى يحقّقوا أهدافهم سواء كانت أهدافاً خيرة مثل الاستشارية والديمقراطية، أو أهدافاً شريرة مثل الديكتاتورية والاستبداد.

ولا يخفى ما لهذه الرموز من أثر كبير في صنع الرأي العام، وكما

---

(١) ولا يخفى أنّ الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يستعمل الرموز للدلالة على المعاني والتعبير عن عواطفه وأفكاره وما يختلج في نفسه.

المصلحون يستفيدون من هذه الرموز كذلك الأشرار يستفيدون منها للوصول إلى أغراضهم الشريرة. وهنا، يمكن لنا أن نلاحظ كيف يسوّغ الأشرار الألفاظ لتأتي معبِّرة عن أهدافهم الشريرة، لتوجيهها نحو مقاصدهم الشريرة، فـ«ستالين» كان ينادي بالسلام وهو في الوقت نفسه يقتل الأبرياء، وكان الحزب الشيوعي في العراق قد حمل رمز «حمامة السلام» وهو في الوقت نفسه كان ينصب أعواد المشانق لغير الشيوعيين.

والأمريكيون كانوا يدّعون الديمقراطية والسلام ويقتلون مئات الألوف من البشر في فيتنام أثناء الحرب[1]، والفرنسيون كانوا يدّعون السّلام والحرّية والديمقراطية وقد قتلوا مليوناً ونصف مليون إنسان في الجزائر، وهكذا بالنسبة إلى بقيّة المتلاعبين بالألفاظ للوصول إلى أهدافهم.

ولا يخفى: أنّه لا يلزم أن يكون المنحرف عالماً بانحرافه، لأنّ الانحراف انحراف، سواء علم المنحرف أم لم يعلم بأن كان جاهلاً جهلاً مركباً، وأحياناً يضع المنحرف نفسه وحياته في سبيل الرمز المنحرف، مثل رمز رقيّ الدم الألماني على سائر الدماء واختيار الصليب المعقوف[2] كرمز للنازية حيث

---

(١) الحرب التي شنها الرئيس الأمريكي جونسون، بعد انتخابه سنة ١٩٦٤م، حيث بدء بتصعيد التدخل في فيتنام ونشطت عناصر مخابراته، وأطاحت بكل الحكومات التي لم تكن امريكا راضية عنها في سايغون. وبحجة مواجهة القوات الشيوعية المدعومة من جمهورية فيتنام الديمقراطية شنت الحرب عليها. وقد توقفت هذه الحرب في عهد نيكسون، إثر توقيع معاهدة باريس في كانون الثاني سنة ١٩٧٣م، والتي نصت على انسحاب القوات الأمريكية في غضون شهرين وإطلاق سجناء الحرب والتعهّد بالتزام استقلال فيتنام الجنوبية.

(٢) وهو من أقدم الأساطير الشمسية، وأضحى هذا رمزاً للتهديد يثير بطريقة لاشعورية - على حد تعبير تشاخونين صاحب كتاب اغتصاب الجماهير بالدعاية السياسية -، الأفكار التالية: هتلر هو القوة، القوة الوحيدة الحقيقية.. وما دام كل الناس معه، فينبغي ان اكون انا ايضاً، أنا رجل الشارع، معه.. معه.. إن كُنت أرغب في الحياة.

ضحى هتلر بكثير من شعبه من أجل تطبيق هذه العقيدة في العالم.

وقد قتل جماعة كبيرة من المنحرفين في النزاع حول مسجد بابري والمعبد الذهبي في الهند لأجل انحراف عقيدة، تصوّروا أنّها عقيدة صحيحة، إلى غير ذلك من الأمثلة القديمة والحديثة والمستقبلية. ونحن لا نريد من ذلك إلاّ الإشارة إلى خلفيات الرأي العام، وأمّا الخصوصيّات والمصاديق والتطبيقات فهي خارجة عن الحدّ والعدّ، وهي منتشرة في كلّ الأمم والأمصار والأعصار.



القوالب الفكرية

مسألة: القوالب الفكرية تكمن وراء الرأي العام؛ حيث يعتاد الإنسان على أن يجعل لكلّ مجتمع أو مجموعة قالباً فكرياً، وذلك القالب الفكري يحرّكه نحو ذلك المجتمع أو المجموع سلبياً وإيجابياً، فمثال المجموع هو كالقالب الفكري الذي يطبع على مجموعة من المسائل المرتبطة باللسان؛ حيث إنّ القالب الفكري هو عبارة عن لفظ الأدب، ومثال المجتمع هو القالب الفكري الذي يطبع على مجموعة أفراد من قوم أو شعب أو أمّة أو أمثال ذلك، فإذا كان القالب للمجتمع نحو كون زيد كريماً التفّ الناس حوله لحصول الرأي العام وإذا كان بخيلاً تنفّر الناس عنه. كما أنّ اللسان ينفع ويضر كالأخلاق الحسنة أو السيئة حسب الرأي العام في تعلّمه أو الابتعاد عنه. وقد قامت منظمة اليونسكو[1] بدراسة أسلوب أفراد أية أمة في تقديم تصوّراتهم عن الأمم

---

(١) وهي الوكالة المتخصصة للتربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة، واسمها المختصر اليونسكو ومقرها باريس ولها فروع في العالم في مائة وعشرين دولة، أنشئت نتيجة المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٤٥م وباشرت أعمالها في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٦م بهدف الإسهام في توطيد السلام والأمن في العالم بتشجيع التعاون بين الأمم في ميادين التربية والعلوم والثقافة، بحيث يؤدي ذلك إلى احترام العدالة في أنحاء العالم واحترام سيادة القانون وحقوق الإنسان وحرياته الأساسية دون التفرقة بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين، وحث الشعوب على محو الأمية والتعليم ونشر الثقافة وتشجيع البحث العلمي لتحسين ظروف المعيشة. وتحقيقاً لهذه الأهداف تقوم بالتعاون على تبادل المعرفة وزيادة التفاهم بين الشعوب مستعينة بوسائل الاتصال بين الجماهير كالكتب والدوريات والإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح والمعارض والمتاحف، وتقوم ببذل المعونة

الأخرى، حيث وجّهت الأسئلة التالية إلى عينة من ثمائي قوميات من قائمة الكلمات المبينة على البطاقة:

صِف الشعب الأمريكي، أعط وصفاً دقيقاً للشعب الأمريكي.

تخيَّر من الكلمات كما تريد.

اختر الحروف أو الكلمات التي تتماشى معها.

وإذا لم يكن لديك شيء خاص نحو كلمة أو أخرى فاذكر ذلك

وكانت الكلمات التي أدرجت هي:

الشعب الأمريكي: شعبٌ مجتهد في عمله، أو ذكي في فكره، أو عمليٌّ في تحرّكه، أو مغرورٌ في صفته. كريمٌ في تعامله، أو عنيف بالنسبة إلى الشعب الذي يوصف باللاعنف، أو متخلّف عن ركب الحضارة، أو شجاع في الإقدام، أو يضبط نفسه وأعصابه عند الاهتزازات، أو مسيطر على ذاته بحيث لا تبدر منه البوادر، أو تقدّمي يريد التقدّم في كلّ شيء ويعمل لأجل ذلك، أو محبٌّ للسلام في قبال حبّ الحرب وتجارة الحروب، أو يستحيل وصفه حيث لا وصفٌ خاصٌ له من هذه الصفات التي ذكرناها. ثمّ تكرّرت العملية

المالية للهيئات الثقافية.

وتعمل المنظمة من خلال فروعها الرئيسية الثلاثة، وهي: المؤتمر العام ويتألف من مندوبين عن جميع الدول الأعضاء، وينعقد مرة كل سنتين لإقرار سياسة المنظمة وبرامجها وميزانيتها في السنتين القادمتين. والمجلس التنفيذي وينتخبه المؤتمر العام، ويتألف من ٢٤ عضواً، ويجتمع مرتين على الأقل في السنة لتنفيذ البرنامج الذي يضعه المؤتمر العام. والأمانة العامة ويرأسها مدير عام يعينه المؤتمر العام، بناءً على ترشيح المجلس التنفيذي، ويعاونه جهاز دولي من الموظفين. وتصدر اليونسكو عدّة دوريات، منها: المتحف، صحيفة العلوم الاجتماعية، اليونسكو الشهرية، نشرة التربية الأساسية وتربية الكبار، نشرة حقوق التأليف، نشرة اليونسكو للمكتبات. وعادة ما تصدر أغلبها باللغتين الانجليزية والفرنسية. راجع موسوعة السياسة: ج ١ص٣٢٣ و: ج٧ص٤٨٤، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٧ص٣٣٤٩، القانون الدولي العام: ص٦٥٧ للدكتور علي صادق أبو هيف.

بإحلال الشعب الروسي محل الشعب الأمريكي، ثمّ إحلال شعب آخر من الشعوب حتّى من القوميات العرقية.

وكانت النتيجة باعثة على العجب والدهشة؛ لأنّها خلعت على شعب من تلك الشعوب نعوتاً من صنع القالب الفكري الجماهيري السائد، ولهذا نسمع من يقول: إنّ الأمّة الفلانية كريمة، والأمّة الفلانية لئيمة، والأمّة الفلانية شجاعة، والأمّة الفلانية جبانة، والأمّة الفلانية ذكيّة، والأمّة الفلانية قويّة، وهكذا فهذا مثال القالب الفكري بالنسبة إلى المجتمع. وهناك القالب الفكري بالنسبة إلى المجموعة، مثلاً: هل الأفضل إذا أردنا الدراسة في الجامعة دراسة الرياضيات أو الآداب أو الإدارة أو ما أشبه ذلك، فإنّ الإنسان يأخذ من مجموع المسائل المتعلّقة بالعلوم والفنون قالباً فكرياً، وهنا القالب الفكري يكون وراء الرأي العام إيجاباً أو سلباً بأن يتقدّم الإنسان إليه أو لا يتقدّم إليه.

وعلى كل حال: فالرأي العام من أسس القوالب الفكرية التي تكتسبها الشعوب والأمم بالنسبة إلى مجتمع ما أو مجموعة من المسائل.

اللغة والرأي العام

مسألة: اللغة[1] عنصر أساسي في حياة الشعوب، فهي من أدوات التواصل ونقل المعلومات وتبادل الآراء والأفكار والتعامل بين البشر بل تقوم بدور فعال في تماسك المجتمع والجماعات، وبالتالي فهي من الأركان المهمّة للرأي العام؛ حيث إنّ الإنسان جعل لغة التفاهم للوصول بنفسه أو بجماعته أو بالناس أجمعين إلى حاجاته وحاجاتهم، فاللغة رمز لذلك، مثلاً لفظ الوعي

---

(١) اللغة: هي كلمات وعبارات تحدد الأشياء المادية والعلاقات والآراء والمفاهيم والقيم التي تعنى بها الثقافة، كما أن أنماط السلوك وطرق الحياة والأفكار والعمليات الإجتماعية والقيم والمستويات تنعكس في صورة اللغة. وقيل: إن اللغة عبارة عن وعاء وأداة تتسع وتتضيق بحسب مستوى ثقافة المتحدثين بها، وقيل: أنها وسيلة للتفاهم والتوصل وهي حلقة في سلسة النشاط الانساني المنظم، وقد ذكرت منظمة اليونسكو أنه هناك ستة آلاف لغة في العالم ولاتدخل اللهجات في إطار هذا العدد، وأوسع هذه اللغات في الوقت الحاضر هي الصينية، وهناك أكثر من ١٩ لغة يتكلّم بكل منها ما يربو عن خمسين مليون إنسان. ولايتفق العلماء على رؤية واضحة بشأن كيفية بدء اللغة في حياة البشر، ولا يتوفّر تاريخ كامل لمراحل تطور اللغة وتفرعها. فبعض العلماء يدعي أن اللغات لها وحدة في الأصل وهي عبارة عن عائلات لغوية، وذلك لوجود اسس عامة بين اللغات كالأسس الصوتية والنحوية والدلالية المشتركة بين جميع اللغات. والعائلات هذه هي مجموعة من اللغات المترابطة لانها نشات بصورة بطيئة من لغة واحدة موغلة في القدم، وعندما يصبح المتكلمون بلغة ما، منقسمين الى مجموعات، لايتصل بعضها ببعض، تستمر لغة كل مجموعة بالتغير بطريقتها الخاصة، وبعد عدّة قرون تتكلم تلك المجموعات بشكل مختلف الى درجة بعيدة، بحيث انها لاتفهم بعضها بعضاً. وثمة علماء آخرون يرون ان هناك اختلافا في اصل اللغات. كما اختلف العلماء في منشأ اللغات، فقسم يرى أنها وحي إلهي، وقسم آخر يرى أنها تابعة لنظرية التواطئ والاختراع، وقسم ثالث يرى أن منشأها الغريزة، وقسم رابع يرى أنها خاضعة للتطور التدريجي بمعنى مبنية على النمو الفكري.

الاجتماعي أو التكافل الاجتماعي أو المصالح العامّة أو الأمن العام، كل لفظٍ منها يحتوي على مساحة من الحاجات والمفاهيم، فإذا لم تكن هذه الألفاظ لم تكن إشارات لما يريده الإنسان، فإذا قال حزبٌ أو جماعةٌ: «إنّي أمنح التكافل الاجتماعي إذا وصلت إلى الحكم» هرع الناس إليه، مع أنّ اللفظ غامض الدلالة لا يعرف حدودها.

ومن الأمثلة: إذا قال حزب ما أو جماعة من العاملين: «نحن نريد تطبيق الإسلام»، فالشعب الذي هو مسلم بالأساس سيلتف حول هذه الجماعة، بالرغم من أنّ هذا الشعب لا يعرف نوع الإسلام الذي يراد تطبيقه هل هو إسلام رسول الله أم إسلام الحجاج أم إسلام الوليد أم إسلام معاوية؟ ذلك لأنّ الإسلام كلٌ واحد في اللفظ، لكن في الممارسة قد يختلف إسلام مع إسلام آخر أو بالأحرى من يدّعي الإسلام مع الإسلام الحقيقي.

ولما كان الإسلام فيه دلالة على حرية الرأي والعدالة، نجد الناس يلتفون حول كلّ من ينادي بهذا اللفظ؛ لذا كان لا بدّ ألاّ يغتر الناس بالألفاظ البراقة؛ لأنّها قد تخفي وراءها أهدافاً خاصّة، وعلى غرار ذلك لفظا التأمين الاجتماعي والتكافل الاجتماعي اللذان يتضمنان معنىً جميلاً لكن قد يخفيان أهدافاً مبيّتة.

وغالباً ما يأتي ذوو الأغراض السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بألفاظ فضفاضة قابلة للتطبيق هنا وهناك مستغلين عواطف الناس نحو بعض الألفاظ الجميلة الدالة على معان جميلة. فاللفظ واللغة سواء كانت لغة خاصّة أو لغة عامّة، تصبح عاملاً مهماً من عوامل الرأي العام وقيم المجتمع.

وكثير من المشاكل يعبّر عنها بالألفاظ اللغوية الشائعة الاستعمال بين أعضائها، فحديث رجال القانون وحديث الأطّباء وحديث رجال التعليم والاصطلاحات الاقتصادية ولغة العلم وما أشبه ذلك، كلّها مفردات خاصّة تختلف عن لغة حديث الجمهور العام، فانّ اللفظ قد يكون لفظاً عاماً للجميع،

وقد يكون لفظاً خاصاً بجماعة دينية أو دنيوية، مثلاً لفظ: «اليهود» له دلالة خاصّة، وكذلك لفظ:« النصارى» له دلالة خاصّة، وكذا «الإسلام» و«الشيعة» و«السنة» و«الوهابية»، كلّها ألفاظ عامّة أو خاصّة، تمارس نوعاً من السلطة على الفكر والإرادة.

ومن المعلوم أنّ الرأي العام يكون وراءه الفكر والإرادة. نعم، اللفظ الخاص بجماعة يكون وراء الرأي العام في تلك الجماعة، واللفظ العام للجميع يكون وراء الرأي العام للجميع، وكثير من الألفاظ الفضفاضة تصبح من أسباب التلاعب بالأفكار والآراء، وكثيراً ما يختلط الأمر على كثير من الناس، مما يوجب إغفال الجماهير مثل: «الأراضي العربية» أو «أراضٍ عربية»؛ فزيادة اللام ونقصها توجب تغييراً أساسياً في الواقع كما حدث بين العرب وإسرائيل عند تفسير قرار مجلس الأمن، حيث ورد اللفظ بشكلين مختلفين في النسخة الإنجليزية عن النسخة الفرنسية، فتمسّكت إسرائيل بالنسخة الفرنسية التي ورد فيها لفظ أراضٍ عربية، ومعنى ذلك بعض الأراضي التي احتلتها إسرائيل في «حرب حزيران» سنة ١٩٦٧م[1].

وفي الأدب العربي قصّة مشهورة في هذا المجال هي: أنّ الحجاج غضب على أحد أصحابه وهو القبعثري ـ، فقال له: لأحملنّك على الأدهم والأبيض. فقال له القبعثري: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب. ـ فعرف الحجّاج أن صاحبه لعب باللفظ ـ فقال: انه حديد. فقال له صاحبه: لأن يكون حديداً

---

(١) اشارة الى القرار ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ وينص على ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة بعد حرب الأيام الستة.

خيرٌ من أن يكون بليداً[1].

وفي قصة ثانية قيل للخليفة: «لا، يرحمك الله» بجعل فاصلة بين «لا» و«يرحمك الله» مما يدل على أنه لا ترتبط «لا» بـ«يرحمك الله». فقال له الخليفة: قل: «لا ويرحمك الله»، حتى لا يزعم أن «لا» ترتبط بـ«يرحمك الله»[2] فتكون نفياً لما هو إثبات.

وفي قصة أخرى، قال خالد بن الوليد[3] بعد أن سجن مالك بن

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٧٢ ص٢٠٠ ح٦٢ ط بيروت.

(٢) جاء في وفيات الأعيان: ج٢ ص٦٩: رأى أبو بكر رجلاً بيده ثوب فقال: أهو للبيع؟ قال: لا أصلحك الله، فقال: هلا قلت: لا، وأصلحك الله، لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء علي؟.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ابن خالة عمر بن الخطاب، أسلم برفقة عمرو بن العاص سنة ٨هـ (٦٢٩م)، شهد مع كفار قريش الحروب إلى غزوة الحديبية، أسلم في السنة السابعة، أرسله أبو بكر إلى العراق سنة ١٢هـ (٦٣٣م) لفتح الحيرة، ثم عينه قائداً في الشام، وقد خلعه عمر بن الخطاب من منصبه، مات بحمص سنة ٢١هـ (٦٤٢م). ارتكب عدة جرائم: ففي عهد الرسول ﷺ قتل الكثير من بني جذيمة من بني المصطلق المسالمين بعد أن كتّفهم وسرق أموالهم، وعندما أخبر الرسول بذلك، رفع يديه إلى السماء قائلاً: اللّهم إني أبرأ إليك مّما صنع خالد بن الوليد، ثم أرسل الرسول الأكرم ﷺ الإمام علي عليه السلام لبني جذيمة قائلا له: يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج الإمام علي عليه السلام حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدي لهم ميلغة الكلب، إذ لم يبق شيء من دم ولا مال إلاّ وداه، وبقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. فقال الرسول ﷺ: أصبت وأحسنت. ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه، يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات. وفي زمن أبي بكر هجم خالد على بني سليم الذين لم يقبلوا بخلافة أبي بكر، وجمع رجالهم في الحضائر وأحرقهم بالنار. وكذلك هجم على مالك بن نويرة وعشيرته ـ الذي يعد من الأشراف في الجاهلية والإسلام وكان فارساً وشاعراً. وقد عاشر الرسول الأكرم ﷺ وأحسن معاشرته واستعمله الرسول لبرهة من الزمن على

نويرة[1] وجمعاً من قبيلته، قال للسجان: «أدفئوا أسراكم» وكان ليل وبارد، ففهم السجّان من كلام خالد أن اقتلوا القوم؛ لأنّ اللفظ في عشيرتهم يعني القتل، فقتلهم فأقرّ خالد أمام عمر بن الخطّاب أنّه لم يرد قتلهم بل تدفئتهم[2].

صدقات قومه - بعد أن رفض مالك إعطاء الزكاة لأبي بكر ممّا حدا بخالد أن يقتل مالكاً والكثير من أصحابه، وزنا بزوجته أم تميم، وسبى الكثير من النساء، ونهب الأموال، ثم أمر بحزّ رؤوس القتلى لتجعل أثفية للقدور، فما من رأس إلاّ وصلت النار إلى بشرته ما عدا مالكاً؛ فإن القِدر نضجت وما نزح رأسه من كثرة شعره، وقد وقى الشعر البشرة حرها أن يبلغ منه ذلك، وقال عمر بن الخطاب لخالد بعد هذه الفجيعة: قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله، لأرجمنك بأحجارك. ثم عندما نكح خالد بن الوليد ابنة مجاعة بن مرارة قسراً، كتب إليه أبو بكر: يا ابن أم خالد، إنك لفارغ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد. للمزيد راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤ ص١٨٧، الغدير للأميني: ج٧ ص١٥٥- ١٦٩، الموسوعة الإسلامية: ج٥ ص١٧٤- ١٧٥ للباحث حسن الأمين، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٢٥٥، الكنى والألقاب: ج١ ص٤١، سفينة البحار: ج٢ ص٦٦٣.

(١) مالك بن نويرة بن حمزة اليربوعي التميمي: شاعر وفارس، أسلم هو وأخوه متمّم مع قومه، وكان هو وأخوه عاملين للرسول الأكرم ﷺ على صدقات قومهما. فلما انتقل الرسول الأكرم ﷺ إلى جوار ربه امتنعا عن إرسال أموال الزكاة إلى ابي بكر، لأنّ العرب والمسلمين من غير أهل المدينة لم يكن لهم رأي في انتخاب أبي بكر. فاتهم مالك بالردّة، وواقع الأمر أنّ مالكاً بن نويرة وقومه قاموا بعصيان سياسي، وترك الطاعة لمن لم يكن أهلاً للخلافة بنظرهم. فوجّه ابو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد لقتالهم، وقتل مالك مع كثير من قومه واحرق جسده وزنى خالد بامرأته وأسر كثير من نسائهم، وكان ذلك سنة ١٢ هـ (٦٣٤م). راجع النص والاجتهاد: ص١٣٦، مجالس المؤمنين للتستري: ص٥٣، منتهى المقال للمازندراني: ج٥ ص٢٧٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص١٧٩.

(٢) جاء في أسد الغابة: ج٤ ص٢٩٥: فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان، سار إلى مالك وقدِمَ البطاح فلم يجد به أحداً كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع، فلما قدِمَ خالد البطاح بث سراياه فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد انهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة، وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم. فسمع خالد الواعية، فخرج وقد قتلوا، فتزوج خالد إمرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد

أقول: هذا نوع من التلاعب في الألفاظ، لأنّ خالد كان يعـرف معنـى اللفـظ عند السجان.



فيه رهق، واكثر عليه. فقال ابو بكر: تأوّل فأخطأ... وقَدِمَ خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدو الله قتلت إمرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته لأرجمنك. وكذا راجع النص والاجتهاد: ص١٤٠.

الأمثال والأقوال

مسألة: إنّ أمثال [1] السابقين وأقوالهم تروّج في أوساط المجتمع وتتحوّل إلى شبه قانون، وهذه الأقوال تختزن في طياتها القيم والمعارف، وتجمع خبرات

(١) الأمثال: جمع مثل، والمثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائرٌ يشبّه به حال الثاني بالأول، والأمثلُ فيه التشبيه. راجع أمثال القرآن للمبرّد.

وعرفه المرزوقي في الأمثال العربية القديمة: ص٢٥: جملةٌ ـ من القول مقتضبةٌ ـ من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسّم بالقول وتشتهر بالتداول، فتُنقَل عمّا وردت فيه، إلى كل ما يصحّ قصدُه بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يُوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جُهلت أسبابها التي خرجت عليها.

وعرّفه الفارابي في كتابه ديوان الأدب، كما نقل عنه العبدَري في تمثال الأمثال: ج١ ص١٠٠: «المثلُ ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السرّاء والضرّاء فليستدرّوا به الممتنع من الدرّ، وتوصلّوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرجوا به من الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة، لأنّ الناس لايجتمعون على ناقص أو مقصّرٍ في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة».

وقال محمد الغروي في الأمثال النبوية: ج١ ص٧-٨: يطلق المثل على معانٍ ثلاثة: ١ - اسم واقع على المثل السائر وهو كلمة موجزة قيلت في مناسبة تناقلها الأجيال بدون تبديل ٢ - لما يقصده البيانيون من مثل قياسي متشكل من أي وصف أو قصة أو تصوير رائع، لتوضيح فكرة عن طريق تشبيه يسميه البلاغيون التمثيل المركب لتقريب أمر معقول من محسوس يجمع بذلك بين عمق الفكرة وجمال التصوير ولم يقصر فيه على سماع أو نقل ٣ - مطلق ما يسمى بالمثل سواء فيه المثل السائر، والمثل القياسي، والمثل الفرضي، المعروف بالرومان وبالخياليات، التي صنعت للاعتبار والموعظة، كفرضيات كتاب كليلة ودمنة.

ثم إنّ الأمثال وتطورها والبحث عن أصولها خلال العصور والأجيال يحتاج إلى تدوين كتب مطولة، تكشف عن غوامض الأمثال من شأن نزولها ومواطن الحكمة فيها ووجوه الاستعارة وغريب كلماتها ومصطلحاتها وما أشبه ذلك. وإنّ الأمثال العربية إمّا جمعت وفق حروف التهجي أو الأوزان الخاصة أو حسب المواضيع ـ كما فعله الرازي ـ.

الأمّة وتجارب أبنائها؛ لذا فهي ذات تأثير كبير على الحاضر وعلى أجيال الأمّة المستقبلية.[1]

وكلّما تعلّقت الأمّة بهذه الأقوال والأمثال كان تأثيرها شديداً، كأن تحفظ هذه الأمثال وتستشهد بها في مواطن الاستشهاد، فهي تتحوّل بمرور الزمن إلى قانون للحياة؛ تختصر كثيراً من العبارات وتختزن كثيراً من القصص.

ولاشكّ أنّ الأمثال تعكس طبيعة المجتمع، فالعرب قبل الإسلام كانوا يقولون: «القَتلُ أنفى للقتل»[2]، وقد جاء القرآن الكريم بعبارة أبلغ وأجمل وأكثر إنسانية وحضارية من عبارة العرب في الجاهلية وهي: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَأُولِي الأَلْبَابِ﴾[3].

وفي الوقت الراهن يقولون: «الدم يغسل الدم»، وهو نظير: «القَتلُ أنفى للقَتل»، وإن كان الاختلاف في قوة الألفاظ وسعتها أو عدم قوّتها، فالعبارة القرآنية فيها من القوّة ما ليس في الكلمتين الاخيرتين؛ أي أن القصاص يشمل قصاص البدن كلياً بالقتل، أو جزئياً بقطع اليد والرجل أو القصاص بالنسبة إلى المال أو السب أو ما أشبه ذلك، ذلك لأنّ الحياة فيها ألوف الفنون والمشكلات والحلول، والإنسان لا يتمكّن أن يحتفظ بكلّ ذلك عن أدلّتها وخصوصيّاتها، فالحكماء في كلّ الأمم والأنبياء والأئمّة والمصلحون يطلقون كلمات صغيرة قابلة للحفظ وتختزن الحكمة، والإنسان يحتاج إليها بلا تفكّر في السعة والضيق والعمق والسطح، ممّا يرهق الذهن إرهاقاً كبيراً. ومن الواضح أنّ كلاً

---

(١) إضافة الى كون الأمثال تذكرة وتبصرة واعتبار وانتباه للناس وتربية لهم، فهي تزيد في عقولهم وحصافتهم وتنمّي قواهم الروحية والجسمية.

(٢) راجع مجمع الأمثال للميداني: ج١ ص١٠٥ رقم ٥٢٩، المنجد في اللغة والأعلام، قسم فرائد الأدب: ص١٠٠٤ حرف القاف.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

من المثال والشعر والحكمة ونحو ذلك من هذا القبيل.

نعم، قد يكون المثال دائمياً؛ حيث أخذ من الكثرة، وقد لا يكون دائمياً؛ حيث أخذ من طرف خاص، زماناً أو مكاناً أو شعباً، فقول أمير المؤمنين عليه السلام: (كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطل)[1]، تحولت إلى شعار لكل من يحاول أن يظهر بمظهر الإخلاص لكن قلبه يحمل نوايا معاكسة، وهو مثال لا يعرف حدود الزمان والمكان، لكن «نَبح الكلاب»[2]؛ للدلالة على الاستعداد لإكرام الضيف مرتبط بظرف زماني، كان فيه الكلب هو كل شيء في البادية، أما اليوم فمع تطوّر الحياة في المدن لم تعد هذه العادة جارية إلاّ اللهم في بعض الأرياف والقرى. فالأمثال ذات قيمة أساسية في بناء الرأي العام، وهي تجعل المجتمع في حالة تأهب وتضعه في مجال التطبيق العملي، فكلام رسول الله صلى الله عليه وآله: (ردّ الحجر من حيث أتى)[3]، تحول إلى مثل وأصبح المثل قانوناً حياتياً جعل المسلمين دائماً في حالة استعداد كامل لمواجهة الخطر والرد على الكيل بكيل مواز له، ومن المعلوم أنّ الأمثال والحكم المتبعة تجري فيها قوانين المنطق وأشكاله الأربعة وصناعاته الخمس؛ إذ هناك تعارضٌ وتفاوت، وهناك تزاحم، وهناك عموم مطلق، وهناك عموم من وجه، وهناك تباين، كما وأنّ

---

(١) قالها الإمام علي عليه السلام في بعض خطبه في الكوفة وفي وقعة صفين لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح ولما سمع اعتراض الخوارج قائلين: «لا حكم إلاّ لله». راجع: دعائم الإسلام: ج١ ص٣٩٢، المناقب: ج٣ ص١٨٨، فقه القرآن: ج١ ص٣٧٥، وقعة صفين: ص٤٨٩، نهج البلاغة: ص٨٢ باب الخطب الخطبة الرابعة، وص٥٠٤، قصار الحكم، الحكمة ١٩٨، خصائص الأئمة: ص١١٢.

(٢) راجع المنجد في اللغة والأعلام، قسم فرائد الأدب: ص ١٠٠٩ حرف النون.

(٣) قال الإمام علي عليه السلام: (ردّ الحجر من حيث جاءك، فإنه لا يرد الشر إلاّ بالشر). غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٤ القسم الأول ب١ الفصل الثاني ح٧٦٩٥. جاء في المنجد في اللغة والأعلام، قسم فرائد الأدب: ص٩٨٨ حرف الراء: «ردّ الحجر من حيث جاءك».

المحتويات فيها البرهان، وفيها الشعر والخطابة والسفسطة والجدل وما أشبه ذلك، وكما أنّ القانون وإن وضع على يد جهابذة العلم والفن، فإنه بحاجة إلى التفسير والتأويل والجمع والطرح وما أشبه ذلك، وكذلك حال الأمثال والحكم ونحوهما، فليس هذا من نقائص الأمثال بشيء حتى يقال للأمثال: «ليست مستحكمة»؛ لما فيها من هذا النقص وإلاّ قيل لمثل ذلك في القانون ونحوه.



الشعار والرأي العام

مسألة: إنّ الشعارات[1] قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية، ومثال الأول «جوّع كلبك يتبعك»[2]، ومثال الثاني «أيّهما أقدم الدجاجة أم البيضة؟»، وكما يجري هذا الأمر في الشعار يجري في الحكمة والمثل والشعر ونحو ذلك.

والشعار شائع منذ القدم إلى اليوم، ولهذا اتّخذه رجال الدعاية والأعمال التجارية والجماعات الرياضية والمنظمات الدينية أو الاجتماعية والمصلحون وما أشبه ذلك وسيلة للإغراء نحو شيء خاص يقصدونه، ولا فرق بين أن يكون متّخذ الشعار محقّاً أو مبطلاً، وقد رأيت في زماننا في أيّام الشيوعيين والبعثيين في العراق أنّ شعارهم في قمع المعارضة هو الحبال بمعنى شنقهم. وذلك يرمز إلى شيء يُهدف إليه من الأهداف الشيوعية أو البعثية، وكان شعار النساء الشيوعيات «بعد شهر ماكو مهر»؛ إشارة إلى بطلان العقد والنكاح حين تسلّط الشيوعيون أيّام عبد الكريم قاسم[3]، وقد يكون مطلق الشعار انتهازياً

---

(١) الشعارات جمع شعار، والشعار مأخوذٌ من الشعر، وهو في الأصل اللباس الذي يلبس تحت الألبسة؛ حيث يكون ملاصقاً للجلد، فيقال: الشعار بالنسبة إلى شيء يراد به أنّه ملاصق بجلد الشيء المقصود.

(٢) وضد هذا الشعار: سمن كلبك يأكلك. راجع العقد الفريد: ج٣ ص١١٧.

(٣) عبد الكريم قاسم: ولد في بغداد سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م)، التحق بكلية الأركان سنة ١٩٤٠م، تسلم الحكم في العراق سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) بعد أن أطاح بالنظام الملكي، وأعلن النظام الجمهوري، وشكل مجلس السيادة لإدارة البلاد، استمر في الحكم لسنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م)، وأعدم إثر تعرضه لانقلاب عسكري؛ قاده عبد السلام عارف، في ٨ شباط ١٩٦٣م. ومن طرائف حكمه أنه اختار اليوم الأول من شهر تموز - وشهر تموز هو الشهر

يريد تحقيق شيء ما، مثل شعارات المرأة الداعية لإطلاق حريتها، حيث أرادوا منها أن تخرج من البيت كما فعلوا بها في البلاد الغربية والشرقية، ثم إنّ الشعار قد يكون في مقابل شيء، وقد يكون في الأصل والابتداء مثل شعار: «الله أكبر»، وهو أوّل شعار كان للمسلمين ابتدائياً لا في قبال شيء.

وهناك شعارات علّمها رسول الله ﷺ للمسلمين في حرب أحد، التي حدثت في السنة الثالثة للهجرة، فكان شعار المقابل «اعلُ هُبَل، اعلُ هُبَل» بعد أن أركب المشركون هبل على جملٍ، فقال المسلمون: «الله أعلى وأجل»، كما أنّ الكفّار أركبوا العزّى على جملٍ وجعلوا يطوفون حوله قائلين: «لنا العزّى ولا عزّى لكم». فقال المسلمون بناءً على توجيه الرسول ﷺ: (الله مولانا ولا مولى لكم)[1].

وميزة شعارات المسلمين أنّها أبدية؛ لأنّها قائمة على مبادئ راسخة وثابتة،

الذي تسلم فيه الحكم ـ لجميع العراقيين الذين كانوا يجهلون تواريخ مواليدهم.

(١) رفع هذا الشعار أبو سفيان عندما انصرف من غزوة أحد التي حدثت في شهر شوال سنة ٣هـ، وقد أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: انعمت فعالاً، إنّ الأيام دول، وان الحرب سجال، يوم بيوم بدر. فقال الرسول الأكرم ﷺ الا تجيبونه؟ قالوا: يارسول الله ما نقول ؟ قال: قولوا: قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزى لكم. فقال الرسول الأكرم: الا تجيبونه. قالوا: يارسول الله ما نقول ؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. فقال ابو سفيان اعلُ هبل. فقال الرسول: الا تجيبونه ؟ قالوا: الله اعلى وأجلّ. راجع مجمع الأمثال للميداني: ج١ ص٤١٢ رقم ١١٤٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص٣١، الاحتجاج: ج١ ص ٢٧٤، بحار الانوار: ج٢٠ ص٢٣ ب١٢.

ولا يخفى: كان للكفار ثلاثة إلاهات متميزة هي: اللات والعزى ومناة، وكان كل واحد منها لمصر من الأمصار، فاللات: لأهل الطائف، والعزى: لأهل مكة، ومناة: لأهل المدينة. وأن هُبل عند العرب هو إله الحظ، وهو عبارة عن صنم من عقيق احمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، ادركته قريش فجعلت له يداً من ذهب، وكان الكفار يقدّمون له القرابين ويستخيرونه في أمورهم وأعمالهم بالقرعة.

بينما شعارات الكفّار شعارات وقتية وخاصّة بمرحلة الكفر؛ لأنّها متعلّقة بمن يؤمن بهبل والعزى وقد تحطمتا على أيدي المسلمين في فتح مكّة.

والشعار الناجح هو الشعار الذي يتّصف بقلّة الألفاظ وباحتوائه على معنى كبير، ولذا قال العلماء المتخصّصون في هذا الموضوع: «يجب أن يكون الشعار بسيطاً بحيث يمكن فهمه، سهلاً بحيث يمكن تذكره، وممتعاً في تكراره، ولما كان نجاح الشعار يعتمد على ترديده إلى حد كبير، فمن الواجب أن تتوفّر فيه مواصفات الإيجاز والذكاء والأصالة»، وقد ابتكر في علم الحديث شعار الشكل عوض شعار اللفظ، مثل أن يجعل من يبيع المقص مقصاً من الحديد فوق محل بيعه كما يجعل بائع الببغاوات طائر الببغاء داخل القفص أمام المحل.

وقد يوضع شعار في قبال شعار آخر؛ لأنّ الشعارات أيضاً تتعارض وتتنافى، كما أنّها أحياناً تتلاءم وتتوافق.

التنابز بالألقاب

مسألة: من مكوّنات الرأي العام التنابز بالألقاب والألفاظ الحقيرة والتشهير والهمز[1] واللّمز[2] وما أشبه ذلك، ثم إنّ كيفية تأثير التنابز بالألقاب غير كيفية تأثير السحر[3]، لأنّ للسحر ألفاظاً خاصّة ونفسيات تكمن وراءها، تؤثّر في

---

(١) الهُمزة: الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم والذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه. الهمز: الغمز والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم. والهمّاز من يغمز أخاه في قفاه من خلفه بعيب. همز رأسه يهمزه همزاً.. غمزه. راجع: مجمع البحرين: ج٤ ص٤١، كتاب العين: ج٤ ص١٧، لسان العرب: ج٥ ص٤٢٦. وجاء في إحياء علوم الدين للغزالي: ج٣ ص١٣٥، الهُمزة: الطّعان في الناس.

(٢) اللُّمزة: رجلٌ لُمزَة: يعيبك في وجهك لا من خلفك. وفي مجمع البحرين: ج٤ ص٢٤ أن الهُمزة هو الذي يعيبك بوجهك. واللُّمزة الذي يعيبك بالغيب. وقيل اللمزة ما يكون باللسان والعين والإشارة. والهَمز لا يكون إلاّ بلسان. اللّمز الكلام الخفي. اللّمز كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي. رجل لُمزة: يعيبك في وجهك لا من خلفك. راجع: كتاب العين: ج٧ ص٣٧٢، لسان العرب: ج٥ ص٤٠٦، وجاء في إحياء علوم الدين للغزالي: ج٣ ص١٣٥، اللُّمزة: الذي يأكل لحوم الناس.

(٣) السِّحر، لغة: ما لطف مأخذه ودقّ أو صرف الشيء عن وجهه أو الخداع أو اخراج الباطل بصورة الحق.

وفي اصطلاح الشرع: ١ - كل أمر يخفى سببه ويخيّل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع.

٢ - عبارة عن كلام أو كتابة أو رقية أو عقد أو أقسام أو عزائم أو تدخين أو تصوير أو نفث أو عمل شيء يؤثّر في بدن أو قلب أو عقل المسحور لأجل الإضرار به.

٣ - ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية.

والسحر حرام في الجملة خاصة إذا أدى إلى انحراف المسلمين في عقائدهم أو إهانة مقدساتهم أو الإضرار بأنفسهم أو إبطال الحق وإحقاق الباطل أو الإيقاع في

ذلك الطرف، ولذا قال رسول الله ﷺ: (إنّ العين حقّ)[1]؛ وإنّها (تنزل البعير القدر والرّجل القبر)[2]. أمّا توهّم أنّ السحر والسخرية والتنابز بالألقاب بمنزلة واحدة ومن منبع واحد فهو غير تام، فللنفس والرياضة البدنية والنفسية تأثيرٌ يعطي أموراً سحرية أو أموراً خارقة، بينما الاستهزاء والتحقير والتشهير وما أشبه ذلك من قبيل الألفاظ والإشارات واللغة فلا يرتبط أحدها بالآخر.

وإنّما يكون الهمز واللمز والاستهزاء من خلفيات الرأي العام؛ لأنّ الرأي العام يتجنّب ما يجتنبه المجتمع، وذلك ممنوع شرعاً إلاّ في المواضع

الأثم والعصيان.

قال الشهيد الثاني: السحر هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير. ومنه عقد الرجل عن زوجته بحيث لا يقدر على وطيها وإلقاء البغضاء بينهما، ومنه استخدام الملائكة والجن واستنزال الشياطين في كشف الغايبات وعلاج المصاب واستحضارهم وتلبيسهم ببدن صبي أو امرأة وكشف الغائب على لسانه. فتعلّم ذلك وأشباهه وعمله وتعليمه كلّه حرام والتكسب به سحت ويقتل مستحلّه، ولو تعلّمه ليتوقى به أو ليدفع به المتنبي بالسحر فالظاهر جوازه وربما وجب على الكفاية كما هو خيرة الدروس. للتفصيل راجع: بحار الأنوار: ج٦٠ ص٢١ ب١.

وإن السحر يختلف عند الشعوب والأمم فمثلاً عند الهنود يتم عبر تصفية النفس، وعند اليونان تسخير الروحانيات والأفلاك والكواكب، وعند المصرين القدماء عمل أشياء والرقية والدخنة بعزيمة والتماثيل والنقوش، وعند اليهود والعرب الأعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعاني كأنها أقسام عزائم بترتيب خاص يخاطبون بها حاضراً.

(١) غوالي اللآلي: ج١ ص١٦٩ ح١٨٨، وورد في نهج الفصاحة: ج٢ ص٧٠٤ (العين حقّ ولو كان شيء سابق القدَرَ سبقتْهُ العَين)، وورد عن الرسول الأكرم ﷺ: (إن العين حق وأنها تدخل الجمل والثور التنور) بحار الأنوار: ج٦٠ ص١٧ ب١ ح٣. وورد عنه أيضاً: (إن العين حق تستنزل الحالق) بحار الأنوار: ج٦٠ ص٦ ب١.

(٢) ورد في نهج الفصاحة: ج٢ ص٧٠٥ وجامع الأخبار: ص١٥٧ الفصل ١٤٩ و كنز العمال: ج٦ ص٧٤٤ ح١٧٦٠٠ الحديث التالي: (إنّ العينَ لتُدخِلُ الرَّجُلَ القبرَ وتُدخلُ الجملَ القِدرَ)، وشبيهه في مكارم الأخلاق: ص٣٨٦ ب١١ الفصل الثاني.

الصحيحة مثل استحقاق المشهّر به؛ كأن يكون ديكتاتوراً مستبداً أو فاعلاً للمحرمات الفاحشة أو ما أشبه ذلك. أو يكون مردّ الاعتداء بالاعتداء في موازينه العقلية والشرعية لا صورة له، كأن يفعل مجرم بزوجة رجلٍ آخر فيفعل المفعول به ذلك بزوجة المجرم أو ما أشبه ذلك كما ذكرنا تفصيله في كتاب «القواعد الفقهية»، وغالباً ما يكون التنابز بالألقاب بين نفرين عدوين أو طائفتين أو قطاعين من الجماعات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

كما أنّ الغالب أن يكون التنابز بين المدينة والريف، وبين الذكور والإناث، وبين الزوجين أحدهما بالنسبة إلى الآخر، وكذا الجارين والزميلين وما أشبه ذلك. لكن ذلك أيضاً خلاف الآداب والأخلاق والموازين الإنسانية والشرعية، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[1].

ثم إنّ من يقذف الآخرين بما لا يستحق يردّ بمثل ذلك، كما ورد منذ أربعة آلاف سنة (كما تُدين تُدان)[2].

وقد قيل:

كما يدين الفتى يوماً يُدان بـــه ... مَن يَزرع الثوم لم يحصده ريحاناً[3]

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) الكافي (أصول): ج٢ ص١٣٨ ح٤، من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٢١ ح٤٩٨١ وص٢١ ح٤٩٨٦، وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٩ ب٢١ ح١٥٥٨٤، غوالي اللآلي: ج٣ ص٥٤٦ ح٥، المحاسن: ج٢ ص٦٠١ ب٣ ح١٦. كما تدين تدان معناه كما تَفعل يُفعل بك وكما تجازي تُجازى. التوحيد: ص٢١٦، قصص الراوندي: ص١٦٢ ب٨ ح١٨٢. وعن هذا المثل راجع مجمع الأمثال للميداني: ج٢ ص١٥٥ رقم ٣٠٩٣، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: ج٢ ص١٦٨ رقم ١٤٦٠، تمثال الأمثال للعبدري: ج٢ ص٥٢٨، الأمثال النبوية للغروي: ج٢ ص٥٣.

(٣) والبيت من البحر البسيط.

وقد قال عيسى عليه السلام: (أحبوا أعداءكم)[1]، قال المفسّرون: إنّه أراد خيركم أولاً وخير عدوكم ثانياً؛ لأنّك إذا أحببت عدوّك فسيكون ذلك سبباً لأن يحبّك عدوّك أيضاً وفي ذلك لك راحة فكرية وعملية. وقد أشيع هذا الوصف في الجاهلية، فقال شاعرهم:

ولو أنّ برغوثاً على ظهر قملة ... يكرّ على صفّي تميم لولّتِ[2]

والحاصل: أنّ الرأي العام يكون من ورائه التشهير والتنابز بالألقاب، وقد يسمّى أيضاً بالتورية، إذا كان يقول شيئاً ويريد شيئاً آخر، كما قيل:

لا يجتني الجاني من الشوك العنب ... ولا من الحنظل يُجتنى الرّطب[3]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١٠ ص١٥٩، تاريخ اليعقوبي: ج١ ص٧٠.

(٢) وهو البيت ٤٦ من قصيدة عدد أبياتها ٥٣ بيتاً من البحر الطويل. مطلعها:

ألا إنّ سلمى عن هوانا تسلت ... وبتّت قوى ما بيننا وأدلّتِ

وهي قصيدة للشاعر الطرمّاح بن حكيم، الذي ولد في الشام ونشأ فيها وانتقل إلى الكوفة مع جيوش أهل الشام عندما دخلتها وأصبح معلّماً فيها. ويعد من أعوان الأمويين وعلى الخصوص الطاغية خالد القسري. توفي الطرمّاح سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م). راجع: تاريخ الأدب العربي لحنّا فاخوري: ص٣٠٦، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان: ج١ ص٢٦٢، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: ج١ ص٢٤٤، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٢٧١.

(٣) والبيت من البحر الرجز، والشطر الأول مأخوذ من المثل العربي لأكثم بن الصيفي بن رُياح التميمي المتوفى سنة ٩هـ: إنك لاتجني من الشوك العِنَب. اي انك لاتجد عند ذي المنبت السوء جميلا. وقيل بمعنى اذا ظلمت فالحذر الانتصار، فان الظلم لايكسبك خيراً إلا مثل فعلك. قال الشاعر:

إذا وترت إمرءاً فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لايحصُد به عِنبا

راجع مجمع الامثال للميداني: ج١ ص٥٢ رقم ٢٠٩ وجمهرة الامثال لابي هلال العسكري: ج١ ص١٠٥ رقم٩٣.

وقال الشاعر صالح بن عبد القدُّوس في ديوانه ص١٣٦ من البحر البسيط:

إذا ظَلَمْتَ امرءاً فاحذر عداوتَهُ ... من يزرع الشوك لايحصُد به العِنبا

ويحتاج ذلك إلى ضبط أعصاب قويّة حتّى يتمكّن من عدم الانسياق وراء الميول والغضب والحقد ونحو ذلك، قال الصادق عليه السلام: (وإن عيّرك بما ليس فيك فلا تعيّره بما فيه)[1].



راجع الأمثال والحكم لمحمد الرازي: ص٧٣ الرقم ٢٥٦.

(١) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (إذا وقع بينك وبين أخيك هنّة فلا تعيّره بذنب) الاختصاص: ص٢٢٩. وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إن عيّرك أخوك المسلم بما يعلم فيك فلا تعيّره بما تعلم فيه يكون لك أجراً وعليه إثم، اسمع الخير تؤجر) مجموعة ورام: ج٢ ص١٥٥.

التغيير في شكل الكلمات

مسألة: إنّ التغيير الذي يحدث في شكل الكلمات والجمل سواء كان هذا التغيير واقعياً أو غير واقعي فإنّه يؤثّر بالرأي العام في كثير من الأحيان. فإنّ التغيير قد يحصل بسبب تغيير أحسن مثل تبديل كلمة الميت بالراحل، أو كلمة الملك بخادم الأمّة، وما أشبه ذلك، أو من جهة أنّ الناس قد تركوا تلك الكلمات وأظهروا البراءة منها كما غيّر عبد الكريم قاسم في العراق كلمة الفخامة والسعادة وما أشبه ذلك إلى كلمة السيادة. وقال شاعرهم في هذا الصدد:

مشت السيادة في البلاد فطوّحت ... بفضيلةٍ وفخامةٍ ومعالي[1]

والتغيير على قسمين: تغيير الحقيقة كتغيير الملوكية إلى الشعبية، أو تغيير اللفظ، ولذا قال أحد العلماء المرتبطين بالرأي[2]: «حين تصل الجماهير نتيجة انقلابات سياسية أو تغيرات في العقيدة إلى كراهية فطرية للصور التي تدلّ عليها ألفاظ معيّنة، فإنّ من أوّل واجبات السياسي الصادق أن يغيّر الألفاظ دون أن يمسّ الأشياء نفسها بطبيعة الحال».

أقول: ولذلك إذا كره الناس الملك وتمرّدوا عليه فيجب أن لا يدعوهم إلى سماع «خطبة الملك» وإنّما يدعوهم إلى سماع «خطبة الزعيم الشعبي» أو ما

---

(١) والبيت من البحر الكامل.

(٢) وهو العالم ليبون.

أشبه ذلك، بل قد يغيّر الملك نفسه هذا اللفظ بلفظٍ آخر محبّب إلى قلوب الجماهير.

وفي زماننا غيّر أحد الملوك لفظ الملك إلى لفظ الشريف طمعاً في تبوُّؤ مكان آبائه الذين كانوا يسمون بالشرفاء، فالحقيقة هي الحقيقة إلاّ أنّ اللفظ تغيّر، وقد يكون تغيّر اللفظ من جهة تغير المسمّى والمحتوى، فقد سمّى ملك إيران ـ محمد رضا [1] ـ نفسه بملك الملوك؛ لأنّه إمبراطور ينفذ أوامره جملة من الملوك ويسيطر على جملة من الممالك، ولما تقلصت الإمبراطورية الإيرانية نتيجة الاحتلال المتكرّر اضطر شاه إيران إلى تسمية نفسه بالملك، بدلاً من ملك الملوك.



(١) محمد رضا شاه: من ملوك إيران في القرن العشرين، عينه الإنجليز بعد أن خلعوا والده سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤١م) ، ولد سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ، وتسلم الحكم في إيران سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤١م). اعتمدت سياسته على خرق تعاليم الإسلام وتفشي الانحلال الأخلاقي والقتل والسلب فقد قتل في عهده أكثر من سبعين ألف شخص كما أسند المناصب الحساسة للمقربين إليه من بعض الأقليات الدينية والقومية، كاليهود والأرمن والبهائيين. ونتيجة لسياسته الاقتصادية الخاطئة تفاقمت البطالة وأزمة السكن والهجرة من الريف إلى المدن، وحولت سياسته الزراعية الخاطئة إيران من بلد مصدر للمحاصيل الزراعية إلى بلد مستورد لمعظم المحاصيل الزراعية. عارض تأميم النفط الذي أقدم عليه مصدّق في الخمسينيات، وأطيح به سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ، ومات في المنفى سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ، ودفن في مصر.

الرأي العام في الحرب والسِّلم

مسألة: ينبغي ملاحظة الرأي العام في الحرب والسلم، فلاشكّ أنّ السلاح وضع لأجل ردّ العدوان سواء كان اعتداء أمّة على أمّة، أو اعتداء حاكم على أمّته، أو اعتداء فرد على فرد كاللص على المال، أو اعتداء القاتل على المقتول، أو المختطِف على المختطَف، أمّا استعمال السلاح للأطماع والمآرب الجسدية كالاستعلاء أو سلب المال أو انتهاك العرض أو إراقة الدماء أو سيطرة الاستعمار على الآخرين؛ فالسلاح لم يوضع لأجل ذلك وإنّما هي شهوات نفسية وأهواء وميول معتدية، تكون سبباً لذلك، وحيث أنّ السلاح وضع لما ذكرناه، فاللازم أن يقدّر بقدر محدود، وهو أقلّ قدر ممكن كحالة الاضطرار، فإنّ الضرورات تقدّر بقدرها، وقد يكون هناك كلّ واحد من الطرفين يتصوّر نفسه مخلصاً وأنّه معتدى عليه وأنّه يجب أن يشهر السلاح على المعتدي، فهنا يجب أن يتولّى قضاة عدول أمر الفصل بينهما، هل الحقّ مع هذا أو مع ذلك؟ كما قال ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[1]، لكن البشر كما قالت الملائكة نتيجة علم أو سابق خبر ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2]، ومن الطبيعة البشرية سفك الدماء؛ حتّى أنّ المتنبي

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

قال بيتاً شعرياً:

والظُّلمُ مِن شِيَمِ النُّفوسِ فإنْ تَجِدْ ... ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ[1]

وفي تحليل لأحد علماء الغرب، وجد أن تاريخ البشر من قبل ميلاد عيسى ابن مريم عليه السلام بخمسة عشر قرناً وحتّى اليوم، وهي دورة زمنية طولها ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة، لم ينعم العالم فيها بالسلام إلاّ مائتين وأربعاً وثلاثين سنة، وتعاقبت خلال الفترة أمم كثيرة، واحدة بعد أخرى، في تشابه مُمِلّ من

---

(١) للشاعر أبي الطيب، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعفيّ المشهور بالمتنبي، ولد في الكوفة سنة ٣٠٢ هـ (٩١٥م)، هرب من الكوفة من جرائم القرامطة سنة ٣١٢هـ (٩٢٥م) إلى بادية السماوة ثم إلى الشام، وجال في أقطاره، وجالس ابن السرّاج والأخفش الأصغر وابن دريد وأبا علي الفارسي وأخذ عنهم، واشتغل بفنون الأدب، وفد على سيف الدولة أبي الحسن بن حمدان حاكم حلب سنة ٣٣٧هـ. وكان سيف الدولة محباً للأدب وعارفاً بالأشعار، فحظي عنده بوجاهة كبيرة، وصار شاعره وصديقه وعاش معه تسع سنوات، ثم انتقل إلى مصر فمدح حاكمها كافور الأخشيدي ثم هجاه. وعُرف المتنبي بقوة الذاكرة وشدة النباهة والذكاء والجدّ في النظر إلى الحياة. والبيت المذكور يعدّ الثالث عشر من قصيدة عدد أبياتها ٣٦ بيتاً من البحر الكامل، ومطلعها:

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرةٌ لا تُعلَمُ ... عرضاً نظَرتُ وخِلتُ أنّي أسلَمُ

وللمتنبي ديوان شعري يحتوي على ٥٤٩٠ بيت شعري، كما أحصاه علي بن أحمد الواحدي، وقد شرح أكثر من أربعين شرحاً، منهم: أبو العلاء المعري والواحدي واليرقوقي والعُكبريّ واليازجي، وله كتاب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. قتل سنة ٣٥٤هـ (٩٦٥م) راجع شرح ديوان المتنبي: ج٢ ص٣٨٢ للمؤلف عبد الرحمن أبو قوتي، الأمثال والحكم لمحمد بن أبي بكر الرازي: ص٤٧، محاضرات الأدباء لأبي القاسم حسين الراغب الأصبهاني: ج١ ص٢٢١، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٧ ص٢١٣٧، وفيات الأعيان: ج١ ص١٢٠، تاريخ الأدب العربي لحنّا فاخوري: ص٥٩٤، أدباء العرب: ج٢ ص٣٠٩، روضات الجنات: ج١ ص١٢١، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: ج٢ ص٨١، تاريخ بغداد: ج٤ ص١٠٢، شذرات الذهب: ج٣ ص١٣، خزانة الادب للبغدادي: ج١ ص٣٨٢، كشكول البحراني: ج١ ص٢٧٠، الكنى والألقاب: ج٣ ص١٣٩، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص٢١٨، مرآة الجنان: ج٢ ص٣٥١، الأعلام للزركلي: ج١ ص١١٠.

حيث قيامها وانحرافها وسقوطها، فكلٌ منها أقامها مهندسون كانوا قادةً، وبناؤون كانوا جنوداً، ومن أحجار كانت أنقاض دول انهارت، وكانت سنون عظمتها تنطلق من قوّتها العسكرية الفائقة، وعلى التوسّع المترتّب عليها.

أقول: لكن ما ذكره هذا العالم من استثناء مائتين وأربع وثلاثين سنة، أيضاً مشكوك فيه؛ لأنّ التاريخ ليس دقيقاً، كما أنّ الاكتشافات ليست كما ينبغي حتى توجب قطع الإنسان بالاستثناء المذكور، والغريب أنّ الكثير يدّعون حبّهم للسلام لكنّهم يستعدّون للحرب لا الدفاعية بل الهجومية والانتقامية، حتّى أن الأمريكيين يدّعون أنّهم محبّو السلام، ومع ذلك يقول الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت [١] ـ بعد أن تحدّث عن الحروب الأوربية المتتابعة ـ علّق عليها ساخراً بقوله: «إنّا لا نغالي في مديح أنفسنا، أليس كذلك؟، لقد كانت هناك الثورة أي ما سمّي بالحرب مع فرنسا في سنة ألف وثمانمائة، وحرب سنة ألف وثمانمائة واثني عشر، والحرب المكسيكية سنة ألف وثمانمائة وثمان وأربعين، والحرب بين الولايات المتّحدة في سنة ألف وثمانمائة وستين، وما بعدها، والحرب الإسبانية ـ الأمريكية سنة ألف وثمانمائة وثمان وتسعين، ثمّ الحرب العالمية سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر، حقاً إنّنا شعبٌ محبٌ جداً للسلام، ألسنا كذلك؟» [٢].

أقول: وغرضنا من هذا البحث ليس البحث في صلب الحرب والسلام وإنّما موضوع الرأي العام، فالرأي العام هو الذي يهيّئ للحرب، كما وأنّ الحرب تهيّئ الرأي العام أيضاً، ففي الدول الديمقراطية إذا لم يكن رأي عام لا يقدمون

---

(١) فرانكلين روزفلت، حكم الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ١٩٣٣-١٩٤٥م.

(٢) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية الكتاب الأول: ص٢٣٩ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

على الحرب، أمّا في الدول الديكتاتورية، فإنّ الحرب إنّما تكـون بـسبب إرادة سيّد، والأتباع عبيدٌ له، وهذا ممّا يكوّن الرأي العام أيضاً؛ إذ الـرأي العـام قـد يكون بسبب رأي كلّ فرد فرد، وقد يكون بسبب رأيٍ تابع لرأي جماعة خاصّة من الناس، كما أنّه إذا وقعت الحرب كوّنت الرأي العام أيضاً في المـسار الـذي تريده الحرب وفي الهدف الذي تختاره.



السّلام والرأي العام

مسألة: يلزم مراعاة السلام مع الجميع، شعوباً ومعارضة وأعداءاً ودولاً وحكومات وطوائف وأدياناً، وفي جميع الأبعاد، لأنّ السّلام هو الأصل الأوّل في الطبيعة البشرية، فكلّ إنسان بفطرته يريد السّلام لنفسه ولذويه، وهناك قلّة ممن يريدون الحرب من أجل جلب أكبر قدر من النفع ودفع أكبر قدر من الضرر، فالحرب طبيعة ثانية في الإنسان، ويدلّ على ذلك رغبة أكثرية الناس في السّلام، سواء كانت الرغبة عالمية أو دولية أو فردية، فالأصل هو الأساس، والاستثناء هو الفرع، وبهذا ظهر أنّ طبيعة الإنسان هي السّلام، ولذا نرى أن الكلّ يسعى إلى السّلام ويمنع بعض منافعه الظاهرية أو بعض منافعه الواقعية أن تكون في الحرب.

والأديان السماوية جميعها تدعو إلى السّلام، أمّا زعم اليهود أنّ الله هو «إله الحرب وإله السّلام» ضمن عباراتهم الظاهرية؛ فهو ليس أكثر من زعم وافتراء، كما أنّ الحكم بالعنف وبالقسوة الموجود في التوراة من صنع أنفسهم لا من صنع الله ﷻ، لأنّهم حرّفوا الكلم عن مواضعه، ولذا فالإسلام يؤكّد على السّلام، وعيسى عليه السلام قبل ذلك قال: (وإن لطم أحدٌ خدّك الأيمن فأعطه الأيسر) (١)، وهناك عبارات أخرى تؤكد على السّلام، ففي القرآن الحكيم:

---

(١) روضة الواعظين: ج٢ ص٤٧٠، تحف العقول: ص٤٩٩، مشكاة الأنوار: ص١٧٤، الأمالي للصدوق: ص٣٦٦ المجلس الثامن والخمسون ح١٢.

﴿هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ﴾[1] ، وفي آية أخرى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[2] ، فكلّ من لم يدخل في السلم هو متّبعٌ لخطوات الشيطان. وإنّما كانت خطوات؛ لأنّ الحرب مجموعة خطوات، كلّ خطوة تجلب مأساة، ولذا جيء بلفظ الجمع، نعم لا شكّ في أنّ بعض الأفراد أو بعض الشعوب يجنح إلى الانتقام والحرب ونهب الأموال وإكراه الناس، لكنّ ذلك أيضاً استثناء كالاستثناءات الأخرى في غالب كليات الحياة.

والرأي العام هو وراء السّلام؛ حيث أنّ كلّ واحد يريد الاحتفاظ بماله وعرضه ودمه وذويه، فإذا اجتمعت الآراء صار الجميع مشاركاً في صنع الرأي العام ودافعاً إيّاه نحو السّلام، ولذا نشاهد الذين يقعون في الحروب يتمنّون السّلام، ويبرّرون حروبهم بأنّها حرب تحرير أو حرب مقدّسة، وحتّى الطاغية هتلر وجماعته النازيون كانوا يبرّرون حروبهم بقولهم: «إنّهم يريدون بقاء التفوّق للدم الأزرق حتّى لا يختلط بغيره من الدماء»، وقد كان كلامهم غطاءً لمقاصدهم العدوانية.

يقول أحد علماء الغرب في تحليل هذه القضية: «إنّ معظم ما يقوم من سوء تفاهم شخصي أو من صراعات دولية، إنّما ينشأ من أن كل إنسان يصر على أن يفكر الغير كما يفكر هو. ومن أكثر الكليشيهات السيكولوجية الشائعة ضرراً، أنّ طبيعة الإنسان واحدة في كل مكان، فلو كان صحيحاً لما كانت هناك الآحالات طلاق قليلة وحالات حروب أقل. وقد يبدو أنّ النصف الأول من هذه العبارة أمرٌ مبالغ فيه، لكن شيئاً من التأمل كفيل بتبريره بالنسبة للوقت الحاضر (في أثناء الحرب العالمية الثانية). إنّنا رفضنا في عناد أن نصدّق أنّ

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.

الألمان قد أعدّوا برنامجاً ثانياً لغزو العالم، وأنّهم شعبٌ مثلنا، والألمان من الناحية الأخرى، اعتقدوا أنّنا منغمسون في ملذّاتنا في الوقت الذي يستعدّون هم فيه للحرب، وأنّه لو كانت لنا طبيعتهم وفلسفتهم لكان هذا الكسل يعني ـ التحلّل ـ، وعلى ذلك فإنّهم واعتقاداً منهم بأننا سنظل كسالى إلى الأبد أو ننهار أمام الضربة الأولى، كرّسوا أنفسهم في يقين وثقة لحرب عالمية ثانية»[1].

أقول: إنّ مقولة الطبيعة البشرية الواحدة فيها كثير من المغالطات لأننا نشاهد أن حالات الطلاق أقل من النكاح والحروب أقل من السلم.

وعلى أي حال: فالسّلم هو الأصل في نظر الناس لا في نظر العدوانيين ذوي الطبيعة الشريرة، فالحرب سواء كانت بين قومٍ وقومٍ أو بين بلد وبلد أو بين دولة ودولة إنّما تشبه الحالات المرضية التي يصاب بها الإنسان[2]، ومَن هذه الناحية فإنّه إذا وقعت الحرب كما لاحظنا في الحرب العالمية الثانية، وكما شاهدنا في حرب الجزائر وحرب فيتنام وما أشبه ذلك من الحروب نرى أن الناس يميلون نحو السّلم، وينبذون العنف، ولأجل ذلك علت صيحات

---

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص٢٤٥ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

(٢) يرى الإمام المؤلف ﭬ لزوم قطع جذور الحرب، والتي هي عبارة عن حرمان الشعوب من حقوقها الناشئة من الاستعمار أو الاستغلال أو الاستبداد في الحكم أو الاستبداد في المال او الاستبداد في العلم. ولا يتم قطع تلك الجذور الا بمنح الحريات ونشر الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان وبكافة بنوده وقراراته التي لا تتنافى مع الشريعة المحمدية، إضافة إلى تطبيق العدالة والمساواة ونشر الوعي والتعددية السياسية والالتزام بالانتخابات الحرة والمؤسسات الدستورية ونشر ثقافة السلام وأن العنف ليس الوسيلة المثلى لتحقيق المطالب وإنما استخدام الضغوط الإعلامية والدبلوماسية والقوانين العامة والموازين الدستورية وإبعاد شركات الأسلحة عن مصادر القرار في الدول الكبرى وأمثال هذه الأمور.

المصلحين والحقوقيين من كلّ مكان في ترك الحرب العالمية الثانية والتخفيف منها وإضعاف أطراف الحرب حتّى يبرؤوا من حالتهم، ولم تدخل أمريكا في الحرب العالمية الثانية إلاّ بعد أن ضربت اليابان قواها العسكرية في قصّة مشهورة ثمّ دخلت الحرب بقدر لا مطلقاً. وكان من عذرهم في استعمال القنبلة الذرية أنّ استعمالها يوجبُ قلّة القتلى من عدم استعمالها، ولسنا بصدد أن نقيّم فعلهم من حيث الصحة والفساد وإنما نحن بصدد القول: أنّ الرأي العام دائماً مع السلام سواء قبل الحرب أو أثناء الحرب أو بعد الحرب.

الأمم المتحدة والرأي العام

وتهيئة السلاح بقدر معين دائماً أمرٌ معقول؛ لأنّ السلاح نوع من أنواع الردع، والأمّة التي لا تستعد للحرب تكون لقمة سائغة للذين استعدوا لها؛ ولذا قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، ومن الواضح أنّ «الإرهاب» الوارد في القرآن غير الحرب[2].

وقد حاولت عصبة الأمم[3] ـ والتي على أنقاضها بنيت الأمم المتحدة ـ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٢) للمزيد من التفصيل راجع الفقه السلم والسلام للمؤلف ﷺ. إصدار دار العلوم بيروت سنة ٢٠٠٥م.

(٣) عصبة الأمم، منظمة دولية شكلُها الحلفاء الذين كسبوا الحرب العالمية الأولى وهم: أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان سنة ١٩٢٠م بموجب ميثاق؛ شكل جزءاً من معاهدة فرساي، والتي كانت مهمتها تنظيم الأوضاع الدولية بعد الحرب، ويتكون برنامج عصبة الأمم من مقدمة وست وعشرين مادة، أعلن فيها أولاً عن أغراض العصبة، وهي: توثيق التعاون بين الأمم ـ عبر عقد مؤتمرات إصلاحية والاهتمام بالشؤون الاقتصادية والمالية والصحة والبيئة وتحسين ظروف العمل والقضاء على الفقر والبؤس ومقاومة المخدرات ـ وضمان السلم والأمن الدولي. عبر تخفيض التسليح والضمان المتبادل وفضّ

تدعيم الرأي العام استناداً لميثاقها؛ حيث جاء فيها: «من الطبيعي أن تعتمد عصبة الأمم على الرأي العام»[1].

فمن هذه الجهة قال بعضهم: إنّ عصبة الأمم بالنسبة لكلّ دولة على الرغم من اختلاف المقاصد والأهداف هي حكومة تلك الدولة مسترشدة برأيها العام أو قائدة له.

إنّ من الثمار المفيدة للأمم المتّحدة التي هي إحدى وسائل الاستقرار في العالم تشكيل محكمة العدل الدولية. وإن كان لنا ملاحظات على أداء الأمم المتّحدة حيث وقعت في أخطاء ذكرناها في بعض كتبنا ممّا ليس هنا محلّ الكلام حولها مثل قضيّة منح حق النقض ـ الفيتو ـ لبعض الحكومات[2].

النزاعات بالطرق السلمية وإجراءات الجزاءات عند المخالفة والإفصاح عن المعاهدات. ويتألف أعضاء العصبة من الحلفاء ـ الذين كسبوا الحرب، والدول المؤيدة لهم وأعضاء مدعوين من الدول المحايدة التي استشيرت عند مناقشة النصوص والبالغ عددها ١٣ دولة ودولٍ أخرى تنتمي إليها ـ لاحقاً ـ بموافقة ثلثي الأعضاء. وتتكون العصبة من ثلاث هيئات: أ. الجمعية العامة ب. مجلس وأمانة دائمة. جـ. هيئة قضائية دولية للفصل بين المنازعات الدولية القانونية تعرف بمحكمة العدل الدولية. وقد ظلت تمارس دورها زهاء ربع قرن لكنها لم توفق لأداء مهامها فتصدع بنيانها وعصفت بها الحرب العالمية الثانية. ومما يؤخذ عليها أنها كرّست هيمنة مؤسسيها على الدول الأخرى وغرست فيهم روح التبعية للغرب، إضافة إلى عدم تحمّل مؤسسيها لمسؤولياتهم والتزاماتهم تجاه الشعوب، وإخفاقها في الميدان السياسي وتقاذفتها الأهواء الدولية المتضاربة، فلم تستطع أن توقف العدوان الإيطالي على الحبشة سنة ١٩٣٥م، والتردد في اتخاذ المواقف الحازمة إزاء الأحداث الخطيرة، وضعف الرقابة على تنفيذ برامج تحديد التسليح، وقلة أعمالها بالقياس للجهود التي بذلت لها وتكريسها لنظام الانتداب وهيمنة العقلية الغربية واتباعها لمصالحها الخاصة. راجع موسوعة السياسة: ج٤ ص١١٢ د. عبد الوهاب الكيالي، القانون الدولي العام للدكتور علي صادق أبو هيف: ص٦٠٥.

(١) للمزيد راجع بنود معاهدة عصبة الامم.

(٢) وقد أشار المؤلف ﷺ إلى ذلك في كتابه: الفقه المستقبل.

ومن الأدلّة على دعم الأمم المتحدة للسلام العالمي هو حيلولتها دون استعمال القنبلة الذرية في النصف الأخير من القرن العشرين؛ حيث وقعت حروبٌ كثيرة بالوكالة مثل الحرب الباردة والقريبة من الحارة أحياناً بين الاتحاد السوفيتي ـ السابق ـ [1] وأمريكا، والحرب الخفيّة بين بريطانيا وأمريكا، وأحياناً كلاهما يدخل الحرب بالوكالة كالحرب بين العرب وإسرائيل.

وإنّما ذكرنا لفظ العرب؛ لأنّهم حاربوا إسرائيل تحت لواء العروبة، فلم تكن حرباً إسلامية في مواجهة إسرائيل، ولو كانت حرباً دينية لانتصر المسلمون على إسرائيل؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [2]، وقال ﷻ: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [3].



(1) انهار الاتحاد السوفيتي في كانون الأول سنة 1991م بعد إعلان سياسة إعادة البناء ـ البرسترويكا ـ التي أعلنها ميخائيل غورباتشوف بعد أن تولى إدارة الحزب الشيوعي وسعى إلى تجديد أطره وكوادره عبر إصلاحات ترمي إلى فعالية اقتصادية أكبر، وإلى إضفاء الديمقراطية على المؤسسات. فكانت الفوضى الاقتصادية التي أثرت في فعالية الإصلاحات الرامية إلى إقامة اقتصاد السوق والتي أسهمت بالإضافة إلى التوترات الناشبة بين الحكم المركزي والجمهوريات الاتحادية في القضاء على الاتحاد السوفيتي.

(2) سورة آل عمران: الآية 139.

(3) سورة المائدة: الآية 64.

الحرب النّفسية والرأي العام

مسألة: من الحروب التي تستهدف النفوس والأرواح بدل الأبدان هي الحرب النفسية [1]، فهي تصنع المناخ الملائم للحرب أو الانسحاب من الحرب وبالتالي فهي المكوّنة للرأي العام.

وتقوم هذه الحرب في فترات الحرب وفي فترات السلم أيضاً. وقد تكون هذه الحرب وقاية ضد الحرب المدمرة أو أنّها تعقب الحرب المدمرة. وقد تكون هذه الحرب على شكل تدمير ما تحتاجه الدول من البضائع والوقود وما شابه ذلك.

وكان أوّل عملٍ يجب القيام به لفضح الحرب النفسية هو محاولة الكشف عنها بغية تشخيصها وفضحها أمام الملأ.

وقد رعى الإسلام هذه الحرب أشدّ رعاية سواءٌ في القول أو العمل أو في السلب أو في الإيجاب، قال ﷻ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ

---

(١) الحرب النفسية: مفهوم اصطلاحي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية كجزء من الإستراتيجية السياسية والعسكرية، وقام على أسس علم نفس التعلم الاجتماعي والدعاية والأعماق. وتشمل الحرب النفسية موضوعات الدعاية والشائعات وتستخدم وسائل الاتصال الجمعي في شن عمليات الهجوم على الأعداء والدفاع عن الوطن بإطلاق بالونات الاختبار والدعاية ضد العدو وتأمين سلامة المواطنين. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٤ ص١٥٠٠.

يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور﴾ [1].

والعدو في الحروب النفسية يفضّل أن يكون مخفياً لا يكشف عن نفسه، متوارياً خلف الشعارات البرّاقة كالحقّ والوطنية والعدالة وما شابه ذلك.

وقد استخدم أعداء الإسلام الحرب النفسية بكثرة؛ فقد ذكرت بعض الصحف أنّ إسرائيل استخدمت سبعين عالماً نفسياً مهمتهم الإشراف على محطّة الإذاعة الإسرائيلية وصنع الأخبار التي تخدم مصالحهم.

ولاشكّ أنّ هناك أهمّية للحرب النفسية، لكن لابدّ أن يكون هدفها في الخير وليس في الشر؛ لأنّ الشر لا ينبت إلاّ شراً. كما قيل: لاينبت الشر سوى الشر، ولاالخير سوى الخير.

وقال ﷻ: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ [2]، وقال ﷻ أيضاً: ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ [3]، أي أنّ العمل نفسه يردّ إليكم بصورة مجسّمة، كما فسرت الآية المباركة بذلك من قبل بعض المفسّرين.

والذي يقوم بدور الحرب النفسية يجب أن يكون على مستوى رفيع من الذكاء، وقد شاهدنا غوبلز في الحرب العالمية الثانية في جبهة ألمانيا، وكما سمعنا يونس بحري من صوت ألمانيا وهو يشهر سلاح الحرب النفسية ضدّ الحلفاء، وأحمد سعيد في عهد جمال عبد الناصر، وهؤلاء هم أساطين الحرب النفسية، فهم ساهموا في الحرب كما ساهموا في السلام، وكان لهم دور حتّى في الاقتصاد والتجارة.

---

(١) سورة الأنفال: الآيتان ٤٣-٤٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧.

(٣) سورة الطور: الآية ١٦.

ومع انتشار التلفاز أرفقت بالصوت الصورة، فدخلت الصورة كوسيلة في الحرب النفسية والدعاية؛ ففي مجال الحرب النفسية كانت مناظر تكدس الجثث في حرب فيتنام والتي كانت تعرض في الصحف والشاشات الأمريكية خير وسيلة لإيجاد رأي عام ضدّ التدخّل الأمريكي في فيتنام.

كما وأنّ الصورة لها تأثير في الدعاية؛ حيث استخدمت على نطاق واسع، فمثلاً تمت الاستعانة بالأشخاص الذين تعجب بهم الجماهير كالممثّلين في تدخين سيجارة معيّنة لدفع الناس إلى اختيار ذلك النوع من السجائر.

الصينيون والحرب النفسية

ومن أساليب الحرب النفسية في الحرب الصينية ـ اليابانية، أن الصينيين كانوا يتعاملون مع الأسرى معاملة حسنة حتّى أنّهم كانوا يعتنون بالأسير ويعاملونه في طعامه وشرابه ومكانه وملبسه أفضل من معاملة الضابط الصيني، وكانوا يأتون بالأسير إلى جبهة القتال ليتكلّم مع رفاقه الذين لا زالوا في الجيش الياباني، وكان ذلك مدعاة لدفعهم إلى تفضيل الأسر على البقاء في جبهة القتال.

ثمّ استخدم الصينيون اللاسلكي والتلفاز في مناقشة آراء اليابانيين.

وقبل هؤلاء تعامل رسول الله ﷺ مع سفانة بنت حاتم الطائي[1]

---

(١) وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة، عندما بعث الرسول الأعظم ﷺ الإمام علي عليه السلام بسرية قوامها مائة وخمسين فارساً على طيّ لهدم أصنامهم، فشن الإمام الغارة عليهم ليلاً، لئلا يقع قتال كثير، فاستطاع هدم أصنامهم بمقاومة ضعيفة، وأسر الباقون وكان من بينهم سفانة. فعندما جاء بها الإمام للرسول الأكرم ﷺ. قالت للرسول: يا محمد مات الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلّي عني ولاتشمت بي الأعداء، فإني ابنة سيد قوم وإن أبي كان يحب مكارم الأخلاق وكان يطعم الجائع ويفك العاني ويكسوا العاري، وما أتاه

بالرفق عندما كانت أسيرة لديه، وكان ذلك مدعاة لدخول عشيرتها في الإسلام.

وعندما أسرت صفية[1] بنت حُييّ بن أخطب زعيم اليهود، عاملها رسول الله ﷺ معاملة حسنة وتزوّجها، وكان ذلك مدعاة لتغيير رأي اليهود في رسول الله ﷺ، وسار أمير المؤمنين عليه السلام على هذا النهج؛ ففي وقعة الجمل[2] أكرم

طالب حاجة إلاّ وردّه بها. فقال الرسول ﷺ: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً، لو كان أبوكِ مسلماً لترحمنا عليه. ثم أضاف الرسول ﷺ: أطلقوها كرامة لأبيها. فقالت أنا ومن معي؟ قال الرسول ﷺ: أطلقوا من معها كرامة لها. ثم قال الرسول ﷺ: ارحموا ثلاثاً، وحق لهم أن يرحموا، عزيزاً ذل من بعد عزة، وغنياً افتقر من بعد غناء، وعالماً ضاع ما بين جهال. ثم قالت سفانة: يا رسول الله أتأذن لي بالدعاء لك؟ قال الرسول ﷺ: نعم. فقالت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة قوم إلاّ جعلك سبباً لردها. فقال الرسول ﷺ: آمين. ثم أمر الرسول الأكرم ﷺ لها بإبل وغنم سدت ما بين الجبلين، فعجبت من ذلك، وقالت: يا رسول الله هذا عطاء من لا يخاف الفقر. راجع شجرة طوبى: ج٢ ص٤٠٠. ونظيره في السيرة النبوية لابن هشام: ج٤ ص٢٢٥.

(١) صفيّة بنت حيّي بن أخطب، وهي من نسل لاوي بن يعقوب، وأمها برّة بنت سموأل من بني قُريظة. تزوجت بسلاّم بن مشكم القرظي، ثم فارقها وتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري. وعندما استولى الرسول الأعظم ﷺ على خيبر قُتلَ زوجها وأباها وأخاها، وهي من سبايا خيبر. عرض الرسول الأكرم الإسلام عليها، فقبلت وأسلمت، فأعتقها الرسول وتزوجها وجعل عتقها مهرها. وخيّرها الرسول بين البقاء والرجوع إلى أهلها، فاختارت البقاء، وكانت تقول: ما من الناس أحد أحبّ اليّ من رسول الله، وما رأيت قط أحسن خُلُقاً من رسول الله. توفيت سنة خمسين للهجرة وقيل اثنتين وخمسين، ودفنت بالبقيع. راجع الإستيعاب في معرفة الأصحاب: القسم الرابع: ص١٨٧١، الأعلام للزركلي: ج٣ ص٢٩٦.

(٢) واقعة الجمل، حدثت سنة ٣٦ هـ (٦٥٦م)، بعد أن نكث طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام بيعتهما للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن رفض الإمام طلبهما في توليهما الكوفة والبصرة، خرجا من المدينة إلى مكة بحجة أداء العمرة، وكان فيها عائشة وعبدالله بن عامر والي البصرة من قبل عثمان، وكان الذي هرب من البصرة بعد بيعة الناس للإمام

أمـــير المـــؤمنين عليه السلام عائــشة(1) غايــة الإكـــرام، وعفـــا عـــن عبـد

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وفي مكة التقى عبدالله بن عامر بالثلاثة، فأعطاهم الأموال التي سرقها من بيت المال، وأهدى جملاً لعائشة اشتراه من اليمن بمئتي دينار. فتحركوا تجاه البصرة، فمروا بماء يقال له ماء الحوأب. فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة: ما هذا الماء؟ قال بعضهم ماء الحوأب. قالت: إنا لله وإنا اليه راجعون، ردّوني ردّوني هذا الماء الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله لاتكوني التي تنبحك كلاب الحوأب. فأتاها القوم بأربعين وقيل بخمسين رجلاً فاقسموا بالله إنه ليس بماء الحوأب. فقدموا إلى البصرة وهاجموا بالليل والي الإمام الذي عينه وهو عثمان بن حنيف ـ ويعد من أفاضل المسلمين ـ بعد أن أعطوه الأمان، فأسروه وضربوه حتى فارق الحياة بعد أن نتفوا شعر رأسه ولحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه. ونهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه، وقتلوا سبعين من أهل البصرة، خمسين منهم صبراً بأمر عائشة، ولما بلغ الإمام علي عليه السلام مسيرهم خرج مبادراً إليهم، واستنفر أهل الكوفة ثم سار بهم نحو البصرة. ودارت الحرب وقتل من الباغين عشرون ألفاً على رأسهم طلحة والزبير. أمّا عائشة فقد احترمها الإمام، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر وكان من أصحابه بالخروج معها وإرجاعها الى المدينة بعد أن جهزها باثني عشر ألف درهم. واستشهد من انصار الإمام خمسة آلاف شخص. راجع الفتوح لابن الأعثم: ج٢ ص٢٦٩ ، انساب الأشراف للبلاذري: ص٢٢١-٢٦٨ ، كتاب جُمل من أنساب الأشراف: ج٣ ص٢١ ، العقد الفريد: ج٤ ص٣١٣.

(١) عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة من بني تيم، وأمها زينب أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، وقيل اسم أمها دعد. وكنيتها أم عبدالله. تزوجها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعد وفاة السيدة خديجة بثلاث سنوات أي في السنة الثانية للهجرة، وهي في السابعة والعشرين من عمرها. بلغ عدد الأحاديث التي روتها عن الرسول ألفين ومائتي وعشرة أحاديث ـ واتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين، كما ذكر ذلك سير أعلام النبلاء: ج٢ ص١٣٩. لعبت دوراً سياسياً في زمن عثمان فقد جاء في كتاب موسوعة طبقات الفقهاء: ج١ ص١٣٦ ما نصه: قال أصحاب السير والأخبار أنها أرجفت بعثمان، وأنكرت عليه كثيراً من أفعاله، وكانت تثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله صلى الله عليه وآله أو ثوبه، وتحثهم على مقته، ولم تعدل عن رأيها هذا حتى بعد الإجهاز عليه، ولكنها غيرت رأيها لما انفلت الأمر عن طلحة ـ وكانت تحرّض على تأميره ـ، وبويع أمير المؤمنين الذي لم يكن لها معه هوى، فبكت على عثمان، وأظهرت الأسف على قتله، ورجعت إلى مكة بعد ما خرجت منها، ونهضت ثائرة تطلب بدمه، ولحق بها طلحة والزبير ومروان بن الحكم، وتوجهوا نحو البصرة. وخاضت حرب الجمل ضد الإمام علي عليه السلام سنة ٣٦ هـ (٦٥٦م). وعندما انتصر عليها

الله بن الزبير[1].

الإمام في حرب الجمل أرجعها معززة ومكرّمة إلى المدينة مع أخيها محمد بن أبي بكر وأعطاها اثني عشر ألفاً كما ذكر ذلك في سير أعلام النبلاء: ج٢ ص١٧٨. وجاء في التاريخ: أن أم الأفعى العبدية دخلت على عائشة، فقالت: يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيرا؟ قالت: وجبت لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الكبار عشرين ألفاً. قالت عائشة: خذو بيد عدوة الله. ماتت عائشة سنة ٥٧ هـ (٦٧٦م) وقيل ٥٨ هـ (٦٧٨م) وصلى عليها أبو هريرة ودفنت في البقيع. ومما شوه تاريخها: نزول الآية الرابعة من سورة التحريم في حقها وفي حق حفصة ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾، وأنها افترت على الرسول الأكرم ﷺ بأحاديث كاذبة كما ذكر بعضها في الطبقات الكبرى: ج٨ ص٥٨ وسير أعلام النبلاء: ج٢ ص١٤١، وأنها كانت ترفع صوتها على النبي وكانت تحسد وتغار ولم تضبط لسانها، وأنها كانت تجتهد في ما تراه مصلحة لها دون مصلحة المسلمين. راجع الاستيعاب: القسم الرابع ص١٨٨٥، أسد الغابة: ج٥ ص٥٠١، وفيات الأعيان: ج٣ ص١٦، سير أعلام النبلاء: ج ٢ص١٣٥ و١٣٩ و١٤١، البداية والنهاية: ج٨ ص٩٩، الإصابة: ج٨ ص٢٣١، كنز العمال: ج١٣ ص٦٩٣، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١ ص١٣٥، الطبقات الكبرى: ج٨ ص٥٨، الأعلام للزركلي: ج٤ ص٥، شذرات الذهب: ج١ ص٩، تهذيب التهذيب: ج١٢ ص٢٨٤، النص والاجتهاد: ص٢٩٠ المورد ٧٣-٨٥ وص٢٩٦، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٣.

(١) عبدالله بن الزبير بن العوام، ولد في السنة الأولى للهجرة (٦٢٣م)، وفي زمن عثمان شهد فتح إفريقيا. شهد واقعة الجمل مع أبيه وخالته عائشة وهو الذي زين لها المسير إلى البصرة، عرف ببخله وسوء خلقه وإيذائه لبني هاشم، حيث سجن محمد ابن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بني هاشم، وقال لهم: لتبايعُني أو لأحرقنّكم، فهمّ بإحراقهم في النار في منطقة الشعب، لولا أن أنقذهم المختار بأربعة آلاف فارس، كما ذكر ذلك المسعودي. حكم مصر والحجاز واليمن والعراق وخراسان وقسم من بلاد الشام بعد هلاك يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ (٦٨٣م). حاربه عبد الملك بن مروان بجيش قاده الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن عجز عنه من قبله. وقطع الحجاج رأسه في ١٧ جمادى الثانية سنة٧٣ هـ (٦٩٢م) في مكة، وصلبه مقلوباً، وظل مصلوباً سنة كاملة. ومن مثالبه أنه خطب أربعين خطبة جمعة، ولم يذكر فيها الرسول الأكرم ﷺ، وكان يقول: ما يمنعني من ذكره إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها. وكان يقول أيضاً: إني لأكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة كما ذُكر في مروج الذهب: ج٣ ص٨٩. راجع أسد الغابة: ج٣ ص١٦١، الكامل في التاريخ: ج٤ ص٣٤٨، وفيات الأعيان: ج٣ص٧١، سير أعلام النبلاء: ج٣ ص٣٦٣، البداية والنهاية:

ثم إن الاضراب عن الطعام في السجون أحد وسائل الحرب النفسية، فإنه يؤثر على الطرف المقابل مهما كان قاسياً أو طاغياً.

شاهدٌ آخر

ومن أمثلة الحرب النفسية أيّام الحرب العالمية الثانية [1]: أنّ أمريكا نشرت بياناً عمّم على كلّ الأفراد سواءٌ في الداخل أو الخارج، صادراً عن مكتب استعلامات الحرب [2]، يقول البيان: «إنّ هذه الحرب هي حرب الشعب، ولكي نكسبها يجب أن نعرف أقصى ما يمكن معرفته عنها، وسيبذل هذا المكتب جهده في أن يقول الصدق ولا شيء غير الصدق سواء في داخل البلاد أو خارجها... أمّا المعلومات العسكرية التي قد تساعد العدو فيجب الامتناع عن نشرها، ومع ذلك سنحاول في حدود هذا القيد أن نعطي للشعب صورة كاملة واضحة... إنّ مكتب استعلامات الحرب لا يريد أن يوصد، ولن يوصد سياسة الباب المفتوح التي سادت دائماً على تقييد الحكومة للصحافة والإذاعة وغيرهما من وسائل الإعلام، على أنّ الأمل يراودنا في أنّنا سنستطيع أن نضع

ج٨ ص٣٦٧، النجوم الزاهرة: ج١ ص١٨٩، الإصابة: ج٤ ص٧٨، شذرات الذهب: ج١ ص٧٩، الأعلام للزركلي: ج٤ ص٢١٨، الأخبار الطوال: ص٣٠٩، معجم رجال الحديث: ج١١ ص١٩٩ ترجمة ٦٨٧٠، الخصال: ج١ ص١٥٧ ح١٩٩، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١ص١٦٠، العقد الفريد: ج٤ ص٤١٤، حلية الأولياء: ج١ ص٣٢٩، منتهى المقال للمازندراني: ج٤ ص١٨٥.

(١) الحرب العالمية الثانية: ابتدأت سنة ١٩٣٩ م بين دول ألمانيا وإيطاليا واليابان من جانب، وفرنسا وإنجلترا وروسيا وأمريكا والصين من جانب آخر، وانتهت سنة ١٩٤٥م، وقتل فيها ما يقارب خمسين مليون إنسانٍ ناهيك عن الجرحى والمعوقين البالغ عددهم ثمان وعشرون مليون وسيل من الأرامل والأيتام والخسائر المادية، ومن إفرازاتها الحرب الباردة.

(٢) وهي منظمة حكومية تأسست بأمر من إلمر ديفز في ٢٠ تموز سنة ١٩٤٢م في أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية.

حداً للبيانات المتضاربة التي تشوّش عقل الجمهور، واعتقادي أنّ ذلك ممكن إذا أعطينا الحقيقة الكاملة بأسرع ما يمكن للجمهور، وبمحاولة وضع الإجراءات التي تكفل لكلّ الهيئات المختلفة أن تصل إلى اتّفاق قبل أن تنشر أية بيانات... إنّكم تفهمون الحالة، لكن عليكم أن تتأكّدوا من إذاعتها بالصورة المفهومة».

وأنشأ مكتب الاستعلامات الخاصّة بالحرب فروعاً له، مثل فرع الكتب والمجلاّت وفرع الخرائط وفرع السينما وفرع الأخبار وفرع الإذاعة وفرع الخدمات الخاصّة إلى غير ذلك، وقد أثّر هذا المكتب أثره البليغ في الجمهور، فكانت الأقوال التي تريد أمريكا إيصالها إلى داخل جماهيرها تصل إليهم كلّ صباح وعصر ومساء، وقد وضعوا لهذه الغاية ستة عشر ألف دار للعرض في طول البلاد وعرضها، كما أنّها جهّزت كلّ أصدقائها في الخارج عبر سفاراتها لهذا الأمر.

وأذكر أنّي كنت أتابع أخبار الحرب العالمية الثانية ليل نهار بكلّ دقّة؛ لأنّ العراق كان طرفاً في هذه الحرب. وقد تكرّر الأمر نفسه عند دخول صدام[1] إلى

---

(١) الطاغوت الذي صاغه الأمريكان والبريطانيون وفق متطلبات منطقة الخليج وظروفها السياسية ـ كما بيّن ذلك حردان التكريتي عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس أركان الجيش وقائد سلاح الطيران في مذكراته، وكما أشار إلى ذلك أمين سرّ القيادة القطرية ووزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء علي صالح السعدي، وكما بيّنه زهيرسلطان قدوري في كتابه: «بغداد على خط الصفر»، وأضحى اليد الطولى في تنفيذ مخططات الغربيين بعد أن قدموا له كل وسائل الدعم المادي والسياسي والعسكري والتقني، وحافظوا على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات، وهذا ما أكده عضو قيادة حزب البعث ووزير الإعلام السابق صلاح عمر العلي، وهذا ما أثبتته الإنتفاضة الشعبانية التي قادها الشعب العراقي سنة ١٩٩١م.

ولد صدام سنة ١٩٣٩م في قرية العوجة جنوب تكريت والتي تبعد مائة ميل شمال بغداد، ولدته أمه «صبحة»، ولا تزال بنتاً غير متزوجة من رجل مجهول، فهو نتاج علاقة

الكويت وقيام قوّات التحالف بطرد صدّام من هذه البلاد[1].

غير شرعية، كما ذكر ذلك صاحب كتاب «شخصية الطاغوت»، وقيل: كان أبوه يعمل «فرّاشاً» في السفارة البريطانية، وبعد موت أبيه تزوجت أمّه من أربعة أزواج ثالثهم إبراهيم الحسن، ورابعهم زين الحسن، وكان صدام يتنقل معها من بيت زوج إلى آخر. بدأ عمليات القتل وهو ابن السابعة عشرة، حيث قتل راعياً من آلبو عجيل ـ قرب قرية تكريت ـ وهرب إلى خاله خير الله طلفاح في مدينة بغداد، ثم أعقبها بقتل ثان سنة ١٩٥٩م، عندما قتل مدير الثانوية الليلية بخنجر. انضم إلى حزب البعث عبر عبد الخالق السامرائي، واشترك في انقلاب ١٧تموز سنة ١٩٦٨م، وأصبح نائباً لمجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس الجمهورية سنة ١٩٧٠م، ورئيساً للجمهورية بعد إزاحة البكر من الحكم سنة ١٩٧٩م، وخلال فترة حكمه لم يسلم منه الشعب العراقي، فقد قتل خمسة ملايين وثمانمائة ألف من شيعة العراق صبراً ـ وهذا ما تشهد له المقابر الجماعية والبالغ عددها ثلاثمائة مقبرة ـ ما عدا الحروب الثلاثة التي زج بها الشعب العراقي، ففي سنة ١٩٨٠ شنّ حرباً على إيران واستمرت ثمان سنوات، ثم هاجم الكويت في ٢ آب ١٩٩٠ بجيش قوامه مائة ألف جندي مزودين بـ ٣٥٠ دبابة واحتلها خلال ثمان ساعات وضمها إلى العراق واعتبرها المحافظة التاسعة عشرة وعين ابن عمه حسن المجيد حاكماً عليها، ودخل حرباً مع امريكا سنة ١٩٩٨ بعد ان لم يحترم الرقابة الدولية على نزع سلاحه. وقد حوّل الشعب العراقي إلى أيتام وأرامل، حيث بلغ عدد الأرامل المليونين وعدد الأيتام خمسة ملايين. كما لم تسلم من إيذائه وطغيانه أية دولة لها حدود مع العراق. وقد صرف معظم ميزانية العراق في بناء مؤسسات مخابراتية وتجسسية وعسكرية لشن الحروب الداخلية والإبادة الجماعية، واستخدم مادة الثاليوم في استحداث سرطان الدم في جسم السجناء وهذا من مختصات نظامه، ورسخ العنف والحرب كحالة ثقافية وعلمية وتكنولوجية ومؤسساتية يتمايش معها الناس، واستخدم أحدث ما اخترعته الدول الأوربية والشيوعية من وسائل وتقنيات وخبرات للسيطرة والمراقبة وقمع النهوض والتطور. أطيح به في ٢٠٠٣/٤/٩م من قبل الجيوش البريطانية والأمريكية. وقد أصبح صدام سابع أغنى رجل في العالم. للاطلاع التفصيلي عن صدام راجع «شخصية الطاغوت» للسيد هادي المدرسي، «بغداد على خط الصفر» زبير سلطان قدوري، «فندق السعادة» جليل العطية، «حكومة القرية» طالب الحسن، «نواطير الغرب» حسن سعيد، «العراق دولة المنظمة السرية» و«دولة الاستعارة القومية» حسن العلوي، «الهروب إلى الحرية» د. حسين الشهرستاني، «جمهورية الخوف» سمير الخليل، «أوكار الهزيمة» هاني الفكيكي، «من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي»، «شبيه صدام» ميخائيل ـ مخلف ـ رمضان.

(١) شن صدام الحرب على الكويت بذريعة النفط والديون العراقية وكونها جزءاً من العراق في

وقد زجّ العراق بخيرة قواته في هذه الحرب، وقتل من جنوده وأبناء شعبه زهاء ربع مليون نسمة، أمّا قتلى الأمريكيين فلم يتجاوز مائة وثمانية وثلاثين جندياً حسب أدق الإحصائيات. وقد استخدمت قوّات التحالف وقتها أساليب الحرب النفسية بأقصى ما يمكن.



٢ آب ١٩٩٠م، وأخرج من قبل الأمريكان والقوات الاخرى سنة ١٩٩١م. بلغت خسائر العراق نتيجة لهذه الحرب ٢٤٠ مليار دولار وخسائر الكويت ٢٢٧ مليار وخسائر الدول العربية جراء هذا الغزو ٦٧٦ مليار.

الرتل الخامس والرأي العام

مسألة: يقوم الرتل الخامس[١] بدور كبير في الحرب النفسية وفي إيصال صوت المحاربين إلى أسماع جماهير الطرف الآخر، الأمر الذي يتسبّب في إيجاد الرأي العام، فمن مهمات المحاربين أن يوصلوا صوتهم حتّى إلى النساء والأطفال والعجائز والشيوخ، فإنّ لكلّ فرد دوراً كبيراً في إشاعة الأمن والرعب أو التنفّر والتقريب، وهذا ما يقوم به الرتل الخامس.

وفي قتل عثمان بن عفّان[٢] استخدم المناوئون له الحرب النفسية وكان من

(١) الرتل الخامس: هو تعبير يرمز إلى إيصال الأصوات من داخل المجتمع لصالح طرف آخر في حالة عداء أو حرب. ونظير هذا التعبير ما استخدمه فرانسيسكو فرانكو الذي أعلن إبان الحرب الأهلية الإسبانية سنة ١٩٣٥-١٩٣٩م. وقصد به آنذاك بعض مؤيدي الجنرال فرانكو المتواجدين في مدريد الخاضعة لسيطرة الحكومة الجمهورية، والذين كان يتوقع منهم أن يثوروا على تلك الحكومة، حالما تصبح فرق فرانكو العسكرية الأربع ـ طوابيره الأربعة ـ الزاحفة لاحتلال العاصمة على مقربة منها. وقيل عبارة عن جماعة من أنصار العدو السريين يقومون بأعمال التجسس أو التخريب ضمن خطوط الدفاع او حدود البلاد، راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٤ ص١٨١٢.

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة، هاجر إلى أرض الحبشة ثم عاد إلى مكة ومن ثم هاجر الى المدينة. شهد أحد وهرب منها، وتخلّف عن بدر. أحد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة من بعده ففاز بها سنة ٢٣هـ لقبوله بالشرط الذي اشترطه عبد الرحمن بن عوف في التحكيم وهو سنّة الشيخين.

ومما يؤخذ عليه: أ- اجتهد مقابل النص في كثير من الأحكام، ويذكر لنا التاريخ أنه عندما دحض عبد الرحمن بن عوف حجج عثمان في الإتمام في السفر، قال عثمان: هذا رأي رأيته. ب - اختص أقاربه من بني أمية بالمناصب والولايات، فقد عيّن معاوية على بلاد الشام وسعيد بن العاص على البصرة وعبدالله بن سعد على مصر وعبدالله بن عامر على

المحرضين عليه عمرو بن العاص (1)، فقد نقل ابنه عنه بأنه قال له: أنا أبوك

خراسان والوليد بن عقبة على الكوفة. قال ابن قتيبة في المعارف: وكان مما نقموا على عثمان أنه آوى الحكم بن أبي العاص وأعطاه مائة الف درهم وقد سيّره رسول الله ثم لم يؤوه أبو بكر ولا عمر. جـ - إعطاؤه فدك لمروان بن الحكم وهي صدقة رسول الله ﷺ، وفي هذا يقول العلامة الأميني في كتابه الغدير: «ج٨ ص٢٣٧»: أنا لا أعرف كنه هذا الإقطاع وحقيقة هذا العمل، فإن فدك إن كان فيئاً للمسلمين كما ادعاه أبو بكر، فما وجه تخصيصه بمروان، وإن كان ميراثاً لآل رسول الله كما احتجت له الصديقة الطاهرة في خطبتها واحتج له أئمة الهدى من العترة الطاهرة وفي مقدمهم سيدهم أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام. فليس مروان منهم ولا كان للخليفة فيه رفع ووضع وإن كان نحلة من رسول الله ﷺ لبضعته الطاهرة فاطمة المعصومة عليها السلام كما ادعته وشهد لها أمير المؤمنين وابناها الإمامان السبطان وأمّ أيمن المشهود لها بالجنة فردت شهادتهم بما لا يرضى الله ولا رسوله، وإذا ردت شهادة أهل آية التطهير فبأي شيء يعتمد؟ وعلى اي حجة يعوّل؟. د - بعد فتح إفريقيا أعطى خمسها إلى مروان. هـ - نفيه للصحابي أبي ذر الغفاري - الذي كان ينكر على الولاة وبطانة عثمان استئثارهم بأموال المسلمين وعدم إنفاقها في وجوهها الشرعية - إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما اشتكى منه معاوية، ثم نفاه الى الربذة. و- يعد أول من أقطع الأقطاعات في الإسلام كما ذكر السيوطي في تاريخه: ص١٨. س - كل أرض تركها أهلها كان يعطيها للعرب دون غيرهم كما ذكر ذلك الزركلي في كتابه الأعلام: ج٤ ص٣٧١.

ونتيجة لفساد ولاته سارت إلى عثمان الوفود من مصر والبصرة والكوفة ومعهم أهل المدينة يطلبون منه أن يرّد المظالم ويعزل كل عامل كرهوه، فأعطاهم الرضى، فانصرف القوم، فلّما كان المصريون ببعض الطريق وجدوا كتاباً مع غلام عثمان إلى عامله على مصر عبد الله بن أبي سرح أن يضرب أعناق رؤساء المصريين، فرجعوا إلى المدينة وحاصروه مدّة أربعين يوماً ثم قتلوه، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ (٦٥٥م) ودفن في مقابر اليهود. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٦٢-١٧٧، الاستيعاب: القسم الثالث ص١٠٤٤، أسد الغابة: ج٣ ص٣٧٦، الكامل في التاريخ: ج٣ ص١٦٨، النجوم الزاهرة: ج١ ص٩٢، شذرات الذهب: ج١ص٤٠، الإصابة: ج٤ص٣٧٧ وص٣٧٩، أعيان الشيعة: ج١ ص٤٣٧، الأعلام للزركلي: ج٤ ص ٣٧١، موسوعة طبقات الفقهاء للسبحاني: ج١ ص١٩٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١١٨، تهذيب التهذيب: ج٧ ص١٢٧، النص والاجتهاد: ص٢٨٤، العقد الفريد: ج٤ ص٢٨٣، مجالس المؤمنين للتستري: ص٥٦ المجلس الرابع.

(1) عمرو بن العاص، والعاص قد استلحقهُ وائل السهمي - الأبتر شانئ رسول الله -، ولد قبل الهجرة وبالتحديد سنة (٥٧٣م) ومات سنة٤٣ هـ (٦٦٣م) ودفن في المقطم من ناحية الفج

عن عمر يناهز التسعين سنة. اشتهرت أمّه، نابغة بنت حرملة بالغناء والبغاء؛ فقد زنا بها أبو لهب وأمية بن خلف الذي نزلت في حقه ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ وهشام بن المغيرة والد أبو جهل وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل وكلهم في طهر واحد؛ فحملت بعمرو فتنافسوا جميعاً على مولودها وأرجعوا الحكم إليها، فاختارت العاص. فقالوا لها: ابنك أشبه بأبي سفيان فلماذا اخترتِ العاص؟ فقالت: بخل أبي سفيان، والعاص أقدر على دفع النفقة.

وقد قال له الإمام الحسن ﷺ تعريضاً به: (تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزارها، الأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإياك عني فإنك رجس). راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢٨ ونظير ذلك في كتاب الاحتجاج: ج١ ص٢٦٩-٢٧٥.

وقد هجاه حسان بن ثابت قائلاً:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت ... لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به أما فخرت ولا تكن ... تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل

وإن التي في ذاك يا عمرو حكمت ... فقالت رجاءً عند ذلك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلما ... تجمعت الأقوام عند المحافل

عرف بالمكر والدهاء والخديعة والغدر حتى ضرب به المثل، عادى رسول الله ﷺ وكان يؤذيه ويضع في طريقه الحجارة، وقد هجاه بسبعين بيتاً وكان يعلمها للصبيان فإذا مرّ بهم رسول الله ﷺ رفعوا أصواتهم، فلعنه الرسول بعدد كل بيت لعنة بعد صلاته في الحجر، وفي مكان آخر لعنه الرسول ﷺ قائلاً: «اللهم العن عمرو بن العاص». روّع زينب بنت الرسول الأكرم ﷺ عندما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وأسقط جنينها. وكان مبعوث قريش إلى الحبشة لتحريض النجاشي على قتل المسلمين وطردهم منها أو تسليمهم لقريش. قاتل المسلمين في بدر وأحد والخندق، أسلم سنة ٨ هـ (٦٢٩م) مع خالد بن الوليد، شهد فتح الشام، ولاّه عمر بن الخطاب فلسطين ثم مصر، عزله عثمان عن مصر وعين مكانه أخوه بالرضاعة عبد الله بن سعد، وأضحى يؤلب الناس في مصر على عثمان، وعندما قتل عثمان قال ابن العاص: «أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها، فتلته وأنا بوادي السباع». وقال لولده: «لقد حرّضت على عثمان حتى الراعي في الصحراء»، ولكنه شارك معاوية في الطلب بدم عثمان، وفي حكومة معاوية أضحى من المقربين والمناصرين له، وقد ناصره في حروبه ضد الإمام علي ﷺ كحرب صفين والتي نجى منها بكشف عورته، ولاه معاوية مصر وأطلق له خراجها ست سنين. وقال لابنه حين وفاته: «أصلحت لمعاوية دنياه، وأفسدت ديني، آثرت دنياي وتركت آخرتي، عمّي عليّ رشدي حتى حضرني أجلي، كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي». ذكر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل: ج١

لقد كنت أحرّض عليه حتى الراعي في الصحراء، فكنت أمرّ عليه وأقول له كيف خليفتك فإذا مدحه قلت له: ليس هكذا. وإنّما هو خليفة جائر يضع الأموال والمناصب في أيدي أقربائه ويحرمهما عن المسلمين الأكفاء، وإنّه لو لم يكن هكذا لكنت أنت الراعي أحسن حظّاً بهذا المال.

بهذه الأساليب والطرق كان عمرو بن العاص وغيره من المناوئين لحكم عثمان، يحاربون هذا الحكم، فكانوا يستغلون نقاط ضعفه ويثيرون ضدّه حتّى الراعي في الصحراء، كما كانت عائشة تفعل ذلك وهي عدوّة لعثمان أيضاً. فقد شهرت بوجهه الحرب الدعائية وكانت تقول: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[1]،

ص٢٦٧، أن عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس فقال له: يا أبا عبد الله كنت أسمعك كثيراً ما تقول وددت لو رأيت رجلاً عاقلاً حضرته الوفاة حتى أسئلهُ عما يجد، فكيف تجد؟ فقال: أجد كأنّ السماء مطبقة على الأرض وكأني بينهما، وكأنّما أتنفس من خُرْتِ ابرة. وخلّف عند موته ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ومن الورق ألف درهم. وغلة مائتي ألف دينار بمصر وضيعة قيمتها عشرة آلاف ألف درهم،

ومن جرائمه أنه شارك في قتل العبد الصالح محمد بن أبي بكر والي الإمام علي عليه السلام على مصر، بعد أن جعل جثته في جيفة حمار وأحرقها في النار، وهذا الأسلوب البشع يدل على انسلاخه من أبسط المعاني الإنسانية.

راجع شذرات الذهب: ج١ص ٥٣، تهذيب التهذيب: ج٨ ص٤٩، أسد الغابة: ج٤ ص ١١٥، سير أعلام النبلاء: ج٣ ص٥٤، مروج الذهب: ج٣ ص٣٢، تذكرة الخواص: ص١٨٦، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٢١-٢٢٢، السيرة النبوية: ج٣ ص٢٧٠، وقائع الأيام: ص٦٩، تاريخ مدينة دمشق: ج٤٦ ص١٠٨-٢٠٢، وفيات الأعيان: ج٧ ص٢١٥، الأعلام للزركلي: ج٥ ص٢٤٨، ربيع الأبرار: ج٤ ص٢٧٥.

(١) كان ذلك أيام خلافة عثمان، إذ كانت تخرج قميص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مؤلبة على عثمان قائلة: هذا قميصه وشعره لم يبل، وكذلك كانت تقول: هذا ثوب رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى. راجع الكامل في التاريخ: ج٣ ص٢٠٦، بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٤٢ ب١ ح١١٦، الفتوح لابن الأعثم: ج٢ ص٢٤٨ وص٢٨٢، تاريخ الطبري: ج٣ ص٤٧٧، المختصر في أخبار

ونعثل هو شخصية يهودية له لحية طويلة تشبه لحية عثمان بـن عفّـان، وكـان لهذا التحريض أثر حاسم في مقتل عثمان[1].



البشر: ج١ ص١٧٢، الغدير للأميني: ج٩ ص٨٠، النص والاجتهاد: ص٢٩٢ المورد ٨٣ وص٢٩٨.

(١) وقيل أن نعثل هو لقب أطلقته أم عثمان عليه لكثرة الشعر في وجهه وجسمه.

الظاهرة الإعلامية والرأي العام

مسألة: للإعلام وبكافة وسائله أثر بالغ في تكوين الرأي العام وفي التأثير على الآراء والأفكار وتشكيلها وفي توجيه المجتمع، وقد لخّص بعض علماء الغرب[1] ذلك قائلاً: «إنّ عادات تكوين الرأي العام هي أعنف العادات وأصلبها عوداً، فهي تصبح طبيعة ثانية، فإذا افترضنا أنّنا قد قذفنا بها من النافذة فإنّها تزحف إلينا ثانية متلصصة كما تزحف الطبيعة الأولى، وإذا عدّلناها فإنّ التغيير يكشف عن نفسه أولاً بصورة سالبة في تفكّك معتقداتنا، لتحلّ محلّها آراء عائمة طائرة، مخطوفة عرضاً من هنا وهناك. صحيح أنّه حدثت زيادة ضخمة في مقدار المعرفة التي اكتسبها الإنسان، لكن هذه الزيادة قد لا تعدل الزيادة التي حدثت في مقدار الأخطاء وأنصاف الحقائق التي تداولها بين الناس.. ففي المسائل الاجتماعية والإنسانية بصفة خاصّة، كان نمو الشعور بالنقد وأساليب الحكم غير المتميّز أبطأ من نمو الإعلام غير المسؤول، ومن نمو الدوافع لتشويه الحقائق قصداً».

أقول: من الضروري لمن يريد إثارة الرأي العام أن يكون له راصد يعرف به

---

(١) وهو: جون ديوي، المولود في مدينة فرمونت الأمريكية سنة ١٨٥٩م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٨٨٣م. يعد أحد مؤسسي اتحاد الحريات المدنية في أمريكا، وأحد مؤسسي جمعية أساتذة الجامعات. توفي سنة ١٩٥٢م. من مؤلفاته: الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، والذي ترجمه للعربية محمد لبيب النجمي، وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٣م.

مدى تأثيره في الرأي العام، سلباً وإيجاباً، سعة وضيقاً، صحة وخطأ، فإنّه ربّما يكون الطريق غير صحيح ولم ينجز الأثر الذي يريده، فإذا وجّه الرأي العام لجهة ما ولموضوع ما، فيجب على خصمه في الجهة الأخرى أن يواجه تلك الأجهزة في طرف خصمه وإلاّ وقع ضحية الرأي العام الذي يثار عليه من طرف خصمه، وكلّما كثرت الكمية في جانب وتحسّنت النوعية يجب على الطرف الآخر سلوك نفس الطريقين وإلاّ وقع ضحية من حيث لا يشعر[1]، ومن الواضح أنّ الإثارة تحتاج إلى الاستمرار، فإنّه بدون الاستمرار لا تحصل الإثارة الكافية.



(١) ومثال ذلك أن إسرائيل استغلت حظر البترول الذي مارسته بعض الدول العربية بعد حرب تشرين سنة ١٩٧٣م لتحميل العرب تبعات أزمة الطاقة وأزمة التضخم المالي الذي أعقب الحظر، وكذا ما تفعله الدول الغربية حالياً بتحميل الدول المصدرة للبترول أزمة ارتفاع أسعار الوقود في الغرب.

التعرّف إلى الرأي العام

مسألة: يجب التعرّف إلى الرأي العام حتّى يتّبع الحاكمون ذلك الرأي لئلاّ يقعوا في سخط الشعب ممّا يسبّب تمرّدهم على الحاكم وبالتالي عزله عن السلطة أو إسقاطه بالقوّة، وقد ذكر بعض الغربيين[1]: «إنّ المسؤولين عن الحكم يتّبعون نفس اتجاهات الرأي في الصحف اليومية، فهم يطالعون رسائل الشكاوي والطروحات والتأييدات التي تصل كلّ يوم إلى مكاتبهم ويصغون لأقوال مستشاريهم الذين يطوفون بهم، كما يصغون أيضاً لأعضاء الهيئات التشريعية وممثلي أصحاب المصالح الخاصّة ثمّ يتمسّكون بآرائهم اعتقاداً منهم بأنهم قد نشؤوا من الشعب ويعرفون ما يريده الشعب».

أقول: وعلى هذا فالمهم أولاً أن يتبعوا ما عاهدوا الناس عليه قبل وصولهم إلى الحكم من العمل وفق آراء الشعب في صغائر الأمور وكبائرها، ولا يراد بذلك الأفراد، وإنّما الغالب أنّ الشعوب تشكل تجمّعات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وتربوية وعسكرية وغيرها، فإذا اطّلعوا على أغلب هذه الآراء فهم مطّلعون على رأي الشعب ممّا ينبغي أن يفعل أو يترك، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من الوسائل السمعية والبصرية التي تقوم مكاتبهم باكتسابها. وأحياناً يكون للشعب رأيان ولا يمكن الجمع بينهما، فاللازم أن يكون الفيصل في ذلك أهل الحل والعقد أو الهيئات القضائية العليا، أمّا إذا أمكن التصالح بين

---

(١) وهو ديفيد ترومان.

الرأيين في الأخذ بأحدهما في هذا الجانب من الحياة والأخذ بالآخر في اليوم الآخر والأخذ بأحدهما في هذا الزمان والأخذ بأحدهما الآخر في زمان آخر، كان تلفيقاً حسناً، ولكن هذه الأمور إنّما تتحقّق في الحكومات الديمقراطية، أمّا الحكومات الاستبدادية فهي تفعل حسب ما تشاء بدون الرجوع إلى الشعب أو بدون استشارة منه، ومن الواضح أنّ فهم المواطنين تابع لاختلاف أمزجتهم، كما أنّ فهم رأيهم في السياسات الحكومية في مختلف مناحيها وأبعادها ضروريان للعملية الإدارية تماماً وإلاّ لم يكن الحاكم شعبياً، وحتّى إذا كان شعبياً ثمّ لم يأخذ بذلك سقط كسقوطه نتيجة جرم أو جنحة كما سقط نيكسون [1] في فضيحة ووترغيت [2].

(١) ريتشارد ميلهوس نيكسون، ولد في كاليفورنيا سنة ١٩١٣م، ومات في نيويورك سنة ١٩٩٤م. سياسي أمريكي، تزعم الحزب الجمهوري، وأصبح نائب رئيس الجمهورية سنة ١٩٥٣م-١٩٦١م، ثم رئيساً للجمهورية سنة ١٩٦٨م، ويعد الرئيس رقم ٣٧. أعيد انتخابه سنة ١٩٧٢م. أنهى حرب فيتنام سنة ١٩٧٣م. استقال في ٩ آب سنة ١٩٧٤م؛ إثر فضيحة ووترغيت السياسية، فخلفه نائبه جيرالدفورد. له عدة مؤلفات كتبها خلال الثمانينات من القرن العشرين، ونشر مذكراته سنة ١٩٧٨م.

(٢) ووترغيت: فضيحة سياسية أمريكية، حدثت عند قيام الحزب الجمهوري بالتجسس على الحزب الديمقراطي المناوئ بواسطة تسلل خمسة رجال لمبنى ووترغيت مقر اللجنة القومية للحزب الديمقراطي في واشنطن سنة ١٩٧٢م إبان الحملة الانتخابية الرئاسية وانكشاف أمر هذه المحاولة.

إن جريدة واشنطن بوست و عبر الصحفي بوب وودورد الذي عثر على مصدر معلومات داخل البيت الابيض وهو «ماك فلت» الذي كان يشغل منصب نائب مدير FBM. نشرت هذه الفضيحة وأثارت الشكوك حول البيت الأبيض والرئيس الامريكي نيكسون، وفي البداية حاول نيكسون تغطية المسألة على أنها حادث بسيط، ولكن بعد فترة اضطر إلى الإعلان عن تورط مساعديه في الفضيحة ثم عمد الى إقالة عدد من كبار مستشاريه في البيت الأبيض كالكاتب العام للبيت الأبيض والمستشار القانوني للرئيس ووزير العدل والمدير العام للجنة اعادة انتخاب الرئيس في الحزب الجمهوري كوسيلة للتنصل من مسؤليته الشخصية ولاحتواء الأزمة ولكن الاستقالة طالته. عندما اعترف رسمياً بتورطه

إنّ عدم أخذ الحكومة للرأي العام سواءٌ كان عن عمد أو عن اشتباه يوجب تخدش السمعة وسقوط الشخصية، فالشعوب تمثلّ تياراً واسعاً كالنهر الجاري، بينما الحكومات لا تمثل إلاّ جزءاً صغيراً، فمهما كانت الحكومات قويّة فإنّها لا تصل لمستوى الشعوب في قوّتها، فإذا تعارض الأمران كان السقوط من نصيب الحكومة؛ ولذا نشاهد حتّى الحكومات الديكتاتورية مهما كانت انحرافاتها فإنها تسعى ليل نهار إلى اكتساب رضى الشعوب من كلّ قلوبها، أمّا إذا كان تحصيلها بالقوّة فيصعب الاحتفاظ بها في الظروف المعاصرة؛ لأنّ الظروف المعاصرة هي ظروف الشعوب، ولذا نشاهد أنّ الحكومات الديكتاتورية تتساقط الواحدة تلو الأخرى، مثلاً سقطت حكومة الاتّحاد السوفيتي على سعتها وقوّتها وكثرة تجاربها وشدّة أجهزة المخابرات فيها؛ لأنّ شعوبها لم تكن راضية عنها، وهكذا سقط من قبل نوري السعيد[1]

بالقضية، وقدم استقالته في آب ١٩٧٤م خوفاً من مسائلته القانونية. ومجريات الفضيحة كالتالي: في البداية اعتقل خمسة أشخاص بتهمة سرقة وثائق ووضع آلات تنصت هاتفية لصالح الحزب الجمهوري، حيث دخل هؤلاء الأشخاص بحجة إصلاح مجاري المياه، وهم من عناصر المخابرات الداخلية FBI والمركزية CIA. وفي التحقيق اعترف بعضهم، بأنه قبض اموالاً من الحزب الجمهوري للقيام بذلك العمل.

(١) نوري سعيد صالح السعيد، من تلاميذ لورنس، ضابط في الأركان البريطانية، حيث كان معه منذ صباه واشترك معه في الحرب ضد العثمانيين، بعد أن كان ضابطاً في الجيش العثماني، ويعد من ركائز بريطانيا في الشرق الأوسط كما وصفه الرئيس المصري جمال عبد الناصر بذلك، ومؤيداً ومخلصاً للعلاقات مع بريطانيا؛ كما وصفه السير موريس بيترس السفير البريطاني في العراق بين عام ١٩٣٨-١٩٣٩م في كتابه «جانبا الستار»، ولد في بغداد سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) وقتل سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م)، درس في المدرسة الإعدادية العسكرية والتي تخرّج منها سنة ١٩٠٢م، ثم سافر إلى اسطنبول للدراسة في الكلية الحربية. وفي سنة ١٩٠٦م عين ملازماً ثانياً في الجيش العثماني، وفي سنة ١٩١١م عين في كلية الأركان في اسطنبول وتخرج منها بعد سنتين، ونقل إلى المشاركة في حرب البلقان في منطقة اسكوبيا اليوغسلافية. شارك مع الشريف حسين بعد أن ذهب إلى جدة، حيث عينه

وكيلاً للقائد العام للجيش العربي ثم رئيساً للأركان. وفي سنة ١٩١٧م سافر إلى القاهرة للعلاج من إصابة قدمه خلال إحدى المعارك ضد العثمانيين ثم ذهب إلى العقبة للاتصال بفيصل الذي كان قائداً للقوات النظامية في تلك المنطقة. وأصبح معاوناً له. وقبل الحرب العالمية الأولى بقليل تولى نوري السعيد قيادة جيش فيصل ودخل الشام منتصراً سنة ١٩١٨م. ثم عين بعد ذلك بمنصب رئيس مرافقي فيصل. وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني بعد معركة ميسلون وتقدم الجيش الفرنسي على بلاد الشام انهزم الملك فيصل وجيشه إلى خارج الشام. ثم بعد ذلك سافر إلى العراق برفقة فيصل الذي عينه الإنجليز حاكماً على العراق. أصبح رئيساً للوزراء بين سنة ١٣٤٩هـ-١٣٧٧هـ (١٩٣٠م-١٩٥٨م) لأربع عشرة دورة ووزيراً للدفاع لخمس عشرة دورة ووزيراً للخارجية في إحدى عشرة دورة ووزيراً للداخلية في دورتين، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين عبر التحالف معهم، وقد جعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية وسوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية، يقول عنه فيصل الأول: «إن نوري السعيد كان يعتمد على الوحي الذي يأتيه من الخارج أكثر من اعتماده على رأيه أو رأي إخوانه». ويقول أحمد مختار بابان آخر رئيس وزراء في العهد الملكي في مذكراته ص٥٥: «كان - نوري - متمسكاً بصداقة الإنجليز اعتقاداً منه بأن بلادهم هي الدولة الوحيدة التي يجب أن يركن لها العراق». ويقول ولدمار غولمان السفير الأمريكي في العراق من سنة ١٩٥٤-١٩٥٩م في كتابه «العراق في عهد الجنرال نوري» عن علاقة نوري بإسرائيل: «إن تصريحات نوري السعيد العلنية عن إسرائيل كانت تختلف اختلافاً شديداً عما كان يقوله في مجالسه الخاصة. كان نوري يقول في مجالسه الخاصة: «إن وجود دولة إسرائيل حقيقة يجب أن تقبل».

وكان نوري السعيد يكره المعارضة ولا يتحمل تأسيس الأحزاب، يقول بابان في مذكراته ص٥٨ في هذا الصدد: «يكره المعارضة... ولا يتحمل تأسيس الأحزاب المعارضة... وما كان يميل إلى حرية الصحافة».

وفي مكان آخر من نفس الصفحة يقول: «عليّ أن أقر أيضاً كان نوري السعيد ارتكب خطأً سياسياً آخر حين أقدم على غلق الأحزاب السياسية فإن الأحزاب المذكورة بقيت تمارس أعمالها في الخفاء، فيما كان وجودها العلني أضمن لصيانة الأمن والنظام». ويقول الدكتور صالح البصّام عن نوري السعيد في كتابه مذكرات وأسرار هروب نوري السعيد: ص ١٤٤: «كان شديد الحساسية، سريع الانفعال، بل إنّ البعض وصفه بعصبية المزاج»

راجع «للحيطان آذان وللشوارع ألسنة» للنشاشيبي ص١٨، «العراق صفحات من التاريخ السياسي» للدكتور كاظم الموسوي ص ١٥، «مذكرات أحمد بابان» لأحمد بابان ص٥٥، ٥٨. و«أعمدة الحكمة السبعة» للورنس، «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» لنجدة فتحي صفوة، «أسرار هروب نور السعيد» للدكتور صالح البصّام.

وبعده سقط عبد الكريم قاسم وبعده سقط عبد السّلام عارف[1] وبعده سقط عبد الرحمن عارف[2] ثم أحمد حسن البكر[3]، في مدّة لا تتجاوز العقد ونصف العقد من الزمن، والآن آل الدور لصدام الذي هو الآن على وشك السقوط[4]، هذا ما جرى في العراق.

أمّا ما جرى في مصر؛ فقد سقطت حكومة فاروق[5] وحكومة

---

(١) عبد السلام عارف: ولد سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م)، شارك مع عبد الكريم قاسم في انقلاب ١٩٥٨م، وأذاع البلاغ الأول للانقلاب بنفسه، وكان آنذاك برتبة ضابط ركن. عين نائباً لرئيس الوزراء ووزير للداخلية، ونحي من منصبه بعد شهرين، وقدّم للمحاكمة وحكم عليه بالإعدام ولكن الحكم لم ينفذ وأطلق سراحه سنة ١٩٦١م. تسلم الحكم في العراق إثر انقلاب عسكري في ١٤ رمضان سنة ١٣٨٢هـ (٨ شباط ١٩٦٣م)، قتل مع عدد من وزرائه في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٨٥هـ (١٣ نيسان ١٩٦٦م) إثر سقوط طائرته في جنوب العراق، وفي عهده اشتدت اللعبة الطائفية في العراق واستهدف إفراغ العراق من أبنائه من المسلمين الشيعة قدر الإمكان. اتسم حكمه بالديكتاتورية والكبت والإرهاب وإسناد المناصب الحكومية لأقربائه وأبناء عشيرته وقريته بغض النظر عن المؤهلات والكفاءات.

(٢) عبد الرحمن عارف: ولد سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م)، عين قائداً للفرقة الخامسة سنة ١٩٦٣م بعد تولي أخيه منصب الرئاسة، ثم عين رئيساً للأركان، وأصبح رئيساً للعراق سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٦م)، بعد مقتل أخيه عبد السلام في ١٣ نيسان ١٩٦٦م، نحي عن السلطة سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)؛ إثر انقلاب دبّره أحمد حسن البكر، ونفي إلى تركيا.

(٣) أحمد حسن البكر: ولد في تكريت سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م)، تسلم الحكم في العراق ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)؛ إثر انقلاب عسكري دبّره ضد عبد الرحمن عارف، واستمر في الحكم إحدى عشرة سنة، وأقصي سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)؛ إثر انقلاب دبّره صدام التكريتي. وقتله صدام سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بحقنة سبّبت ارتفاع نسبة السكّر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش، وقيل الدكتور فاروق كما عن كتاب جمهورية العراق الديكتاتوري: ص١٤٥.

(٤) وقد تحققت نبوءة الإمام المؤلف قدس سره في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣ عندما أطيح بنظامه من قبل أسياده الأمريكيين.

(٥) فاروق بن فؤاد بن اسماعيل الخديوي، ولد سنة ١٩٢٠م، ومات في روما سنة ١٩٦٥م. أرسله أبوه في صباه إلى فرنسا وإنجلترا للتعلّم، وعاد إلى مصر بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣٦م، حكم مصر بين ١٩٢٧م-١٩٥٢م، أطيح به إثر انقلاب عسكري قاده الضباط

عبد الناصر[1] وحكومة السادات[2]، وهكذا بقية الحكومات والأنظمة في البلاد الديكتاتورية التي كتبت عليها سُنة السقوط.

وبعض الحكام سقطوا بصورة مشينة وذليلة؛ فنوري السعيد سحبوه في الطرقات والشوارع بعد أن قتلوه شر قتلة، وشاه إيران ـ محمد رضا ـ أخرج من البلاد بصورة مهينة، ولم يجد من يقبل إيواءه على الرغم من كثرة أصدقائه ومن أغدق عليهم الأموال الطائلة ثم آل أمره إلى القتل.

هذه دروس وعبر لكلّ الحكام، بأنّ مصير الاستبداد والظلم أوّل من ينال منه الحاكم نفسه. ثم إنّ الاستقرار لا يتحقّق في ظل الحكام المستبدّين، بل طريق الاستقرار هو وجود الحكم الصالح من جانب ووجود تفاعل من قبل الشعب من جانبٍ آخر. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من استبدّ برأيه هلك)[3]، ولم يأتِ

الأحرار في ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢م، حيث أجبر على التنحي عن العرش، وبذلك أطيح بالملكية في مصر وقيام الجمهورية.

(١) جمال عبد الناصر، ولد في الإسكندرية سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م)، وتوفي سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)، التحق بالكلية الحربية سنة ١٩٣٧م، وعين أستاذاً فيها بعد ذلك، قادة انقلاب ٢٣ تموز ١٩٥٢م، تولّى رئاسة الوزراء سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)، واتّخذ الاشتراكية كنظام لإدارة البلد، وتولّى رئاسة الجمهورية سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م)، واستمر حكمه إلى سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)، من مؤلفاته: فلسفة الثورة.

(٢) محمد أنور السادات، ولد سنة ١٩١٨م في المنوفية المصرية، وتخرّج من الكلية العسكرية سنة ١٩٣٨م. شارك في الانقلاب على الملك فاروق سنة ١٩٥٢م مع الضباط الأحرار حيث اسندت اليه مهمة قطع الاتصالات الهاتفية واحتلال دار الاذاعة. أصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة الذي تولى السلطة بعد طرد الملك فاروق، وعين سنة ١٩٥٤م عضواً في محكمة الشعب التي تولت محاكمة أعضاء حركة الإخوان المسلمين. اصبح رئيساً لمجلس الأمة المصري بين سنة ١٩٦١-١٩٦٨م ونائباً لرئيس الجمهورية سنة ١٩٦٩م ورئيساً للجمهورية سنة ١٩٧٠م. اغتيل في السادس من تشرين الأول سنة ١٩٨١م من قبل الشعب المصري إثر توقيعه هزيمة العار والمصالحة مع إسرائيل.

(٣) نهج البلاغة: ص٥٠٠ قصار الحكم، الحكمة ١٦١، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٣ القسم

النص بـ«وأهلك»؛ لوضوح أنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

والادّعاء بأنّ الحاكم الفلاني مؤيّدٌ من قبل الشعب مائة بالمائة هو نوعٌ من الخداع، وهو خداع للحاكم نفسه قبل أن يكون خداعاً للشعب.

وإذا زعم الحاكم أنّه يستند إلى الرأي العام ثمّ تبيّن له أنّه لم يكن كذلك، فلا بدّ له أن يرجع عن الطريق الذي سلكه، فالسير بعد الوضوح يكون سبباً لقرب السقوط أو السقوط الحتمي، ولذا اشتهر المثل القائل: «الرجوع عن الباطل حق، والرجوع عن الخطأ فضيلة»، وسابقاً كان الحكام من فرط إنسانيتهم يتجوّلون متخفّين بين رعاياهم ليتعرّفوا على مشاكلهم وليعرفوا سيرة موظّفيهم وجنودهم مع الشعب. فقد كان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام يتفقدان الرعية في النهار والليل، وكان الإمام علي عليه السلام على استعداد دائم لسماع الشكاوى، فكان بيته مفتوحاً للشارد والوارد بل لم يكن لبيته في الكوفة ـ حسب ما ذكره بعض المؤرخين ـ بوابٌ وحجّاب مما اعتاد عليه الحكام والملوك والقياصرة حتّى يسهل الدخول إليه. وكان يتجوّل في الأسواق والأزقّة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وفي إحدى المرّات دخلت عليه امرأة، وقالت له: «أنصفني من زوجي» فأخذها إلى بيتها وطرق الباب على الزوج وأخذ ينصح الزوج، وكاد الزوج يهين الإمام علياً عليه السلام لتدخّله بينه وبين زوجته لولا سماعه طارقاً يسلّم على الإمام بإمرة المؤمنين، فعرف أن ذلك الشخص هو أمير المؤمنين عليه السلام[1].

السادس ب٤ الفصل الأول ح ١٠١١١، خصائص الأئمة: ص١٠٨، وسائل الشيعة: ج١٢ ص٤٠ ب٢١ ح١٥٥٨٧، بحار الأنوار: ج٧٢ ص١٠٤ ب٤٨ ح٣٨ ط بيروت، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٣٨٢.

(١) عن سيرة الرسول الأكرم ﷺ والإمام علي عليه السلام. راجع كتاب: ولأول مرة في تاريخ العالم، الفقه السياسة، باقة عطرة، السبيل إلى إنهاض المسلمين، حكومة الرسول ﷺ والإمام

وعلى الحاكم أن يكتشف رغبات الناس أو باصطلاح اليوم: الرأي العام. وفي البلدان المتقدمة يجرون عمليّات استطلاع للآراء، فهي الوسيلة المثلى لمعرفة رغبات الشعوب، فقد قال إبراهام لنكولن: «إن ما أريده هو ما يريده الناس، لكن لا أعلم كيف أعرف ما يريدون على وجه الدقة؟»[1].

أقول: كان صادقاً في قوله وكان زعيماً مخلصاً لشعبه، لكنّ عصره لم يكن عصر تقدّم حتّى يكتشفوا طرق الاستطلاع، ومن أجل معرفة الرأي العام بدقّة لا بدّ من وضع رقابة على أجهزة الاستخبارات، فلا بدّ من وجود جهاز ضدّ الاستخبارات لمراقبة أعمال أجهزة الاستخبارات، وهذه هي الوسيلة المثلى لتقصي الحقيقة، وقد نقل لي أحد الأشخاص الذين كانوا معتقلين في سجون أحد الحكام المستبدّين أن أمره كان على وشكّ الحكم عليه بالإعدام فكتب رسالة إلى الملك يوضح فيه حكايته، ولم تمض إلاّ أيّام حتّى وصل مبعوث الملك وهو يطلب منه أن يرتدي ملابسه لإطلاق سراحه من السجن، لم يكن ليمر بخلده ذلك لأنّ أقصى ما كان يتوقّعه هو الحكم عليه بالمؤبّد. وبعد استقصائه عرف أنّ الملك بعث عنصراً من استخباراته الخاصّة للتحقيق في أمر السجين وبعد التدقيق في ملفاته تبيّن له أنّه إنسان بريء فقام بإطلاق سراحه من السجن.

ومشكلة الحاكم المستبدّ أنّه لا يستطيع التوصل إلى الحقائق ومعرفة الرأي العام؛ لأنّ الأجهزة المرتبطة به كلّها مصبوغة بصبغة الديكتاتورية والاستبداد،

علي عليه السلام للإمام الراحل قدس سره.

(١) وقد ذكرت العبارة بصيغة أخرى، وهي: «إن ما أريده هو إنجاز ما يرغب الشعب في إنجازه، وتتمثل المسألة بالنسبة لي في كيفية التعرف على وجه الدقة» راجع كتاب الرأي العام، استطلاعات الرأي والديمقراطية: ص١١ للمؤلف إيرفنغ كرسبي.

فلا يقدر أن يصل إلى الحقائق من خلال هذه الأجهزة، فأجهزة الإعلام لا تنقل إلاّ ما يريده الحاكم المستبدّ المتسلّط على الرقاب.



كيف نحصل على الرأي العام؟

مسألة: بما أن الرأي العام أمرٌ اكتسابي، فيجب أن نعرف كيفية تحصيله[1]؟ فالرأي العام ليس خاصاً بالمدن ولا بالشخصيات الكبار ولا بذوي النفوذ أو من أشبه. وإنّما يعم القرى أيضاً والأشخاص المتوسّطين والدرجة الثالثة في المرتبة الاجتماعية، فالرأي العام إنّما يكون بأخذ آراء هؤلاء جميعاً، فمن الواضح أنّ ذوي النفوذ والحلّ والعقد ومن أشبههم تعرف آراؤهم بسرعة، وإذا تمكن الإنسان من الوصول إلى جميع طبقات الشعب، فليس المعيار هو أهل الحلّ والعقد فقط؛ فإنّ أهل الحل والعقد إنّما كان لهم اعتبار، لأنّ رأي الناس إلى جانب آرائهم، مثل شيخ العشيرة؛ فهو الذي يعطي الرأي لعشيرته ويكون أفراد العشيرة تابعين لرأيه، أمّا في الوقت الحاضر فالإنسان يتمكّن من الوصول

---

(١) يرى البعض أنّ تحصيل الرأي العام يتم عبر: ١- إثارة المشكلة أو الموضوع. ٢- مناقشة المشكلة أو الموضوع. ٣- الوصول إلى الاتفاق الجماعي حول الحل. بمعنى إثارة المشكلة أو الموضوع وإيصالها إلى عامة الناس عبر وسائل الاتصال ثم يتبلور رأي الناس عبر المقترحات، فيحدث عندهم ردّ فعل يكون بمثابة التعبير عن موقفهم.

ويرى الإمام المؤلف (قدس سره) أن تحصيل الرأي العام لإقامة حكومة دينية يحتاج الى اربعة أمور:

١- طبع مئات الملايين من الكتب التوعوية الداعية إلى الشورى والتعددية الحزبية وإطلاق الحريات الإسلامية والداعية إلى الأخوة وإلى إزالة الحدود الجغرافية وما أشبه.

٢- التمسك بالأخلاق الحميدة التي دعى وعمل بها الأنبياء (عليهم السلام).

٣- قضاء حوائج الناس مادياً ومعنوياً عبر إنشاء مؤسسات تقوم بهذا الغرض.

٤- دخول رجال الدين في كل مرافق الحياة كما كان إبّان الحكم الإسلامي. راجع كتاب الحرية الإسلامية: ص٣٢-٣٤ للمؤلف (قدس سره) «باختصار».

إلى جميع الآراء بسهولة، فلا مورد للعمل برأي أهل الحل والعقد دون سائر الآراء، لأنّ العمل وفق رأي الحل والعقد في ظرف يمكن الوصول فيه إلى جميع الآراء يكون انحرافاً عن الرأي العام.

ومن الواضح أنّ الوسائل السمعية والبصرية بل واللمسية لفاقدي البصر ومن أشبههم إنّما تعطي جملة من الرأي لا الرأي كلّه؛ فلذا من عادة البلاد الديمقراطية أنّ كثيراً من الصحافيين والإذاعيين ومن أشبههم، يتّصلون بالفرد في الشارع سواء كان بقالاً أو عطاراً أو حمالاً أو رجلاً أو امرأة؛ صغيراً وكبيراً، ممّا يكوّن عينة من عينات الرأي العام.

ثم يدرجون ذلك في إذاعاتهم وتلفزيوناتهم وصحفهم وما أشبه ذلك، فاللازم أخذ الرأي العام أولاً ثم صبّه ثانياً، لأنّ أخذ الرأي العام لا يحكمه اتجاهٌ واحد أو كيفية واحدة حتّى يكون أخذ الرأي العام كافياً.

مثلاً: البلاد الشيوعية تحوّلت من الشيوعية لكنّها لا تعلم أنّ الاقتصاد الصحيح هو الاقتصاد الإسلامي، فالمفترض أن يتعرّف المنظّرون والموجّهون من المخطّطين والمنفذين على الاقتصاد الإسلامي ليتمكّنوا من تحقيق أماني شعوبهم وما يطمحون إليه في الاقتصاد السليم.

وربّما كان هناك اقتصادان تحت جامع واحد لكن أحدهما أفضل من الآخر؛ إذ الحقّ إذا كان في الجامع كان كل جزئياته داخلاً في الحقّ، لكنّه هل يرجح هذا الحقّ على ذلك أو ذلك على هذا، كما ذكرناه في كتاب القضاء؛ حيث قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا

﴿لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ [1]، فلم يكن الأمر على سبيل التناقض والتضاد، وإنّما كان على سبيل جزأين داخلين تحت كلّي واحد، لكن كان رأي سليمان أفضل؛ ولذا قال ﷻ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [2]، على قصة مذكورة في التفاسير والتواريخ وكتب الأحاديث.

وعلى كلّ حال: ففي المرتبة الثانية يحتاج الرأي العام إلى التخطيط، وفي المرتبة الثالثة يحتاج إلى التطبيق والتنفيذ؛ لأنّه لا يكفي التخطيط فقط وإنما ينبغي معرفة سبل التنفيذ؟.

فلو كان الرأي العام إلى جانب الصناعات الثقيلة، يكون السؤال كيف يتم تنفيذ الصناعات الثقيلة في هذه المدينة أو تلك أو كيف يتمّ التقسيم بينهما. ومن الأمثلة على الصناعات الثقيلة: سباكة الحديد واستخراج المعادن، والجامع أنّه يجب أوّلاً أن يعرف الكلّي ثمّ يجب أن يعرف الجزئي الذي تحت هذا الكلّي، وأنّه ما هو الأفضل هل هذا الجزئي أم ذاك؟ وإلى ذلك أشار أحد العلماء الذين عالجوا الأمر من هذه الناحية قائلاً: «على الحاكم الذي يضع برنامجاً من أي نوع كان؛ سواء كان إعلامياً أو تنموياً أو استثمارياً، عليه أن يفتح عينيه على الجمهور أثناء تنفيذ البرنامج، فهو لا يستطيع أن يستخدم أجهزة الاتّصال القوية دون أن يفتح عينيه على استجابات الجمهور، فكل فرد من هذا الجمهور يريد أن يتحدّث عبر وسائل الاتّصال، فعلى المسؤولين على الإعلام أن يراعوا هذه الحقيقة؛ لأنّ الجمهور مستعدّ لأنْ يسمع الوسيلة المعنية بمشكلاته، ذلك أنّ قليلاً من المسؤولين عن الإعلام هم الذين يزورون

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨-٧٩.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

القرى والتجمّعات السكانية النائية في محاولة للتعرّف على مشاكل المواطنين أو لالتقاط أفلام عمّا يجري في تلك المناطق النائية، وجمع الآراء من رجل الشارع، ولئن كانت هذه اللقاءات السريعة كافية لمعرفة بعض الآراء لكنها ليست كافية للتقييم العلمي»، ثمّ لما كانت الدنيا في تطوّر دائم من الحسن إلى الأحسن، فالمفترض مراعاة هذه الجهة أيضاً بالنسبة إلى المعنيين في الأمر، فالأمر ليس على وتيرة واحدة حتى تبقى إذا وضعت صحيحة؛ لأنّ الجمهور قد يتحوّل من حال إلى حال، فإذا لم يؤدّ المسؤول وظيفته حسب نظر الجمهور سقط عن الاعتبار بالإضافة إلى أنه لم يتمكّن أن يخدم الشعب خدمة صحيحة، وإلى هذا أشار أحد الغربيين[1] من الذين اهتمّوا بهذا الأمر وقال: «لقد وجد الحاكم في دراسة الرأي العام وسيلة ممتازة لاتّصاله بالشعب، فالاحصاءات هي التي تساعد الحكّام على التعرّف إلى احتياجات البرامج الناشئة عن احتياجات الشعب، ومن ثمّ فإنّهم يجرون تغييرات في البرامج تبعاً للتغيرات في سلوك الجماهير، كما يتعلّمون على الفرص المناسبة لوضع إجراءات أفضل نتيجة فهم أكبر للجمهور».

لقد أشار هذا العالم إلى جزئي واحد من جزئيات الأمر؛ لأنّ تغيير الأجزاء قد يكون نتيجة فهم أفضل للجمهور، وقد يكون نتيجة تحوّل الجمهور من حال إلى حال مثل حال الفقر إلى الغنى أو حال الضعف إلى القوّة أو حال المرض إلى الصحّة أو بالعكس أو حال فقدان العداء للحاكم إلى حال وجود العداء للحاكم، ولعلّه تبعاً لهذا الواقع الخارجي، قال ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي

---

(١) وهو مارتن كرايز برج.

شَأْنٍ﴾[1]، وإن كان قوله ﷺ أعم مما ذكرناه؛ لأنّه يشمل سائر الشؤون التي نحن لسنا بصددها الآن، ولعل الحديث المروي عن الرسول ﷺ (**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم**)[2]، وهذا ليس من جهة تغيير علم الرسول ﷺ وإنّما من جهة تغيير المتعلّق؛ إذ التغيير قد يكون في العلم، وقد يكون في المتعلّق، مثلاً: قد يكون لدينا نورٌ لكن الإنسان لا يستطيع رؤيته فيحكم على حسب وجود الظلام ثم يرى النور، وهذا من تغيير العلم، وقد يكون من تغيير المعلوم مثلاً: لم يكن هنا نور، فإذا تغيّر الظلام إلى النور كان له حكمٌ آخر، وفي وجود النور قد يكون شيئاً منوّراً بهذا النور ثمّ يذهب ذلك الشيء ويجيء شيء آخر فيكون منوّراً بهذا النور، فالتغيير لم يحصل في النور، وإنّما حصل في متعلّق النور ممّا ذكره الفلاسفة والحكماء والمتكلّمون في باب علم الله ﷻ.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٣٦ ح٢٢٨٨، الكافي (فروع): ج٤ ص٢٤٩ ح٦، وسائل الشيعة: ج١١ ص٢٢٢ ب٢ ح١٤٦٥٧، وقريب منه في الكافي (فروع): ج٤ ص٢٤٦ ح٤، تهذيب الأحكام: ج٥ ص٢٥ ب٤ ح٣، وص٤٥٤ ب٢٦ ح٢٣٤، وسائل الشيعة: ج١١ ص٢١٤ ب٢ ح١٤٦٤٧.

الرأي العام ومختلف القوى

مسألة: لاشكّ أنّ في الاجتماع قوىً مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية ومالية وزراعية وغيرها، وهذه القوى غالباً ما تتعارض مصالح بعضها مع البعض الآخر، والرأي العام إنّما يتضح عندما يعرف الإنسان نسبة هذه القوى بعضها ببعض، ويستنتج آراء هذه القوى فمثلاً القطاع الزراعي يريد تخصيص أكثر ميزانية الدولة للزراعة بينما يعمل القطاع الصناعي على إحلال أكثر هذه التخصيصات للصناعة، كما أنّ المشرّعين ينظرون إلى صحّة وسلامة القانون حسب عقولهم ودراساتهم الحقوقية والقانونية، بينما الاقتصاديون يرون ما ينفعهم في عالم الاقتصاد سواء روعيت الموازين القانونية والحقوقية أم لم تراع، ولذا فالرأي العام يجب أن يكون مستوعباً للجميع حتّى لرجال القانون وللقواعد الفقهية العامّة والحقوق وما أشبه ذلك لكي يكون الرأي العام شيئاً معتدلاً بين جميع القوى وأقرب إلى الأكثرية، ومع ذلك فالإنسان الذي يستطلع الرأي العام بحاجة إلى إرضاء الجميع، فهناك ثلاثة أمور لا بدّ من ملاحظتها:

١- آراء كل فئة.

٢- النسبة بين هذه الآراء.

٣- إمكانية إرضاء الجميع أو قريب منه.

وهي ضرورية لمن يريد أخذ زمام المجتمع، ولذا فاللازم في التوجيه السياسي التوجه الكافي نحو الحاجات وإلى جمع الأفكار والمفاضلة بينها، ولذا قال أحد الساسة الغربيين في الحملة الانتخابية لسنة ألف وتسعمائة

وإثنتين وستين: «يبدو أن أكثر من ثلثي المرشحين لمجلس الشيوخ الأمريكي كلفوا من يستطلع لهم الرأي العام، وواحد من كل عشرة مرشحين، استخدم مسحاً إحصائياً في حملته الانتخابية. على أن التباين بين استخدام مرشحي الشيوخ وبين استخدام مرشحي الكونغرس راجع إلى القدرات المالية أكثر من الرغبة».

ويضيف هذا السياسي: «وفي نفس العام تجاوز عدد الاستعلامات التي تلقيناها من مرشحي الكونغرس عن الاستفتاء لهم، جملة من الاستفتاءات التي قمنا بها للمرشحين طوال مدّة عملنا في ميدان الاستفتاء»[1].

أقول: من هنا يتبيّن لنا أنّ الرأي العام المعتدل الذي هو معيار الانحطاط والارتفاع بحاجة إلى مهارة ودقّة في الاستطلاع والمسح. هذا، وبعد ذلك، يجب أن يعلم أنّ كلّ سنة تختلف الأمور فيها عن السنة السابقة بالنسبة إلى الرأي العام؛ ارتفاعاً أو انخفاضاً، وأحياناً يؤدي خطأ واحد من الرئيس إلى ارتفاع كفّة الطرف الآخر كما حدثت حوادث كثيرة في هذا المضمار[2]، وعلى اصطلاح الأصوليين: «الاستصحاب غير مساغ في أمثال هذه الأمور»، وإن كان الأصحّ أنّه لا وحدة للموضوع في الحالين السابق واللاحق، بينما يشترط في الاستصحاب وحدة الموضوع عرفاً، فالمهم ملاحظة الرأي العام بالقياس إلى ما ذكرناه.

---

(١) راجع كتاب: الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص٢٧٩ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

(٢) أمثال فضيحة ووترغيت في أمريكا، التي كونت رأياً عاماً ضاغطاً على الساحة السياسية، وأدت إلى استقالة الرئيس الأمريكي نيكسون عن الحكم سنة١٩٧٣م، وكذا مساءلة الرئيس بيل كلنتون عن علاقته غير المشروعة مع الموظفة السابقة في البيت الأبيض مونيكا لونيسكي.

الرأي العام في الدول الديكتاتورية

مسألة: لا يمكن تحصيل الرأي العام الواقعي في الدول الديكتاتورية إطلاقاً؛ لأنّ الديكتاتور يحاول أن يجيّر كل شيء لصالحه، وقد رأينا في بعض أنظمة الحكم كيف أنّ أجهزة الاستخبارات كانت توجّه الرأي العام لانتخاب الحاكم المفروض على الشعب.

ومن كان يخالف ذلك كان جزاؤه السجن والتعذيب والإعدام ومصادرة الأموال والتشريد وهتك الأعراض وما أشبه ذلك.

وأذكر في هذا الصدد ما كتبته مجلة البعث الإسلامي، التابعة لجمعية العلماء في الهند، في أحد أعدادها: «أنّ جمال عبد الناصر وجماعته قرروا أنواعاً من التعذيب والتي منها هتك العرض لكلّ من لا يؤيّد الثورة»، ومعنى من لا يؤيّد الثورة هو من لا يؤيّد عبد الناصر بالذات.

وهكذا كان في عهد تشاوشسكو [1] في رومانيا المثل المشهور عند الناس: «التفكير ممنوع والنطق يساوي الإعدام».

وفي عهد عبد الكريم قاسم سنّ قانوناً أنّ من يتطاول على المقدّسات

---

(١) نيقولاي تشاو تشاوشسكو: سياسي روماني، ولد سنة ١٩١٨م في سكورنيسشتي، أصبح أميناً عاماً للحزب الشيوعي الروماني سنة ١٩٦٥م، ورئيساً للدولة سنة ١٩٦٧م، ورئيساً للجمهورية سنة ١٩٧٤م. عرف باستبداده وبطشه وقتله للناس. تخلّص منه الشعب الروماني سنة ١٩٨٩م حيث أطيح بحكمه، وقتل مع زوجته في تيرغوفيشتي. راجع ملحق موسوعة السياسة: ص٢٥٣.

الإسلامية بالسب وينال من الخالق المتعالي أو من الرسول الأكرم ﷺ فإنّ عقوبته هي ربع دينار، أما من يسب عبد الكريم قاسم فجزاؤه السجن عشر سنوات، وهذا الأمر نجده في أكثر بلدان العالم الثالث.

ومن الطبيعي في مثل هذه الأوضاع الاستبدادية لا ينمو الرأي العام ولا يزدهر. بعكس ما هو الحال إذا كانت الدولة تعيش نظاماً ديمقراطياً[1] ـ في الاصطلاح الغربي ـ، أو نظاماً استشارياً ـ حسب الاصطلاح الإسلامي ـ على ما هو موجود من فروق بينهما[2]؛

---

(١) الديمقراطية: كلمة يونانية مركبة من: «ديمس» و«قراطيس» أي حكم الشعب لصالح الشعب، وهو نظام سياسي يحكم الشعب فيه نفسه بنفسه، وقوامه الحرية والمساواة والمشاركة الجماعية في الحكم عبر التمثيل وإبداء الراي والمعارضة وفصل الدين عن الدولة وغيرها، بصورة رسمية او غير رسمية. والديمقراطية لدى اللاتين: امحاء الارادة وحسن المبادرة لدى الفرد لكي يصبح تابعاً للدولة، فالدولة هي المسؤولة عن القيادة وتطبيق المركزية واحتكار تيسير الأمور والتصنيع. والديمقراطية لدى الأمريكان: بمعنى التنمية المكثفة للإرادة وللفرد أي امحاء الدولة وضعف دورها في تيسير الأمور ماعدا الجيش والدبلوماسية. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٤ ص١٧٥٥.

(٢) إنّ المؤلف ﷺ ذكر الديمقراطية وجعلها مرادفة للاستشارية من باب التماشي مع البحث أو للاشتراك الإجمالي، وإلاّ فإنه يرى وجود فوارق عديدة ذكرها في كتابه الشورى في الإسلام: ص٧٧، والفقه ـ السياسة، والفقه ـ فلسفة التاريخ: ص١٩٠. ومن جملة الفروق الأخرى:

١- السيادة في النظام الديمقراطي هي للشعب، بمعنى أن الشعب هو سيد نفسه وليس هناك قوة أعلى من الشعب. بينما السيادة في نظام الشورى للقانون: «القرآن الكريم والسنة النبوية» فحتى الحاكم لا بد أن يخضع للقانون الإلهي؛ بل وحتى الأنبياء والأئمة عليهم التقيّد بهذه القوانين.

٢- الشعب هو الذي يسن القوانين في النظام الديمقراطي، بينما في الإسلام لاحق لأحد في سن القوانين، فالأحكام هي من الله سبحانه، والله كشف عنها في كتابه أو جعلها مخفية لحكمة، وطلب من العلماء الكشف عنها واستنباطها.

٣- يأخذ النظام الديمقراطي بالأكثرية على أنه الحق بينما يأخذ الإسلام بهذا المبدأ من باب الترجيح فقط، فرأي الأكثرية لا يمثل الحق في النظام الإسلامي، فقد يكون الحق مع

حيث إنَّ الحريات الإسلامية أكثر من الحريات الغربية على ما ذكرنا ذلك في كتاب «ممارسة التغيير» وكتاب «الصياغة الجديدة» وغيرهما.



الأقلية.

ومما يؤخذ على الديمقراطية فقدان الارتباط بين الحرية الفردية والحكم الديمقراطي، وهذا ما تجلى بوضوح في روسيا في عهد فردريك الأكبر، حيث وجدت الحريات الفردية وانعدمت الديمقراطية، وكذا في عهد جوزيف الثاني في النمسا حيث حافظت على الحرية الفردية والحقوق الذاتية أكثر من الديمقراطية الفعلية، ومما يؤخذ كذلك أن الديمقراطية الأمريكية قائمة على التصويت الانتخابي دون التصويت الشعبي.

من معوقات الرأي العام

مسألة: ينبغي التوجه للعوامل التي تتدخل سلباً في صنع الرأي العام، ومن هذه العوامل عدم المسح الجغرافي للمدن والقرى وعدم وجود الاستشارية وانتشار الأمّية، فالأمية مؤداها إعاقة حرية التعبير وبالتالي أفول الرأي العام. فإنّ الناس في تلك الحالة يتحولون إلى إمّعات لا يجعلون لأنفسهم قدراً ولا وزناً، وإنّما يقول أحدهم: أنّا مع رئيس العشيرة الفلانية، وإنا مع رئيس الحزب الفلاني، أو مع القوم الفلاني، أو أنا مع القوي، هؤلاء الذين شعارهم «حشرٌ مع الناس عيد»، والذين قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام: **(همج رعاع أتباع كل ناعق)**[1].

وكذا من العوامل التي تتدخّل في الرأي العام سلباً أو إيجاباً: العادات المحلّية وأنظمة العائلة والتقاليد العشائرية أو ما أشبه ذلك، فلابدّ أن يعي مهندسو الرأي العام هذه العادات والتقاليد؛ حتى لا يصطدموا بها.

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٩٥ قصار الحكم، الحكمة ١٤٧، الإرشاد: ج١ ص٢٢٧، اعلام الدين: ص٨٥، الأمالي للطوسي: ص٢٠ المجلس الأول ح٢٣، الأمالي للمفيد: ص٢٤٧ المجلس التاسع والعشرون ح٣، الخصال: ج١ ص١٨٦ ح٢٥٧، روضة الواعظين: ج١ ص١٠، الغارات: ج١ ص٨٩، كمال الدين: ج١ ص٢٩٢ ب٢٦ ح٢.

المواقف وعلاقتها بالرأي العام

مسألة: الموقف عبارة عن مجموعة أنماط من الاستجابات على شكل سلوك أو قول حول حادثة معيّنة. مثلاً: موقف الشخص الفلاني من الاعتداء على صديقه، أو موقف الحكومة المعيّنة من حرب البوسنة والهرسك، أو موقف الحزب الفلاني من التصالح والتحارب مع الجماعة الفلانية، أو الحكومة الفلانية[1].

وبالمواقف المشتركة بين الأفراد يُصنع الرأي العام، ثم إنّ الموقف قد يحرّكه عامل واحد أو عدة عوامل، كأن يقف زيد من عمرو موقفاً عدائياً؛ وذلك لأنّ عمراً في المكان المعيّن أقدم على الاستهانة بزيد فولّد عند زيد ردّ فعل معيّناً؛ إمّا حبّاً أو بغضاً أو خوفاً أو اطمئنان أو ما أشبه ذلك، سواءٌ كان العامل واحداً كعامل الحبّ أو بسبب متعدّد كعامل الحبّ والخوف مما سبب هذا الموقف لهذا الإنسان أو لهذه المنظّمة أو لهذا الحزب أو لهذه الحكومة.

والموقف إنّما يقال له: موقف، إذا كان نابعاً عن الحقيقة لا عن الصورة؛ لأنّه قد يكون موقف فلان من فلان موقف الحب لكنّه لا يظهر هذا الحب بل أحياناً يظهر الكره والبراءة لجهة أهم، فيكون موقفه الظاهري مخالفاً لموقفه

---

(١) وعرفه بعضهم على أنه: عملية وعي الفرد الذي يحدد النشاط الحقيقي أو المحتمل لنظره في القيمة الاجتماعية والتصرف بأي شكل من الأشكال هو الرباط الذي يربط بينهما.

الباطني، والموقف الموحّد من جماعة لا يلزم أن يكون وراءه شيء واحد بل يمكن أن يكون وراءه أشياء مختلفة، مثلاً: هناك عددٌ كبير يذهب إلى البحر لكن البعض يذهب لصيد الأسماك والبعض الآخر يذهب للسباحة وواحد يذهب للاستفادة من ملح البحر أو ما أشبه ذلك، فالموقف واحد بالنسبة إلى الذهاب إلى البحر لكنّ ما وراء الموقف يكون مختلفاً.

كما وأنّ الموقف الواحد لا يلزم أن يكون متساوياً كماً ولا كيفاً؛ إذ قد تختلف المواقف في الكم والكيف على حسب الظروف الداخلية والعوامل الخارجية، فإنّ الذين حضروا كربلاء لقتل الإمام الحسين عليه السلام كانت دوافعهم مختلفة من طلب المال أو الجاه أو المنصب، وبعض من حضر كان إمّعة أو همجاً رعاعاً أتبّاع كلّ ناعق ـ على المثل الذي ذكرناه ـ «حشر مع الناس عيد»، وإن اختلفت الأهداف والغايات والدوافع فإنّ الموقف واحد في جميع هؤلاء.

والمواقف بطبيعتها متحركة غير جامدة، بل أحياناً تنمو كنمو الشجر، وأحياناً تتأثّر وتتغيّر بصورة بطيئة أو بصورة سريعة، أو يظهر التغيير بدون هذه الأمور بل لعامل هام هو أنّ الأمّة عندما تتحوّل إلى «إمعّة»، يتغيّر رأيها بتغيّر رأي قادتها، فمثلاً: نجد أن سوريا ومصر اتّحدتا في عهد جمال عبد الناصر حتّى انبثقت الجمهورية العربية المتّحدة، لكن لم يمض وقتٌ طويل حتّى تغيّر هذا الموقف فوقف جمال عبد الناصر وخطب في إحدى المرات منددأ بسوريا وحكامها ومطالباً بضربهم وقتلهم، وأخذت الجماهير المليونية المحتشدة تقول: «اقتل اقتل، اضرب اضرب، حقْ حقْ»، ويقولون بأنّ جمال عبد الناصر هو رجل الحرب ورجل الإنقاذ وما أشبه ذلك من الألفاظ، ولم يمر على هذا الكلام وقتٌ طويل حتّى أعلن جمال عبد الناصر قائلاً: «إنّي فكرت أن

لا أضرب الدم العربي بالدم العربي ولذا أفضل أن أتريث فأكون رجل السّلام حتّى يتبين الموقف الصحيح». وإذا بالجماهير المليونية تغيّر موقفها تبعاً لذلك وأخذت تردّد بدل «القتال القتال»، «السّلام السّلام، الأخوة الأخوة» وما أشبه ذلك. فالموقف قد تغيّر رأساً على عقب بعد فترة وجيزة؛ لأنّهم إمّعات لا يفكّرون بالاستقلال.

إنّ مثل هذه الأمور تحدث في الدول الديكتاتورية، أمّا الدول الديمقراطية فلا تحدث فيها مثل هذه الأمور إطلاقاً، نعم يمكن تغيير المواقف بسبب تغيير الأسباب الواقعية أو بسبب نمو المواقف أو ما أشبه ذلك، والمجتمعات الراكدة المنعزلة يكون عدد المسائل الخلافية فيها قليل جدّاً، أمّا في المجتمعات الديمقراطية والمتحرّكة المواقف؛ فكثيراً ما تتغيّر لتغيّر أسبابها فتتغيّر فيها المواقف كما يتغيّر الطقس من البرودة إلى الحرارة أو بالعكس، ومن الرطوبة إلى اليبوسة أو بالعكس حسب تغيير الأسباب التكوينية، فإنّ الأسباب التشريعية كالأسباب التكوينية في التغيّر والنمو وأيضاً في الجمود.

ومن هنا يتبيّن أنّ رأي أفلاطون في مسألة التغيير ليس على نحو الموجبة الكلّية وإنّما على نحو بعض الجزئيّات، فإنّ رأيه هو «أنّ التغييرات في الرأي تفرض بالقوّة تحت تأثير شدّة الألم أو الحزن الجسمي أو النفسي، فالبسطاء هم الذين يغيّرون آراءهم تحت تأثير السرور أو تحت تأثير الخوف الحاد أو تحت تأثير اللذّة المترقّبة».

أسباب التغيير في الرأي العام

وقد ذكر أحد علماء الغرب[1] أنّ التغيير المفاجئ في الرأي لدى الجماهير

---

(١) وهو العالم أ. هـ. باجيت.

الكبيرة، يكون للأسباب التالية:

١ـ أنّ رأي الجماعة، الذي لا يقوم على أساس من الفهم الدقيق بنقاط البحث، ولا تدعمه ارتباطات قوية بحكم مسبق ثابت، هو رأيٌ سهل التقلّب أو التفكك.

٢ـ أنّ كثيراً من تعبيرات الرأي العام ليست إلاّ تمسكاً فارغاً بالشكليات، وقد يبدو أنّ التغيّرات في الرأي قد تحدث عرضاً عند تغيير الخطاب من أسلوب إلى آخر.

٣ـ قد يتغيّر رأي الجماعة بسرعة بسبب عدم الحكمة وسوء التصرّف عند أولئك الذين يحاولون توجيه الرأي، فالقادة قد يغالون في ثقة الشعب فيهم ومسايرتهم لهم ومن ثمّ يحاولون المغالاة في إحداث التغييرات.

٤ـ أنّ الرغبة العامّة عند أعضاء الجمهور الكبير في الاستجابة إيجابياً، عبر التصويت بنعم على المقترحات، في حين أنهم يظلّون محتفظين بشكوكهم، ومن ثمّ قد تغيّر الغالبية رأيها بسرعة كبيرة، وقد تأكّد ذلك الأمر بالتجربة.

٥ـ أنّ الجمهور عامّة يعترض على المواقف لا على المبادئ، ومن ثمّ قد تحدث التغييرات الفجائية في الرأي إذا تعدّل الموقف.

٦ـ أنّ دخول قوّة شخصية جديدة تمثل بوضوح مسألة من المسائل، هو مما قد يحدث تغيّراً مفاجئاً في الرأي، أمّا الحقائق والأسباب والبراهين فقلّما كان لها سيطرة ثابتة على عقول معظم الناس.

إذاً التغيير في الرأي إنّما يكون بسبب ما يطرأ على الرأي السابق شكلياً أو واقعياً، فشكلياً هو أن يكون الإنسان إمّعة يتّبع من فوقه بلا مناقشة، وإنّما يكون كذلك إمّا من خوف أو رغبة أو حبّ أو ما أشبه ذلك، أمّا إذا كان عن واقعية؛ إنّما يكون كذلك لأنّه إذا اشتهى الإنسان شيئاً غير الشيء الذي يرغب

فيه، تكوّن لديه في الأوّل الرؤية ثمّ العاطفة ثمّ الشكّ ثمّ الظنّ ثمّ اليقين حتّى ينقلب الرأي السابق إلى رأيٍ لاحق، وهكذا يكون حال جميع الأمور حتّى الدين. مثلاً: الولد الجاهلي الّذي يولد في مجتمع يعبد الأصنام، أولاً يرى هذا الولد الصنم وبعد ذلك يعطف عليه ثم يدخل مرحلة الشك وإثارة الأسئلة، هل هو صحيح أو غير صحيح؟ وبعد ذلك يصل شكّه إلى الظن بصحّته، ومن ثم يتيّقن، ولذا جاء الأنبياء ليمهدوا للإنسان خطو هذه الخطوات للمضي في هذه المراحل حتّى تتبدّل نظرتهم وتتغيّر آراؤهم. وهكذا حتّى بالنسبة إلى المفردات، ولذا اشتهر بين المفسّرين أنّ الخمر منع على شكل ثلاث مراحل لتجذّره في أعماق المجتمع، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات ثلاث[1].

وأحياناً يغيّر الناس مواقفهم تحت ضغط عاملٍ خارجي، ثمّ إذا ارتفع ذلك العامل رجع الناس إلى مواقفهم السابقة، ولا يلزم أن يكون التغيّر من رأي إلى رأي كلّياً؛ لأنّه من الممكن أن يكون التغيّر جزئياً على نحو العموم المطلق أو على نحو العموم من وجه على اصطلاح المنطقيين. ثمّ إنّه كلّما كثرت اتّصالات بعض الناس ببعضهم كثر تغيّر المواقف كلّياً أو جزئياً؛ لأنّ الرأي الجديد الآتي من مكانٍ غير مكان الجماهير قد يكون له من القوة والواقعية ما يسبب التغيير، ولهذا نشاهد أنّ الذين يسافرون من البلاد الصغيرة إلى البلاد الكبيرة يغيّرون آراءهم، وكذلك العكس؛ المسافر من البلد الكبير إلى البلد

---

(١) وهكذا في إتيان الواجبات، مثلاً أن الله ﷻ أخّر وجوب الصلاة إلى ليلة الإسراء لأنه لو أوجبها في ابتداء الإسلام لنفروا من ثقلها عليهم، وأخّر وجوب الزكاة إلى ما بعد الهجرة النبوية الشريفة. للتفصيل عن هذا الموضوع راجع كتاب: لماذا تأخر المسلمون؟: ص١٤٤ وكتاب الوصول إلى حكومة واحدة اسلامية للإمام المؤلف ﷫.

الصغير يتغيّر رأيه بحسب مفاهيم البلد المنقول إليه، ويشير إلى هذا ما ورد عن أفلاطون من أنه عرّف حدود المدينة بأنّها مقدار ما يصل إليه صوت الإنسان، وهذه إشارة إلى أهمّية الاتصال في بناء المدينة والمجتمع. وكما أنّ الرأي الجديد يسبّب تغيير الرأي السابق وتبعاً لذلك يتغيّر الموقف، كذلك البيئة والحالات الاقتصادية والحالات الاجتماعية، مثلاً البيئة الحارّة تفرز آراء ليست كذلك فيما إذا كان هؤلاء في البيئة الباردة، وكذلك البيئة ذات الدخل الاقتصادي المرتفع تختلف عن البيئة ذات الدخل الاقتصادي المنخفض.

وبناءً على هذا، فالرأي العام أيضاً ظاهرة من ظواهر الإنسان، حاله حال اللغة والتشبيهات والاستعارات والكنايات والمحسنات اللفظية والبديعية وما أشبه ذلك، كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث حول الحقائق الفطرية الثابتة في أية بيئة أو مكان أو زمان أو اقتصاد أو ارتفاع أو انخفاض أو جبل أو سهل، أمّا غيرها فتتأثّر بمختلف البيئات والاجتماعات، وقد ذكر علماء الكلام أنّ المعاجز أيضاً كذلك، فنبي الله موسى عليه السلام لما كان في عصر السحرة أتى بشيء من المعجزات التي تشابه عمل السحرة، حيث إنهم كانوا يصنعون الحبال والعصي ليخيّل للناس أنّها تسعى، وموسى جاء بالعصا التي تنقلب حيّة بإذن الله عز وجل حقيقة، فهم يسحرون أعين الناس، أمّا موسى فيعمل الحقيقة.

و نبي الله عيسى عليه السلام كان في زمن انتشر فيه الطبّ والأطبّاء المهرة الذين يعالجون الأمراض المميتة ويدفعون الموت مهما أمكن عن المريض الذي يشرف على الموت، ولذا جاء بمعجزات إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وما أشبه ذلك. ورسول الإسلام صلى الله عليه وآله وإن كثرت معاجزه كما ورد في كتب

السير[1] إلاّ إن أهمّ معجزاته القرآن الحكيم الذي هو من جنس الفصاحة والبلاغة التي كانت دارجة عند عرب الجاهلية، وليس معنى ذلك أنّ إعجاز القرآن خاصٌ في هذه الناحية، بل هذه هي الناحية البارزة من إعجاز القرآن وإلاّ فإعجاز القرآن بأسباب متنوّعة؛ ولذا يعتقد بإعجازه حتّى في عالم الذرّة بل وما بعد الذرّة وإلى يوم يبعثون، وإلى هذا أيضاً يشير قوله ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، قوله «اختلفوا» بسبب أنّ جماعة منهم يظنّون أنّه ليس بحق من جهة إما تقليداً أو عدم التفات أو ما أشبه ذلك، فيبتعدون عنه وإلاّ فقبل ذلك كان الناس أمّة واحدة، لها شأنها وخصوصيّاتها الجامعة المشتركة.

---

(١) أمثال إنشقاق القمر، ونبوع الماء بين أصابعه، وإشباع أربعين شخصاً من بني هاشم من الطعام القليل عند نزول آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، وتسبيح الحصى في كفّه، وحنين الجذع، وإقبال الشجرة إليه، وعبوره مع الجيش على الماء، وتكليمه الذئب والثعبان والجانّ والضبّ والظبية والطير والناقة والحمار، والتصاق الحجر بيد أبي جهل حين هم أن يرمي الرسول بها، وشهادة الحجر والمدر برسالته، وتسليم الركن المغربي عليه، وإدرار شاة أم معبد حين مسّها بيده ولم تكن قبله بسنة قد درّت. وقد أحصى بعض العلماء معاجز الرسول ﷺ فبلغت أربعة آلاف معجزة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

مظاهر الرأي العام

مسألة: من الأركان المهمة في تجميع الرأي العام هو استخدام اللغة والتي تتجسد عبر الإيماء والكلام واللمس المثبتين والصورة، وإليك تفصيل هذه الأمور:

الإيماء

وهي إيماء الحركات البدنية من اليد والرجل والعين والرأس بإشارة نعم أو لا أو ما أشبه ذلك، وكل ما يطلق عليه «الإيماء» هو شكل من أشكال التعبير عن الآراء، وللدلالة على موقف الإنسان سواء كانت مطابقة للواقع أو لم تكن مطابقة للواقع، والمطابقية وعدمها ليستا من بحثنا الآن، وإنّما البحث في المظهر، فهي لغة الإشارة الصامتة، والغالب أنّه يستعملها عمّال السكك الحديدية وعمّال البناء وطلبة الكشافة والاستخبارات ورجال الجيش في حال الحرب وغيرهم، وقد تكون تلك الإشارات طبيعية في اتّصالات الأطفال أو حركات وجوههم، وقد لا تكون طبيعية بل بالتعليم عبر الإشارات، وقد تكون من دلالات الجماعات الثقافية المشتركة.

الكلام

ممّا يدلّ على الرأي العام أيضاً هو الكلام، والكلام هو التلفظ سواء كان

كلاماً اصطلاحياً بين نفرين أو جماعة أو كلاماً عاماً بين قطاعات كبيرة ممّا يسمّى باللغة، واللغات جزء من ثقافات كلّ الشعوب سواء كانت شعوباً بدوية أو شعوباً حضرية.

والطفل أوّل ما يولد يكون مزوّداً بالإشارات الطبيعية ثمّ يتعلّم اللغة تدريجاً لفظاً ومعنى، بأن يعرف أنّ هذا اللفظ لهذا المعنى، وهذا اللفظ لذاك المعنى.

والكلام كالإيماء يدلّ على الرأي إذا كان إنشائياً، أمّا الكلام المقروء فلا يدلّ على الرأي العام.

ولا يخفى أنّ المحسنات البديعية ممّا ذكرها علماء البلاغة إنّما هي لكثرة تمكن المتمكّن من جمال الكلام ليؤثّر في السامع أحسن تأثير سواء كان المقصود منه تفهماً مباشراً ولو بالملازمة، ومما يذكر أنّ رجلاً أراد قتل رجل في الصحراء، فقال له الرجل المقتول: إذا قتلتني فإنّي أرجو منك رجاءً واحداً هو أن تذهب إلى بيتنا وتقرأ هذا الشطر من البيت الشعري على ابنتي:

ألا أيّها البنتانِ إنّ أباكما

وبعد أن ارتكب الرجل جريمة القتل ذهب فعلاً إلى بيت الرجل المقتول، وأنشد شطر البيت، فلمّا سمعتا البنتان منه ذلك أخذتا بتلابيبه وقلن له: أنت القاتل. لأنّهما أدركا مراد والدهما من شطر البيت:

ألا أيّها البنتان إنّ أباكما   قتيل، خذا بالثأر ممّن أتاكما[1]

---

(١) راجع المستطرف: ج١ ص١٢٦، كشكول البهائي: ج٢ ص٩٠، ونظير هذا الشعر جاء في موت الشاعر أبو ليلى عَديّ بن ربيعة التغلبي المشهور بالمهلهل:
حيث كان مريضاً وله عبدان يخدمانه فملاً منه، فلمّا أحسّ أنّ العبدين يريدان قتله أوصاهما أن ينشدا ابنته سلمى بيتاً من الشعر، وهو:

مَن مُبلغُ الأقوام أنّ مهلهلاً   لله دَرُّكما وَدَرُّ أبيكما

فلّما أنشداها البيت أوثقت العبدين وقالت: ما أرادَ أبي إلاّ أن يقول:

ولا فرق بين القراءة والكلام في إظهار الرأي سواء كان مثيراً أو غير مثير كما يستعمله دعاة الحروب والسّلام وما أشبه ذلك، كما أنّ اختلاف اللغات واللهجات يحول دون جمع الناس في نسق واحد؛ لذا اتفق عقلاء العالم على توحيد اللغة بين الأقوام المختلفة، ومن هذا المنطلق جعل القرآن الحكيم اللغة العربية هي لغة المسلمين بصورة عامّة في صلاتهم وغير ذلك، وقد اندفع المسلمون من غير العرب على تعلّم اللغة العربية تحت لواء الإسلام فجعلوها لغتهم الرئيسية، والبعض جعلها لغته الثانية بعد لغته الأمّ، فشعوب العراق ومصر وسوريا وبلاد الخليج والمغرب والسودان وليبيا جعلوا اللغة العربية لغة الأم، أمّا في إيران وتركيا وباكستان فقد جعلوها اللغة الثانية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية.

اللّمس

واللّمس يقوم مقام الكتابة عند فاقدي البصر ونحوهم، فالحواس الخمس هي الطريق إلى الذهن الباطن، والطريق إذا سدّت تعوّض بطريق أخرى كالعين واللّمس، وقد لا يكون كذلك الذوق فإنّه لا يمكن تبديله إلى شيء آخر بحيث يؤدّي الرسالة نفسها، واللمس هو وسيلة الاتّصال الطبيعية عند طبقة واسعة من المجتمع، وبالتالي هو إحدى وسائل تكوين الرأي العام.

مَــن مُبلــغُ الأقــوامِ انّ مهلــهلاً ... أضـحى قتـيلاً في الفـلاةِ مُجـدَّلا

للهِ دَرُّكمـــــا وَ درُّ أبيكمــــا ... لا يــبرح العبـــدانِ حتـــى يُقـــتلا

راجع: أدباء العرب: ج١ ص٩٠.

الصورة

تساهم الصورة مساهمة كبيرة في الترويج للرأي العام، فهي خير معبّر عمّا يريد صنّاع الرأي العام [1]، واليوم أصبحت الأفلام السينمائية هي الوسيلة المثلى للترويج والدعاية وتكوين الرأي العام، ولأهمّية الأفلام وأثرها الحاسم قام بعض الإيرانيين في أيّام رضا بهلوي بصنع فيلم عن ملوك إيران السابقين الذين نشروا في طول البلاد وعرضها اللوعة والأسى. وقد أثّر هذا الفيلم تأثيراً كبيراً في الجماهير الإيرانية؛ حيث أظهر ارتباط الشاه بالدوائر الاستعمارية، فأمر رضا بهلوي بإعدام من كان وراء الفيلم، فأعدم العديد من صناع الفيلم جراء عملهم المؤثّر.

وفي مثال آخر قام الجيش الأمريكي بصنع مجموعة من الأفلام تحت عنوان «لماذا نحارب؟» برّر فيها دوافع الجيش الأمريكي في شن القتال، الأمر الذي أقنع الشعب الأمريكي بالأهداف الحربية، وقد قام فريق بدراسة نتائج هذه الأفلام فتوصّل إلى النتيجة التالية: إنّ هذه الأفلام كانت فعالة في تغيير الآراء في بعض الموارد؛ لأنّها أعطت تفسيراً خاصاً لبعض الحقائق.

واليوم تقوم الولايات المتّحدة بشن هجماتها على الدول والشعوب تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، فهي ترتكب الإرهاب تحت هذه التسمية، وهي تستخدم في هذا الأمر كافّة وسائلها الإعلامية، ومنها بالطبع التصوير السينمائي والتلفازي.

ولا ريب أنّ الصهاينة تفنّنوا كثيراً في توجيه الرأي العام نحو مصالحهم

---

(١) فالصورة تقوم بوظيفة: ١- التأطير بإظهار الحجة والعاطفة ٢- التحرير بالتلبيس والمغالطة ٣- التوصيل لأجل الاستشهاد والإثبات.

الخاصّة عندما استخدموا الشريط السينمائي[١] في بث الدعاية الصهيونية، وقد حقّقوا إنجازات إعلامية كبيرة عندما استطاعوا تغيير الصورة عن أنفسهم والظهور بمظهر المظلوم، بينما هم الذين غصبوا الأراضي الفلسطينية. فقد ركّزوا على قتل اليهود بيد النازيين في معسكرات الأسر وصنعوا كثيراً من الأفلام في هذا المضمار واستطاعوا تغيير النظرة العامّة إلى اليهود من الكراهية إلى الحيادية أو الإيجابية، لأنّ من طبيعة الإنسان الوقوف إلى جانب المظلوم، ففي أعماق الإنسان شحنة كبيرة من العواطف، تنجذب نحو المظلوم، وقد استطاع اليهود استدرار عواطف العالم إلى جانبهم، وأخذوا يروّجون لقصص كاذبة لا أساس لها امثال محرقة اليهود[٢].

---

(١) ومن تلك الأفلام: ليلٌ وضباب، لانزمان، المحرقة، الموت مهنتي، الشواه الحديدي والذي خصّص مناحيم بيغن ٨٥٠ ألف دولار من اجله.

(٢) وقد فضح تلك الأكاذيب الكاتب والمفكر الفرنسي روجيه غارودي في كتابه الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية. حيث كشف فيه ما فعلته الصهيونية العالمية ولسنوات طوال من الهرطقة السياسية واحتلال العقول والمصادرة للمفاهيم.

وذكر غارودي في كتابه: إن ما أشاعه اليهود من الإبادة الجماعية في معسكرات الإعتقال في زمن هتلر لا يستند إلى حقائق واقعية، وذلك للأسباب التالية: أ- إن الأرقام التي ذكروها لاتستند الى تحقيق تاريخي، حيث ذكروا ستة ملايين - استناداً إلى أقوال شخصين فقط هما ولهام هوتل وفيليستي - ثم تراجعوا إلى أربعة ملايين ثم إلى مليون وربع المليون ثم إلى أقل من مليون. علماً أن عدد اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا لم يتجاوز نصف العدد الذي ذكروه، لأن حق المواطنة يُشترط فيه عنصر الدم الألماني. ب - أن الأرقام التي ذكروها لا تستند إلى تحقيق علمي، فإنه لاتوجد أي وثيقة موقّعة من قبل هتلر او احد اعضاء حكومته بإبادة اليهود، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار المدة التي حكم فيها هتلر، وهي عشر سنوات، أربع منها لجميع أوربا. بل العكس أن اليهود ظلّوا يعيشون في أوربا وأن بعضهم تعاون مع هتلر ضد بريطانيا بما فيهم منظمة مجموعة ليحي - المحاربين من أجل إسرائيل - التي كان يرأسها لجنة ثلاثية من بينهم إسحاق شامير، والتاريخ يحدّثنا عن ذلك التعاون عبر اتفاقات الهعفراه - التي تسمح بموجبها لليهود وأصحاب الرساميل بنقل رؤوس أموالهم من ألمانيا إلى فلسطين، وعبر مقترحات التعاون العسكري، وهي

والأفلام التي من هذا القبيل قد تؤثّر بصورة سريعة أو قد لا تؤثّر بتلك السرعة. وعمل الصور كعمل النبتة، فبعض النباتات تثمر بعد ثلاثة أشهر، وبعضها يثمر بعد ستة أشهر، وبعضها يثمر بعد سنة أو أكثر.

ولا فرق هنا بين كون الصورة على شكل تمثيلية أو فلم أو لوحة أو بوستر، وقد ذكر في التاريخ أنّ الصينيين اشتهروا بمقولة: «صورة واحدة خيرٌ من ألف كتاب».

والغالب أنّ الرأي العام يكون تجميعاً كمياً للآراء المرتبطة، مع وضوح أنّ التجمّع في الآراء المختلفة للأفراد المختلفين لا يمثّل إلاّ الكم، وليس المهم في هذا الباب الكم فقط، بل لابدّ من رعاية الكيف أيضاً.

والإحصاء الكيفي أمرٌ يحتاج إلى المزيد من الدقّة والملاحظة، مثلاً أساتذة الجامعات وعلماء الدين والمفكرون وأمثالهم من الشخصيات المتفوقة فكرياً لا يمكن أن يعدّ رأيهم مثل رأي البقّالين والحمّالين وطلاب المدارس الثانوية

مقترحات قدّمها إسحاق شامير للسلطات الهتلرية سنة ١٩٤١م، وعبر مقترحات الوكالة اليهودية من أجل تقديم عشرة آلاف شاحنة لهتلر بشرط أن تستخدم ضد السوفيات ـ ج ـ أن المعلومات التي اعتمد عليها خلافاً للقواعد المتّبعة في المحاكم، حيث لم يتحقق أحد من سلامة النصوص والشهود ـ خصوصاً بناء شهادتهم على السماع دون المشاهدة والاعترافات تحت التعذيب ـ ولا نوع سلاح الجريمة ـ أهي ناقلات خانقة أم غرف غاز ـ. د ـ لم يتوصل الخبراء والمحققين إلى غرف الغاز في معسكرات الاعتقال، إذ أعلنوا أن الإبادة غير ممكنة تقنياً، هذا إضافة إلى أن بعض المعسكرات التي ذكرها اليهود لم يكن لها وجود أصلاً. هـ ـ أن الاكثرية الساحقة من المنفيين في معسكرات الاعتقال لم يكونوا من اليهود، فقد كان هناك أربعمائة ألف جندي سوفيتي ومائة وخمسون الف مجري وما بين ستمائة ألف إلى سبعمائة ألف بولوني ومئتان وخمسون ألف فرنسي، ومن بين هؤلاء الفرنسيين خمسة وعشرون ألف جندي يهودي، فقد عاد من الجنود الفرنسيين بين ثمانين الف إلى مائة ألف ـ بما فيهم خمسة عشر الف يهودي ـ فلو كان هناك معسكرات إبادة لذكروا هؤلاء.

وما أشبه ذلك، لأن الرأي الحصيف لا يقاس بغيره.

وقد يعترض معترض على هذا الكلام بقوله: إنّ الإسلام ينظر إلى البشرية نظرة متساوية في الحدود والقصاص والديات، وهو ينظر إلى المجاهدين نظرة متساوية في أمر تقسيم الغنائم إلى غير ذلك من الأمثلة، فكيف لا تقبلون بتساوي الآراء؟

وفي الجواب نقول: هذا أمرٌ صحيح لا نقاش فيه لكن تقسيمات المجتمع على أساس التقوى والعلم أمرٌ موضوعي لا يقبل النقاش أيضاً، كما ليس هناك منافاة بين الأمرين بين موضوع الديات والحدود والقصاص وبين موضوع التقسيم الطبيعي للمجتمع. فالإسلام يقرّ باختلاف المراتب بناءً على التقوى والعلم، كما أنّه يقرّ بالمساواة أيضاً، وقد ورد الدليل في الدعاء الشريف: (يا من في الميزان قضاؤه)[1]، فإنّ القضاء العادل لا يمكن تحققّه في هذه الدنيا؛ حيث لا توجد موازين دقيقة للمفاضلة، وحتّى في القوانين الغربية التي تفرّق بين فرد وفرد في العمد أو الخطأ، فإنّ ذلك جزئي من جزئيات القوانين؛ حيث إنّ أكثر القوانين لا تتمكّن من الفروق، ومنها عدّ الآراء في مسألة الديمقراطية، فالغرب يعطي الحكم لمن له أكثر الآراء مع وضوح أنّ الآراء مرتبطة كيفاً لا كماً فحسب؛ ولذا يقول غاندي: «نحن لا نعرف أحسن من الديمقراطية في الحكم لا لأنّ الديمقراطية هي الصيغة الحسنة فحسب بل في التفكير صيغ أحسن منها لكن لا علاج لنا إلاّ بها».

ويقول أحد علماء الغرب إشارة إلى ذلك: «إنّ القصور الكامن في استقصاء

---

(١) البلد الأمين: ص٤٠٦ دعاء الجوشن الكبير، مصباح الكفعمي: ص٢٥٢ الفصل الثامن والعشرون، بحار الأنوار: ج٩١ ص٣٨٩ ب٥٢ ح٣ ط بيروت، الدعاء والزيارة: ص١٩٦ للمؤلف ﷺ.

الرأي العام كما يحدث الآن إنّما يقع في طريقة أخذ العينات، فطريقة أخذه للعينات حالياً تضطره إلى التعامل مع المجتمع كأنّه مجتمع متكوّن من أفراد متنافرين، وبالتالي فإنّ الرأي العام بدوره يعتبر حصيلة كمية لآراء المجتمع بأسره، وهذا الأسلوب في الواقع لا يمكن الركون إليه؛ لأنّ رأي أفراد محدودين لا يمثل رأي المجتمع بأسره، فأفراد العينة لا يمكن أن يمثلوا إلاّ ذلك الجزء من المجتمع ولا يمثلون المجتمع المتماسك في هيكلٍ واحدٍ والذي يشكل الجزء المكوّن للرأي العام حول مسألة معيّنة.

وكون العينة تضم عدداً منهم أو حتّى عدداً كبيراً منهم أمرٌ محتمل جداً، لكن في مدى لا يمكن تحديده، وليس في استقصاء الرأي العام في الطريقة التي يجري بها حالياً ما يفيد بشيء في هذا الشأن، وهناك ما هو أهم، فحتى مع فرض أنّ العينة تضمّ أفراداً يشتركون في تكوين رأي عام معيّن فليس لدينا بيانات عن دورهم في العملية، فإنّنا باختصار لا نعرف شيئاً عن قيمة أو أهمّية الفرد في العينة أو أهمّية رأيه في الرأي العام الذي يتجمع أو الذي يعبِّر عن نفسه في عمليّة المجتمع».

والحاصل: لا موازين دقيقة عندنا في هذا العالم حسب ما نفهمه؛ للفرق بين الأفراد سواء في الأمور الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو ما أشبه ذلك. في الامتحانات ـ مثلاً ـ يكون ميزان الإجابة عن عشرة أسئلة من عشرين سؤالاً؛ ليعبر هذا الشخص اختبار النجاح، لكن من الواضح أنّ الأفراد مختلفون وإن أجاب كلهم على الأسئلة العشرة لا أنّهم مختلفون في مقدار الذكاء والقدرة على الحفظ فقط، بل لأنهم مختلفون في سائر الخصوصيات كحدّة الذهن أو تقديم المجتمع إلى الأمام إذا وصل إلى مرحلة الإنتاج وغير ذلك، فالإنسان كما هو مجهول في ذاته؛ كما يقول ألكسيس كارل صاحب

كتاب «الإنسان ذلك المجهول»، كذلك مجهولٌ في مقاييسه وموازينه وسائر خصوصياته، وإنّما الموازين المجعولة تكون مشتركة في الغالب وهي على الاصطلاح «جهة المقل» لا أكثر من ذلك، وحتّى إذا فرضنا أنّنا ميّزنا بين الطبقات بمختلف الامتيازات ـ مثلاً في الإرث ميّزنا بين العالم والجاهل ـ فهل العلماء كلّهم متساوون والجهال كلهم متساوون؟!، أو فرضاً أنّا ميّزنا في العدول بين عدول العلماء وعدول الجهّال، فهل عدول العلماء في مرتبة واحدة وعدول الجهّال في مرتبة واحدة حتّى نقول مثلاً العادل إذا كان عالماً كان له ضعف رأي العادل الجاهل؛ ولذا قال أحد علماء الغرب: «إنّ الرأي العام له وضعٌ في المجتمع وهو وظيفة من وظائف هذا المجتمع في سيره، هذا أولاً.

وثانياً: إنّ المجتمع له نظامه وتنظيمه وليس مجرّد تجمّع من أفراد متنافرين.

وثالثاً: إنّ الجماعات الوظيفية تعمل بالطرق المسموحة في المجتمع.

ورابعاً: إنّ الأفراد الذين يتّخذون القرارات يواجهون ضرورة تقدير مختلف المؤثّرات والمزاعم والطلبات والإلحاحات والظروف التي تعترضهم.

وخامساً: إنّ تكوين الرأي العام يحدث بقدرٍ كبيرٍ عن طريق التفاعل بين الجماعات.

وسادساً: إنّ الرأي العام بالمعنى الحقيقي يتكون من نمط الآراء المختلفة والمواقف بالنسبة للمسائل التي تعرض للأفراد الذين عليهم أن يتصرّفوا استجابة للرأي العام».

والنتيجة: لا علاج إلاّ من التساوي بين الآراء من غير فرق بين آراء أهل المدينة وأهل البادية والقرية وبين آراء العلماء والجهلاء وبين آراء الخبراء من العلماء وغير الخبراء منهم، وهكذا إلى فروق كثيرة، ولعلّه إلى هذا كان يشير رسول الله ﷺ في القسم بين زوجاته؛ حيث كان يقول: (اللهم هذا قسمي

فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك) [١].

الدقة في استخدام اللغة

ويأتي الكلام أخيراً في الألفاظ التي تكون بين السائل والمجيب ممّن يريد جمع الرأي العام، فيجب أن يكون ذا دلالات قاطعة لا اختلاف فيها بين السائل والمجيب، بأن يفهم المجيب من السؤال القصد نفسه الذي يكون عند السائل وإلاّ سأل شيئاً وأجيب بشيء آخر، مما لا تتطابق الأجوبة مع الأسئلة تطابقاً تماماً، وقد تعرّض الأصوليون والفقهاء إلى أمثال هذه المباحث في مثل مبحث الإنشاء والإخبار، ومن باب المثال لا من باب التطبيق على محلّ الكلام أنّ ما ذكروه في بحث الإنشاء والإخبار من جواب المصلّي للسّلام عليه، فإنّ بعضهم قال: «يجيب المصلّي إجابة قرآنية لا إجابة إنشائية؛ فراراً من المحذور، كون جواب الكلام كلاماً من آدمي في الصلاة وهو مبطل»، والبعض قال: «إنّ الشارع هو الذي خصّص مبطلية كلام الآدمي في الصلاة بالجواب عن السّلام فلا محذور في قصد الإنشاء»، هذا بالإضافة إلى أنه كثيراً ما يختلط الجدّ بالتهكّم والتورية باللغز، ولذا نشاهد أنّ كثيراً من الناس يقولون شيئاً ثمّ يقولون: إنّي أعني ما أقول، يريدون بذلك تأكيد أنّه على نحو الجدّ لا على نحو التهكّم واللغز والكتابة والإشارة وما أشبه ذلك.

والحاصل: أنّ الرأي العام إنّما يكون رأياً عاماً واقعياً في هذا الموضوع الذي ذكرناه أخيراً فيما إذا كان السائل والمجيب يفهمان الألفاظ على نحو فهم واحد لا على نحو أفهام مختلفة من الجدّ وغير الجد، وحتّى أفهام مختلفة على نحو

---

(١) غوالي اللآلي: ج٢ ص١٣٤ ح٣٦٤. ونظير ذلك في المبسوط: ج٤ ص١٥٥، مسالك الأفهام: ج١٢ ص٤٢٩، السنن الكبرى للبيهقي: ج٧ ص٢٩٨.

العموم والخصوص المطلق أو العموم والخصوص من وجه.

وقد ورد في السنة المطهّرة أنّ فقيراً تكفّف من النبي ﷺ فقال لأحد أصحابه: قم واقطع لسانه، فأخذ بيده الصحابي؛ حيث لم يفهم كلام رسول الله ﷺ وحمله على معناه اللغوي، فأراد قطع لسانه، لكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تدارك الموقف، وقال: إنّ كلام الرسول كناية عن إعطائه شيئاً حتّى لا يتكلّم، لا أن تقطع لسانه بالسكين[1].

قال بعض الكتّاب: «قد ثبت أنّ عدداً كبيراً من الناس الناطقين باللغة الإنجليزية ينطقون باللفظ الإنجليزي بعكس ما يعنون، كأن: يتلفّظون بلفظ

---

(١) عندما رجع الرسول الأكرم ﷺ من غزوة الطائف سنة ثمان الى الجعرانة، بمن معه من الناس وتقسيم ما أصاب من الغنائم يوم حنين بها في المؤلّفة قلوبهم، ولم يكن في الأنصار منها قليل ولاكثير، قال: وقد كان رسول الله ﷺ اعطى العباس بن مرداس بن أبي عامر أربعة من الإبل، فسخطها واراد ان يكون عطاءه بمقدار الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وهو مائة من الأبل وانشأ يقول:

اتجعلُ نهبي ونهب العُبيد ... بين عُيينَةٍ والأقرع

فما كان حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان شيخي في المجمَع

وما كنت دون امرىءٍ منهما ... ومن تضع اليوم لا يُرفع

فبلغ الرسول الأعظم ﷺ قوله هذا. فقال الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: قم يا علي واقطع لسانه. قال العباس بن مرداس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشدّ عليّ من يوم خثعم حين اتونا في ديارنا، فأخذ بيدي علي بن ابي طالب، فانطلق بي ولو ادري أن أحداً يخلصني منه لدعوته. فقلت: يا علي إنّك لقاطع لساني، قال: إني لممض فيك ما أمرت، فما زال بي حتى ادخلني الحظائر، فقال لي: اعتد ما بين اربع إلى مائة، فقلت بأبي أنت وأمي ما اكرمكم واحكمكم واعلمكم، فقال علي عليه السلام: إن رسول الله أعطاك اربعاً وجعلك من المهاجرين، فإن شئت فخذها، وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة. قلتُ: اشر عليّ. قال: فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك رسول الله ﷺ وترضى. قلت فإني أفعل. راجع الإرشاد للمفيد: ج١ ص ١٤٦، سفينة البحار: ج٦ ص١٣٥، أعلام الورى: ص١١٨ ب٤، كشف الغمة: ج١ ص٢٢٥، بحار الأنوار: ج٢١ ص١٦٠ ب٢٨ ح٦، الإمام جعفر الصادق: ص٢٩ ب١.

جميل وهم يقصدون العكس أو يتلفّظون بلفظ حسن وهم يقصدون الرديء، وهو نوعٌ من الكلام يسمح للصديق أو أحد الأقرباء بأن يعرف العاطفة التي يعبّر عنها، لكنّه يمنع الشخص الغريب من أن يعرف ما يعتقده المتكلّم فعلاً، هذا إضافة إلى أنه يسمح بقلب الوضع دون حاجة إلى عكس اللغة».

أقول: إنّي لا أعلم هل هذا الكلام المنسوب إلى هذا الكاتب صحيح أو ليس بصحيح، ولعلَّ أولئك الذين يتلفظون ببعض الكلمات الإنجليزية على عكس معانيها يكونون من قبيل ما نصطلح عليه من تسمية المكفوف بصيراً، أو الزنجي كافوراً، أو ما أشبه ذلك. فالدقّة في استخدام اللغة من الأركان المهمّة في تجميع الرأي العام، وهذا بابٌ واسع، يرتبط بعلم البلاغة والتحسينات اللفظية، وإنّما كان قصدنا فقط الإشارة إلى هذه الملاحظة في تجميع الرأي العام.

ومن هذا القبيل الاستقصاء في جوانب السؤال والدقّة أثناء طرح الأسئلة؛ لأنّ الإنسان كثيراً ما يكون لفظه غير واقع لإرادته، كأن يقول: «جئني بإنسان» وهو يريد إنساناً أبيض لا مطلق الإنسان ممّا يعرف ذلك بالقرائن، أو يقول: «اشتر لحماً» ولا يريد إلاّ لحم الغنم، فيقول العام وهو يريد الخاصّ، كما أنّه قد يكون العكس؛ بأن يقول الخاصّ وهو يريد العام، كأن يقول الطبيب للمريض: «يجب عليك أن تأكل الحامض»، وحيث لا يعرف أنّ الحامض أعم من الليمون الحامض، فيقول: «أعطني الليمون الحامض»؛ وهو يريد مطلق الحامض وإن كان رمّاناً.

ثمّ لا يخفى أنّ الرأي العام المجموع نافذ وإن كان بين الرأي العام وبين نتيجة الانتخابات فاصلة زمنية، بحيث يصبح من الممكن أنّ بعض المدلين بآرائهم تتغيّر آراؤهم في هذه الفترة، مثلاً: قبل ستة أشهر أعطوا رأيهم لزيد،

بينما في هذه الأشهر الستة تغير رأيهم من زيد إلى عمرو، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وقد قال الفقهاء في باب الوكالة: إنّه لو أعطى إنسان لإنسان وكالة في نكاح أو طلاق أو بيع أو ما أشبه ذلك من المعاملات أو الإيقاعات فإنّ هذه الوكالة نافذة وسارية، فإذا وكّله شخص في أن يبرئ مديونيته أو يعتق عبده أو نحو ذلك ثمّ تغيّر رأي الموكّل إلى خلاف ذلك أصلاً أو شرطاً بأن زاد شرطاً في النكاح أو أنقص شرطاً من النكاح أو ما أشبه ذلك ولم يصل إلى الوكيل الرأي المغيّر فأجرى الوكيل العقد أو الإيقاع على طبق الوكالة التي سمعها، فإنّ ذلك لا يوجب بطلان العقد أو الإيقاع مع أنّ رأي الموكّل لم يكن حين الإجراء مطابقاً ولم يكن له مرضياً بل لعلّه أشدّ كرهاً، لكن ذلك من باب الدليل الخاصّ الشرعي وإلاّ فمقتضى القاعدة الأوّلية أنّ الرضى يجب أن يكون مقارناً بالعقد أو الإيقاع، وإنّما ذكرنا هذا كمثال للمسألة التي نحن فيها لا أنّ المسألة من صغريات ما ذكرناه.

كيف نفهم المواقف؟

ثمّ إنّ بعض العلماء جعل من مبادئ قياس الرأي العام أساساً في فهم المواقف، ويرى بعض العلماء أنّ جمع الضدّين في الوعي الباطن ممكن كقوانين الجاذبية إلاّ أنّه لا ضرورة لاقتصاره على الوعي الباطن، فليس هناك عواطف غير مشحونة وخاصّة في مجاري العلاقات الاجتماعية، فمواقفنا تكون أحياناً مركبة تركيباً قريباً من مشاعر متناقضة.

أقول: لكن هذا الكلام خلط بين التردّد وبين الجمع، فالإنسان كثيراً ما يتردّد بين الجمع بين الضدّين أو النقيضين، لكنّه لا يعقل الجمع بينهما وإن

أمكن عدمهما في الضدّين على ما قرّر في المنطق. نعم، الموقف إنّما يكون تابعاً لأحدهما، أي موقفاً سلبياً أو إيجابياً، أي موقف هذا الضدّ أو موقف ذاك الضدّ، أو موقف هذا النقيض أو موقف ذاك النقيض إلى غير ذلك، لكن من الممكن أن يكون موقف الإنسان في يوم مثلاً مع زيد وفي يوم آخر ليس معه أو مع عمرو، وفي يوم تجده مع الوجود وفي يوم آخر مع العدم، أمّا الجمع بينهما في آن واحد مع اجتماع شرائط التناقض المشهورة، فليس ذلك بممكن. وفي الأضداد يمكن أن ينحو الإنسان نحواً ثالثاً، يختلف عن المنحى الأوّل والثاني.

وتقوم الدول الغربية بتقويم المواقف الجديدة في ضوء الخبرة الماضية، وتتوقّع أن تكون استجابة مناسبة قبل أن يسلك سلوكاً صريحاً، وهذا ما ذكرناه من أنّ الإنسان يسير في مواقفه من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ومن أحدهما إلى الوسط، والمواقف ليست كالجاذبية الدائمة في المدار الداخلي ولا الجاذبية في المدار الخارجي، وإنّما يتردّد الإنسان ليرجح هذا على ذاك تارة، ويرجح ذاك على هذا تارة أخرى، وتارة الشيء الثالث إذا كانت هناك ثلاثة أشياء، ولا فرق فيما ذكرناه أن تكون أسباب المواقف والقرارات من الخارج أو من الداخل أو من الخليط بينهما، فهو مثل ما ذكره أطبّاء البدن من أنّ المرض قد يكون مرضاً من الداخل كالتعفّن، وقد يكون مرضاً من الخارج كضربة الشمس أو نزلة البرد أو ما أشبه ذلك، فعلى هذا قال بعض العلماء: «إنّ المجتمع لا يتسع إلاّ بمقدار انتشار الإعلام فعلاً، ومن الممكن في هذا الصدد وضع نوع مختصّ بهذا الأمر عن طريق مقارنة حدود القرارات التي تنفذ إلى جماعة من الخارج بعدد القرارات التي يضعها المجتمع داخل ذاته، وبذلك نستطيع قياس ذاتية المجتمع أو ذاتيته، وقياس الحجم الفعّال للمجتمع وهو

ما يمكن أن يستنبطه من الحجم الذي يصل إلى المجتمع عند درجة معيّنة من الشخصية الذاتية ».

ومن الواضح أنّ الرأي العام إنّما يتكون من أفراد متعدّدين، وأنه كثيراً ما يكون معلوم الأفراد المتعددين أكثر من معلوم الفرد الواحد. نعم، اللهم إلاّ في أمثال النار؛ حيث يكون رأي فرد أكثر من رأي مجتمع، والكلام الآن في الغالب، فاللازم أن يلاحظ في الرأي العام الغالب من الأفراد وإن كان من اللازم أن لا يترك رأي الفرد، لكن من اللازم ملاحظة عدم تغلب القلّة أو الفرد أو الأجهزة على الرأي العام الموجب لإفساد الرأي العام بما يمتلكه من الأجهزة، ولذا يقول بعض علماء الغرب: إنّ جماعة ما قد يكون لديها من المعلومات أكثر أو أقلّ ممّا يكون لدى فرد معيّن من أعضائها، لكنّ المجتمع الإنساني يتضمّن ـ دون شكّ ـ معلومات أكثر ممّا لدى أي فرد فيه، عبر طريق السيطرة على أجهزة الاتّصال كالصحافة والإذاعة والسينما والوسائل الإعلامية الأخرى من جانب القلّة من أصحاب المصالح باحتكار مصادر المعرفة وإبعاد الجمهور عنها، وذلك بجعل أجهزة الاتّصال في يد أعداء المجتمع، حيث يقومون في استخدامها ضدّ مصالح الأمّة، فالديكتاتوريون على قلّتهم يحتكرون القسم الأعظم من وسائل الإعلام، ويقومون بتحريف الرأي العام إمّا خوفاً أو طمعاً وبالتالي يفسدون المجتمع، وكذا حال الرأسماليين القلّة في المجتمع الواسع؛ حيث يسيطرون على أجهزة الاتّصالات والإعلام، ويحرفون القوانين والمجتمع نحو مصالحهم الشخصية، وقد تبدو هذه الظواهر أيضاً في الدول الديمقراطية أو الحكومات الديكتاتورية المتلبّسة بلباس الديمقراطية.

ومن المفترض أن يكون الرأي العام في مواجهة الديكتاتورية بكافة صنوفها

وأنواعها وأن يعمل على التصدّي لأيّ شكل من أشكال السيطرة والاستبداد، وأن يفضح الديكتاتورية المتلبّسة بلباس الديمقراطية. لذا جاء اهتمام الحكومات المستبدّة بوسائل الاتّصال للسيطرة على الرأي العام وتوجيه الجمهور بواسطة هذه الوسائل الإعلامية إلى ما ترنو إليه، فيصبح أمر الجمهور كالطيور المحبوسة في الأقفاص.

وهذا نوع من أنواع الإكراه، وقد ذكرنا هذا النوع ـ وهو الإكراه الأجوائي في بحوثنا الاقتصادية وغيرها ضمن سلسلة الفقه وغيره، فإنّ الإكراه قد يكون طردياً ـ أي بسلب الإرادة ـ وقد يكون أجوائياً، وكلا القسمين يعدّ من التلاعب والتحايل على القانون من غير فرق في ذلك بين السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو التربية أو غير ذلك، وهذا ما فعله الغربيون الذين يخضعون لسيطرة قوى رأس المال، أمّا الديمقراطية التي يتبجّحون بها فهي وسيلة من وسائل حفظ المصالح وليست حباً في الرأي العام.

من هنا، فالرأي العام قد يكون سليماً، وقد يكون مريضاً إلى حدّ الموت، وقد يكون مريضاً بنسب متفاوتة في المرض.

ومن مسؤولية مراكز الدراسات والمحقّقين وحقوق الإنسان وأهل الإنصاف أن يزيلوا الموت ويبدلوه بالحياة وأن يقلبوا المرض إلى صحّة أو يخففوا من المرض حتّى يكون الرأي العام واقعياً لا صورياً، فإنّ مراكز التحقيق وأمثالها تميّز بين الواقع وغيره.

الاستطلاع والرأي العام

مسألة: تتوقف معرفة الرأي العام سواء في النظم الديمقراطية أو في النظام الإسلامي على البيانات والتحقيقات والمقابلات الشخصية مع أكبر قدر من الجماهير رجالاً ونساءً، مثقفين وغير مثقفين؛ ليعرفوا كم هي الآراء التي تقول في الاستفتاء: نعم؟ وكم هي الآراء التي تقول: لا؟ وكم هي الآراء التي تقع بين الأمرين فيما إذا لم يكن هناك تناقض في شيء؟، وتسمى هذه العملية بالاستطلاع[1]. فإذا كانت هناك احتمالات، وقال الحاكم لشعبه: قولوا لهذا

---

(١) الاستطلاع: مأخوذة من كلمة انجليزية قديمة هي: «pOL» أو «polle» ومعناها «راس»، ففي العصور الوسطى كان الإنجليز يجرون الانتخابات بعدّ الرؤوس. عن كتاب «دليل الصحفي إلى استطلاعات الرأي العام» ص٣٢ للمؤلفين شيلدون آرحاوايزر، وجي إيفانزويت.

ويعرّف الاستطلاع بعدة تعريفات، منها:

١- قيام مجموعة متخصصة بطرح أسئلة معينة على مجموعة مختارة من الناس باستخدام أسس علمية سواء في اختيار الناس أو في كتابة الأسئلة لأجل الحصول على معلومات نافعة أو دفع قضية معيّنة أو خدمة عمل معيّن.

٢- عبارة عن وضع قائمة من الأسئلة وفق طريقة خاصة، ومن قِبل أفراد لهم مهارات فنية معينة ومطلعين على علم الإحصاء والنفس والسياسة والأحداث الجارية ثم توجيه هذه الأسئلة إلى عدد من الناس يتم انتخابهم بطريقة خاصة ثم القيام بتفريغ الإجابات على هيئة جداول لاستخلاص النتائج.

٣- مجموعة التدابير التي تتخذ لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو وإكتشاف مواقعه المتقدمّة والخلفية بقصد مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناءاً على معلومات دقيقة ما أمكن، وتجنيب قواته خطر التعرّض لمفاجأة ما من قِبل العدو.

والاستطلاع في البعد السياسي يعتبر سلاحاً استراتيجياً وتكتيكياً للسياسيين حيث يساعدهم على فهم ما يحفّز الناخبين وما يبغضهم وما يرضيهم.

وقد ذكر بعض المتخصصين في الاستطلاع: أن بداية نشوئه يرجع لأجل الحصول على المعلومات عما يجول في أذهان الناس، حيث كانت تطرح أسئلة معينة وبطريقة نسقية على مجموعة مختارة من الناس. وقيل أنّ بدايته ترجع لأبحاث السوق - عبر تطوير الوسائل وتدريب الرواد لطرق أبحاث السوق، وكانت تجرى نتيجة ردود الفعل على عينات من المنتجات لمعرفة إمكانية تسويقها، فبيع المنتجات يدفع إلى إنتاجها، والتجار يشترون ما يمكن بيعه - ثم تطور إلى الجانب السياسي لأجل التنبؤ بالانتخابات.

وبدأت عمليات الاستطلاع في أمريكا سنة ١٨٢٤م، عشية انتخاب الجنرال اندزو جاكسون للرئاسة الأمريكية، واستمرت بمسيرتها عبر الجرائد والمجلات التي كانت تقوم بمقابلات تتم على قارعة الطرق مع أشخاص يتم اختيارهم عشوائياً أو كانت تقوم بعمليات مسح بريدية لقوائم متيسرة من الناس كالمشتركين في المجلات لتكملة التغطية الإخبارية التقليدية للانتخابات، ثم توسعت في أواسط الثلاثينات من القرن الماضي عندما قام جورج غالوب - وهو أستاذ جامعي سابق للصحافة في أيوا سنة ١٩٣٥م - بتأسيس برنامج الرأي العام «استطلاعات غالوب» وهو أحد الأبواب التي تباع للصحف لنشرها بصورة متزامنة. ويقوم على جمع عينات دورية للرأي العام الوطني، وقد قام غالوب باستطلاع سنة ١٩٣٦م حول انتخاب فرانكلين روزفلت للرئاسة الأمريكية.

وتقوم بعمليات الاستطلاع الوكالات الحكومية وجماعات المصالح الخاصة ـ كالنقابات المهنية والمؤسسات الفردية ومجموعات العمل السياسي لأغراض الاستخبارات ومعرفة المعلومات ـ والمجالس البلدية ووسائل الإعلام ومنظمات دراسات مسحية تجارية. وهناك المئات من مراكز الاستطلاع في أمريكا من أهمها: غالوب، هاريس، نيويورك تايمز، واشنطن بوست، وول ستريت جورنال، لوس انجلوس تايمز روبر، غوردن بلاك. وتنفق هذه المراكز مئات الملايين من الدولارات سنوياً.

وهناك أنواع كثيرة من الاستطلاعات بعضها يسبق الانتخابات وفي أثنائها، قسمه البعض إلى ثلاثة اقسام باعتبار القائمين به: ١- استطلاع بحري. ٢- استطلاع جوي. ٣- استطلاع الكتروني.

وباعتبار الهدف إلى: ١- استطلاع تكتيكي ٢- استطلاع استراتيجي. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٤٠٤.

وأول من استخدم الاستطلاعات في رصد الدعم الجماهيري الرئيس الأميركي روزفلت لتتبع رد فعل الناس إزاء سياسته الرامية إلى تقديم معونة لبريطانيا بموجب قانون الإعارة والتأجير قبل أن تدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية. وأصبح لكل رئيس أمريكي

الشيء نعم أو لا، فإنّ ذلك يثير السخط عند أولئك الذين لا يريدون أن يقولوا نعم أو لا، فهم أصحاب رأي ولو بصورة جزئية في ذلك الشيء المراد الاستفتاء عليه.

وهنا ندلي بقول أحد المتخصّصين المصريين، إذ قال: «في المسح الميداني، يجب بذل العناية الكافية عند استجواب الجمهور، ففي مسح المشاعر ازاء الحقوق السياسية للمرأة مثلاً، ذكر المستجوبون ـ في زياراتهم الميدانية الأولى ـ أن نسبة مئوية عالية من المجيبين انفعلوا انفعالاً غير ملائم، حين طلب اليهم ذكر أسمائهم»[1].

أقول: وليس خافياً أنّ الناس في الدول الديكتاتورية تنظر بريبة شديدة إلى الحكام، فهم متيقنون أن الحاكم لا يسألهم عن شيء إن لم يكن وراءه مضرّة لهم وفائدة للدولة. وقد لاحظنا ذلك في العراق؛ فعندما كان الفلاح يقول الصدق ويقول بأني أملك هذا المقدار من الأراضي أو الأغنام كانوا يفرضون عليه الضرائب. وحتّى لو كانت الأسئلة بريئة إلاّ أنّ الناس يشكون في كلّ شيء يرتبط بالحاكم. وهذه الظاهرة كانت تشكل على الدوام معوّقاً لاستطلاعات

ومنذ عهد جون كنيدي مساعد مختص بالاستطلاعات مقرّباً منه، ومهمته هي الحفاظ على اتصاله بالشعب عبر تزويده بالمعلومات عن وجهة نظر الشعب تجاه القضايا والأحداث، وعما يفكر به الناس وما يتطلّعون له في المستقبل إضافة إلى كون الاستطلاع من العوامل المساعدة لدعم السياسة التي تنتهجها الحكومة.

وقد استخدم الاستطلاع في بريطانيا سنة ١٨٢٤م حيث طبعت قسائم في الصحف آنذاك وطلب من القرّاء مراجعة خياراتهم وإعادة القسائم إلى الصحف.

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالاعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص٢٩٨ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

الرأي العام.

إضافة إلى ذلك أنّ النفوس تأبى أن تدلي بكامل خصوصياتها؛ لذا كان لابدّ من مراعاة هذا الأمر عند الاستطلاع.



الأسس المنهجية للاستطلاع

مسألة: ينبغي التوجه للاستطلاعات باعتبارها الوسيلة الموضوعية لمعرفة آراء الناس واهتماماتهم، حيث تقوم بدراسة وتحليل المواقف والاتجاهات والآراء، ومعرفة ما يفكر به الناس وما يختلج في وجدانهم ومشاعرهم. فللاستطلاع قيمة واقعية في تحديد الرأي العام وفي تطوير الاستراتيجيات وفي إثراء النقاش العام، بالإضافة إلى أنه يمنح الفرد حرية التعبير عن رأيه، ويوسّع من قدرته على المشاركة في الحياة السياسية وما أشبه ذلك[1].

---

(١) وهناك فوائد أخرى نذكرها لتتميم الفائدة هي: ١- أنه أحد السبل للتعرف على أشياء عن طبيعة الرأي العام كانت ستظل مجهولة لولا تلك الاستطلاعات. ٢- أنها تساعد في الإسهام في تحقيق اتصال وثيق بين المحكومين والحاكمين، ويكون ذلك الاتصال متجاوباً مع احتياجات الكيان السياسي ومطالبه ومسؤولاً أمامه. ٣- أنه وسيلة لتتبع حركة الرأي العام والذي بدوره يصبح قوة فاعلة إذا توفرت لدى الرأي العام إمكانية التعبير عن نفسه.

وقد أشكل علماء الاجتماع على عمليات الاستطلاع بعدة إشكالات نورد بعضها: يقول ايرفنج كرسبي في كتابه الرأي العام، استطلاعات الراي والديمقراطية: ص١٥ ما لفظه: «يأتي قسط وافر من النقد الموجّه إلى الاستطلاعات من علماء الاجتماع الذين يرمونها بالخطأ لسببين واضحين أولهما: أن كثيراً من علماء الاجتماع يحاجون بالقول أن افتراضات المستطلعين التي تقوم عليها طبيعة الرأي العام افتراضات خاطئة، إذ يؤكد هؤلاء النقاد الحاجة إلى منحنى مختلف كلياً لدراسة الرأي العام. أما ثانيهما فيجادل علماء الاجتماع بأنّ الأساليب التي يتبعها منظمو الاستطلاعات - وهي طرائقهم في جمع العينات وصياغة الأسئلة والأساليب التحليلية - أساليب ناقصة أو سطحية أو الأمران معاً. ويطالب موجهو هذا الانتقاد بتغيير شامل لمنهجية استطلاعات الرأي، وباتباع أساليب بالغة الاتقان طوّرها علماء الاجتماع.

ثمة أمر ثالث يعبّر عنه الكثيرون من الساسة والمحللين السياسيين وصانعي السياسة،

وبعض أفراد الجمهور عامة، ويتعلق بكيفية تأثر الحياة السياسية باستطلاعات الرأي، وتتمثل القضية عند هؤلاء النقاد في أساليب استخدام الاستطلاعات، وكيفية إعادة هذه الأساليب تشكيل السياسة. وتتجاوز انتقادتهم قضايا النظريات والمنهجية إلى السؤال الجوهري حول ما إذا كانت الاستطلاعات تقوي الديمقراطية أو تضعفها».

ثم هناك إشكالات أخرى ذكرها آخرون، منها:

١- أن الاستطلاعات تؤثر في الأسلوب الذي يتبعه الناخبون في متابعة الحملة الانتخابية.

٢- أنها تسهّل تعرّض الرأي العام للتلاعب من جانب المصالح المتنافسة ـ على تحديد البرامج السياسية بدلاً من تذكير السياسيين بالحقيقة الأساسية المتمثلة في حساسيات الجماهير ومشاعرها.

٣- وجود آثار متبادلة بين الاستطلاعات والسياسة ووسائل الإعلام، وهذه تنعكس على مصداقية الناخب.

٤- أنها تحرّف المفاهيم التقليدية للديمقراطية.

٥- أنّها تسهم في التلاعب بالجمهور أكثر مما تلبي احتياجاته ومطالبه.

٦- أن بعض الاستطلاعات هدفها التبرير لسياسة معينة وليس المساعدة في صياغتها.

٧- تستخدمها الحكومات لأجل تدعيم سياساتها الموجودة أو المقترحة، وليس من أجل تجاوب الحكومة مع الرأي العام الشعبي، وبعبارة أخرى استخدام الاستطلاعات لأجل إفساد الرأي بدلاً من التجاوب معه.

٨- أنّها مفتقرة إلى الإلهام وإلى المعرفة وبعيدة عن الإبداع ولا تفضي إلاّ إلى نتائج مؤقتة.

٩- أنّها تحدث تأثيراً في الانتخابات، مثلاً دون أن تقدّم أفكاراً ثاقبة تدخل إلى عواطف الناخبين.

١٠- أنّها تسهم في المخزون السياسي في مجال الاستغلال أكثر مما تسهم في تجاوبهم المسؤول مع الجماهير.

١١- أنّها غير موزونة التقنية لأنّ الناس يختلفون في مدى حسن اطلاعهم على مختلف القضايا أو أهميتها.

ويرى بعض العلماء أنّ هناك طرقاً لتقوية الاستطلاع، منها:

أ- يجب أن يقوم بنيان الاستطلاع على فهم صحيح لطبيعة الرأي العام، ثم نقل هذه الاستطلاعات بطريقة تعزز الحوار العام بدلاً من أن تحل مكانه.

ب- يجب أن تكون الاستطلاعات قادرة على تحليل الرأي العام مع نقل نتائج هذه التحليلات إلى الناس نقلاً موضوعياً.

جـ- يجب أن تستخدم الاستطلاعات وفق منهجية قادرة على الإسهام الإيجابي بحيث تزود صانعي السياسة بالفهم الأفضل لتفكير الجماهير وتجعلهم أكثر حساسية وشعوراً

وتتوقف عملية الاستطلاع الدقيق والناجح والمثمر على عشرة مرتكزات، نذكرها تباعاً:

الأول: اختيار الموضوع الذي يشمله الاستطلاع.

الثاني: اختيار الوسط الذي يجري فيه الاستطلاع.

الثالث: تحديد العينات.

الرابع: إعداد الأسئلة التي تكوّن الاستطلاع.

الخامس: إجراء اختبار تجريبي قبل التنفيذ الفعلي للاستطلاع.

السادس: إجراء المقابلة.

السابع: استخلاص وإعداد النتائج.

الثامن: عرض النتائج.

التاسع: ملاحظة ردّ فعل النتائج.

العاشر: القرار حسب ردّ الفعل المذكور، فإنّ في هذه الأمور ـ على الاصطلاح المنطقي ـ سبباً ومسبّباً ونتيجة، وزيادة وعي بالنسبة إلى المستقبل.

وتفصيل هذه المرتكزات على النحو التالي:

الأول: اختيار الموضوع

إنّ الموضوعات التي يشملها الاستطلاع هي مسبّبات عن أوضاع وأخلاق مجتمع معيّن، سواء كان بالنسبة إلى عامّة الشعب أو إلى طائفة خاصّة، ففي

باحتياجات الجمهور وتطلعاته.

د- يجب أن تقوم الاستطلاعات بتحليل ما يفكر به الرأي العام من حيث العناصر.

و- يجب قياس المزاج الجماهيري في فترات زمنية محدودة لأجل فهم ما يدور في تفكير الناس حول قضية من القضايا.

المجتمعات المتقدّمة صناعياً يكون الاستطلاع شاملاً لكلا الأمرين، بينما في المجتمعات المتخلّفة ضمن العالم الثالث أو البلاد الشيوعية، حيث لا وجود للديمقراطية بل تنتشر ظاهرة الاستبداد والديكتاتورية، إنّما يكون الاستطلاع على نوعٍ واحد، ففي العالم الثالث يقتصر موضوع الاستطلاع العام على الأمور التي يتوقّف عليها حسن العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، ومدى سطوة الديكتاتورية من الحاكمين ضدّ المحكومين، ومدى مقاربة المحكومين بمسائلهم الخاصّة للحاكمين مثل السياسة المحلّية، فالديكتاتورية لا تنجب إلاّ الديكتاتورية، فبعد الديكتاتور لن يأتي إلى الحكم سوى أولاده وأحفاده من الديكتاتوريين، وهكذا حال السياسات الخارجية أو حال العلاقات الدولية ومشكلات السلم والحرب.

ويزول أثر الاستطلاع في الدول الديكتاتورية التي يفكّر فيها الناس كما يفكّر الحاكم وينفذون ما يريد ويقولون ما يريد أن يقوله، أمّا في الدول الصناعية المتقدّمة ـ في جملة من أبعاد الحياة ـ فالاستطلاع يشمل كلا الأمرين[1].

ويستطيع استطلاع الآراء في الدول المتقدمة بأن يكتشف رئيس الجمهورية القادم مثلاً: هل هو من الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي أو أي حزب آخر.

كما أنّ الاستطلاع يشمل الأمور الخاصّة والجزئية كقياس الرأي العام بالنسبة إلى تعيين موظّف في منصب ما.

وفي الميدان الاجتماعي يتناول القياس نمطاً معيّناً من أنماط التعليم والتربية

---

(١) علاقة الحاكم مع المحكومين وعلاقة المحكومين مع الحاكم، سواء كانت بالنسبة لعامة الشعب أو إلى طائفة خاصة.

وأنماط التطبيب المختلفة كالطبّ الحديث والطب اليوناني والطبّ الهندي القديم والطب الصيني. وقياس الرأي العام إزاء الصناعات، مثل: الصناعات الثقيلة والصناعات الخفيفة بمختلف أقسامها، وكذلك في الميدان العسكري: أهمّية الطائرة على البارجة أو العكس وهكذا [١]، والسبب أنّ الرأي العام سواء كان شاملاً أو محدوداً هو الذي يحدّد رغبات الناس، تلك الرغبات التي تتكون في جوّ من الحرّية والسلام، يقول أحد مفكري الغرب [٢]: «إنّ على الحكّام أن يقيسوا بدقّة مشاعر الجمهور نحو الحكومة، على أمل جعل الحكومة أكثر تعبيراً أو استجابة لتوصيات الجمهور»، ويقول عالم آخر: «إنّ الاستطلاع حتّى في الأمور الصغيرة في قرية تحتوي على ألف بيت، يصبح من أسباب قوّة ومتانة وديمومة نتائج الاستطلاع العملية»، ويقول عالمٌ آخر: «يهتمّ العاملون بقياس الرأي العام عن طريق الاستطلاع باختيار الموضوعات التي يعالجها الاستطلاع؛ وذلك حرصاً منهم على أن تكون هذه الموضوعات داخلة في نطاق الأمور التي تهتم بها غالبية الشعب أو غالبية تلك الفئة المعيّنة، وحرصاً منهم على أن تؤدّي النتائج المستخلصة من الاستطلاعات إلى تحقيق ما تطمح إليه هذه الغالبية على نحو تحقّق اشتراك المحكومين اشتراكاً حقيقياً فعّالاً في تسيير دفة الحكم أو اشتراك الراغبين فيما يريدون من هذه البضاعة أو هذا النوع من التعليم أو هذا القسم من الصناعة إلى غير ذلك، فهناك استطلاع لما يطلب من الجماهير الكبيرة أو الصغيرة من الغرض حتّى تبني الجهة المعيّنة

---

(١) أمثال معرفة معدلات البطالة، أو عملية التسويق، أو مؤشرات السعر للمستهلك، أو معرفة مخاطر التدخين والأوبئة والدهون على صحة وسلامة الناس، أو العلاقة بين صفات الناس وعاداتهم والأمراض، أو معرفة سلوك الجماهير وتوجهاتها وكيف يبدو المستقبل بالنسبة إليهم، أو معرفة المزاج العام بالنسبة لقضية معينة أو حادثة ما.

(٢) وهو روبين.

بالاستطلاع ما تريده الجماهير الكبيرة أو الصغيرة، فيكون النجاح من نصيب تلك الجهة المعيّنة».

الثاني: اختيار الوسط

الاستطلاع وإن كان بنفسه صحيحاً[1] سواء كان في الوسط الملائم أو غير الملائم، إلاّ أنه إنّما يكون موافقاً بالنسبة إلى الوسط الخاص والموقع الخاص فيما إذا كان ينفع ذلك الموقع، وإلاّ فالاستطلاع يبقى في فراغ وبعيداً عن الهدف وينفع المواقع البعيدة التي لا ترتبط بموضوع الاستطلاع، مثلاً: إجراء الاستطلاع عن مدى ما يتمتّع به العمّال من التأمين الاجتماعي؛ لا فائدة له في وسط لا توجد فيه نتائج إطلاقاً، وكذلك استطلاع تلوّث البحر؛ فإنه غير منتج في الوسط الذي لا بحر فيه، وتكون أمثال هذه الاستطلاعات مضيعة للوقت أو مفيدة بالنسبة إلى غير موضع الاستطلاع، ولذا يرى القائمون على دراسة الرأي العام وتحريره ـ سواء كان رأياً عاماً لكلّ الشعب مثل انتخابات رئيس الجمهورية أو لموضوع خاص حربي أو غير حربي حسب اختيار هذا الوسط ـ أن يحدد الوسط، فإنّ الاستطلاع لزيادة إنتاج الطاقة الكهربائية والمياه النقيّة في زمن لا إمكانية للناس بالنسبة إلى هذين الأمرين، حيث أنهم يعيشون على ماء المطر وحرارة الحطب لا فائدة فيه، بل يكون مضيعة للوقت، فالاستطلاع المتعلّق بالعمال يجب أن تراعى فيه الأوساط العمّالية، وكذلك الاستطلاع

---

(١) باعتبار أنه يطلعنا على ما يفكر به كل شخص حول مختلف القضايا، وأنه أفضل وسيلة لمقارنة الفرد بين رأيه وسلوكه وآراء وسلوكيات الأغلبية، وباعتبار أنه يعزز وجهات النظر التي يشترك فيها الناس، وباعتبار أنه يعكس فكرة الناس عن القضايا والمشاكل والنتائج، وباعتبار أنه يقوّم مواقف السياسيين لتتناسب مع رأي الشعب.

المرتبطة بعدم تلوّث البحر أو بالأمور المرتبطة بالديمقراطيين في أجواء الديكتاتوريين.

نعم، قد يجرى مثل هذا الاستطلاع لأجل أمر مستقبلي كما لو كانت البلاد على وشكٰ الأخذ بالديمقراطية، أو بالنسبة إلى أماكن بعيدة، كما تقوم الحكومات الاستعمارية باستطلاع الآراء حول الدول المستعمرة الواقعة تحت نفوذها أو التي تريد استعمارها.

الثالث: تحديد العينات

يجب أن تحدّد العينة (١) أولاً ثمّ يجرى الاستطلاع عليها، ويجب اختيار

---

(١) العينّة: الفئة المختارة لإجراء البحث عليها، بمعنى أن يؤخذ جزء من شيء ما، لبيان نوع باقي الأجزاء، كأخذ الطبيب عينة من دم المريض لمعرفة ما به من مرض، أو اختيار شركة ما عينة من انتاجها لضمان النوعية، أو تناول الطاهي ملعقة من الطعام لتذوق طعم الطعام المطبوخ.

وكلّما كانت طريقة اختيار العينات دقيقة، تكون صحة الاستقراء أقرب إلى الواقع. ومن طرق اختيار العينّة:

١- تقييم مقاييس التوزيع الإجمالي بالاستناد إلى حسابات تقدّمها العينّة مثل: المتوسط، الانحراف المعياري، الارتباط، التناسب.

وهناك عدّة تقنيات لاختيار العينّة، تعتمد كل واحدة على شروط خاصة، وفي مجالات خاصة، منها:

١- التقنيات التي تلجأ إلى الاستدلال الاحتمالي، وتسمى بالعشوائية.

٢- التقنيات التي تبنى على طرائقية اختيارية، وتسمى بالقياسية او المراقبة.

٣- اختيار العينّة الاصطفائي، ويتكون من وحدات إحصائية تختار قصداً بغية تحقيق نموذج من الملاحظة أو نموذج أو تجربة معينة. مثال ذلك: أفضل التلاميذ. ولاختيار العينّة الاصطفائي سمة أحادية الموضوع بصورة بارزة، بالنظر إلى أن العينّة، هي الممثلة لفئة من السكان مجردة، مطابقة قبلياً للعينة.

٤- اختيار العينّة العرضي، ويكون عكس الاصطفائية وخاضعة للظروف، ومثاله المارة من منفذ المترو.

عينات صحيحة عبر الوسائل العلمية والطرق المحسنة والخالية عن الميول الخاصة والأهواء وما أشبه[1]، ومن العينة ينتهي الباحث إلى القانون العام، فقد فرض الله ﷻ قوانين وسنناً في الأرض قد لا نعرفها لكثرتها، أمّا عدم معرفتنا لها ـ عيناً وشخصاً ـ فهو شيء معلوم، وفي الحديث عن علي عليه السلام: (علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب)[2]؛ بتكرار الألف أي مليون، ولعل هذا العدد المحدد على نحو النموذج لا على نحو الحقيقة؛ لأنّه من الواضح أنّ أبواب العلم أكثر وأكثر من ذلك، وقوانين الله ﷻ لا تعد ولا تحصى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[3].

وعلى أيّ حال: فالعينة تعطي قانوناً عاماً حسب انتقال الذهن من العينة إلى

راجع المعجم الموسوعي في علم النفس: ج١ ص١١٠-١١٣ للمؤلف نوربير سيلامين.

(١) تتجلى أخطاء العينة فيما يلي: أ- إتاحة الفرصة للبعض لاختيارهم، أكثر مما تتاح للبعض الآخر. ب - كون القائمين بإجراء المقابلات من ذوي التدريب الرديء والأغلاط التي ترتكب في معالجة البيانات. جـ- عدم إجراء المقابلات مع الفئات الصحيحة من الناس، بمعنى الاختلاف بين من أجريت معهم المقابلات مع من لم تجر معهم المقابلات.

وهناك أمور أربعة لها مدخلية في تحديد خطأ العينة: أ- أخذ حجم العينة بالحسبان. ب - مدى رغبة المستطلع في التأكد من النتائج. جـ- مدى انعدام التجانس في مجموعة الأشخاص التي يقوم المستطلع باختيار العينة منها. د- تصميم العينة. راجع كتاب الرأي العام، واستطلاعات الرأي والديمقراطية: ص٦٥ للمؤلف ايرفنج كرسبي.

(٢) المناقب لابن آشوب: ج١ ص٢٣٧، وورد كذلك عن الإمام علي عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ علمني ألف باب من الحلال والحرام مما كان ومما هو كائن إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب) الاختصاص: ص٢٨٣، بصائر الدرجات: ص٣٠٥ ب١٦ ح١١، الخصال: ج٢ ص٦٤٣ ح٢٢. وورد عن ابن مسعود قال: استدعى رسول الله علياً فخلا به، فلما خرج إلينا سألناه ما الذي عهد إليك فقال: (علمني ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب) الإرشاد: ج١ ص٣٤، أعلام الورى: ص١٥٩ ب٢.

(٣) سورة المدثر: الآية ٣١.

قانونها العام، فإذا رأينا أنّ الثلج يبرّد الماء في مدينة ما، علمنا أنّ الثلج يبرّد في كلّ مكان، وهكذا النار إذا كانت حارة في مدينة ما، فإنّها تصبح حارة في كلّ مكان، إلى غير ذلك من الأمثلة، ويأتي هذا البحث بالنسبة إلى كلّ جزئيّات الحياة.

وعلى سبيل المثال: أنّ الجمعيّات التعاونية التي تزود الفلاّحين بأقسام الحنطة لا تحلّل كل حبّة قبل تسليمها للفلاحين، وإنّما تحلّل ولو خمس حبات من بغداد وخمس حبّات من دمشق؛ حتّى يمكن القول: أنّ حنطة دمشق أفضل من حنطة بغداد أو العكس، أو هما متساويان. وهكذا شأن الأطبّاء؛ فإنّهم لا يفحصون جميع دم المريض بل يفحصون قطرات محددة من دمه، وإنّهم لا يفحصون كلّ أجزاء الشعر حتى يعرفوا أسباب الصلع بل يفحصون عدة شعرات، وهذا المقدار القليل يسمّى «بالعينّة».

ويمكن أن تكون العينّة صغيرة بالغة في الصغر؛ حيث يستخلص منها الكلّيات التي فيها هذا الجزء المشترك مع الجزئيات الأخرى في تكوين هذا الكلّي، ولذا يقول أحد مفكري الغرب: «إنّنا نعيش في عالم لا توجد فيه صفات مختلفة اختلافاً كبيراً، ولا توجد فيه إلاّ فوارق محدودة ومعروفة، ولهذا السبب نستطيع أن نختار جزءاً صغيراً من السكان، ونظلّ مع ذلك متأكّدين من حصولنا على صورة دقيقة بالنسبة لهؤلاء السكان، فهذا القول يصدق على الناس، مثلما يصدق على الأشياء، وإن كان الإنسان بحكم كبريائه يتردد كثيراً في التسليم بامكانية قياسه قياساً إحصائياً، ذلك أنّه يعتبر كلّ خلل يصيب الطريقة الإحصائية دليلاً على عدم إمكانية تطبيق العمليّات الإحصائية على الإنسان، وقد أصبحنا نعترف بأنّها علم»، وقال خبير آخر: «إنّ النتائج

النهائية لأدق وأحكم التحاليل إنّما تتحدّد بنوع العينّة، ولا تتوقّف على شيء آخر إلاّ على العينّة، ذلك أنّ التحليل الإحصائي ليس طاحونة سحرية، نضع فيها الرمل أو الشعير، لنحصل على أكداس الذهب الخالص أو القمح الجيد».

أقول: لهذا؛ فالمفترض على مجري الاستطلاع أن يلاحظ القدر الجامع لا القدر الكلّي ولا الأخصّ من الكلّي، فإذا أراد الكلّي أخذ من الكلّي الجامع كما أخذ من الكلّي العينّة، وإذا أراد الأخصّ من ذلك الكلّي أخذ من ذلك الأخصّ العينّة أيضاً، مثلاً: من يريد الاطّلاع على أحوال الشباب لا يتمكّن أن يأخذ العينّة من الشيوخ أو عينة مختلطة من الشيوخ والشباب، أمّا من يريد الإحصاء بالنسبة إلى المدينة في الانتخابات، فاللازم أن يأخذ عينة من الشباب والشيوخ معاً، فمن الضروري الملاءمة بين العينّة والمهمّة التي تريد الجهة الاستطلاعية استطلاعها، فاذا فعلنا ذلك فإنّا قد اقتربنا من الواقع أو وصلنا إليه بعينه، كمن يريد استطلاع أحوال الناس في الهند ـ مثلاً ـ أخذ من كلّ بلد ودين وعمر وجنسية، أمّا من يريد استطلاع أحوال المسلمين فقط فإنّه يأخذ عينات من المسلمين فقط باختلاف مذاهبهم[1].

---

(١) ولا يخفى: ضرورة معرفة أساسيات اختيار العينّة في عملية الاستطلاع، والتي منها: أ- معرفة الغرض من اختيار العينّة. ب - معرفة الحجم الكمي للعينة. جـ - معرفة نظام اختيار العينّة. د - اختيار العينّة بدون ميول ورغبات وأهواء وتحيز. هـ - معرفة المخطط الميداني لأخذ العينّة. واختيار عينة شاملة للجميع وليست مقتصرة على آراء الذين يبدون قدراً من الاطلاع أو المشاركة بقضية معينّة.

ثم إنه ليس هناك طريقة لحساب أقصى خطأ ممكن بالنسبة للعينّة في أي استطلاع، لأنّ كل ما يتعامل معه مجرد احتمالات.

الرابع: صياغة الأسئلة وتسلسلها

يجب التوجه إلى إعداد الأسئلة، لأنها جوهر الاستطلاعات ومادته الأساسية، ويجب أن تدور هذه الأسئلة حول موضوع معين وتكون واضحة ودقيقة ومفهومة ومصممة بشكل تكون حدودها ذات رؤى وذات مغزى. ويجب أن تستخرج آراء ومشاعر الناس وعواطفهم ويجب أن تكون سهلة الفهم للجميع، فالانحياز في صياغة الأسئلة والرداءة في تصميمها وطريقة ترتيبها يؤثر على نتائج الاستطلاع، خاصة إذا كان الاستطلاع لأجل بيان موقف معين أو نية مستقبلية.

فالأسئلة يجب أن تكون بدون سعة أو ضيق كما في العموم من وجه، فإذا كان السؤال ضيقاً لا يفي بالمقصود، وإذا كان واسعاً كان أكثر من المقصود، وإذا كان بينه وبين الواقع عمومٌ من وجه كان زائداً وناقصاً، مثل أن يجاب عن الإنسان بأنّه حيوان الذي هو أعمّ، أو يجاب بأنّه ضاحك الذي هو أخصّ، أو يجاب بأنّه أبيض الذي هو أخصّ وأعم، فكيف إذا كان الجواب متبايناً؟ ويرى بعض الخبراء الغربيين أنّ المشكلات الخاصّة بإعداد الأسئلة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

١ـ غموض السؤال.

٢ـ افتقار السؤال إلى معنى محدّد.

٣ـ الصياغة المبالغة في هذا السؤال.

٤ـ اشتمال السؤال على كلمات مألوفة وغير مألوفة.

٥ـ اشتمال السؤال على أحداث غير معلومة بقدرٍ خاصّ.

٦ـ افتقار السؤال إلى بداية كافية.

٧ـ اشتمال السؤال على بداية كبيرة جداً أو مفرطة في التفاصيل.

٨ـ اعتبار السؤال غير ذي هدف معين.

٩ـ كون السؤال لا يؤدّي إلاّ إلى إثارة التفكير السطحي.

١٠ـ كون السؤال على النوع الذي لا يتوقّع له إلاّ إجابات تقليدية.

ويرى خبيرٌ آخر(١): أنّ الأسئلة بحاجة إلى ما هو أكثر من مجرّد التعبير عنها بألفاظها، فمثلاً: هناك الترتيب الذي يجب أن يراعى في توجيه الأسئلة فيما يتعلّق بهذا الترتيب الذي يجب فيه السير على النحو التالي:

١ـ إنّ السؤال الأوّل، يجب أن يوجد الصلة بين المستجوب والمجيب.

٢ـ الأسئلة القليلة الأولى، يجب أن تكون بسيطة.

٣ـ الأسئلة القليلة الأولى، يجب أن تكون من النوع الذي تكون الإجابات عنها كافية لتمكين المجيب من التعبير عن نفسه.

٤ـ الأسئلة الشخصية، يجب أن توضع في صلب الاستطلاع.

٥ـ الأسئلة التي تعكس ذكاء المجيب، يجب أن توضع في صلب الاستطلاع أيضاً.

٦ـ الأسئلة التي لا تهمّ المجيب إلى حدٍ كبير، يجب أن توضع أيضاً في صلب الاستطلاع.

٧ـ الأسئلة برمتها، يجب أن ترتّب ترتيباً مناسباً مع مراعاة تجنّب الأسئلة غير المترابطة.

٨ـ إنّ تتابع الأسئلة قد يحرّف إجابات بعض الأسئلة اللاحقة (٢).

---

(١) وهو بلانكنشب.

(٢) ويرى بعض المتخصصين، أنّ هناك بعض المعوّقات التي تواجه صياغة الأسئلة، منها:
١- أنّ التغيير في صياغة الأسئلة يؤثر على النتائج وتضاربها تبعاً للكيفية التي تبلورت بها

إذا عرفت هذا، فلابدّ من الابتعاد عن الأسئلة الخاطئة أو المنحازة والتابعة لمصلحة معينة، ويجب معرفة اتجاهات المستطلعين، لأنّها مؤثرة في الإجابات وخاصة في الاستطلاعات الشفوية، ويجب مراعاة الأمانة التامّة أثناء صياغة الأسئلة إذا أردنا حقاً أن تكون كلّها موجّهة إلى الهدف الواقعي لا إلى الهدف الذي يريده المحقق سلفاً. ثمّ الأسئلة إذا لم تكن مرتبطة بحياة الإنسان ارتباطاً مباشراً تختلط عليه أولاً وثانياً وثالثاً، وهذا ما يفعله المحققون مع الذين وقعوا تحت نظرهم في مسائل الإجرام ونحوها؛ إذ قد يكون السؤال بين السلب والإيجاب، وقد يكون بين الضدّين، وقد لا يكون كذلك، فإذا سئل: ماذا تريد؟ حكومة ملكيّة أم حكومة جمهورية؟ فالجواب واضح وهو: إمّا

آراء المحللين كأفراد، مثال ذلك في فضيحة «ووتر غيت» جرى استطلاع، وكانت نتائجه متفاوتة:

أ- هل تفضل بقاء «نيكسون» في منصبه، أو أن يتخذ قراراً بالاستقالة، أو يوجّه إليه اتهام بالتقصير؟

ب - هل تعتقد أنّ من الواجب توجيه الاتهام بالتقصير لـ «نيكسون» وإجباره على الاستقالة أم لا؟

٢- جعل الأسئلة مفردة متوازية الصياغة، بحيث تعطي وزناً متساوياً لجانبي قضية ما من أجل أن لا تجعل الردود تنحاز إلى هذا الجانب أو ذاك، بمعنى طرح الأسئلة بصيغة غير منحازة لأحد الجانبين اللذين أحدهما سلبي والآخر إيجابي، وبعبارة أخرى أن لا يوحي السؤال بأنه ينطوي على ما إذا كان الشخص يؤيد هذا الجانب أو ذاك.

٣- يجب أن تتوافق صياغة السؤال مع القضية المطروحة.

٤- هل الصياغة تركز على عواطف الناس أو عقولهم؟

٥- يجب أن تتم الصياغة للأسئلة بعد أن تفسر المصطلحات الفنية الخاصة بلغة عادية متداولة.

٦- يجب عدم توجيه أي أسئلة خلافية قبل السؤال عن النوايا التصويتية.

٧- إنّ صياغة الأسئلة يمكن أن تؤدي إلى الخطأ أو التحيز في النتائج.

٨- وجود عيوب غير مكشوفة، حيث إمكان صياغة سؤالين بطرق مختلفة دون أن يكون أحدهما صحيحاً والآخر خطأ.

جمهورية أو ملكية.

أمّا إذا كان السؤال عن حال المجرم وقت وقوع الجريمة، هل هو في المساء أو في النهار؟، أول النهار أو وسطه أو آخره؟، أوّل الليل أو وسطه أو آخره؟، وهل لابس لباساً ابيض أو أزرق أو أسود؟ ومن الواضح أنه قد تختلف الإجابات، وهذه هي الطريقة التي بها يكتشف المحقّق أنّ المجيب صادق أم كاذب، ولأجل ذلك تحرص الهيئات والمنظّمات التي تتولّى قياس الرأي العام وتحليله على تدريب القائمين على الاستطلاع، وعلى صياغة الأسئلة تدريباً واسع النطاق، ولا يتمكن من إعداد السؤال الصحيح إلاّ إذا كان ذا علم ومعرفة تامّة بكيفية الصياغة، وقد يكون هناك مثلاً: جواب واحد يصاغ بهذه الصياغة أو تلك الصياغة ممّا تختلف الصياغات في بعض الخصوصيات وإن كان جميعها يهدف إلى شيء واحد، وقد ذكروا أنّ الخليفة المنصور العباسي[1]

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس وأخو أبي العباس السفاح، ولد سنة ٩٥هـ (٧١٤م) ومات سنة ١٥٨هـ (٧٧٥م)، حكم أكثر من عشرين سنة من ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ (٧٥٤م) وإلى ٦ ذي الحجة سنة ١٥٨هـ (٧٧٥م) وعاش ٦٣ سنة، عرف بظلمه وقتله للناس وقتل خلقاً كثيراً كما قال بذلك السيوطي في تاريخه: ص٢٠٨؛ قمع ثورة العلويين وسجن أولاد رسول الله ﷺ من أبناء الإمام الحسن عليه السلام في المدينة أربع سنوات من ١٤٠هـ وإلى ١٤٤هـ وكان عددهم عشرين شخصاً، ثم نقلهم إلى الكوفة ثم الأنبار وعلى رأسهم عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وحبسهم في سجون لا يميزون الليل من النهار وكانوا يحددون أوقات صلاتهم بقراءة خمسة أجزاء من القرآن وإذا مات أحدهم في السجن كان المنصور الدوانيقي يتركه معهم ويبقى جسده مربوطاً بالأغلال والأصفاد، وعندما ماتوا جميعاً هدم عليهم السجن، كما انه ضيّق على الإمام الصادق عليه السلام مراراً وتكراراً وحمله إلى العراق وأخيراً قتله بالسم سنة ١٤٨هـ، وقد ذكر الصدوق في عيون أخبار الرضا أن المنصور لما بنى الأبنية في بغداد ودام ذلك البناء أربع سنوات، جعل يطلب العلوي طلباً شديداً ويجعل من ظفر به منهم في إسطوانات، مجوفة، مبنية من الجص والآجر. للمزيد راجع: منتهى الآمال: ج٢ ص٢٣١، أعيان الشيعة: ج١ ص ٢٨ لمحسن الأمين، تاريخ الطبري: ج٦ ص١٢١، تاريخ بغداد: ج١٠ ص٥٣، الكامل في

سأل عن تعبير منامه إذ رأى في المنام أنّ أسنانه قد سقطت. فقال له المعبّر: «إنّ أقرباء الخليفة سيموتون»، فأمر بعقابه. ثمّ جاؤوا بمعبّر ثان، فقال المعبّر: «إنّ عمر الخليفة سيكون أطول من عمر أقربائه». فأعطاه الجائزة.

أقول: والجوابان وإن كان لهما مفهوم واحد إلاّ أنهما يختلفان في الأسلوب، فالأسلوب الأوّل كان مثيراً، أمّا الثاني فكان مرغوباً.

وحدث الشيء نفسه عندما أراد المرجع الكبير السيد حسين القمي [1] العودة إلى إيران من العراق لأجل إصلاح مفاسد رضا بهلوي الأوّل[2]، فعيّن

التاريخ: ج٥ ص٤٦١، الأخبار الطوال: ص٢٨٥، الأعلام للزركلي: ج٤ ص٢٥٩، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٦٤.

(١) السيد حسين بن محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القميّ، ولد في مدينة قم المقدسة سنة ١٢٨٢هـ ودرس فيها المقدمات وكذلك درس في طهران ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣١١هـ لحضور درس الشيخ حبيب الله الرشتي والشيخ علي النهاوندي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي، ثم هاجر إلى سامراء سنة ١٣٢١هـ لحضور درس الشيخ محمد تقي الشيرازي وبقي هناك عشر سنوات. وفي سنة ١٣٣١هـ انتقل إلى مشهد الرضا ﷺ وبدأ بالبحث والتدريس. يقول عنه الشيخ آغا بزرك الطهراني الذي عاشره مدة من الزمن: «كان معروفاً بالصلاح والتقى والنسك والزهد وكثرة العبادة... وكان كيساً حليماً كثير الرزانة والوقار والتروي في الأمور». من مواقفه السياسية: تصدى لرضا شاه ـ البهلوي ـ سنة ١٣٥٤هـ الذي أهان العلماء ونشر الخمور وأجبر النساء على التبرج والسفور ومنع إقامة الشعائر الدينية. رُشّح للزعامة الدينية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني، ورجع الناس إليه في التقليد ونُشرت رسالته العملية في أرجاء إيران ثم هاجر إلى كربلاء المقدسة، وزادت وجاهته وعظم شأنه ثم هاجر إلى النجف الأشرف وتوفي بعد عدّة شهور في بغداد وذلك في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة. من مؤلفاته: مجمع المسائل، الذخيرة الباقية في العبادات والمعاملات، مختصر الأحكام، طريق النجاة، منتخب الأحكام، مناسك الحج، هداية الأنام. ترجمه نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ص٦٥٢.

(٢) مير بنج بن عباس قلي خان المسمى برضا خان: من ملوك إيران في القرن العشرين، أصبح وزيراً للحربية ـ الدفاع ـ في حكومة القاجار ثم أطاح بهم، ولقب نفسه بـ «بهلوي» إحياءً للفارسية القديمة، ولد في كرجستان سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨م) ، ويعد من أعوان

من سأل الناس هذا السؤال: «هل أنتم راغبون في إصلاح ما أفسده البهلوي الأوّل؟»، فكان عدد الإجابات أكثر من السؤال الثاني الذي هو «هل ترغب بمجيئ السيد القمي إلى إيران لإصلاح الأوضاع؟»، فقلّت الأجوبة عن هذا السؤال مع أنّ الإجابة واحدة في كلا السؤالين، لكن تخوّف الناس على حياة السيد القمي من طغيان رضا بهلوي قلّلت الأجوبة عن السؤال الثاني؛ لأنّ فيه مطالبة بمجيء السيد القمي إلى إيران؛ لذا لابدّ من الاهتمام كثيراً في صياغة

الإنجليز في الشرق الأوسط، حكم إيران سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥م) بعد أن أطاح بأحمد شاه القاجاري، واستمرّ في الحكم لسنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤١م)، نفاه الإنجليز إلى جزيرة موريس في المحيط الهندي بعد ان رفض التعاون معهم في الحرب العالمية الثانية ثم إلى جوهانسبورغ في أفريقيا الجنوبية، وعيّنوا ولده محمد رضا مكانه، وأصابه في منفاه في جوهانسبورغ لوث من الجنون؛ فكان يقف كلّ يوم أمام مرآة في غرفته ويعدد ألقابه ثم يضحك بهستيرية على نفسه، وكان يقضي أكثر أوقاته بهذه الكيفية، ثم قتله الإنجليز هناك سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) ونقل جثمانه إلى القاهرة ثم منه إلى طهران سنة ١٩٥٠م.
اتّسم حكمه بإحياء القومية الفارسية ونشر المذهب البهائي والقضاء على مظاهر الإسلام ومعاييره ومبادئه وهدّم المساجد والمدارس والحسينيات ومنع العلماء ورجال الدين من ممارسة أدوارهم في الحياة، فقد سجن العلماء الكبار ونفى عدد منهم ودس السم لآخرين كما ذكر ذلك الطهراني في نقباء البشر: ص١١٦١، وأشاع الزنا والخمر والقمار في أوساط المجتمع الإسلامي، وقيّد الصحافة وحلّ الأحزاب والنقابات وألغى الحريات الفردية، ومنع النساء المسلمات من ارتداء الحجاب الذي فرضته الشريعة ومنع رجال الدين من ارتداء الزي الديني لذا ترك هذا الزي ما يقارب مائة ألف شخص، وقضى على خصومه وعلى الخصوص رجال الدين ورؤساء العشائر إما بنفيهم مع أسرهم أو عن طريق إعدامهم، وحطم اقتصاد البلاد وعلى الخصوص قنوات الري، وأصدر سنة ١٩٣٤م مرسوماً بتغيير اسم فارس إلى ايران معتبراً أن لفظة فارس رمز كريه للماضي ويذكّر بالتراث الإسلامي للبلاد. وقتل في ثورة مسجد «كوهر شاد» في مدينة مشهد الإيرانية سنة ١٣٤٤هـ ما يقارب أربعة آلاف من العلماء والسادة الأشراف والزوار الغرباء، حيث وجهت المدافع عليهم فدفنتهم تحت الأنقاض كما ذكر ذلك الطهراني في نقباء البشر: ص١١٦٥ والزنجاني في حدائق الأنس، وعندما أخبر رضا شاه بقتل هذا العدد قال: أن المسجد يسع لعشرة آلاف شخص فأين البقية؟.

الأسئلة، ولابدّ من ملاحظة طبيعة السؤال[1] وطبيعة السائل وطبيعة الذي سيجيب عن السؤال.

ومن المفترض أيضاً منح مسؤولية صياغة الأسئلة إلى أشخاص متخصّصين ذوي إلمام بالنواحي النفسية والإعلامية، فالسؤال يجب أن يكون واقعياً، كما أنّ السائل يجب أن يكون غير مغرض، ثمّ إنّه قد يكون السؤال مثيراً بحيث لا يستطيع المجيب ضبط أعصابه، ويذكر أن ابن المقفّع[2] قُتل لأجل جعل

(١) ويجب أن يكون السؤال متوازناً وأن يوضع في سياقه الصحيح، ويجب استخدام الكلمات الجيدة في صياغة السؤال لئلا تختلط العواطف مع وجهات النظر، فالناس عادة يحبون فكرة إعطاء الحريات دون منعها، ويجب تتميم كل سؤال للتأكد من أن السؤال نفسه لم يتسبب في تحريف النتائج. مثلاً يجب التأكيد على الأسئلة ذات النهايات المغلقة، والتي تتضمن إجاباتها مثل «أصادق أو لا أصادق»، «ممتاز، جيد، حسن»، «افضل، أسوأ، سيان» «أوافق، أعارض» ونحو ذلك، ويجب عدم تناول الموضوع مباشرة لكشف معلومات عن موضوع يتحاشى الناس مناقشته وفي نفس الوقت الأخذ بعين الاعتبار أنّ السؤال غير المباشر يؤدي إلى تزييف الإجابة، ويجب التوجه إلى طريقة صياغة الأسئلة وطريقة ترتيبها وطريقة طرحها والأجواء المكتنفة في الطرح، فإنّ لهذه الأمور مدخلية في نتائج الاستطلاع، فأي خطأ في ترتيب الأسئلة أو الاختلافات الوقتية في صياغة الأسئلة أو عدم اتضاح خلفية الأسئلة عند الناس معناه أن شريحة من الناس تعبّر عن رأيها دون معرفة أو إدراك حقيقي للأمور.

(٢) أبو محمد، عبد الله روزبه بن داذويه المشهور بـ «ابن المقفّع»، كاتب ومترجم، استطاع أن يتخذ طريقة فنية في الكتابة أثرت كثيراً في أدباء زمانه ومن بعدهم، ولد حوالي سنة ١٠٦هـ (٧٢٤م) في قرية جور، فيروز آباد الحالية في بلاد فارس، درس عند أبيه ثم انتقل إلى البصرة للدراسة وعاش عند آل الأهتم ممن اشتهروا بالفصاحة والبيان والإنشاء والأدب والكتابة. وارتاء الترجمة في المنطق والحكمة. ثم ارتبط مع الأمراء والولاة، عبر الكتابة والإجابة على الرقاع التي تأتيهم وتربية أولادهم، أمثال عمر بن هبيرة في دواوينه على كرمان، وابنه يزيد وداود بن هبيرة ولاة العراق في عهد الأمويين. وعيسى حاكم الأهواز عم السفاح والمنصور خليفتي الدولة العباسية ـ ثم عين في الوزارة وقتل في زمن المنصور العباسي حرقاً وذلك سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م).

من مؤلفاته: الدرّة اليتيمة في طاعة الملوك، الأدب الكبير، الأدب الصغير، رسالة الصحابة،

صيغة يمين الخليفة بحيث أثارت الخليفة ضدّه في قصّة مذكورة في التواريخ[1]. وكثيراً ما يحاول بعض مراجع التقليد الأذكياء الإجابة عن الأسئلة

المقولات العشر، العبارة، تحليل القياس. ومن مؤلفاته الفارسية: آيين نامه، خداي نامه. ومن كتبه المترجمة: كليلة ودمنة، الذي ترجم من الهندية الى البهلوية ثم العربية، وابتغى ابن المقفّع من ترجمتها إرشاد المنصور العباسي إلى ما يجب أن يتمسك به، وقد ترجمت كليلة ودمنة أكثر من ثلاثين مرة ولأكثر من عشرين لغة، ومعظم هذه الترجمات عن العربية. راجع: أدباء العرب: ج٢ ص١٣٦، الأعلام للزركلي: ج٤ ص٢٨٣.

(١) قتل ابن المقفّع نتيجة الأمان الذي كتبه لعبد الله بن علي عمّ المنصور العباسي الذي كان والياً على بلاد الشام، حينما ثار على المنصور سنة ١٣٧هـ (٧٥٤م) وفشل، فطلبه المنصور فخشي أن يقتله رغم وعده بأن لا يفعل ذلك. فطلب عبد الله من ابن المقفّع أن يكتب له أماناً يوقعه المنصور، ففعل، وكتب في الأمان: «ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي، فنسائه طوالق، ودوابه حُبس، وعبيده احرار، والمسلمون في حلّ من بيعته». فلما وقف المنصور على الكتاب عظم ذلك عليه وقال: من كتب هذا؟ فقالوا له: رجل يقال له عبد الله ابن المقفّع يكتب لأعمامك ـ سليمان وعيسى ابنا علي ـ فكتب المنصور إلى سفيان بن معاوية بن يزيد المهلبي واليه في البصرة، وكان الأخير شديد العداء لابن المقفّع. فاستأذن ابن المقفّع يوماً على سفيان المهلبي، فأخّر إذنه حتى خرج من كان عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة فقتل فيها. بعد أن قطّعت اعضاءه عضواً عضواً وألقاها في التنور المستعرة وهو ينظر إليها، حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق عليه التنور. ويرى البعض مقتله كانت نتيجة سياسة اتبعها المنصور العباسي لحماية حكمه وإنّ سفيان المهلبي لم يكن إلاّ واسطة في التنفيذ، وإنّ المنصور إغتاله لأسباب ثلاثة: ١ - ارتباط ابن المقفع بأعمام المنصور المنافسين له وذلك بكتابة الأمان للثائر عبد الله بن علي. ٢ - دفاع ابن المقفع عن أعداء الدولة العباسية وانتقاده سياسة الخلافة بصراحة تظهرها رسالته في الصحابة. ٣- دعوته لتقليد واقتباس النمط الفارسي والحضاري، وهي دعوة لم تكن تتفق مع سياسة المنصور العباسي كما ذكر ذلك محسن الأمين في مستدركات أعيان الشيعة: ج٧ ص١٤٥. ويرى بعض المحققين أنّ ابن المقفع كان ينظر إلى مثل أعلى لم يجده عند الأمويين، كما أنه لم يقع عليه عند العباسيين ولكنه عند بعض جماعات لم يتسلموا مقاليد الحكم وهو علي بن أبي طالب ﷺ كما ذكر ذلك محسن الأمين في مستدركات أعيان الشيعة: ج٧ ص١٤٦. راجع كتاب سير اعلام النبلاء للذهبي: ج٦ ص٢٠٩ وكتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٢٦٩، وكتاب كليلة ودمنة: ص٩ تحقيق المنفلوطي. عن ترجمته راجع: الكنى والألقاب: ج١ ص٤٢١، موسوعة السياسة: ج١ ص٢٣، الموسوعة العربية الميسرة

المثيرة بأجوبة غير مثيرة، وينقل عن المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري[١] ﷺ أنه أجاب جواباً حكيماً عندما سئل عن حكومة بهلوي الأوّل، وكان الجواب صعباً سواء كان سلبياً أو إيجابياً، فأجاب بهذه العبارة: «إنّ إطاعة ولي أمر المسلمين الذي يريد مصلحة المسلمين أمرٌ واجب».

إذن: فإنّ السؤال والجواب لا يختلفان في لزوم صياغتهما صياغة واقعيّة غير مثيرة لا فضفاضة ولا ضيقة، ولا يكون بينهما عمومٌ من وجه.

وقد تبيّن ممّا تقدّم ما ذكره بعض العلماء في هذا الصدد بأن «اختيار الأسئلة وصياغتها على نحو ملائم تكشف عن الهدف على نحو الواقعيّة، يشكلان مسألة كميّة تستلزم مهارة وحكمة بالغتين بأن يكون الصائغ للأسئلة ماهراً

والموسعة: ج١ ص١٣٢، أدباء العرب: ج٢ ص١٣٧، الفتوح لابن الأعثم: ج٨ ص٢١٨، وفيات الأعيان: ج٢ ص١٥٠، البداية والنهاية: ج١٠ ص١٠٢.

(١) الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري، فقيه لامع، أصولي متبحّر، ولد في مهرجرد من قرى يزد سنة ١٢٧٦هـ وتوفي سنة ١٣٥٥هـ عن عمر يناهز ٨٣ سنة، اشتهر بالإيثار والزهد، حتى أنه ليلة وفاته لم يمتلك عياله ما يأكلونه، وكان صادقاً في علاقاته مع أصدقائه وتلامذته وكل من عاشره. أنهى دراسة المقدمات الفقهية في إيران ثم هاجر إلى العراق واستوطن سامراء ودرس عند الشيخ فضل الله النوري والميرزا ابراهيم المحلاتي ثم انتقل إلى النجف الأشرف لإتمام دراسته. تتلمذ عند المجدد الشيرازي والشيخ محمد تقي الشيرازي - قائد ثورة العشرين - والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي والسيد محمد الفشاركي. رجع إلى إيران سنة ١٣٣٢هـ قاصداً مدينة أراك ملبياً دعوة علمائها، وبقي هناك ثماني سنين، ثم انتقل الى مدينة قم سنة ١٣٤٠هـ، وبدأ بتوسيع الحوزة العلمية فيها كما تصدى للمهام المرجعية. من تلامذته السيد المرعشي النجفي والسيد محمد رضا الكلبايكاني. من مواقفه السياسية احتجاجه على ما اقترفه محمد رضا شاه حاكم إيران من منع الحجاب، وقد استنكر ذلك الفعل وبقي جليس الدار لمدة ستة أشهر إلى أن وافاه الأجل كمداً وحزناً. من مؤلفاته: درر الفوائد، الصلاة، النكاح، الرضاع، المواريث.

راجع: نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ص١١٥٨، كفاح علماء الإسلام للدكتور العقيقي: ص٣٢٣.

وحكيماً»، ومعنى الحكمة وضع الشيء في محلّه، ومعنى المهارة أن يكون خبيراً بالخصوصيات، فلذا لا يليق بأن يعهد باختيار الأسئلة وصياغتها إلى شخص غير متمرس في هذا النوع من العمل، أو تركه إلى أخصائي اجتماعي بسيط لم يكن ذكيّاً غاية الذكاء، أو إلى خريج لم يتلق التجربة الدقيقة في هذا المجال؛ وذلك لأنّ استطلاع الرأي لجماعة واقعيّة بهذه الصفات هو الذي ينتج النتيجة المطلوبة، بينما إذا كانت الجماعة مغرضة سواء عن قصد أو غير قصد، فقد يؤدي إلى نتائج خطرة، تلحق الضرر بالصالح العام أو بمصالح تلك الجماعة التي تريد التقدّم إلى الأمام سواء كانت جماعة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو تربوية أو عسكرية أو غيرها، فاللازم ألاّ تكون هناك محسوبية أو منسوبية أو وصول الشخص إلى النتائج المطلوبة عبر رشوة أو ما أشبه ذلك[1].

---

(١) وهناك نقطة لا بد من التنويه إليها، وهي ترتيب الأسئلة، لأنّ لها أثرٌ في المواقف وفي الانعكاس على نتائج الاستطلاع، فإنّ قلب ترتيب الأسئلة قد يؤدي إلى التضارب والاختلاف في النتائج، مثلاً قامت صحيفتا «نيويورك تايمز» و«هارتفورد كوارنت» معاً في أوائل تشرين الأول سنة (١٩٨٢م) بإجراء استطلاع للرأي حول انتخابات ذلك العام لمنصب ولاية «كونيكتكت»، وعضوية مجلس الشيوخ لتلك الولاية، وتطابق الاستطلاعان بشكل شبه كامل حول المواقف المتعلقة بمنصب الحاكم، لكنهما اختلافا من حيث التنافس على الانتخابات لعضوية مجلس الشيوخ، ولما كانت عمليتا الاستطلاع قد أجريت قبل أربعة أسابيع من الانتخابات، فإن مقارنة نتائج الاستطلاعين بنتائج الانتخابات ستكون غير صحيحة، لأغراض البت في الدقة، فقد جرت مراجعة لمنهجيتي الاستطلاعين بدلاً من ذلك وكشفت هذه المراجعة من بين أشياء أخرى عن أنّ صحيفة «نيويورك تايمز» قد سألت أولاً عن الأفضلية المتعلقة بالتنافس على منصب الحاكم، بينما وجهت صحيفة «هارتفورد كوارنت» أسئلتها حول التنافس على عضوية مجلس الشيوخ أولاً. وقد خامرت صحيفة «نيويورك تايمز» شكوك من أن قلب ترتيب الأسئلة ربما كان مسؤولاً عن التضارب، فعمدت إلى إجراء استطلاع ثانٍ للرأي، تحتل فيه نصف العينة السؤال المتعلق بمنصب الحاكم أولاً، ووجه للنصف الآخر السؤال المتعلق بانتخابات مجلس الشيوخ أولاً، وفي ذلك

الخامس: الاختبار التجريبي

إنّ التنفيذ يجب أن يكون بعد الاختبار التجريبي، وذلك لقياس مدى ثبات الاستطلاع، شأن ذلك شأن كلّ الأمور التي تحتاج إلى التجربة قبل التنفيذ، ومن الممكن إجراء الاختبار التجريبي عن طريق الاستعانة بالخبراء والمستشارين[1] أو عن طريق إجراء اختبار تنفيذي عام أو عن طريق اختبار عينة محدودة.

ثم إنّه لو لم يستعن بالخبراء وعهد بالتنفيذ إلى أشخاص غير مؤهّلين بذلك تمام التأهيل، ستكون النتائج عكسية تماماً في بعض الأحيان، وأمّا إجراء الاختبار التنفيذي العام، فإنّه حقّ ثابت لا بأس به إذا كان هناك خبراء متخصّصون يتراوح عددهم ما بين ثلاثة وعشرة، أو عشرة ومائة وما أشبه ذلك؛ ممّا يكفي في إجراء اختبار تنفيذي عام كون المراد بالاختبار بالنسبة إلى القطر أو المدينة أو الجمعية الخاصة على ما ذكرناه سابقاً، وأمّا اختبار العينة المحدودة فإنّه لا يحقّق الأهداف المقصودة إلاّ إذا قام به خبراء متخصّصون في أساليب الاستطلاع ومن لهم سابق دراية وتجربة بالإضافة إلى العلم. ومن الواضح أنّ كلّ واحد من العلم والخبرة شيء غير الآخر، وكلاهما معاً يمكنهما

الاستطلاع الثاني كان لترتيب الأسئلة أثره في المواقف ذات الصلة بانتخابات مجلس الشيوخ، وليس بانتخاب الحاكم. كما أنّ لترتيب ذكر أسماء المرشحين ضمن أي سؤال قد يؤثر في نتائج الاستطلاع مثلما حدث للاستطلاع الذي أجري في أيلول سنة (١٩٨٨م) حول المفاضلة بين جورج بوش ومايكل دوكاكيس، فعندما ورد اسم دوكاكيس أولاً تقدم على بوش بمقدار اثنتي عشرة نقطة. ولكن عندما ورد اسم بوش قبل دوكاكيس تقلص تفوق دوكاكيس عليه إلى أربع نقاط فقط. راجع كتاب: الرأي العام، واستطلاعات الرأي والديمقراطية للمؤلف ايرفنج كرسبي: ص٨٧-٨٨.

(١) ويعرف هؤلاء بما أداروه من مشاريع سابقة أو المهام الاستطلاعية التي أنجزوها سابقاً.

أن يأتيا بالنتيجة المطلوبة[1].

السادس: إجراء المقابلات

يجب على من يجري المقابلات والمستجوب الاسترشاد بالقواعد التي وضعها القائمون بعملية الاستطلاع في كيفيتها وخصوصياتها ومزاياها، وقد طبع في الغرب كتابٌ صغير يسترشد به المستجوبون بإجراء المقابلة؛ حيث ذكر الكتاب عدّة قواعد عامّة، لخصّها بعض الباحثين بقوله:

١ـ يجب على المستجوب أن يكون على دراية بمبادئ علم النفس الاجتماعي.

٢ـ يجب على المستجوب أن يكون على دراية بالعادات والتقاليد السائدة.

٣ـ يجب على المستجوب أن يكون على دراية بالاستطلاع وموضوع الاستطلاع.

٤ـ يجب على المستجوب أن يكون حسن المظهر وحسن السلوك وصادقاً في الحديث.

٥ـ يجب على المستجوب أن يجيد تصنيف المجيبين من حيث مستواهم الاقتصادي، فإذا ما ساوره الشك في مستوى المجيب، وجب عليه أن يصنفه في المستوى الأعلى من المستويين محل التشكيك.

٦ـ يجب على المستجوب أن يتفادى إجراء المقابلة في أوقات غير ملائمة

---

(١) ومن النقاط المهمة في هذا الحقل، معرفة من الذي أنفق على الاستطلاع، لأنه ربما موّل المشروع جهات لها مصالح خاصة لأجل حشد التأييد لأجل مشروع ما أو الحصول على مناقصة اقتصادية أو تأييد سياسي، لأنه من الثابت أنّ في وسع أي شخص يملك رصيداً مالياً أن يحدد وجهة نظر معينة حول موضوع معين ثم يجري استطلاعاً لإثباتها.

للمجيب.

٧ـ يجب على المستجوب أن يترك المكان فوراً بعد انتهاء المقابلة[1].

وأخيراً: فاللازم أن يكون ظرف الزمان والمكان وظرف المستجوَب (بالفتح) ظروفاً ملائمة للاستجواب وإلاّ فإذا كان هناك نقصٌ في المستجوَب وفي المجيب تكون النتائج عكسية أحياناً أو تكون ناقصة نقصاً مشيناً ممّا لا يوصل إلى الهدف المطلوب، وكثيراً ما يكون المستجوِب أفضل فهماً من المجيب؛ لذا فاللازم على المستجوب أن يضع التفسير الدقيق بذكائه للأجوبة حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة[2].

ومن الواضح أنّ مظهر المستجوب ولباقته وحسن استقباله واحترامه للمجيب وما أشبه ذلك من قواعد المعاشرة، كلّها تؤثّر في الجواب الصحيح المنتج لما يهم الرأي العام أو الرأي الخاص، كلاًّ في موضعه، وقد ذكر جمع من الفقهاء في كتاب القضاء، شرائط القاضي وآدابه، والغالب أنّ هذا الباب وذلك الباب من باب واحد؛ ولذا إذا روعيت تلك الشرائط والآداب المذكورة في كتاب القضاء في هذا الباب، كان حسناً جدّاً[3].

---

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الأول: ص٣٥٢ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

(٢) وأضاف بعض العلماء: يجب على المستجوب الابتعاد عن التحريف والتزوير، ويجب أن يطرح المستجوب الأسئلة بشكل بعيد عن الخطأ في التلفظ أو في نمط الانتقال من موضوع إلى آخر، ويجب على المستجوب أن لا يقوم بتعقيد خيارات المستجوَب.

(٣) ويرى البعض أنه يجب الأخذ بنظر الاعتبار الأحداث التي تقع منذ إجراء المقابلات، فإنها قد تغيّر الآراء الواردة في المقابلات، ويجب تحديد وقت المقابلات بأن لا يزيد عن عشرين دقيقة، وذلك لتخفيض التكلفة المالية ولضمان تعاون الناس إذا ما أجريت المقابلات بزمن أقل، وكذا يجب توقيت الاستطلاع بالقرب من الحدث باعتباره يعطي الدقة في الاستطلاع، ويعطي فرصة للمترددين أن تتبلور أفكارهم وآراؤهم. يقول أحد العلماء بهذا الصدد: «إننا باستطاعتنا أن نقول كيف يفكر الناس وماذا يقولون حول ما يعتزمون القيام به وذلك قبل

السابع: استخلاص النتائج

إنّ الفاعل القائم بتحليل الإجابات إذا كان في خطأ من أية جهة من الجهات فإنه سيؤول إلى استخلاص نتائج غير صحيحة المائة في مائة أو بأية نسبة مئوية أخرى، ولذا فجماعة من الباحثين في شؤون قياس الرأي العام عن طريق الاستطلاع جعلوا عدّة قواعد عامّة ذكرها بعض العلماء على نحو ما نذكره الآن:

١ـ يجب على القائم بإعداد نتائج الاستطلاع أن يلاحظ أنّ الإجابات التي يقوم بتحليلها هي في الواقع وليدة اللحظة التي أجريت فيها المقابلة، إذ أنّ الإنسان يتغيّر من وقت لوقت آخر، فقد تكون لحظة الإجابة لحظة خاصّة، لتتغيّر الإجابات في لحظات ومناسبات أخرى، مثلاً: لحظة الضيق ولحظة الحرج ولحظة الهمّ ولحظة الضجر ولحظة دفع الأخبثين وما أشبه ذلك، وهذه لحظات ليس للإنسان أن يجيب فيها سواء في وقت الاستجابة أو في وقت آخر حيث يرى أنّ الإجابات السابقة لم تكن على حالة صحيحة.

٢ـ يجب على القائم بإعداد نتائج الاستطلاع أن يذكر الإجابات التي يقوم بتحليلها والتي هي في الواقع وليدة الطريقة التي أجري بها الاستطلاع، فالإجابات المقتصرة على مجرد الاختيار بين لا ونعم ونحو ذلك قد تختلف وتتغيّر إذا تغيّرت طريقة الاستطلاع، وقد ذكرنا سابقاً أنّ مجرّد لا ونعم إنّما

الحدث بعشرة أيام، ولكننا لا نستطيع معرفة كيف يغير الناس رأيهم بعد عشرة أيام من الآن». ومثال ذلك أن مؤسسة «غالوب» للاستطلاع فسرت خطأها البالغ سبعة عشرة نقطة في المائة في الانتخابات الأولية للحزب الجمهوري في ولاية «نيوهامشير» سنة (١٩٨٨م) بأنه يعود إلى كونها قد أجرت الاستطلاع في وقت مبكر أكثر مما ينبغي.

يصح بين النقيضين لا بين الضدين أو ما أشبه ذلك، فاللازم مراعاة المستطلع هذه الخصوصية.

٣ـ يجب على القائم بإعداد نتائج الاستطلاع أن يفطن إلى أنّ الإجابات التي يقوم بتحليلها هي في الواقع وليدة الإيحاءات أو التحيزات التي تتضمّنها الأسئلة أو طريقة تداعي هذه الأسئلة؛ إذ الجواب قد يكون مستقيماً وقد يكون متحيّزاً. ومن الواضح أنّ الجواب المتحيّز لا يصل إلى الهدف مائة في المائة، وأحياناً يكون ضدّ الهدف مائة في المائة أو بنسبة مئوية أقل.

٤ـ يجب على القائم بإعداد نتائج الاستطلاع أن يفطن إلى أنّ الإجابات التي يقوم بتحليلها هي في الواقع حصيلة المعلومات المختزنة في عقل المجيب، وقد تكون هذه المعلومات خاطئة أو متخلّفة أو مشوّشة، وكلّ ذلك لا يوصل إلى النتيجة المطلوبة.

٥ـ يجب على القائم بإعداد نتائج الاستطلاع أن يفطن إلى أنّ الإجابات التي يقوم بتحليلها هي في الواقع وليدة السمات الشخصية للمجيب، فالشخص الذي يتّصف بالتردّد ـ بوجه عام ـ يدلي بإجابات متردّدة؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، كما أنّ الشخص الذي يتّصف بالحرص ـ بوجه عام ـ يدلي بإجابات معيّنة عن أسئلة معينّة، هي وليدة الحرص أو وليدة الجبن أو وليدة الحسد أو ما أشبه ذلك، فإنّ النتائج النفسية كالنتائج السببية تكون مناسبة للنفس كما تكون مناسبة للسبب، فالحرارة لا تنتج البرودة، كما أنّ البرودة لا تنتج الحرارة، وهكذا في سائر الأسباب والمسبّبات الكونية الخارجية أو النفسية الداخلية.

٦ـ ما ذكرناه في النقطة الخامسة، «أنّ القائم بإعداد النتائج يجب أن يفطن إلى أنّ الإجابات التي يقوم بتحليلها» هي في الواقع وليدة البيئة والعادات

والتقاليد السائدة والأديان المختلفة، أي أنّ المجيب قد يدلي بإجابات منسجمة مع البيئة والعادات والتقاليد والأديان والأعراف أكثر ممّا يحدث، على أن تكون هذه الإجابات ممثّلة لرأيه الحقيقي؛ وذلك لأنّ المجيبين غالباً يريدون ألاّ يكونوا في نظر المجتمع شاذّين، وإن كانت آراؤهم خلاف المجتمع ويدلون بآراء ليست من آرائهم الواقعية، وإنّما ممّا يقبله الجمهور الذي يعيش في بيئته أو قوميته أو جغرافيته أو ما أشبه ذلك.

٧ـ يجب على القائم بإعداد نتائج الاستطلاع أن يفطن إلى أنّ الإجابات التي يقوم بتحليلها هي في الواقع ضروب من السلوك الإنساني لا يمكن أن يعبّر عنها بالأرقام الإحصائية تعبيراً صادقاً إلاّ إذا تحقّق هذا السلوك، فقد يعرب المجيب ـ في الاستطلاع في موضوع أشخاص مرشحين للانتخابات العامّة أو الانتخابات الخاصّة في الجمعيات والمنظّمات والأحزاب وما أشبه ذلك ـ عن تأييده لمرشح معين سواء كان ذلك بالنسبة إلى مجالس البرلمان أو بالنسبة إلى البلدية أو ما أشبه ذلك، ولكن هذا المجيب لا تتاح له فرصة الإدلاء بصوته حين تجري الانتخابات بالفعل، فيترتب على ذلك أنّ تصنيفه إحصائياً ضمن المؤيّدين لهذا المرشح عند إعداد نتائج الاستطلاع، سيكون تصنيفاً خاطئاً، ولهذا يرجّح أن يكون بين وقت الاستطلاع ووقت الانتخاب مدّة قليلة لا تتيح للمجيب فرصة الرجوع عن رأيه السابق لئلاّ ينتج ذلك تناقص الأصوات التي كانت مؤيّدة لانتخاب فلان[1]،وهكذا قد يكون المرشح المنتخب حين الاستطلاع قد فعل شيئاً سبّب سقوطه أو أنّ معارضه فعل شيئاً سبّب صعوده؛ وإلى هذا يشير المثل المشهور ـ لا في مثل هذا المقام وحسب

---

(١) فإنّ للأحداث التي تقع بعد اجراء المقابلات تأثيراً درامياً على النتائج، فإذا أصاب الأسواق المالية انهيار، أو حدث في المجتمع جريمة ما، أو انتشر في البلاد حدث ما، فإنّ هذه الأمور وأشباهها تؤثر على تغيير الآراء وبالتالي على النتائج.

بل في كلّ مقام ـ «في التأخير آفات»، وفي الحديث يقول الإمام علي عليه السلام: (لا تؤخر عمل اليوم إلى غد)[1]، وبالرغم من أنّ الحديث ليس بهذا الصدد وإنّما فيه إشارة واضحة إلى ذلك، فالإنسان لا يدري ماذا سيجري عليه غداً، فالزلازل والصواعق والسيول والفيضانات والمشاكل تهاجم البشرية دون إنذار مسبق، وهي قادرة على تغيير الآراء في كثير من الأحيان.

الثامن: عرض النتائج

من المفترض عرض نتائج الاستطلاع بسرعة عبر وسائل الاعلام وبأسلوب فعال يثري الحوار العام ويكون خاضعاً للتحليل[2] وليس للإبلاغ فقط، وذلك عبر تحويل النتائج من أمور مقولة داخل الذهن إلى أشياء محسوسة خارج الذهن، حتّى يعرف مدى النجاح والسقوط وتُعرف مهمّة القائمين بالاستطلاع، وهذا جزئي من جزئيات كلّ مورد يراد منه معرفة صحّة الشيء أو عدم صحته سواء في الأمور المادية أو في الأمور المعنوية، فالقماش الذي يخرج من المعمل هو الدليل على صحة المعمل أو عدم صحّته، فإذا كان ممزقاً أو ملوناً بألوان غير متّسقة، دلّ على وجود خلل في المعمل، أمّا إذا كان صحيحاً مائة في المائة، دلّ على عدم وجود الخلل، وكذلك الحال في الأمور المعنوية؛ فإن الخطيب إذا خطب بمستوى الطموح دلّ ذلك على صحّة مقدّماته من الحفظ وصحّة التنسيق للموضوع وما أشبه ذلك[3].

---

(١) ورد عن علي عليه السلام: (لا تؤخر عمل اليوم إلى غدٍ وامضِ لكل يوم عَمَلَهُ) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٥٠ ب١٤ ح١٣٧٥٣.

(٢) بمعنى الربط بين استطلاع الرأي والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والشخصية.

(٣) أما كيف تتعامل وسائل الإعلام مع نتائج الاستطلاع، فيرى بعض الخبراء انه يتم عبر

التاسع: انعكاس النتائج

إن الله ﷻ جعل علاقة خاصّة بين الأسباب والمسبّبات، فإذا صحّت الأسباب صحّت المسبّبات، وإلاّ فلا يصح المسبّب سواء كان من جهة أنّ السبب ليس بسبب وإنّما هو سببٌ لشيء آخر، كمن يشرب دواء الكلية لأجل تصحيح كبده، أو كان السبب غير واجد للشرائط أو غير فاقد للموانع؛ فإنّ القطن إذا لم يحترق في النار دلّ ذلك على عدم جامعية القطن لشرائط الاحتراق؛ لكونه رطباً، والمقام بالنسبة إلى الرأي العام كذلك؛ لأنّه نوعٌ من الأسباب والمسبّبات من غير فرق أن يكون الاستطلاع في جهة اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية أو عسكرية أو غيرها من الجهات الخاصّة أو من جهة قياسية خاصّة كانتخاب رئيس البلدية أو أعضائها أو جهة عامّة كالانتخاب العام لكلّ المدينة أو لكلّ قطر. فيجب وضع النتائج في سياقها الصحيح وأن لا نسيء لتلك النتائج عبر إساءة تفسيرها أو تضخيم إساءة تفسيرها.

التقييم المتوازن لكيفية نشر نتائج استطلاعات الرأي بالاعتراف بعدد الطرق التي استفادت بها استطلاعات الرأي من روابطها الوثيقة بالصحافة. وتشمل هذه الطرق: ١- القيمة الكبرى للتوثيق الواقعي في نقل الأخبار الجادة الهامة، وذلك تمييزاً لها عن كتابة الافتتاحيات. ٢- الاهتمام بالرأي العام من حيث العلاقة بالقضايا الجوهرية والأحداث الجارية، أكثر من الالتفات إلى النواحي التجريدية. عن كتاب الرأي العام واستطلاعات الرأي والديمقراطية: ص١٢٤.

وهناك موانع تعترض نتائج الاستطلاع منها: ١- بلادة الاحصاءات. ٢- قيود الميزانية، والحيز والوقت المتاحين للإبلاغ عن النتائج. ٣- الحاجة إلى وقوعها في الوقت المناسب. ٤- سوء التفسير أو الخطأ في استخدام النتائج.

العاشر: اتخاذ القرارات

ثم يأتي في المرحلة النهائية، تقييم النتائج واتخاذ القرار حسب ردود الأفعال[1]، وكيف نتعامل مع نتائج الاستطلاع، ويكمن ذلك في كتابة موضوع

---

(١) ثم هناك نقطة لا بد من أخذها بنظر الاعتبار، وهي أنه يجب توخي الحذر وعدم إعطاء جميع الاستطلاعات القدر نفسه من الثقة، بل يجب التأكد من طريقة جمع المعلومات ومعرفة المنهجية في كل استطلاع وما أشبه ذلك، حتى يتميز الصالح من الطالح. ثم إنّ كثرة الاستطلاعات واختلاف نتائجها الناشئ من اختلاف التقنيات المتبعة وأطر اختلاف العينات لا تؤثر في أصل موضوع الاستطلاع. وبهذه الحالة لأجل الجمع بين الاستطلاعات، إما أن نعتبر كل استطلاع كعينة ونجمع العينات ونستخرج المعدل بينها، أو نستخدم الاستطلاعات الأخرى المتعلقة بالموضوع ذاته أو بموضوعات مماثلة لإبراز النتائج المهمة لإعطاء بنية لشكل الرأي العام على مر الزمن.

ولا يخفى أن هناك استطلاعات مزيفة ومضللة تقوم بها بعض القنوات الفضائية، منها:

١- الاتصال بالهاتف بالإعلان عن رقم للاتصال به للإعراب عن موقف معين خاص بقضية ما، وإعطاء رقم آخر للإعراب عن موقف معارض، أو الإعلان عن عدة أرقام للاتصال للإعراب عن المواقف، وتتم إذاعة النتائج بعد ذلك. وزيف هذه الاستطلاعات يكمن في أنه لا سبيل لمعرفة خصوصيات من أجاب عبر الهاتف أو تقرير نوع التحريفات التي حدثت بفعل من اختاروا الاتصال بالهاتف.

٢- الاستطلاعات عبر الفاكس أو الانترنيت أو القسيمة الذي تجريه المجلات والصحف، وفي هذه الحالة تتضمن النشرة استبياناً أو قسيمة تعاد للناشر بعد الإجابة على الأسئلة التي تتضمنها.

وزيفها يظهر إضافة لما سبق من أننا لا نعرف من لم يجيبوا أو ما الذي يفكرون به وما أشبه ذلك.

٣- الاستطلاعات المزيفة التي لاتقوم على انتخاب العينات بالطريقة العلمية مثلاً ينتخبون شريحة من الناس لا تعكس آراؤهم بدقة رأي الشعب كله، أو أن تكون الجهة القائمة بالاستطلاع غير مؤهلة وغير كفوءة.

وقد ذكر المؤلفان «شيلدون آر. جاوايزر» و«جي ايفانزويت» تقريراً عن كيفية تحليل الاستطلاعات في كتابهما دليل الصحفي إلى استطلاعات الرأي العام: ص٢٢١ ولأهميته نذكره هنا:

١- من قام بالاستطلاع؟ – أي معرفة مؤهلاته من تخصص وتدريب وإشراف وتحليل عبر

الخدمة السابقة أو النتائج السابقة لأنه المؤشر على نوعية عمله -. ٢- من دفع نفقات الاستطلاع وما الهدف منه؟ - لأن مراكز الاستطلاع لا تدار عادة من أجل خير العالم، وإنما لأجل الحصول على معلومات نافعة أو دفع قضية معينة لأجل مصلحة خاصة أو خدمة عمل معين. ٣- كم عدد الأشخاص الذين جرت مقابلتهم لهذا المسح؟. ٤- كيف تم اختيار هؤلاء الأشخاص؟. ٥- من أية منطقة – أو أمة، أو ولاية، أو أقليم – أو من أية مجموعة – مدرسين، أم محامين، أم ناخبين ديمقراطيين... الخ – جرى اختيار هؤلاء الأشخاص؟ ٦- هل تعتمد النتائج على أجوبة جميع الأشخاص الذين جرت مقابلتهم؟ ٧- من هم الأشخاص الذين يجب أن تتم مقابلتهم ولمَ تتم؟ ٨- متى أجري الاستطلاع؟ - فالاستطلاع خاضع للوقت الذي أجري فيه -. ٩- كيف أديرت المقابلات؟ ١٠- هل تم هذا الاستطلاع عن طريق الاتصال بالهاتف، أم بالبريد، أم عن طريق قسائم الاشتراك؟ ١١- ما هو مقدار الخطأ في اختيار العينات في نتائج الاستطلاع؟ ١٢- ما هو نوع الأخطاء الأخرى التي قد تشوه نتائج الاستطلاع؟ ١٣- ما هي الأسئلة التي طرحت؟ ١٤- حسب أي ترتيب جرى طرح الأسئلة؟ ١٥- هل هناك استطلاعات أخرى أجريت حول الموضوع نفسه؟ وهل قالت الشيء نفسه؟ إن كانت نتائجها مختلفة، فما سبب اختلافها؟. ١٦- يقول الاستطلاع أن السباق قد انتهى، فما العمل الآن؟ ١٧- هل كان الاستطلاع جزءاً من مجهود لجمع الأموال؟ ١٨- لقد طرحت كل الأسئلة وتبدو الإجابات جيدة. معنى ذلك أنّ الاستطلاع صحيح، أليس كذلك؟ ١٩- مع كل المشاكل المحتملة، هل يجدر بنا قط أن نبلّغ عن نتائج الاستطلاع؟ ٢٠- هل يستحق هذا الاستطلاع كتابة تقرير عنه؟

وهناك خصائص للاستطلاعات يجب أخذها في الحسبان. في أية مناقشة تدور حول الكيفية والمدى اللذين يستطيع الرأي العام أن يقدّم من خلالهما إسهاماً إيجابياً في الحياة السياسية للأمة. وهي بإيجاز:

١- رغم الآمال التي راودت أوائل المستطلعين والمخاوف التي ساورت نقادّهم، فإنّ استطلاعات الرأي العام لم تقم بدور كبير في تحديد مسار السياسة الجماهيرية، وتستعمل استطلاعات الرأي على نطاق واسع من قبل السياسيين وأرباب المناصب ومجموعات المصالح الخاصة من أجل تطوير الحملات الانتخابية، وحملات تهدف إلى تأييد سياسات معينة، ولكن نادراً ما تستخدم هذه الاستطلاعات لصياغة السياسة بشكل عام.

٢- رغم اهتمام كل من وسائل الإعلام والسياسيين باستطلاعات الرأي التي تسبق الانتخابات، بوصف هذه الاستطلاعات تنبؤات عن الكيفية التي سيقترع بها الناس، فإنّ لتلك الاستطلاعات ـ لا سيما التي تجري قبل الانتخابات بوقت طويل ـ قيمة محدودة من حيث ذلك الغرض، ولا يجوز بناء القرارات المتعلّقة بالأشخاص الذين سيقتصر الدعم

أو مقالة وفيها انتقاد أو اقتراح لمعالجة الواقع، أو اتخاذ موقف معين حتى يتسنى لمن يهمه الأمر أن يتخذ الإجراءات اللازمة لحل المشاكل، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية أو ما أشبه ذلك.



عليهم، أو الذين يجب أن يحظوا بأولوية في الدعم، على أوضاع المرشحين في استطلاعات الرأي المبكرة.

٣- إنّ حساسية استطلاعات الرأي إزاء صياغة الأسئلة وتتابعها، تبرهن بوضوح على القيمة المحدودة لاستخدام سؤال واحد فقط مهما كان موضوعياً وغير منحاز في صياغته، من أجل تقصّي الرأي العام وتحليله بالنسبة لإحدى القضايا، وعندما نضيف إلى ذلك انعدام الدقة المتأصل في أية دراسة مسحية لعينة ما، فلا مندوحة لنا عن الاستنتاج بأنه لايمكن معاملة استطلاعات الرأي، بل ويجب عدم معاملتها، على أنها استفتاءات للرأي العام.

٤- إن الرأي العام عملية دينامية متحركة غير ساكنة، تتغير متجاوبة مع عالم دائم التغيّر. ومن أجل فهم الرأي العام، لابد لنا من أن نفهم كيف يتجاوب مع الأحداث، وكيف تولد تلك الاستجابات اتجاهات طويلة المدى في المناخ الذي يسود الآراء، ولاتزودنا اللقطات السريعة غير المنتظمة للرأي بالمعلومات المطلوبة لفهم كامل للرأي العام، راجع كتاب الرأي العام واستطلاعات الرأي والديمقراطية: ص١١١-١١٢.

العلاقة بين التنبؤ المستقبلي والرأي العام

مسألة: من خلفيات الرأي العام التنبؤ بالمستقبل، ولا يراد به التنبؤ الناشئ من الوحي والإلهام كما في الأنبياء ومن إليهم، ولا من شفافية النفس كما في المرتاضين، بل من قرائن الماضي بسبب الموازين العلمية الدقيقة، ذلك لأنّ الله ﷻ جعل للماضي آثاراً، وللمستقبل علائم، ولذا يحدّد العلم عمر المدينة المكتشفة، ويستطيع أن يحدّد عمر الصخرة التي يراد معرفة عمرها وعمر السمكة التي في الماء، وكذلك معرفة عمر الشجرة، وبمقدور العلم أيضاً أن يتنبأ بكثير من موارد المستقبل كالكسوف والخسوف، وقد يتنبأ الطبيب بموت مريضه بعد أسبوع أو بعد شهر كما في المبتلى بالسرطان. وقد يتنبأ الاقتصاديون بالوضع المالي للدولة بعد سنة أو سنتين فيذكرون أنّ الدخل القومي والدخل الفردي للمجتمع سيكون بهذا المقدار ـ مثلاً ـ، وقد يتنبأ السياسيون بأنّ فلاناً سيفوز في الانتخابات العامّة أو في الانتخابات المحلية.

وهناك التنبؤات العسكرية مثل التنبؤ بأنّ هذه الدولة ستنهزم عسكرياً وأنّ هذا الجيش لا يستطيع المقاومة أمام عناصر المقاومة.

ويمكن التنبؤ بالأحداث الاجتماعية التي تتضمّن التنبؤ بالنمو السكاني والهجرة والتغيّرات في الهيكلية السكانية والتطوّرات الديمقراطية، وكذا التنبؤ العرقي، أي التطوّر المحتمل في الشعوب واللغات المكتوبة والعادات والأعراف المرتبطة بالأمزجة والتنبؤات المرتبطة بالمستقبل، مستقبل توافق

الفرد والمجتمع أحدهما مع الآخر، والتنبؤات الخاصّة بالترتيب الاجتماعي للمجتمع كالتنبؤات في الثقافة المستقبلية والتعليم والقانون والنتائج الاجتماعية للتقدّم العلمي إلى غير ذلك.

وهذه التنبؤات مفيدة جداً في حقل التجارة من جهة الربح والخسارة؛ حيث أنّ الإنسان إذا تنبأ بأن البضاعة الفلانية سترتفع قيمتها سارع إلى شرائها وادّخارها، وإذا تنبأ بأن البضاعة المعينة ستنخفض قيمتها سارع في بيعها ليتخلّص منها، وهكذا شأن القائمين على البورصة، فإذا تنبأ الإنسان بأنّ فلاناً سيموت بعد أسبوع لارتفاع ضغط الدم عنده، سارع لمعالجة مرضه، وإذا تنبأ بأنّ جيش الحاكم الفلاني سينهزم استعدّ استعداداً كافياً خشية الهزيمة إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تعدّ ولا تحصى سواء كانت فوائد بدنية أو فوائد مالية أو فوائد اعتبارية، وقد ورد في الحديث: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)[1]، وليس المراد بالزمان الآن فقط بل يشمل الزمان المستقبلي والزمان الماضي؛ إذ نواة الحاضر تعقد في الماضي ونواة المستقبل تعقد في الحاضر.

ولا يخفى أنّ التنبؤ العلمي لا يشمل الاكتشافات العلمية التي لا يمكن التنبؤ بها وإلاّ لم تكن اكتشافات، لأنّ الاكتشاف مأخوذ من الكشف وهو عبارة عن شيء مجهول كشف بسبب العلم. وهذا الذي نذكره ليس من ذلك، ولذا لا يسمّى التنبؤ كالكسوف والخسوف اكتشافاً.

وإذا تنبأ الإنسان تمكن بواسطة التنبؤ تنظيم البحث العلمي بجوانبه المختلفة من اللازم والملزوم والملازمة؛ لأنّ كلّ شيء تحفّ به هذه الأمور الثلاثة، فالحرارة تلازم الضوء وهذا من اللازم، والشمس تلازم النهار وهذا من الملزوم، كما وأن النهار يكشف عن وجود الشمس وهذا من الملازمة،

---

(١) الكافي (أصول): ج١ ص٢٧ ح٢٩، تحف العقول: ص٣٥٦.

فقوانين النجوم من جوانبها الثلاثة ـ لازم وملزوم وملازمة ـ تكون اكتشافات؛ ولذا بالتنبؤ ينظم البحث العلمي في الجوانب الثلاثة التي ذكرناها، كما وأنّ الإنسان بسبب التنبؤ يخصّص رأس المال اللازم والأدوات اللازمة لنجاح خططه وأعماله؛ مثلاً: من يعرف أنّ فصل الشتاء المقبل سيكون بارداً جداً تراه يخصّص المال اللازم للوقاية من البرد لشراء الملابس والتدفئة حتّى لا يفاجأ بذلك، كما وأنّ التنبؤ العلمي يتألّف من تنبؤات مختلفة في مناحي مختلفة من الحياة ويتناول الجوانب الاجتماعية في مختلف فروعها وفروع التكنولوجيا أيضاً وهندسة القوى والموادّ الخام والمواد الأساسية والزراعة والصناعة والإنشاءات والنقل والمواصلات، والفروع التي ترتبط بكلّ علم من هذه العلوم.

تدعيم المُثُل

مسألة: من آثار الرأي العام تدعيم المثل الاجتماعية والخلقية ورفع الروح المعنوية في الأمّة، فالرأي العام هو الذي يحرّم تعدّي الإنسان على غيره في مال أو عرض أو دم، وكذلك رفع روح المعنويات والأخلاق والفضيلة وصياغة المثل والقيم في المجتمع، والرأي العام هو الذي يوجب ابتعاد المجتمع عن التفرّق والتمزّق، وقد بين التاريخ أن انهيار حقوق المجتمعات إنّما هو بسبب فقدان الرأي العام الأخلاقي.

وقد قال الشاعر:

وإنّما الأممُ الأخلاقَ ما بَقِيت ... فإن هُمُ ذَهبت أخلاقهم ذَهَبُوا[1]

ولذا حرّم الله ﷻ الخمر؛ لأنها توجب فقدان سيطرة الإنسان على نفسه وعدم رعايته للأخلاق الرفيعة، فإنّ مدمن الخمر يقتل ويزني حتّى بمحارمه، وتصبح المرأة والولد عرضة للبيع بسبب الخمرة، وقد ذكر أنّ الأندلس[2]

---

(١) للشاعر أحمد بن علي بن أحمد شوقي، المولود في القاهرة في باب إسماعيل سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) ومات سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) درس في مصر وحصل على شهادة الحقوق والترجمة، وأتم دراسته في أوربا سنة ١٨٩١م وعاد إلى مصر، ونفي إلى إسبانيا سنة ١٩١٥م، وعاد إلى مصر أواخر ١٩١٩م، لقّب بأمير الشعراء، وتقلد عدّة مناصب. له ديوان شعري باسم الشوقيات في أربعة أجزاء، ومن آثاره الأخرى: دول العرب وعظماء الإسلام، خمس مآسٍ، ملهاة الست هدى، أسواق الذهب، الشوقيات المجهولة. عن حياة أحمد شوقي راجع تاريخ الأدب العربي لحنا فاخوري: ص٩٧٠، الأعلام للزركلي: ج١ ص١٣٢.

(٢) حكم المسلمون الاندلس قرابة ٨٠٠ سنة، فبنو عباد في إشبيلية، وبنو نصر في غرناطة، والأمويين في قرطبة، وقد بلغت حدود الأندلس من الشمال الجبل الحاجز ومن الغرب

ضاعت بسبب القمار والخمر والجنس، وكذلك ضاعت فلسطين في الوقت الراهن بسبب ذلك، وقد استطاع المسيحيون أن ينشروا في صفوف المسلمين الخمور والقمار والزنا بشكل فظيع مما آل إلى إضعاف الروح المعنوية عند المسلمين.

وفي الحرب العالمية الثانية سقطت فرنسا بسرعة أمام هتلر، وقد ذكروا أنّ سبب سقوطها يرجع إلى ميوعة الشعب الفرنسي، إذ لم يمتلك الروح المعنوية المطلوبة لمقاومة الغزو.

وربما يتساءل البعض لماذا نشاهد المجتمعات الغربية متوحدة بالرغم من انغماسها في اللّذات والجنس؟.

وفي الجواب نقول: إنّ المجتمع الأوربي مجتمع متفسّخ إلاّ أنّ الماسكين بقيادة هذا المجتمع ليسوا الخمّارين ولا القمارين بل العقلاء والحكماء، وإنّ رئيس الجمهورية في هذه الدول ليس إلاّ منفذاً لتعاليم المراكز العلمية.

صحيح أنّ الرئيس الأمريكي بيل كلنتون مثلاً لا يختلف عن أيّ فرد في المجتمع الأمريكي بعد أن انكشفت فضائحه الجنسية مع المتدربة في البيت

بحر الظلمات أو البحر الغربي ومن الشرق بحر الروم أو البحر الشرقي ومن الجنوب بحر الزقاق أو مضيق جبل طارق. وقد أسس الدولة الأموية في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام «الداخل»، الذي حكم قرابة ثلاثاً وثلاثين سنة من سنة ١٤٨هـ (٧٥٦م) حتى ١٧٢هـ (٧٨٨م) ثم اعقبه هشام بن عبد الرحمن «الاول» حكم ٧ سنوات و١٠ أشهر، ثم الحكم بن هشام حكم قرابة ٢٧ سنة، ثم عبد الرحمن بن الحكم «الثاني» حكم ٣١ سنة و٥ أشهر، ثم محمد بن عبد الرحمن «الاول» حكم ٣٤ سنة، ثم المنذر بن محمد حكم سنتين، ثم عبد الله بن محمد حكم ٢٥ سنة، ثم عبد الرحمن بن محمد «الثالث» ثم الحكم الثاني المستنصر ثم هشام الثاني ثم تبعه ستة آخرهم هشام الثالث ثم تبعه ملوك الطوائف والمرابطون والموحدون وبني الأحمر. سقطت الأندلس سنة ١٤٩٢م عندما رُفع الصليب على قصر الحمراء. راجع: تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان.

الأبيض «مونيكا»[1]، لكن قيادة الدولة الأمريكية ليست بيد الرئيس الأمريكي بل بيد الجامعات والمراكز العلمية ومراكز البحث العلمي، ويوم كان الغرب يعاني من التفسّخ والانحلال حتّى في قياداته انهار أمام الزحف الإسلامي في القرن الخامس الهجري.

جاء في التاريخ: لما أراد السلطان العثماني محمّد الفاتح[2] فتح القسطنطينية[3]، وهي عاصمة مستعصية على المسلمين لأكثر من ألف سنة، أحاط محمد الفاتح أسوار المدينة بجيشه وأرسل الجواسيس إلى داخل المدينة

---

(١) مونيكا بيرني جورج ليونسكي التي تنتمي إلى أبوين يهوديين، ذكرت قصة ارتباطها الجنسي مع الرئيس الأمريكي وليم جيفرسون كلينتون في كتابها «حكايتي» وهو عرض وتلخيص حسين عبد الواحد ـ محمد رجب، وكانت مهمتها في البيت الأبيض كما تقول في الصفحة ٦٢ هي: «رصد التيارات السياسية والاجتماعية التحتية»، وبعد فضيحتها انتقلت من البيت الأبيض إلى العمل ضمن فريق عمل مع وزير الدفاع الأمريكي في البنتاغون، حيث قامت بمهام عديدة في بقاع عديدة من العالم مثل البوسنة والهرسك وإسبانيا واليابان والصين، وهذا يعزز ما اعتبره البعض أنها جزء من مؤامرة سياسية يهودية لأجل السيطرة على الرئيس الأمريكي لتحقيق أهداف ذات طابع سياسي. ومن نافلة القول: أن الرئيس الأمريكي السابق فرانكلين دي روزفلت كانت له عشيقة اسمها لوسي ميرسر.

(٢) محمد الثاني بن مراد الثاني، ثامن خلفاء الدولة العثمانية، والملقب بـ (الفاتح) لفتحه القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، وقد اعتبر سقوطها نهاية العصور الوسطى والذي كان يتوخى منه تحقيق الاتصال بين شطري دولته في المشرق والمغرب. احتل الفاتح بلاد الصرب سنة ١٤٥٩م وطرابزون سنة ١٤٦١م والبوشناق سنة ١٤٦٣م وشبه جزيرة القرم سنة ١٤٧٥م ثم تبعها بألبانيا وأقاليم آسيا الصغرى. ولد الفاتح سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩م) وتولّى الحكم بعد أبيه سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥١م) وهو شاب لم يتجاوز الثانية والعشرين من العمر، حكم إحدى وثلاثين سنة. مات سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١م). من مهازل حكمه أنه قتل إخوانه بحُجة عدم تكرار قصة الأمويين والعباسيين والأمين والمأمون، وقُتل جرّاء هذا القانون أربعمائة شخص.

(٣) القسطنطينية: وهي إسطنبول التركية، أسسها الإغريق وجعلها قسطنطين من عواصم الإمبراطورية الرومانية بعد أن أسماها باسمه، وافتتحها محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) بعد حصار دام خمسين يوماً وأعدّ لها أعظم مدافع عرفها العالم في ذلك الحين.

لينقلوا له أخبار ما يجري، فذكروا أنّ الأسواق عامرة بالبيع والشراء، وأنّ المسيحيين في الأسواق يتباحثون حول السهم الذي أصاب السيد المسيح هل أصاب جهته الإلهية أم جهته البشرية، كما وأنّ أسواق الفسق والدعارة والخمر وما أشبه ذلك قائمة على قدمٍ وساق، وأنّ الناس لا يعيرون أهمية لوجود الجيش الإسلامي من حولهم؛ ولذا قال محمد الفاتح: إنّ أفضل وقت لفتحها هو هذا الوقت، فدخل الجيش الإسلامي وفتحها وجعلها من البلاد الإسلامية.

وبذلك سقطت القسطنطينية الإسلامية بعد مدّة طويلة من الانغماس في اللهو واللعب والفسق والفجور.



الرأي القوي والرأي الضعيف

مسألة: من الضروري العمل وفق الرأي العام القوي والمتعدي، لأن ذلك يمنح الشخص البصيرة في الاقتداء بالعظماء والعلماء، فالرأي العام قد يكون قوياً وقد يكون ضعيفاً، وقد يكون متعدياً وقد يكون لازماً، والرأي القوي هو الرأي المندفع اندفاعاً كبيراً نحو الشيء الذي يريده صاحب الرأي، وعكسه الضعيف، والرأي المتعدّي هو الرأي الذي يتعدّى إلى غيره كمن يريد إصلاح أمّة؛ حيث يبدأ الأمر بفرد ثم يتعداه إلى ثان وثالث ورابع كما نشاهد أمثال ذلك في الأنبياء والمصلحين العظام من غير فرق في قوّة الرأي وضعفه وتعديه ولزومه سواء كانت الحركة دينية أو قومية أو عنصرية أو وطنية أو جغرافية أو قبلية، فكلّ إنسان يؤمن بشيء قد يكون إيمانه قوياً، وقد يكون إيمانه ضعيفاً، وقد يكون إيمانه خاصاً بنفسه لا يتعدّاه إلى غيره مثل دين اليهود القومي كما يقولون، حيث إنّهم لا يقبلون التبشير بدينهم، بخلاف المسيحيين والمسلمين، الذين بالإضافة إلى اعتقادهم بدينهم فهم يبشرون بهذا الدين لمن لا يدين دينهم، ولذا أصبح هذان الدينان دينين عالميين قويين. ولما كان التبليغ عند المسلمين أعمق وأكثر اندفاعاً وأدلتهم أقوى، كانوا أكثر عدداً من غيرهم؛ حيث ذكر أنّ عدد المسلمين اليوم بلغ ملياري نسمة بينما لا يتعدّى عدد المسيحيين ملياراً واحداً. والقوة تأتي من هذه الخلفيات، وقوّة الرأي ليست خاصّة بالقوّة الإيجابية بل بالقوّة السلبية أيضاً، بمعنى معارضة أمر ما، وإذا كان الرأي قوياً جمع صاحب الرأي حول رأيه ما يسبّب له القوّة، فالرأي

يأخذ بالمصلحة إلى المعرفة، والمصلحة تأخذ بالاهتمام والاعتناء، والاهتمام والاعتناء يوجبان الاندفاع الكثير، فالمندفع دائماً يفكر بالذي يقوّي رأيه أكثر فأكثر وبما يوصله إلى هدفه أسرع وأسرع، وإذا صادفت الإنسان ضعيف الرأي أو قوي الرأي مشكلات أو ظروف خاصّة أثّر ذلك في تطوير قوّة رأيه كمّاً وكيفاً، مما يوجب زيادة الاهتمام والعناية والاندفاع والتقدّم، كما نلاحظ ذلك في الانتخابات، فإنّ الشخص الذي يرى أحقية الحزب المعين على الحزب الآخر يزداد قوّة واندفاعاً نحو تأييد الحزب الذي يراه أصلح، فإذا جاءت ظروف خاصّة أو مشكلات معقدة حول حزبه وخاف تقدّم الحزب الآخر صار اهتمامه وعنايته أكثر فأكثر، والمسلمون الأولون الذين ازدادوا بالإسلام عقيدة كانوا يتقاتلون في سبيل قوّته وتقدّمه، ولذا كان للأنصار من أهل المدينة أثر كبير في تقدم الإسلام بسبب اندفاعهم الشديد، فكانوا يتشاركون مع أهل مكة دورهم وكسبهم، وقد طلّق سعد بن الربيع إحدى زوجتيه؛ ليتزوجها أحد المهاجرين بعد انتهائها من العدّة [(١)].

وكان الإمام الرضا عليه السلام يقرأ في شهر رمضان أربعين ختمة من القرآن الكريم؛ كما ورد في الرواية [(٢)]، كما وأنّ بعضهم عدّ له خلال عمره الشريف

---

(١) سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي الذي استشهد يوم أحد، وقد آخى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بينه وبين عبد الرحمن بن عوف. راجع كتب العامة: فتح الباري: ج٩ ص١٩٠، فضائل الصحابة لابن حنبل: ص٦٥، صحيح البخاري: ج٣ ص٢ وج٤ ص٢٢٢، سنن النسائي: ج٦ ص١٣٧، السنن الكبرى للبيهقي: ج٧ ص٢٥٨. علماً بأن آية الحجاب الآية «٥٩» من سورة الأحزاب لم تكن قد نزلت بعد.

(٢) وإن الإمام عليه السلام كان في غير شهر رمضان المبارك يختمه في كل ثلاث، وكان يقول: (لو أني أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت، ولكني ما مررت بآية قط إلاّ فكرت فيها وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت، فلذلك صرت أختمه في كل ثلاث). راجع: أعلام الورى: ص٣٢٧ ب٧ الفصل الرابع، الأمالي للصدوق: ص٦٦٠ المجلس الرابع والتسعون ح١٤.

ستة آلاف ختمة، وكلّما طالت فترة تمسّك الإنسان برأيه ازدادت درجة قوّة شعوره بالارتباط بهذا الرأي، من غير فرق بين أن يكون الرأي دينياً أو اقتصادياً أو ما أشبه ذلك، وقد لاحظنا بعض التجار يتفانون في التجارة وفي جمع المال ليل نهار، حتّى أنّه يقتنع بالنوم القليل ويقتنع بالأكل القليل.

بين التطرف والاعتدال

ولا يخفى أنّ هناك فرقاً بين قوّة الرأي وبين التطرّف، فقوّة الرأي تلتقي مع الاعتدال، بينما التطرّف يخالف الاعتدال، وعلى اصطلاح المنطقيين: «بينهما عمومٌ من وجه»، فمن الممكن أن تكون قوّة الرأي ولا يكون اعتدال، كما أنّ من الممكن أن يكون العكس، ويمكن أن يجمع بينهما، فالمعتدل يكون قويّ الرأي.

ثم إنّ الرأي العام إنّما يؤثر بشرط أن يستند إلى أدلّة محكمة وإلى مناقشة مستفيضة حول الموضوع الذي يريدون استخلاصه كرأي عام.

والرأي الذي يؤازره هذا الاتجاه هو الذي يشقّ طريقه كرأي عام، فالقضيّة المتداركة لا يؤيّدها الرأي العام إلاّ بعد حين.

ومن الواضح أنّ الرأي العام لا يتّصف بشيء يخالف معتقدات عامّة الناس مثل العقائد الدينية والوطنية والجغرافية واللغوية، مع وجود الفارق الكبير بين العقيدة الدينية وغيرها من العقائد، لأنّ العقيدة الدينية هي العقيدة التي تنفذ إلى أعماق القلوب، ولذا نشاهد أنّ العقيدة الدينية تبقى ما بقي الشعب، كما حدث في البوسنة والهرسك حيث ظلّت العقيدة الإسلامية مترسّخة في نفوس المسلمين ولم يستطع الإرهاب الشيوعي والقتل الصربي أن يزعزعها.

وظائف الرأي العام

مسألة: من أهمّ وظائف الرأي العام سنّ القوانين أو إلغاؤها، وفي الإسلام المراد بسنّ القوانين التأطير لا التشريع؛ كما ذكرنا ذلك في بعض كتبنا، فالإسلام له أصول ومبادئ ثابتة، منزلة من الله ﷻ. وإنّما يقع الاختلاف في التأطير، وكمثال لذلك إنارة المسجد، فهي مستحبّة، لكن بأيّة وسيلة تتم الإنارة بالشمع أو بالنفط أو بالطاقة الذرية أو بغير ذلك؟!.

أمّا القانون فيكون له نصيب من النجاح عندما يكون انتخاب أعضاء البرلمان أو مجلس الأعيان أو ما أشبه ذلك انتخاباً صادقاً، ويصبح أعضاء المجلسين ممثلين حقيقيين عن الشعب، فالقوانين التي يصدرها مثل هذا المجلس ستكون مقبولة لدى الشعب إذا تمّ التمهيد لها من قِبل الرأي العام، ولذا فالقانون الذي لم يمهّد له لا يبقى وإن فرض أنّ الرأي العام سانده، وربّما كان القانون من وضع الديكتاتور، ويصبح مثل هذا القانون هشاً خالياً من محتوى، كما لاحظنا ذلك في العراق في قانون الأحوال الشخصية الذي أصدره عبد الكريم قاسم والذي تمت بموجبه المساواة بين الرجل والمرأة في الإرث، وفي قوانين عبد السّلام عارف التي كانت كالورقة في مهب الرياح، أو البنود الست التي وضعها شاه إيران في ثورته السوداء، أو الاشتراكية التي سعى لتطبيقها جمال عبد الناصر، وغير ذلك من القوانين الفارغة المحتوى، فاللازم أولاً: أن يكون البرلمان حقيقياً، وثانياً: أن يمهّد الطريق لقبول القانون، وثالثاً: أن يُعرض القانون للرأي العام، ثمّ يأخذ القانون طريقه إلى التنفيذ العملي.

الرأي العام والأحكام الألهية

ثم إنّ الرأي العام يصبح صحيحاً وسليماً إذا لم يخالف أحكام اللـه ﷻ، والواضح أنّ الرأي العام من حيث تأثيره أقوى من القانون، بل هو أقوى حتّى من البرلمان؛ إذ بإمكان الرأي العام إلغاء البرلمان وإلغاء القوانين، لذا كان من المفترض لنجاح التطبيق أن يمهّد للقوانين بحيث يُصنع لها رأي عامْ، ولا يكفي إصدار القوانين من قبل مجلس الأعيان أو البرلمان؛ إذ لا قيمة للقوانين إذا لم يشفعها الرأي العام، وتحسن هنا المقارنة بين تحريم الخمر في الإسلام وتحريمه في القوانين الوضعية الأمريكية، فعندما حرّم الإسلام الخمر سارع المسلمون إلى تحطيم أواني الخمر وهدم أماكن صنعه، وتجنّب أغلب المسلمون هذه الآفة إلى يومنا هذا؛ حيث يمرّ على التحريم أكثر من أربعة عشر قرناً، والسبب أنّ الإسلام مهد لتطبيق التحريم وأشفعه بإيجاد الرأي العام.

أمّا في القانون الوضعي الأمريكي حيث لم يمَهَّد له ولم يكن الرأي العام مطابقاً للتحريم فإنّ القانون لم ينفّذ بالصورة المطلوبة؛ حيث عاد الناس يعاقرون الخمور بعد فترة قصيرة من التحريم، ويعود السبب في فشل التحريم إلى الرأي العام الذي يتعلّق بالدين المسيحي السائد في المجتمعات الأمريكية والأوربية، حيث أنه يحلّل الخمور، وقد جاء في كتابهم المقدّس أنّ المسيح عليه السلام قدّم الخمر في العشاء الأخير إلى أصحابه!، وكما للرأي العام القدرة على إلغاء القوانين، له القدرة أيضاً على تعضيد الأفكار والقادة والأشخاص من مفكّرين ومثقفين. فالرأي العام يقوم بدور مهم في مساندة

الأفكار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها. بل إنه الأساس في تأييد أيّة فكرة من الأفكار، وربّما أيّد الرأي العام فكرة ما ثمّ بعد ذلك ألغاها، كما وأنّه قد يلغي فكرة ثمّ يؤيّدها؛ وذلك بسبب الظروف السياسية والفكرية.

ونجد أثر الرأي العام حتّى عند رسول الله ﷺ؛ فقد ألغى عقوبة القتل على من يستحقّها حتّى لا يقول الكفّار «إنّ محمداً استعان بأصحابه ثم قتلهم»[1]، ونجد أيضاً أثر الرأي العام في قوله ﷺ لعائشة: (لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة ولجعلت لها بابين)[2]، إلى غير ذلك من الروايات والحوادث الواردة في هذا الشأن، علماً أنّ الرسول الأكرم ﷺ على حق وهو أمرٌ لا يشك به أحد، وكان له من القوّة الخارجية والذاتية ما يمكّنه من تنفيذ ما يريد لكنّه مع ذلك كان يلاحظ الرأي العام.

لذا كان لابدّ للأحزاب والمنظمات والهيئات وغيرها ملاحظة الرأي العام بكلّ دقّة وعمق، فإذا أرادوا سنّ قانون أو لائحة فلابدّ من مراعاة الرأي العام وإلاّ فإنّ قانونهم سوف يضرب به عرض الحائط.

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد عن زرارة عن أحدهما ـ الباقر أو الصادق ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا أني أكره أن يُقال إنّ محمداً استعان بقومٍ حتى إذا ظفر بعدوه قتلهم لضربت أعناق قوم كثير) الكافي (روضة): ج٨ ص٢٤٥ ح٥٤٤، وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٣٣٢ ب٥ ح٣٤٨٨٧.

(٢) ورد أن الرسول الأعظم ﷺ قال لعائشة: (يا عائشة لولا أنّ قومك حديثو عهد بجاهلية. وفي رواية أخرى: «حديثو عهد بكفر» وفي رواية: «حديثو عهد بشرك» فأخاف أن تنكر قلوبهم لأمرت بالبيت فهدم فأدخلتُ فيه ما أخرج منه وألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم). الطرائف: ج٢ ص٣٩٠، نهج الحق: ص٣٢٠.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الفصل الثاني

الإعلام



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإعلام ضرورة إصلاحية

مسألة الإعلام [1] أمرٌ ضروري لكلّ مبدأ ودين ورسالة إصلاحية، بل وحتّى المفسدون هم بحاجة إليه، كما رأينا إعلام هتلر وموسيليني، وحتّى من كان أقدم منهم كنابليون بونابرت [2] ومن أشبه.

---

(١) يعرف الإعلام بعدّة تعريفات، نذكر بعضها على نحو الإجمال:

١- عملية نقل وقائع وأحداث أو تفسير لحالة معينة أو إرشاد إلى قضية ما أو ما أشبه ذلك، ونقلها عبر وسائل مكتوبة أو مسموعة أو مرئية. وقوامه: الإنسان والتقنية والفكرة والمجتمع المتلقي وحرية تداول الحقائق.

٢- الوسيلة التي يتم عبرها نقل المعرفة وصياغة الأفكار والقيم والمفاهيم ونشرها في الأوساط، وتكوين المواقف والوعي الذاتي. وللإعلام دور في تكوين المعرفة والوعي الاجتماعي وفي تغيير وتطوير المجتمع، وله دور أيضاً في تكوين المعارف لدى الناس ثم تحويلها إلى مواقف وسلوك وعادات يتّبعها الناس في حياتهم اليومية.

٣- العمليات التي يترتب عليها نشر المعلومات وأخبار معينّة تقوم على أساس الصدق والصراحة واحترام قول الجماهير وتكوين الرأي العام عن طريق تنويره كما ذكر ذلك الدكتور حسين عبد الحميد في كتابه العلاقات العامة والإعلام: ص٢٢٥.

٤- نشر الحقائق الثابتة الصحيحة والأخبار والمعلومات السليمة الصادقة، والأفكار والآراء، والإسهام في تنوير الرأي العام، وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور أو جماهير المؤسسة الداخلية والخارجية في الوقائع والقضايا والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة.المصدر السابق: ص٢٤٤.

٥- التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت. وهذا ما عرفه أوتوجراف نقلاً عن كتاب الإعلام له تاريخه ومذهبه: ص٢٢ للدكتور عبد اللطيف حمزة.

(٢) نَابِلْيُون بُونَابَرْت، ولِدَ في ١٥ آب سنة ١٧٦٩م في جزيرة أجاكسيو من عائلة بونابرت، أحد أبرز القادة العسكريين في فرنسا، تخرج ضابطاً في المدفعية سنة ١٧٨٥م. استمر في حملة

لذا يجب على المسلمين إذا أرادوا إعادة الإسلام إلى الحياة أن يستفيدوا من هذا العلم، خاصة المصلحين الذين يريدون إصلاح بلاد الغرب وغيرها عليهم الاستعانة بالإعلام. لذا ارتأينا أن نخصّص فصلاً لدراسة الإعلام من جهتين: من جهة الإسلام كيف يجب أن يكون الإعلام فيه، ومن جهة الإصلاح العام، حيث إنَّ الإسلام هو السبيل للإصلاح العام الذي لو أخذ الناس به لأصلحوا أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وكشاهد على أهمية دور الإعلام نذكر ما يلي:

١ـ دور الإعلام الغربي إزاء فلسطين قبل اغتصاب اليهود لهذه الأرض الإسلامية. فقد كان الإعلام يركّز بأنّ فلسطين أرضٌ بلا شعب واليهود شعبٌ بلا أرض، فاللازم أن تعطى هذه الأرض لمن لا أرض له، وعلى هذا الشعار احتلوا أرض فلسطين[1]، واستباحوا الحرمات ولا زال المسلمون يعانون منهم

ايطاليا الاولى سنة ١٧٩٤م والثانية سنة ١٧٩٦م، قاد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، واستطاع أن يحتل الإسكندرية بعد معارك دامية ثم احتل القاهرة في ٢٧ تموز سنة ١٧٩٨م، ثم احتل الشام في شباط ١٧٩٩م ثم مدينة «يافا»، التي أحدث فيها مجازر مروعة ثم حاصر «عكا» في ١٩ آذار ١٧٩٩م، ولم يستطع أن يحتلها، كما خاض حروباً مع العثمانيين سنة ١٧٩٩م في «تل طابور» و«أبو قير»، حكم سنة ١٨٠٤م واستمر في الحكم إلى سنة ١٨١٤م، وغزا روسيا ١٨١٢، وقد ضحى بثلاثة ملايين فرنسي من أجل طموحاته في السلطة. تنازل عن العرش سنة ١٨١٤م؛ إثر حربه مع روسيا وبريطانيا والسويد والنمسا الذين شكلوا تحالفاً ضده وانتصروا عليه في معركة «الأمم» سنة ١٨١٣م، ونفي إلى جزيرة «إلبا» ثم إلى «سانت هيلانة» التي مات فيها في ٥ أيار سنة ١٨٢١م. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٨ ص٣٤٣٨، المنجد في الأعلام: ص٧٠٢.

(١) إنّ منشأ هذه الخرافة هو سِفر التكوين الذي جاء فيه من وصية الاله لإبراهيم: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. إنّ العبارة الصحيحة والتي تعكس الواقع، هي إعادة شعب لاوجود له لأرض لايملكها بل يملكها غيره. فإنّ أرض فلسطين قد سكنها العرب منذ القدم.

عن كيفية اغتصاب اسرائيل للأراضي الفلسطينية راجع كتاب: الأساطير المؤسّسة

الأمرين.

٢ـ كان البريطانيون يكررون القول بأنّ قناة السويس[1] شريان حيوي للإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس ـ على حدّ قولهم ـ، فهي تؤمّن لهم مصالحهم في القارتين الآسيوية والأفريقية؛ لذا سارعوا لاحتلال القناة ظانين أنّهم أضافوا جوهرةً إلى التاج البريطاني في الهند، لكنّنا شاهدنا بعد مدّة أنه لا القناة بقيت لهم ولا الهند ظلّت ضمن مستعمراتهم؛ لأنّ الحقّ كالشمس مهما حجبتها السحب فهي ستظهر في يوم من الأيّام.

٣ـ كان الغربيون يقولون في إعلامهم: إنّ منطقة الشرق الأوسط منطقة حيوية لهم، الأمر الذي دفع القوّات البريطانية والفرنسية لاحتلال المنطقة بأسرها وتقسيمها فيما بينهم في اتفاقية مشينة هي اتفاقية سايكس بيكو[2].

للسياسية الإسرائيلية: ص١٩٢ لروجيه غارودي

(١) أممت قناة السويس في ٢٦ تموز سنة ١٩٥٦م، إثر انسحاب البنك الدولي وأمريكا وإنجلترا من تمويل بناء السد العالي بتاريخ ١٩ تموز سنة ١٩٥٦م. وتمتد هذه القناة من بور سعيد حتى بور توفيق بالقرب من السويس، وتربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر. ويبلغ طولها ١٩٠كم، ومتوسط عرضها ٦٠م، وعمقها ١٣م. احتلت بريطانيا القناة سنة ١٨٧٥م، واقترح فكرة شق القناة سان سيمو نيين، ونفذّها فردينان دي ليسبس. ورفعت مصر الحظر الذي فرضته على السفن الاسرائيلية بالقناة سنة ١٩٧٩م.

(٢) تفاهم سري استعماري بين بريطانيا وفرنسا متمم لاتفاق رئيسي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، لتقسيم الخلافة العثمانية والاستيلاء على بلاد الشام وزرع الصهيونية في فلسطين، في أعقاب دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، وكان ذلك سنة ١٩١٦م. وهذا التفاهم جرى بين المسيو جورج بيكو القنصل الفرنسي العام في بيروت والمندوب البريطاني السير مارك سايكس عضو مجلس العموم البريطاني. وهذه الاتفاقية سميت باسم المتفاوضين وجرى التوقيع عليها سراً في القاهرة بتاريخ ١٦ آيار سنة ١٩١٦م. والخطوط العامة لهذه الاتفاقية تتمثل في القضاء على مبدأ تقرير المصير الذي دعا الحلفاء إلى الالتزام به وتمزيق المشرق العربي وخداع العالم الإسلامي عبر تقسيم العراق وسوريا باستثناء فلسطين إلى اربع مناطق، أشير لمنطقتين منهما بالأحرف ألف وباء، وللمنطقتين الباقيتين باللونين الأزرق والأحمر. وبقيت اتفاقية سايكس بيكو على سريتها

واستقلت دول الشرق الأوسط من الوجود الفرنسي والبريطاني، وولّى الاحتلال العسكري، إلاّ أن الاحتلال الواقعي ظلّ جاثماً على الأرض في صورة استعمار ثقافي واستعمار فكري بعد أن هدموا الشرق الأوسط، بنية تحتية، مؤسسات، إنساناً، هدماً كاملاً.

٤ـ أنّ الحاكم العسكري الذي جاء إلى بغداد محتلاً قبل ثورة العشرين، قال حين رأى نهري دجلة والفرات وكيف يتلالأ فيهما الماء: «سأعمل ما بوسعي حتّى لا يتمكّن العراق من الاستفادة من هذين النهرين»، وقد شاهدنا ذلك بأمّ أعيننا ما حدث في عهد عميلهم صدام التكريتي الذي قضى على الحرث والنسل وبدّد إمكانات العراق حتّى لم يعد لنهري دجلة والفرات ذلك الأثر في حياة الشعب العراقي لما وصله من ضنك المجاعة والفقر، بعد أن كان العراق البلد الغني الذي يمدّ الولايات الإسلامية الأخرى بالصادرات والثروة [1].

٥ـ كان الغربيون يقولون بأن منطقة الشرق الأوسط منطقة فراغ، بمعنى: ليس فيها نظام ولا حكومة ولا حاكم، فلابدّ للمغرب من التعجيل لملء هذا الفراغ، وكأنّ هذه المنطقة لم تشهد أعظم حضارة في التاريخ الإنساني. ولاشكّ أنّ ضعف الحكم العثماني وفساده أدّيا إلى ضعف هذه الأمّة في هذه المنطقة، إلاّ أنّ الضعف لا يعني الفراغ. فإذا لم يقدر صاحب الدار على حماية

إلى أن تسلم البلاشفة الحكم في روسيا في تشرين الثاني سنة ١٩١٧م، فسارعوا إلى إعلانها. عن بنود هذه الاتفاقية نحيل القارئ إلى موسوعة السياسة: ج٣ ص١٢١.

(١) ويكفينا مثال واحد: أن العراق سنة ١٩٥٩م كان يملك من النخيل ٣٤،٠٠٠،٤٠٠ نخلة وأن ١٣ مليون نخلة منها في مدينة البصرة. وأن العراق كان ينتج ٦٥٠ نوعاً من التمور. وقد أباد صدام معظم هذه النخيل نتيجة الحروب التي شنها على الدول المجاورة ونتيجة سوء الزراعة، وأوصل عددها إلى أقل من خمسة ملايين. راجع مجلة ألف باء العراقية العدد ١٣٦٤.

داره فهل معنى ذلك أنّ علينا أن نأخذ منه الدار عنوةً وقسوةً؟! وهذا المنطق يشبه إلى حد كبير منطق اليهود الذين كانوا يقولون بوجود أرض بلا شعب، نسبة إلى فلسطين، وفي المثل العربي: «ما أشبَهَ اللَّيلَةَ بالبارِحَة »[1].

٦ـ ومن أقوالهم أيضاً: قولهم في الأحلاف العسكرية، حيث كانوا يقولون: إنّ الأحلاف العسكرية ضرورية للغرب فأسّسوا الأحلاف وقيدوا تركيا وإيران والباكستان والعراق بحلف بغداد[2]، ولم يكن مردّ هذه الأحلاف تقوية الدول الإسلامية بإيجاد روح التعاون والتآزر فيما بينها، وإنما كان الهدف تقوية الغرب على حساب إضعاف العالم الإسلامي.

٧ـ وطوراً آخر قالوا بأنّ منطقة الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا منطقة حيوية للغرب لمنع الاتحاد السوفيتي ـ السابق ـ من الوصول إلى المياه الدافئة،

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٢٨ ص٧ ب١ ح١٠، مجمع الأمثال للميداني: ج٢ ص٢٧٥ رقم ٣٨٣١، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: ج٢ ص٢٤٧، تمثال الأمثال للعبدري: ج٢ص٥٥٠ رقم ٣٨٢. ويضرب المثل في تشابه الشيئين من غير نسب، وفي تساوي الناس في الشر والخديعة. والمثل مأخوذ من قول طرفة بن العبد في ديوانه ص١٥من البحر السريع:

كُلُّهُم أروَغُ من ثعلب ما أشبَهَ اللَّيلَةَ بالبارِحَة

(٢) حلف بغداد أو منظمة الحلف المركزي وسميت بعد ذلك السنتو. وهي اتفاقية تعاون عسكري وأمني أبرمت بين العراق وتركيا في ٢٤ شباط ١٩٥٥م بإشراف الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وقد مثّل العراق في توقيعها نوري سعيد ومثّل تركيا عدنان مندرس، يتكون الميثاق من ثماني مواد نظمت العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية بين البلدين، وترك الباب مفتوحاً لانضمام أي دولة أخرى، فانضمت إليه إيران في تشرين الأول والباكستان في أيلول بالإضافة إلى بريطانيا في العام نفسه، وعقد أول اجتماع رسمي لممثلي الدول الموقعة عليه في الحادي والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٥٥م في بغداد. والهدف من تشكيله تأمين مصالح الدول الغربية في الشرق الأوسط، والوقوف أمام المدّ الشيوعي القادم من الاتحاد السوفيتي آنذاك، وحماية الحكومات الموالية للمعسكر الغربي، وتأمين الغطاء السياسي والقانوني لتواجد قوات الغرب في منطقة الشرق الأوسط. انسحب العراق من الحلف رسمياً سنة ١٩٥٩م ونقل مقره من بغداد إلى أنقرة، وغير اسمه إلى السنتو. وبعد سقوط شاه ايران سنة ١٩٧٩م انسحبت إيران من الحلف ثم تبعتها باكستان وتركيا مما أدى إلى فقدان الحلف مبرر وجوده، واعتبر في حكم المحلول.

فعبر هذه الذريعة كثفوا كلّ جهودهم وركّزوها لاحتلال هذه المنطقة، ولم يكن ذلك سوى دعاية رخيصة؛ حيث كان المسلمون ألدّ الأعداء للشيوعية، والغرب هو الذي آزر الأحزاب الشيوعية في البلاد الإسلامية، فكان يعمل تحت غطاء الشيوعية بغية الحصول على أي موطىء قدم في البلاد الإسلامية.

٨ـ وبعد سقوط المدّ الشيوعي أخذوا يروّجون لدعاية أخرى مفادها أن منطقة الشرق الأوسط حيوية للغرب؛ لأنّها مصدر مهم للطاقة، وأنّ الطاقة هي عماد الاقتصاد الغربي، فأنشؤوا قوّات التدخّل السريع تحت ذريعة حماية مصادر الطاقة [١].

وعلى هذا المنوال استمر المستعمرون من ساسة الغرب في ترويج الأكاذيب وإطلاق الدعايات، وهدفهم من ذلك هو الاحتلال ونهب الثروات والقضاء على المقدسات الإسلامية [٢]. فلا بدّ لنا من التمسّك بكتابنا الذي أنزله ربنا ﷻ على سيّدنا ونبيّنا محمّد ﷺ لنتمسّك بوحدتنا؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [٣].

ونتمسّك بحريتنا كما قال ﷻ: ﴿يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [٤].

---

(١) حتى ان كسنجر صرّح قائلاً: ان العرب لايستطيعوا حماية البترول الذي هو ضروري للغرب، وأن للنفط أولوية وطنية لهم، ومعنى كلامه انه يجب السيطرة على البلاد النفطية عبر تغيير حكامها بآخرين أكثر ولاءاً وطاعةً للغرب، حتى لو اقتضى ذلك استخدام القوة المفرطة.

(٢) واليوم يسعى الغرب لربط الإرهاب بأسلحة الدمار الشامل تارة لضرب بعض الدول الإسلامية، وربطه بالإسلام كدين تارة أخرى لتلويث سمعة الإسلام بغية تحجيمه، وبالشرق الأوسط تارة أخرى للقضاء على اقتصادياته ونهب ثرواته.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

ونتمسّك بأخوّتنا الإسلامية كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

ونتمسّك بحقّنا في الأرض كما قال رسول الله ﷺ: (الأرض لله ولمن عمّرها)[٢] و (من سبق إلى ما لا يسبق إليه مسلم فهو أحقّ به) [٣].

لقد كان التزام المسلمين بالمبادئ والأرض سبباً في قوّتهم وعظمتهم.

ويتصوّري لو استطاع المسلمون أن يعرضوا هذه المبادئ والقيم عرضاً مناسباً للغرب لأسلم الغربيون عن بكرة أبيهم.

لكن المشكلة في طريقة وأسلوب العرض أو اقتران العرض بشيء من العنف، فالعنف يوجب فرار الناس من مستخدميه حتّى لو كانوا أصحاب الحقّ؛ فقد قال ﷻ: ﴿ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [٤].



(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) الكافي (فروع): ج٥ ص٢٧٩ ح٢، تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٥٢ ب٢٢ ح٢١، الاستبصار: ج٣ ص١٠٨ ب٧٢ ح٣، وفي وسائل الشيعة: ج٢٥ ص ٤١٤ ب٣ ح ٣٢٢٤٥ عن الإمام الصادق ؑ.

(٣) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٨٠ ح٤ باب إحياء الموات، مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٢٠٩٠٥.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٠٨. ويرى بعض المتخصصين في الحقل الإعلامي، أن من مقاييس النجاح والفشل في الإعلام ما يلي:

١- مدى القدرة على التصدي للإعلام المضاد الموجه لنفس الساحة الإعلامية.

٢- مدى القدرة على انتزاع المبادرة من الإعلام المضاد والتوجه إلى الناس بشكل أكثر مما عليه في المواضيع المطروحة.

٣- مدى القدرة على الانفراج أو خلق الأزمات في العلاقات الدولية.

الإعلام والمستقبل

مسألة: إن مهمة الإعلام في العصر الحديث لا تقتصر على إيصال المعلومات أو تصحيحها وملء الفراغ والترفيه بل ويتعداها إلى التأثير على الأفكار والآراء، وتشكيل تصورات الشعوب والثقافات، والتحكم بالسوق صناعة وتسويقاً، والتحكم بالتقنية إنتاجاً وبالتنبؤ المستقبلي، قال بعض العلماء في صدد التنبؤ بالمستقبل: «للإعلام أهميّة خاصّة في مقام التنبؤ المستقبلي؛ إذ أصبح للإعلام مجال أوسع كثيراً من مجرّد مشكلة الاتّصال كما كانت تفهم في الماضي، ولهذا فإنّ الإعلام يتطلّب عناية خاصّة به؛ لأنّنا نواجه أزمة حقيقية ويجب أن نجد أساليب جديدة أكثر فاعلية وكفاءة لجمع المعلومات وتحليلها وتخزينها وترديدها، كما أنّ الرأي العام يُبنى على التنبؤات المستقبلية، فإذا تنبأ أهل الأرصاد والأحوال الجوية بأنّ أمطاراً غزيرة ستهطل في الشهر القادم، حصل الرأي العام على وجوب تعيين خبير بالري موظفاً في هذا الميدان لكي يتمكّن من حلّ هذه المعضلة، فيقوم بخزن المياه خلف السدود، أو إنشاء السدود قرب المدن لوقايتها من الفيضانات».

أقول: والتنبؤ المستقبلي قد يكون محدّداً وقد يكون تقريبياً، فعندما يرى موجة البرد التي تأتي إلى مكان ما من سيبريا قد يحدّد وقت وصول البرد إلى المكان الفلاني بيوم كذا؛ وذلك لأنّ الرياح تسير في كلّ يوم بمقدار مائة كيلومتر، وقد لا يحدّد بل يقول: سيكون البرد في الشهر القادم قارصاً في المكان المعين؛ حيث أنّ قدوم البرد ليس على حالة واحدة.

والتنبؤات المستقبلية المتعلّقة بالمال في أكثر الأحيان تزيد المال في المستقبل المتنبأ فيه زيادة كبيرة، ولذا ذكرت بعض الصحف الغربية أنّ عدداً من الشركات قد زادت أرباحها زيادة كبيرة نتيجة استخدامها الفعال للمعلومات التي وصلت إليها بالتنبؤ، ولأجل هذا الأمر قد كثرت التنبؤات المستقبلية في استخدام الأرض للمستقبل كالصحارى والمناطق الدائمة الانجماد والغابات والأحراش ومناطق المستنقعات والأقاليم والمرتفعات المتجمّدة والمحيطات وقاع البحار، وكذلك يشمل المشكلات القديمة المرتبطة بالحدّ من تلوّث الهواء والماء وتآكل التربة وتنظيم فيضانات الأنهار الداخلية وموارد المياه العذبة بصفة عامّة وتنظيم حياة النباتات والحيوانات في البحار، والتنبؤ بثورات البراكين والسيطرة على السحب وتطويعها والمناخ والجو بصورة عامة، كذلك التنبؤ بالانفجارات السكانية في بعض المناطق وقلّة السكان في مناطق أخرى وسرعة تزايد تلوّث الهواء والماء والتهديد بنضوب الماء العذب، ونقص الأراضي الزراعية بدرجة كبيرة نتيجة تآكل التربة وما يرتبط بذلك من تنفيذ المشروعات القائمة بتنمية الأرض على مستوى كلّ قارّة، ومن هذا الباب: التنبؤ بسقوط الدولة الديكتاتورية الفلانية عن قريب؛ لأنّ الإنسان إذا رأى أعداء الدولة في كثرة وأنّ الدولة في ضعف، علم أو ظن ظناً قوياً أنّ الدولة في حالة سقوط، وكذلك التنبؤ بأنّ المرشح الفلاني ينجح أو المرشح الفلاني لا ينجح أو أنّ الأسعار في حالة ارتفاع أو حالة انخفاض، وقد تنبأ الناس قبل غزو هتلر العالم بأنّه مستعدّ للغزو حيث رأوا نمو القومية النازية بشكل غريب والحالة العدائية التي كانت عند هتلر وجماعته النازيين وكثرة الأسلحة التي كان يمتلكها، ممّا لا يمكن أن يكون للدفاع وحسب، وكذلك تنبأ الناس بقرب انتهاء الحرب بين العراق

وإيران في الأيّام الأخيرة للحرب؛ حيث رأوا أنّ الطرفين يراوحان في مكانهما دون غالب أو مغلوب وهي الحالة التي تؤدّي بالتالي إلى السّلام، وقد تنبأ كثير من النّاس في العراق بسقوط جمال عبد الناصر نتيجة خسارة مصر في حرب حزيران سنة ١٩٦٧م؛ حيث رأينا جمال عبد الناصر كيف خسر أصدقاءه واحداً تلو الآخر، بينما كانت إسرائيل تجمع أصدقاءها واحداً بعد الآخر.

وبينما كانت إسرائيل قد تدرّبت على ما تمتلك من أسلحة، كان جمال عبد الناصر يتبجح بما يملك من الطائرات والدبابات التي تمّ القضاء عليها في الدقائق الأولى من الحرب.

ثم إنّ التنبؤ ليس قطعياً دائماً بل هو غالبي، ولهذا لا يصيب التنبؤ في بعض الأحيان، ومن الواضح أنّ المبادئ الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تبنى على التنبؤات الغالبة المبنية على أساس التنبؤ المستقبلي.

هكذا تنبأت

قبل عشر سنوات من سقوط الاتّحاد السوفيتي ـ السابق ـ تنبأت بسقوط الماركسية في العالم مستنداً في ذلك إلى علائم كانت بادية، وقد كتبت في حينه كتاباً تحت عنوان «ماركس ينهزم»[1].

وبعد سقوط الماركسية كتبت كتاباً عن الغرب تحت عنوان «الغرب يتغيّر»[2]، ذكرت فيه أنّ الغرب متجهٌ نحو التغيير؛ لأنّه لا يستطيع أن يبقى

---

(١) ماركس ينهزم، طبع سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) في ايران، وكان تنبؤ الإمام المؤلف قدس سره بسقوط الاتحاد السوفيتي قبل عشر سنوات من تحقق ذلك، والجدير بالذكر أنه حدد زمانها بعشر سنوات، وبالفعل حصل ذلك التنبؤ. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية.

(٢) طبع الكتاب سنة ١٤١٤ هـ (١٩٩٤م) وترجم إلى اللغة الفارسية، وذكر فيه بعض المؤاخذات على النظم الغربية.

على حاله، وذكرت في هذا الكتاب أنّ الغرب لا يسقط كما سقطت الماركسية بل سيغيّر من أوضاعه، وذكرت الأدلّة المؤكّدة على ذلك، وهناك كتابٌ ثالث كتبته حول المستقبل[1]، ذكرت فيه أنّ مستقبل العالم يتجّه نحو توكيد الإسلام الحقيقي لا الإسلام الادّعائي الذي تدّعيه بعض الدول الإسلامية، فالبشرية تتجّه نحو المطالبة بالقيم التي جاء بها الإسلام من العدالة والأخوة والوحدة، وهي القيم التي لا تتحقّق إلاّ بوجود الإسلام.

كما وأنّ البشرية تتجّه نحو الأخذ بقانون: (الأرض لله ولمن عمّرها)[2] وقانون: (من سبق إلى ما لا يسبق إليه مسلم فهو أحق به)[3]، وهذه كلّها هي متطلبات الإنسان الفطرية، ورغم الظروف الغربية والجهل الداخلي وحبّ الاستبداد والسيطرة التي تعمّ العالم الإسلامي بأكمله لكنه متحفّز للنهوض بإذن الله ﷻ برفع هذه الحجب وتقشّع هذه الظلمات حتّى يرجع الأمر لله وحده، وهذا التنبؤ يحدث قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، أمّا ظهور الإمام؛

---

(١) وهو كتاب الفقه ـ المستقبل.

(٢) راجع الكافي (فروع): ج٥ ص٢٧٩ ح٢، الاستبصار: ج٣ ص١٠٨ ب ٧٢ ح٣، تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٥٢ ب٢٢ ح٢١، وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٤١٤ ب٣ ح٣٢٢٤٥.

(٣) وهذا القانون مصطيد من الروايات التالية: فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: (من سبق إلى ما لا يسبقه إليه مسلم فهو أحق به) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٨٠ ح٤، مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٢٠٩٠٥.

وورد عن الإمام علي عليه السلام: (فمن سبق إلى مكان فهو أحق به إلى الليل) الكافي (فروع): ج٥ ص١٥٥ح١، من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٩٩ ح٣٧٥٢، تهذيب الأحكام: ج٧ ص٩ ب١ ح٣١، وسائل الشيعة: ج٥ ص٢٧٨ ب٥٦ ح٦٥٤٢.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (من سبق إلى موضع فهو أحق به يومه وليلته) الكافي (فروع): ج٤ ص٥٤٧ ح٣٣، تهذيب الأحكام: ج٦ ص١١٠ ب٥٢ ح١١، وسائل الشيعة: ج٥ ص٢٧٨ ب٥٦ ح٦٥٤١، مستدرك الوسائل: ج٣ ص٤٢٥ ح٣٩٢٢، كامل الزيارات: ص٣٣٠ ب٨٠ ح٤.

فهو أمرٌ حتمي قطعي، ليس من باب التنبؤ بل من باب الآيات والروايات التي دلّت على ذلك[1]، وقد قال دِعبل الخزاعي[2] في حضور الإمام

---

(١) إنّ ظهور الإمام عليه السلام مما اتفق عليه المسلمون وتواترت به أخبارهم من حيث المعنى، وان اختلفت في بعض التفاصيل. ومما ورد في خروجه من طرق العامة:

١- رواية أحمد بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله: (إن الله اطّلعَ على أهل الأرض اطّلاعَة فاختارني منها، ثم اطّلعَ ثانية فاختار منها علياً وأمرني أن اتخذه اخاً ووصياً، فهو منّي وأنا منه، وهو زوج ابنتي وأبو سبطيْ الحسن والحسين، الا وإنّ الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حُججاً على عباده، وجَعَلَ من صُلب الحسين أئمة يقومون بأمري ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرةٍ مظلة فيُعلن أمر الله ويؤيّدُ دين الله، ويؤيّد بنصر الله، ويُنصر بملائكة الله، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

٢- روى الترمذي وأبو داود كلّ منهم بسنده في صحيحه يرفعه إلى أبي سعيد الخدري: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المهديّ منّي أجلي الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً جوراً، ويملك سبع سنين.

٣- في سنن أبي داود عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدّهر إلاّ يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً.

٤- روى أحمد بن محمد الثعلبي بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن ولد عبد المطلّب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي.

(٢) أبو علي دعبل وقيل محمد بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله الخزاعي، كما عن أبي العباس النجاشي والخطيب البغدادي وابن عساكر، وقيل بن «سليمان» بدل «عثمان» كما عن ابن خلكان في وفيات الأعيان، ينتهي نسبه إلى قحطان. ودعبل في اللغة: الجبل القويّ. عالم ومتكلم وشاعر يتصف شعره بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وقوة الإنسجام، عرف بمواقفه البطولية في مقارعة ظلم الحكام - أمثال هارون والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل - ومناصرت أهل البيت، لذلك عاش طريداً. ولد في الكوفة سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥م) ونشأ فيها، وولي على مدينة سمنجاق من اتباع طخارستان سنة ١٧٣-١٧٥هـ ثم ولي أسوان المصرية في زمن المطلّب بن عبد الله الخزاعي وقتل عندما قام أعداء دعبل بصنع بيتين من الشعر في هجاء ملك بن طوق ونسبها إلى دعبل ليغري بدمه فارسل إليه ملك بن طوق شخصاً ليقتله بعكازة مسمومة وذلك سنة ٢٤٦ هـ (٨٦٠م)، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وبلغ من العمر ٩٨ سنة، كثر تنقله بين العراق وفارس والشام ومصر والحجاز. ومن مقولاته كما عن وفيات الأعيان: ج١ص١٧٩: «لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي

الرضا عليه السلام:

خَروجُ إمامٍ لا مَحالَةَ خارجٌ يَقومُ على اسمِ اللهِ والبَرَكاتِ
يُميِّزُ فينا كلَّ حقٍ وباطلٍ ويجري على النَّعماءِ والنَّقِماتِ[1]

أدور على مَن يصلبني عليها، فما أجد من يفعل ذلك». وقد اكتتب هذه القصيدة في ثوب وأحرم فيه، ثم أوصى بأن يكون في أكفانه كما ذكر ذلك صاحب الأغاني.

من مؤلفاته: ديوانه الشعري الذي يحتوي على ١١٧٦ بيتاً شعرياً ويسمى طبقات الشعراء، وكتاب الواحدة في مثالب العرب ومناقبها.

وعن ترجمة دِعبل الخزاعي راجع: أعيان الشيعة: ج٦ ص٤٠٠، ديوان دِعبل الخزاعي: ص١٤٣، تحقيق عبد الصاحب عمران، ديوان دِعبل الخزاعي شرح ضياء الأعلمي، تاريخ بغداد: ج٨ ص٣٨٢، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج١١ ص٩٩، مرآة الجنان لعبدالله بن أسعد اليمني: ج٢ ص١٤٥، مجالس المؤمنين للتستري المجلس التاسع، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد الصدر ص١٩٣ وص٢٥٧، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: ج٢ ص٣٩، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال للحسن بن يوسف الحلي ص٧٠، الموسوعة العربية الميسرة والموسمة: ج٤ ص١٦٨٥، أدباء العرب في الأعصر العباسية: ج٢ ص١١٢، تاريخ الأدب العربي لحنّا فاخوري: ص٤٩٩، وفيات الأعيان: ج٢ ص٢٦٦ وص٢٧١، شذرات الذهب: ج٢ ص١١٠، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٥٣٩، تاريخ دمشق: ج١٧ ص٢٤٥، الأعلام للزركلي: ج٢ ص١٨.

(١) وهما بيتان من القصيدة التائية من البحر الطويل، وعدد أبياتها مائة وعشرون بيتاً، وفي كتاب شرح قصيدة دعبل التائية للميرزا محمد كمال الدين عدد أبياتها مائة وواحد وعشرين بيتاً، وفي الذريعة انها مائة وثلاثة وعشرون بيتاً. ومطلع القصيدة:

تَجاوبنَ بالأرنانِ والزَّفَراتِ نَوائحُ عُجمُ اللفظِ والنطقاتِ

وقال ياقوت الرومي الحموي في معجم الأدباء أنّ مطلعها:

مَدارسُ آياتٍ خَلَت من تِلاوةٍ وَمنزِلُ وحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ

ويمكن الجمع بين القولين أن دِعبل عندما أنشد قصيدته ابتدأ من البيت الثلاثين (مدارسُ آيات...) وهذا ما يؤيده ابن شهرآشوب في المناقب: ج٣ ص٤٥٠ وابن الفتال النيسابوري في روضة الواعظين: ص١٩٤.

والبيتان اللذان ذكرهما المؤلف قدس سره هما البيت ١٠٢ و١٠٣ من القصيدة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرينا طلعته المباركة ويوفقنا لخدمته ونكون جنوداً بين يديه: (اللهمَّ إنّا نرغَبُ إليكَ في دولَةٍ كريمَةٍ تُعِزُّ بها الإسلامَ وأهلَهُ وتُذِلُّ بها النِّفاقَ وأهلَهُ وتَجعَلُنا فيها من الدُّعاةِ إلى طاعَتِك والقادَةِ إلى سبيلِك وتَرزُقنا بها كرامَةَ الدُّنيا والآخِرَة)[1].



وذكر دِعبل في قصيدته ما جرى على أهل البيت عليهم السلام من ظلم وفظائع وما أصابهم من تعسف. وبعض مقاطع هذه القصيدة أبكت الإمام الرضا عليه السلام حتى الإغماء ثلاث مرات، وعندما انتهى دِعبل من هاتين البيتين قال الإمام الرضا عليه السلام: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك. ثم خلع عليه الإمام قميص خزّ أصفر قد صلى فيه ألف ليلة ألف ركعة وختم فيه القرآن وخاتماً فضة عقيق ودفع إليه مائة دينار رضوية.

وهذه قصيدة شرحها جملة من العلماء أمثال العلامة محمد باقر المجلسي والميرزا محمد كمال الدين بن محمد الفارسي والسيد نعمة الله الجزائري والميرزا حسن الزنوزي وعلي العلياري التبريزي.

عن هذه القصيدة راجع: بحار الأنوار: ج٤٩ ص٢٥٠ ب١٧ ح١٣، روضة الواعظين: ج٢ ص٢٦٨، العدد القوية: ص٢٩١، كشف الغمة: ج٢ ص٣٢٧، كشكول البحراني: ج٣ ص٢٧٩، أعيان الشيعة: ج٦ ص٤١٨.

(١) الإقبال: ص٦٠، البلد الأمين: ص١٩٥، المصباح للكفعمي: ص٥٨١ المجلس الخامس والأربعون، مصباح المتهجد: ص٥٨١، مفاتيح الجنان: ص٢٧٧ دعاء الإفتتاح.

وسائل التبليغ

مسألة: إن الدعاية والإعلام والتبليغ والإرشاد وسائل تزود الإنسان بالعلم إذا كانت صحيحة، وتمنح الخير إذا كانت واقعية، وبالعكس فانها تنشر الجهل إذا كانت مضلّة وتدفع إلى الشر إذا كانت منحرفة.

فمن طبيعة الإنسان أن يتلقى من غيره ما يقول له، فإذا كان الإنسان المتلقي له قدرة على التفكير والتمييز والقياس ونحو ذلك، تميّز عنده الصحيح من الفاسد، وأخذ بالصحيح وترك الفاسد سواء كان القائم بالتبليغ والإرشاد عالماً بفساد ما يقول، أو لم يكن عالماً، فالحقيقة هي المؤثرة لا اعتقاد الإنسان بأنّ ما يقوله عين الحقيقة وليس بحقيقة، فالبيئة الواقعية، هي التي تنبت الحنطة الواقعية وهي التي تنبت سواء زعم المالك لها أنها حقيقة أو أنها غير حقيقة.

ولو سبرنا غور التاريخ لرأينا وجود الدعاية والإعلام والتبليغ. ونقرأ في القرآن الحكيم: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وكذلك نجد في القرآن الحكيم التبليغ والدعاية والإرشاد والهداية بالنسبة إلى كلّ نبيٍّ نبي، كما نجد ذلك بالنسبة إلى المجرمين مثل قول فرعون لجماعته: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة غافر: الآية ٢٦.

وسائل الإعلام ومراحل تطورها

مسألة: تطوّر الإعلام منذ العهود البدائية إلى العهود المتوسّطة ثمّ إلى عصرنا الحاضر عبر المراحل التالية: عصر العلامات والإشارات ثم التخاطب واللغة ثم الكتابة ثم الطباعة ثم المعلوماتية، فكان الإعلام يتم عبر الاتصال بالإشارة والعلامة والكتابة التصويرية والرسوم الجدارية والدق على الطبول والاتصال من شخص إلى شخص وأحياناً من جماعة إلى جماعة، وكان للاستجابات الموروثة والغريزية دور هام في تحقيق هذا الاتصال.

كما قام الشعراء بدور إعلامي، فلما قتل الإمام الحسين عليه السلام جاء بشر بن حذلم إلى المدينة ينعى الإمام الحسين عليه السلام على الناس في شعره المعروف:

يا أهلَ يَثرِبَ لا مُقامَ لكم بها ... قُتِلَ الحُسين فأدمعي مدرارُ

الجسمُ منه بكربلا مضرّجٌ ... والرأس منه على القناة يُدارُ[1]

---

(١) قال بشر بن حذلم: لما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين وحطّ رحله وضرب فسطاطه وانزل نساءه، وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر، فقال عليه السلام: ادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله عليه السلام. قال بشر: فركبت فرسي حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهلَ يَثرب لا مُقام لكم بها ... قُتِلَ الحُسين فأدمعي مدرارُ

الجسمُ منه بكربلا مضرّجٌ ... والرأس منه على القناة يُدارُ

وقلت: هذا علي بن الحسين مع عماته واخواته قد حلّو بساحتكم وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه، فخرج الناس يهرعون ولم تبق مخدرة الآ برزت تدعو بالويل والثبور، وضجّت

كما كان الحمام الزاجل والنار والدخان في المرتفعات وسائل إعلامية؛ كما يذكر لنا ذلك التاريخ، فقد كانت تبنى المنائر بين المدن المتباعدة، الفاصل بين منارة وأخرى مسافة معقولة، فإذا حدث شيء في المدينة المعيّنة وأرادوا إخبار أهل المدينة الثانية، كانوا يشعلون في الليل النار على المنائر، فكانت المنارة الثانية تنتبه لهذا الأمر فيشعلون النار فوقها، وهكذا المنارة الثالثة والرابعة والخامسة حتّى تصل إلى المدينة الأخرى. وفي النهار حيث لا تعطي النار هذا الأثر كانوا يستبدلون النار بالدخّان، فالتبليغ كان بين شخص وآخر أو جماعات منتظمة، وفي العصر الحديث وصل التبليغ مرحلة متطوّرة بسبب الاتّصال الجماهيري بين الصحافة والإذاعة والتلفاز والسينما والأشرطة والفاكس والتلكس وما أشبه سواء في سبيل الحروب العدوانية كما كان يفعله هتلر وستالين وموسيليني ومن أشبه، أو في الأغراض السلمية كالتجارة والصناعة والعلم وغيره من فنون المعرفة، فإنّ وسائل الإعلام تنشر المعرفة وتعمّم للناس المعلومات والحقائق بتوسيع آفاقهم، كما أنّها أحياناً تزيّف الحقائق.

والرواة الصادقون والحافظون عن رسول الله ﷺ وعن الأئمّة الطاهرين: غير منحرفين عن هذا المسلك، إذ كانوا وسائل الإعلام والإرشاد لما قالوه أو فعلوه؛ حيث إنّهم عليهم السلام الأسوة، والناس يريدون الاقتداء بأفعالهم وأقوالهم، والرسول ﷺ كان يقرأ القرآن صباحاً ومساءً في المسجد الحرام أو في داره

المدينة بالبكاء، فلم يرَ باك أكثر من ذلك اليوم، واجتمعوا على زين العابدين يعزونه، فخرج من الفسطاط وبيده خرقة يمسح بها دموعه وخلفه مولى معه كرسي، فجلس عليه وهو لايمتلك من العَبرة، وارتفعت الأصوات بالبكاء والحنين...الخ. راجع مقتل الحسين للمقرّم: ص٣٧٤، ونظير ذلك في بحار الأنوار: ج٤٥ ص١٤٧ ب٣٩، اللهوف: ص١٩٧، مقتل الحسين لأبي مخنف: ص٢٢٢.

المباركة أو في أماكن أخرى، ولذا قالت الصدّيقة الزهراء عليها السلام في خطبتها: (في مُمساكمُ ومُصبَحِكم)[١].

ومن المعلوم أنّ الكتب الدينية المحفوظة منذ ألوف السنوات سواء كانت كتباً دينية صحيحة أو مزيفة هي من وسائل الإعلام والهداية والإرشاد من شخص إلى شخص ومن جيل إلى جيل كتوراة موسى عليه السلام التي نزلت قبل أربعة الآف سنة وإنجيل عيسى عليه السلام الذي نزل قبل ألفي سنة ومن قبلهما كتاب نوح عليه السلام، كلّها من وسائل الإعلام والهداية والإرشاد. وقد كانت العادة في قديم الزمان أن الخطيب الذي يخطب في جماهير كثيرة حيث لايصل صوته إليهم، يوقف بين الناس أشخاصاً، يأخذون كلمة كلمة ثم يعلنونها على الناس، كما ورد في التاريخ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة غدير خمّ التي حضرها مائة وثمانون ألف إنسان على ما ذكره بعض المؤرّخين، أوقف بين الناس أربعين شخصاً، يأخذ القريب منهم من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة ثم يلقيها إلى إنسان ثان من الواقفين، ومنه إلى إنسان ثالث، وهكذا حتّى يصل صوت الرسول صلى الله عليه وآله إلى آخر نفر منهم[٢].

وكان الإعلام موجوداً في نطاق محدود عند سائر القبائل والمدن، فكان ذلك يتجسد بالمعلّم الذي يتولّى تعليم الأطفال؛ حيث كان من واجبه تربية الأطفال على الصلاح؛ لكي يصبحوا جزءاً من جسد القبيلة الصالحة مهما كانت هذه القبيلة بدائية، وكلّ مدينة وقرية مهما كانت صغيرة تريد أن تنشئ

---

(١) من خطبة السيدة الزهراء عليها السلام للأنصار عندما اغتصب أبو بكر منها فدكاً. راجع بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢٦ تحقيق الدكتور يوسف البقاعي.

(٢) ذكر العلامة الأميني في كتابه: الغدير في الكتاب والسنة: ج١ ص١٤-١٥٧، إن حديث الغدير متواتر بين العلماء الخاصة والعامة، فقد رواه ١١٠ صحابي و٨٤ تابعي، ومن الرواة ابتداءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر ٣٦٠ شخصاً.

أطفالها على غرار خاص من عبادة الله أو عبادة الصنم أو عبادة الآلهة المزيفة أو الآلهة الخيالية كإله البحر وإله الحرب وإله الجمال وما أشبه ذلك، كما كان الإعلام متنفذاً في الشخص الذي يكون مستشاراً للقبيلة أو المدينة، وقد قيل إنّ قبيلة في الجاهلية كانت تصيب في أكثر أمورها من الزواج والطلاق والحرب والاقتصاديات البدائية وما أشبه ذلك، قيل لهم: كيف أنتم تصيبون على الأغلب بينما نشاهد سائر القبائل أحياناً مصيبة وأحياناً غير مصيبة؟! فأجابوا: إنّ لنا حكيماً قائماً في السلم، مجرباً للأمور، ذكياً، فطناً، نستشيره في كلّ شؤوننا، فإذا أردنا السفر أو الحرب أو الزراعة أو النكاح أو معالجة المريض أو ما أشبه ذلك، استشرناه، وهو يشير علينا بما يراه صلاحاً حسب تجاربه وأفكاره ومقاييسه، ولهذا نصيب في أكثر أفعالنا، بينما سائر القبائل يقومون بأعمالهم عشوائياً واعتباطياً، ولذا ينجحون حيناً ولا يصيبون النجاح أحياناً أخرى.

وهكذا كان الإعلام من جهة الاستطلاع على تقصّي الأمور، كيف يصح الزرع وكيف لا يصح؟ وكيف يصح الرعي وكيف لا يصح؟ وهكذا حتّى يعرفوا الصلاح من عدمه بتجنّبهم كوارث الطبيعة ومواقع الخطأ، أمّا إذا كان هناك حكمٌ ولو بقدر صغير لعمّم، فقد كان الإعلام يستخدم من أجل استقطاب الحكم حسب نظر الحاكم؛ ممّا يوجب للجماعة السّلام واجتناب الحرب ونشر الرفاهية، وكلّ هذه الأمور طبيعية للإنسان، فمهما وجد الإنسان وجدت هذه الأمور الطبيعية. ولمّا انتقل البشر إلى عصر الحكومات الكبيرة كحكومة الصين والهند والفُرس والفراعنة سنُّوا قوانين ودساتير لحكمهم، وكانوا ينشرون هذه القوانين عبر الإعلام؛ إذ كانوا يسجلون القوانين المتعلّقة بالغرامات والرّي وإجراءات التقاضي والعقوبات والزواج والموت ونحو ذلك،

وكثيراً ما كانوا يكتبون تلك القوانين على الصخور كما عند حمورابي[1] أو في أوراق يصنعونها من قصب البردي أو كتف الحيوان أو جلد الغزال ويجعلونها في مواضع خاصّة ليقرأها الذين يريدون الاطّلاع على الأمور، وأحياناً كانت لهم مكتبات كما في مصر أيّام الفراعنة؛ حيث كانت توضع هذه التعليمات وتلك الأوامر والنواهي في المحلاّت وفي المكتبات ونحوها من غير فرق بين أن يكونوا نزيهين كما في قوانين بعضهم المانعة من الدعارة والسلوك السيئ، أو غير نزيهين كما في قوانين مصر أيام الفراعنة؛ حيث كانت لهم القوانين المتعلقة بحدود الدعارة وضرائبها، وكان لهم أيضاً قوانين متعلّقة بالاستعراضات والأعياد ومراسم الأحزان[2]، فكثيراً ما رسموا الدعايات على شكل نقوش تزيّن جدران المعابد القديمة وداخل الكهوف التي اكتشفت في

---

(١) حمورابي: من أشهر الحكام البابليين الذين حكموا الشرق الأوسط بعد سقوط السومريين من سنة ١٨٩٤ ق.م وإلى ١٥٩٥ ق.م، واستمرت دولتهم في العراق ثلاثمائة سنة باسم بابل الأولى، وكان عددهم أحد عشر ملكاً، أولهم سموابوم وآخرهم شموديتانا. ويعدّ حمورابي من أشهرهم، مات سنة ١٧٥٠ ق.م. وحكم من سنة ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م. ويعدّ عصره العصر الذهبي لبابل، فقد اتخذ بابل عاصمة له. وسع البلاد عبر شن حروب على بلاد سومر الجنوبية وضمها إلى مملكته، وأسرع في إخضاع دويلات ما بين النهرين المهمة مبتدءاً بدولة آشور في الشمال فاستولى عليها ثم ألحق بمملكته ماري وتقدم شمالاً إلى الفرات وافتتح المدن القريبة من بلاد الشام وسواحلها. ولم تقتصر شهرته على أعماله الحربية بل امتدت إلى الإصلاحات التي قام بها، فقام بمشاريع الري، وكانت شرعته تتضمن أنظمة صارمة في ما يتعلق بشؤون الري والزراعة. واشتهر برسائله السياسية والاجتماعية والجزائية التي وصلنا منها خمس وخمسون رسالة وتحتوي على ٢٨٠ مادة تسبقها ديباجة، يوضح فيها الملك عظمته وأهدافه التي يراعي فيها سيادة العدل، وهذه المواد شملت مجالات الحياة كالزواج والتجارة والإرث والتبني والعقوبات، وهي منقوشة على قطعة كبيرة من الحجر الديوريت الأسود المصقول في ٣٦٠٠ سطر بالخط المسماري، راجع موسوعة السياسة: ج١ ص٤٥٣ وج٢ ص٥٨٦ وملحقها: ص٣٤٢، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٤ ص١٥٧٤.

(٢) للتفصيل راجع كتاب كليوباترا.

العصر الحديث، وكذلك كانوا يجعلون اسم الميّت المحترم عندهم على لوحة القبر حتّى يعرف القرّاء من هو الميت ومتى مات؟، كما أنّهم كانوا يجعلون للأموات الكبار مقابر خاصّة بكيفيات مخصوصة كما نشاهد ذلك في أهرام مصر، وأخيراً وجد في النواويس قرب مدينة كربلاء مقابر للنصارى، وقد احتفظوا بالأموات في توابيت صخرية أو قطع من الحجر أو في توابيت حيث كانوا يكتبون اسم الشخص ومكانته الاجتماعية على نحو بدائي بالرغم من أنّ هذا الأمر هو شيء جديد حيث بدأ العمل به منذ العهد المسيحي، فالخطوط القديمة المرسومة لم تكن خطوطاً بالمعنى المتداول اليوم بل أشكالاً خاصّة، كل شكل يتجه إلى جهة من الجهات ونحو غاية من الغايات، فقد كانوا يجعلون صورة العقاب رمزاً للقوّة، وصورة الحمام رمزاً للسلام إلى غير ذلك.

الإعلام في العصر الفرعوني

ذكر المؤرّخون أنّ الحروف الأبجدية المصرية قد ظهرت في القرن الثالث والثلاثين قبل الميلاد على أربع وعشرين حرفاً، وبعضهم يرى أنّها أقدم أبجدية عرفها الإنسان، لكن ذلك غير محقّق فإنّ من المسلّم به أنّ الكتب السماوية مثل كتاب نوح وغيره كان قبل هذا التاريخ وإن كان ضد المذكور نقضاً على الادّعاء المتقدّم.

فقد ظهر القلم والورق والحبر والحروف في زمان الفراعنة. فالورق كان ورق البردي القوي الذي لا يخرق بسهولة، وكان لونه شبيهاً باللون الأبيض أو الأصفر الفاتح، بل ذكر بعضهم أنّ الفراعنة عرفوا الصحافة منذ ما يقارب أربعة آلاف سنة، فكانوا يكتبون الصحيفة على أوراق البردي.

ومن الجرائد التي ظهرت في عهدهم جريدة «القصر»، وكانت هزلية على

الأغلب ودعائية نادراً، وهي دورية أيضاً وبين الفينة والأخرى، تتناول أوامر الملوك وتصرّفات الحكّام، وكانت الغاية من إصدار هذه الصحيفة إلهاء الشعب تارة وإصدار الأوامر إليه تارة أخرى، وتنظيمه بحيث يصبح الغرض الأصلي هو بقاؤه موالياً للحاكم من ناحية، والترفيه عنه من ناحية أخرى، وضبط الأمن من جهة أخرى.

الإعلام في العصر اليوناني

أمّا العصر اليوناني فقد شاعت فيه الخطابة والدراية والإعلام، واحتمل البعض أن يكون أفلاطون وسقراط[1] ـ من رجالات اليونان ـ من الأنبياء؛ لأنّ أعمالهم أعمال الأنبياء وأفكارهم أفكار الأنبياء، وإن كانت الأخطاء في أفكارهم وأعمالهم المنقولة إلينا أيضاً موجودة، وربّما دخلت هذه الأخطاء الفكرية إلينا من طريق التحريف، كما دخلت في كتابيّ موسى وعيسى عليهما السلام، التوراة والإنجيل، الرائجين في الوقت الحاضر. كما أنّ بعضهم احتمل أن

---

(١) سقراط، فيلسوف مثالي، ولد في أثينا سنة (٤٧٠ق.م) ، وقتل بالسم بعد أن سجن ـ وكان في سن السبعين ـ بتهمة ازدراء الآلهة وإفساد الشباب والتأليب ضد الحكم بعد هزيمة أثينا من قبل اسبارطة سنة (٣٩٩ق.م) ، لم يترك اثراً مكتوباً، لكن سجّل حياته وتعاليمه تلميذه أفلاطون في «محاوراته» واكسنافون في «مذكراته».

من مبادئه أنه نادى بمعرفة النفس من النفس، وكان يقول عن نفسه: «أنا لا أعرف إلاّ شيئاً واحداً وهو أنّني لا أعرف شيئاً»، وكان يدعو إلى نشر الفضيلة ونبذ الخرافات والأفكار الاعتباطية، وكان من دأبه التجول في الشوارع والأسواق؛ ليتحدث مع الشباب والشعراء والسياسيين عن الخير والشر والعدل والتقوى، وكان ينادي بالأخلاقية المطلقة القائمة على الخير والصالحة للإنسان كجزء من الإنسانية الكونية. وكان يرى أن السياسة هي رعاية روح المواطن وإيصاله إلى أعلى نقطة ممكنة في سلّم الخير، وبالتالي فإنّ معرفة الخير تصبح ينبوع قيادة الدولة. راجع جريدة العالم: ج١ ص١٥١، موسوعة السياسة: ج٣ ص٢٠٧.

يكون كونفوشيوس[1] وبوذا[2] من الأنبياء أيضاً، ودخلت في دينهم وشريعتهم آلاف الأخطاء والانحرافات.

وبكلمة: ما من قرية إلاّ خلا فيها نذير، ونحن لا نعلم أسماء أولئك

---

(١) كونفوشيوس فيلسوف ومصلح اجتماعي ومنظر سياسي عاش في الصين في مقاطعة شانتونج في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وكانت أفكاره تعتمد على الجانب الخلقي كاحترام الآخرين والوفاء وما أشبه، وقد أسس مدرسة لنشر أفكاره، وكان أعضاء مدرسته مرتبطين به عاطفياً أشد ارتباط. اقتباس من كتاب موجز تاريخ الأديان: ص١٠٨ لـ «فيلسيان شالي».

ويقال: إنه ولد في «تسيو» في مملكة «لو» سنة ٥٥١ ق. م.، ومات سنة ٤٧٩ ق. م.، وكان عدد تلامذته ومريديه ٣٠٠٠ شخص، وكان يعلم الناس أن كنزهم هو ضمن حكمتهم الشخصية، ويعلم الحكام أنه من أجل النجاح ينبغي أولاً كسب حب الشعب، ومن مقولاته «إن جسدنا موروث عن والدينا، فكيف نستطيع حمل هذا الإرث دون احترام»، اقتباس من كتاب جريدة العالم المعرّبة من قبل سمير شيخاني.

(٢) وهو الأمير سيدهارتا غوتاما ابن رئيس قبيلة ساكياس التي كانت تقطن شمال الشرقي من الهند، وكان أبوه ملكاً على مدينة كابيلا فاستو، ولد بوذا سنة ٥٦٦ ق. م. ومات في كوسينارا التي تسمى اليوم كاسيا في مقاطعة غوراخبور سنة ٤٨٦ ق. م. وقيل ولد سنة ٥٦٨ ق. م ومات سنة ٤٨٨ ق. م كما عن جريدة العالم: ج٢ ص٣٢٠. دعا للبوذية وهو في التاسعة والعشرين من عمره، وقضى سبع سنوات في الصوم وممارسة التركيز الروحاني والتبليغ والدعوة إلى اللاعنف على أساس الرحمة. وليس على أساس اللانشاط ـ باعتباره وسيلة لإنقاذ البشر من اليأس والألم، وخلال خمس وأربعين سنة جال في مختلف أرجاء الهند ممارساً نكران الأنا والبحث عن الخلاص، يتبعه في تجواله حشد متزايد باطّراد من التلاميذ والأنصار.

وإن حياة بوذا موجودة في السلال الثلاث، الأولى تسمى قواعد النظام، والثانية تسمى مواعظ بوذا، والثالثة التي تعرض فيها مذهبه. وكان بوذا يتكلم لغة المغاذيي، وهي لهجة بلاد مغاذا وترتبط بلهجة البالي.

والبوذية معناها باللغة السنسكريتية: العالم الذي وصل للحصول على البوذة ـ العلم الكامل ـ كما جاء ذلك في كتاب «كمال الدين وتمام النعمة»: ص٥٨٤. وقيل المتنور والمستنير وقيل الملهم. ويطلق لقب بوذا على كل شخص يتوصل إلى المعرفة المطلقة. راجع موسوعة السياسة: ج١ ص٥٩٢.

المنذرين والأنبياء.

وقد تجسد الإعلام في العصر اليوناني في خطابة الخطباء السياسيين وأشعار الشعراء الحماسيين، ومن جملتها إلياذة «هوميروس»[١] التي نقلت إلى العربية[٢]، كما أنّ أفلاطون وضع كتابه «الجمهورية» للدلالة على تعليمات تفصيلية حول ما ينبغي ممّا لا ينبغي بالنسبة إلى الحكّام والمحكومين، وما ينبغي أن يقال للأهالي صغيرهم وكبيرهم، حاكمهم ومحكومهم، غنيهم وفقيرهم، ضعيفهم وقويهم.

ويرى أفلاطون أنّ الإعلام والتعليم وسيلة مهمّة لاستتباب الأمن ولسعادة الإنسان إذا اتّبع المنهج المذكور؛ ولذا ينقل عن سقراط أنّه قال: «كانت الخطابة صاحبة الأمر في الجمهورية القديمة»، فقد كان كلّ شيء في أيدي الشعب وكان الشعب في أيدي الخطباء. وأمّا أرسطو[٣] فإنّ كتابه «البلاغة» بهذا الاسم

---

(١) ولد في آسيا الصغرى ومات بجزيرة آيوس، عاش في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد بعد انتهاء حرب طروادة وقبل ازدهار الشعر الغنائي بقرون. سجل لليونانيين حياتهم فيما بين القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثامن من قبل الميلاد، وعرضها في قالب قصصي وأسلوب روائي يجمع بين الحقيقة والخيال، كان هوميروس مصاباً بداء «النقطة» - الصرع - راجع عظماء ومشاهير معاقون: ص٢٤٦.

(٢) الإلياذة: وهي قصيدة شعرية ملحمية تتألف من ستة عشر ألف بيت موزعة على أربعة وعشرين نشيداً، مصدرها من القرن الثامن قبل الميلاد وتنسب إلى هوميروس ـ أشهر شعراء اليونان وإليه تنسب الأوديسة ـ التي تروي فصلاً من حرب طروادة. وقد نقل الإلياذة إلى العربية الشاعر اللبناني سليمان البستاني. راجع ملحق موسوعة السياسة: ص٥٢، تاريخ الأدب العربي لحنّا فاخوري: ص١٠٩.

(٣) أرسطو: فيلسوف ومفكر وسياسي ولد سنة ٣٨٤ ق. م بمدينة «ستاجيرا»، التي تقع عند الطرف الشمالي لبحر إيجا، وكان والده طبيباً للبلاط الملكي، لجدّ الاسكندر الأكبر، وفي سنة ٣٦٧ ق. م ذهب إلى أثينا وهو في سن الثامنة عشر ودرس فيها على يد أفلاطون مدّة عشرين سنة، وتنقّل بين الدول لمدة أربع سنوات، ودرّس ثلاثة عشر عاماً، واهتم بالأخلاق، والمنطق، وكان مولعاً بالمعرفة، وكان يميل للملموس والممكن، وقد ألّف أكثر من ٤٠٠ كتاب. تشتمل كتبه

الذي وضعه، يعتبر أوّل كتاب في دعاية الإغراء وهي الدعاية القائمة على الحديث والخطابة. وقد ظهر في ذلك العصر حكماء كبار اشتغلوا بمختلف فنون العلم كجالينوس(١) وأرخميدس(٢) والسفسطائيون(٣) قبل ألفين وخمسمائة

على فروع واسعة من النشاط العلمي، وهو أول من قام بتشريح الحيوانات، وكشف بذلك بعض الاختلافات في التكوين الداخلي. توفي سنة ٣٢٢ ق. م من مؤلفاته: «الجدل»، «السياسة»، «النفس»، «الخطابة»، «ما وراء الطبيعة»،«أقسام الحيوانات»، «البلاغة». راجع موسوعة السياسة: ج١ ص١٤٨، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٢٤٩.

(١) جالينوس: طبيب وفيلسوف يوناني، ولد سنة ١٣٠م ومات ٢٠١ م، أتم دراسته في اليونان وآسيا الصغرى والإسكندرية، وأقام بروما واختاره مرقص أوريليسون طبيباً لبلاطه. وينسب إليه خمسمائة مؤلَّف أغلبها في الطب والفلسفة، وبقي من مؤلفاته الطبية ثلاثة وثمانون، منها: منهج الطب، في الطب، الفصد، الشفاء، شروح على أبقراط، التعليم المنطقي، التاريخ الفلسفي. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٢ ص١٣١١

(٢) عالم الرياضيات والفيزياء والفلسفة والمخترع الشهير، ولد بصقلية في مدينة «سيراقوسه» قرابة سنة (٢٨٧ ق.م) ، وقتل من قبل جنود الرومان أثناء المعارك التي حددّت نهاية حصار سيراقوسه من جانب الرومان بالسكين سنة (٢١٢ق.م) ، درس في الإسكندرية، توصل إلى فكرة الوزن النوعي والتي تسمّى بقاعدة أرخميدس وهي ان كل جسم إذا ما غمر في سائل يتلقى دفعة عمودية من الأسفل إلى الأعلى توازي ثقل ما شغل مكانه من السائل، وتوصل كذلك إلى اختراع جهاز لرفع الماء يسمّى ب «لولب أرخميدس». وكذلك توصل إلى مبدأ أرخميدس وهو قانون ينص على أنه حين يغمر جسم في سائل ما، فإنّ ما يفقده من وزنه يكون معادلاً لوزن السائل المزاح .، وتوصّل إلى المبادئ الرياضية الناجمة عن استعمال الرافعة، فالقوة المطلوبة عند نهايتي الرافعة لتحريك ثقل في النهاية الأخرى تتوقف على بعد النهايتين من المحور الموضوع عليه الرافعة، وتوصل إلى المضخة ذات البرغي المستخدمة لرفع المياه، كما اكتشف أن الجسم الذي ينغمس في الماء يفقد وزناً يساوي وزن حجم الماء الذي حلّ محله. ويروى في هذا الصدد: كان ارخميدس يستحم في الحوض، في اللحظة التي تم له فيها اكتشاف القانون المشار إليه، فخرج من فوره عارياً إلى الشارع وتوجه إلى القصر الملكي منادياً «يوريكا، يوريكا» بمعنى وجدته، وجدته، ذلك أنه باستخدام السوائل استطاع أن يحدّد ما إذا كان تاج الملك قد صنع من الذهب الخالص أو من خليط من الذهب والفضة. راجع جريدة العالم:ج١ ص٢١٩، المنجد في الاعلام: ص٣٣.

(٣) السفسطائيون: اسم اطلق في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد على جماعة

سنة تقريباً، وهم جماعة يتعلّمون الجدل ويشكّكون في كلّ شيء ويسمون

من الرجال استوطنوا أثينا اليونانية واشتغلوا بمهنة التعليم للترويج لمعتقداتهم وكسب عيشهم معتمدين على الخطابة والجدل الكلامي والإقناع وما يمليه الحس والظن دون البرهان العلمي والمنطقي، فابتدؤا بتدريس أبناء الطبقة الأرستقراطية والطبقة الحاكمة والطبقة المؤهلة لتولي المناصب الرفيعة، معتبرين أنّ الخطابة هي اساس العلوم، ولايمكن تحقق اغراض العلوم الا باقترانها مع الخطابة. تألّق نجمهم في عهد بركليس واعتمدوا في نشر آرائهم الفلسفية والمعرفية والاخلاقية والسياسية والقيمية على مبدأ الشك، معتبرين أنّ الشك في الموجودات وفي الوجود بالذات. ومدعين بنسبية المعرفة بمعنى انه لاحقيقة ثابتة وموضوعية ومطلقة في الكون، لأنّ الإنسان الفرد هو معيار الحقيقة وطريقه إلى ذلك الإحساس أو جملة الإدراكات التي تقدّمها القوى الحسية. وبما أنّ هذه تختلف من شخص لآخر فلايمكن التحدّث عن حقيقة ثابتة ناهيك عن الحقيقة الموضوعية والمطلقة.
يقول السفسطائي جورجياس: أن لا شيء موجود . ويستند في ذلك إلى مبادئ الفلسفة الإيلية التي لا تعتبر في الموجودات إلا صفة الوجود باعتبار أن الوجود إما نشأ من العدم وهذا مستحيل وإما أن الموجودات تتسلسل عن موجودات سابقة قبلها، وبذلك تنتفي صفة البداية عن الوجود ـ واذا وجد فليس من السهل معرفته ـ ويستند إلى مبدأ الفلسفة السفسطائية بالذات، وهي أنّ معرفتنا بالشيء لاتتعدى الإدراك الحسي له فما غاب عن الحس لايدرك فبذلك تقتصر المعرفة على بعض جوانب الشيء ولاتصل إلى ماهيته . واذا عرف فليس من السهل إيصال هذه المعرفة أو تمريرها من فرد إلى آخر . ويستند إلى مبدأ سفسطائي ينص على اعتبار أنّ الإدراك الحاصل بطريق الحس إنّما يخص الفرد الذي توصل ولا يعتبر ذلك حقيقة مطلقة يمكن أن تنقل من شخص إلى آخر .. وفي البعد الأخلاقي والسياسي والعدالة والقانون والقضاء يرى السفسطائي التنافي بين الطبيعة والقانون، ويركّز على الانفلات من القيم والروابط المقدسة، معتبراً أن لكل فرد الحرية في التصرف على هواه وبما يرتضيه. وأن القانون وجد لحماية الضعفاء من الأقوياء فلاضرورة للانصياع لسلطة القانون. ويركّز على عدم الإيمان بالخوارق فلا يؤمن بوجود حقيقة عالية على الطبيعة بل يصوّر الأشياء في صورة الطبيعة ولأجل ذلك هاجموا الأديان باعتبارها تؤمن بالخوارق.
ومن أشهر دعاة السفسطائية: بروتاغوراس، جورجياس، بولوس، هيبياس، هيجل.
وقد تصدى لأفكارهم المنحرفة كلّ من سقراط ـ الذي كشف عيوبهم وبيّن خطر افكارهم على الأخلاق، خاصة جيل الشباب مما كلفه حياته ـ وأفلاطون وأرسطو. للمزيد راجع موسوعة الفلسفة: ج١ ص٥٨٦ للدكتور عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية العربية: ص٤٧٩ للدكتور معن زيادة.

أنفسهم بالسفسطائي بمعنى محب الحكمة وهي مركبة من كلمة «سوفا» و«أسطا»، فكانوا يريدون التأثير على الجماهير في التشكيك في عقائدهم وآرائهم وأنماط سلوكهم، وكلٌ ينال مقصده من طريق الخطابة والدعاية والإعلام وكتابة الشعر والنثر.

ومن الواضح أنّ موسى وعيسى عليهما السلام كانا ينشران الإعلام والدعاية ويبشران الناس وينذرانهم عبر التوراة والإنجيل، وكان المبشرون المسيحيون الأوائل يتّصفون بنشاط كبير داخل القرى والأرياف ومختلف المدن للتبشير بالإنجيل وتعليم الناس الحب والسلام والمعاشرة الحسنة وما أشبه ذلك، كما كانوا ينذرونهم بالعقاب الذي ينتظر الناس إذا خالفوا أوامر الله سبحانه وتعالى؛ حيث يكونون معاقبين في هذه الدنيا بنتائج أعمالهم وفي النهاية ينتظرون مرّة ثانية العقاب الأليم.

الإعلام في العصر الروماني

كما تطور الإعلام في أيّام يوليوس قيصر[1]، فقد كانوا يصدِّرون صحيفة تسمّى بـ «الحوادث اليومية» فيها كثير من الأخبار المختلفة من الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الفكاهية وغيرها.

---

(١) يوليوس قيصر: قائد عسكري وسياسي ومؤرخ وخطيب روماني، ولد سنة ١٠١ق. م. وقتل في مجلس الشيوخ سنة ٤٤ ق. م.، بدأ نشاطه السياسي بمناوئة مجلس الشيوخ ـ الناتو ـ ومناصرة الشعب، حكم روما من سنة ٤٩ق. م. وإلى ٤٤ق. م.، تدرّج في المناصب السياسية والعسكرية فتولى القنصلية سنة ٥٩ ق. م.، قام بحملته الشهيرة في بلاد الغال سنة ٥٨-٤٩ ق. م.، قام بحملات عسكرية ضد إيطاليا واليونان ومصر وإسبانيا فاحتلَّ هذه الدول. اختلفت الآراء فيه فبعضهم يرى أنه كان انتهازياً ويسعى للسلطة، بينما يرى البعض الآخر أنه كان يناصر الضعفاء، فقد كان هدفه إعادة مجد روما وسيطرتها. راجع موسوعة السياسية: ج٧ص٤٧٢، موسوعة المورد: ج٢ ص١٤٧.

الإعلام في العصر المجوسي

وفي إيران ظهر نبي المجوس الذي كان مبعوثاً من قبل الله ﷻ كما في بعض الروايات الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكرها صاحب الجواهر[1]، وكان لهذا النبي كتابٌ كبير، لكنّهم قتلوه وأحرقوا كتابهم ولم يبق منه شيء إلاّ ما في أيدي المجوس في الحال الحاضر من كتاب تغلب عليه الأخلاقيات ويسمّى الكتاب بـ(أوستا)[2]، ولا يبعد أن يكون بعض هذا الكتاب من بقايا ذلك الكتاب الأصلي المنزل من عند الله ﷻ؛ لأنّ بعض جمله يشبه عبارات الكتب السماوية المنزلة.

الإعلام في العصر الجاهلي

وفي العصر الجاهلي كان من عادتهم الإشارة بالصور إلى وقائع خاصّة: فلما كانت قبيلة ما تريد غزو قبيلة أخرى بحيث لا تبقي منهم أحداً كانوا يصطلحون لذلك بقولهم: «لا تذروا لهم نافخ نار ولا عامر دار ولا طالب ثار»، أي: اقتلوهم جميعاً حتّى الصغار لكي لا يكون لهم في المستقبل من يطالبهم بالثأر، فإذا علم إنسان مصلح مثل ذلك جاء إلى القبيلة الثانية التي يراد غزوها وهو عارٍ تماماً عن الملابس فيؤشّر بيده نحو القبيلة التي تريد الغزو دلالة منه

---

(١) راجع جواهر الكلام: ج٢١ ص٢٢٩، وفي الكافي (فروع): ج٣ ص٥٦٧ ح٤ ج٧ ص٤ ح٦، أنهم من أهل الكتاب، وكذا في التهذيب للطوسي: ج٤ ص١١٣ ب٢٠ ح١، أنّ المجوس من أهل الكتاب، وكذا في وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٢٦ ب٤٩ ح٢٠١٢١ وغوالي اللآلي: ج٢ ص٩٩ ح٢٧٣.

(٢) وقيل الأفستا، بمعنى المعرفة الحقيقية، وهو كتاب يضم خمسة مواضيع، ومحوره الفكري بوجود إلهين، أحدهما إله الخير ويسمى أهورامزدا، والثاني اله الشر ويسمى أهريمان.

على توجيه الإنذار إلى القبيلة المراد غزوها، على أنّ القبيلة الساكنة في هذا الجانب المشار إليه من الشمال أو اليمين أو الشرق أو الغرب تريد غزوكم هكذا، ولهذا قال الرسول ﷺ فيما يحكى عندنا: (أنا النَّذير العريّان) [١]، أي: أنتم مقبلون على أخطار في الدنيا والآخرة لا تبقي ولا تذر، فاسمعوا كلامي لتنجوا من هذه المشكلة. كما وأنّ القبائل التي كانت تنذر في الجاهلية بهذا النمط من الإنذار كانت تستعجل في جعل خلفاء لها تمنعهم عن الكارثة إن تمكنوا من الخلفاء وإلاّ رحلوا عن تلك المنطقة إلى محلّة بعيدة لا تتمكّن القبيلة الغازية من الوصول إليهم. ثم في العهد الجاهلي وفي الجزيرة العربية بالذات، كانت تعقد الأسواق كسوق «عكاظ» [٢] لأجل المبايعة والمزاوجة والإعلام والمناقشة، ففي سوق عكاظ كانت القبائل العربية ترسل بضاعتها

---

(١) كان الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما داهمهم، وأكثر ما يقوم به طليعة القوم. وقيل أن معناه: أنا النذير الذي ادركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا انذركم عرياناً. فقد ورد في كتب العامة عن الرسول الأكرم ﷺ: مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً. فقال: يا قوم أني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء! فأطاعته طائفة من قوم فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانه فصبحهم الجيش فاهلكهم وإجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتّبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق. وأصبح يضرب به المثل في تحقيق الخبر وشدة الخطر ولكل أمر تخاف مفاجاته ولكل أمر لاشبهة فيه. راجع كتاب مجمع الأمثال للميداني: ج١ ص٤٨ رقم١٨٦، أمثال الحديث: ص١١٠، الأمثال النبوية للفروي: ج١ص١٨٤ رقم ١١٦، لسان العرب: ج١٥ ص٤٨، كنز العمال: ج١ ص١٨٠ ب١ ح٩١٤.

(٢) سوق عكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية، موضعه بين نخلة والطائفة وذي المجاز، كانت تجتمع فيه القبائل مدة عشرين يوماً، من هلال ذي القعدة إلى العشرين منه في كل سنة، يتبايعون فيه ويتاجرون ويتفادون الأسرى ويتحاكمون في الخصومات وما أشبه، كما كان الشعراء يحضرون السوق لينشدوا ما أحدثوا من أشعار للتفاخر والحماس والمجادلة. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسّعة: ج٥ ص٢١٠٩.

وخطباءها وشعراءها من أجل بيع البضائع والافتخار بالآباء والعشائر وحتّى بأبسط الأشياء عندنا الآن مثل ملبس جيّد أو فرس أصيل أو زوجة جميلة، وما يحفظ من ذلك الشيء الكثير.

الإسلام والإعلام

والتطور في الكتاب والإعلام ظهر بعد ظهور الإسلام، فبعد أن كان في مكّة على قول بعض المؤرّخين عشرة كتّاب فقط، لم يمر زمان حتّى صار في نيسابور[1] أربعة وعشرون ألفاً من رواة الحديث وكتّابه حين استقبلوا الإمام الرضا عليه السلام في قصة السلسلة الذهبية المشهورة[2]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يطلق سراح الأسير إمّا مقابل أربعة آلاف درهم أو مقابل أن يعلّم الأسير عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، فصار انفجار النور انفجاراً عظيماً لا سابق له في التاريخ على ما نعرفه من تاريخ هذه الكرة الأرضية، وكان للكتابة أكبر الأثر في حفظ القرآن الحكيم والسنّة المطهّرة، وكان كلّ شيء قيد التدوين من الغزوات والحركات والسكنات والأسفار والأحداث والمنازعات والمخاصمات والحروب وغيرها، وكان للإمام الصادق عليه السلام دور كبير في نشر الوعي، وقد رأيت في بعض الكتب أنّ تلاميذ الإمام كانوا عشرين ألفاً[3]، فإذا

---

(١) وهي من توابع مدينة خراسان التي تقع شمال شرق إيران.

(٢) وهو قول الإمام الرضا عليه السلام: كلمة لا اله الا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٣٤ ب٣٧ ح٤، معاني الأخبار: ص٣٧٠ ح١، التوحيد: ص٢٥ ب١ ح٢٣، بشارة المصطفى: ص٢٦٩، الأمالي للصدوق: ص٢٣٥ المجلس الحادي والأربعون ح٨، سفينة البحار: ج٢ ص١١٤، ثواب الأعمال: ص٧.

(٣) ذكر الشيخ الطوسي في رجاله ثلاثة آلاف راوٍ من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، وترجم أبو العباس بن عقدة أربعة آلاف تلميذ للإمام الصادق عليه السلام، وترجم باقر شريف القرشي في

كان كل واحد منهم على الفرض المذكور أخذ مائة حديث صار الرقم كبيراً جداً، بينما ذكر المؤرّخون أنّ أحد تلاميذ الإمام حفظ سبعين ألف حديثاً، وآخر حفظ مائة وأربعين ألف حديثاً، وكانت لهم أصول أربعمائة، كلّ واحد منها كتاب كامل[1]، وعلى مثل الإمام الصادق عليه السلام يقاس الأئمّة الآخرون مع تفاوت سعة زمانهم أو ضيقها بحيث لم يسمح لهم نشر كثير علومهم، وكان الإمام السجاد عليه السلام ـ على ما ذكر في التاريخ ـ قد أعتق خمسين ألف عبد بعد أن علّمهم الشرائع والسنن والآداب والأخلاق والفضائل، فانتشروا في أصقاع العالم ونشروا العلم الغزير.

وينقل عن أحد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام وهو جابر بن حيّان الكوفي[2]

موسوعته حياة الإمام الصادق المجلد السادس ذ ٣٦٥٢ تلميذ من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام.

وقد ترجمت حياة بعض تلامذة الإمام الصادق عليه السلام من قبل بعض العلماء، للتفصيل راجع سير أعلام النبلاء، رجال الطوسي، تذكرة الحفّاظ، النجوم الزاهرة، رجال الكشي، رجال النجاشي، رجال بحر العلوم، رجال المامقاني، خلاصة العلامة، معجم رجال الحديث، حلية الأولياء، فهرست ابن النديم، موسوعة حياة الإمام الصادق للقريشي، موسوعة الإمام الصادق للقزويني.

(١) كتب أربعمائة فقيه من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام أجوبة مسائلهم في أربعمائة مصنّف، سميت بالأصول الأربعمائة وقد جمعت في الكتب الأربعة ـ الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار ـ وغيرها.

(٢) جابر بن حيان الأزدي الكوفي، سمي بجابر لأنه جبر العلم وأعاد تنظيمه، ولد في العراق وعاش في الكوفة، قتل أبوه لحب آل البيت عليهم السلام فتكفله الإمام الباقر عليه السلام وشمله بألطافه ورعايته ورباه وفقهه، ثم من بعد شهادة الإمام الباقر رباه الإمام الصادق عليه السلام وزوده بعلم الطب والطبيعة والكيمياء، وبما يحتاجه ليقوم بتطبيق ما علّمه إياه. سعى هارون العباسي لاعتقاله فاختفى حتى أيام المأمون.

يعدّ جابر مفخرة من مفاخر الإسلام لأنه أول المسلمين المشتغلين في علم الكيمياء والطبيعة، ولا زالت نظرياته موضع اهتمام الباحثين والدارسين في العالم، فإنّ جامعات اوربا وحتى القرن الخامس عشر كانت لاتدرس إلاّ كتبه، وكان اسم جابر في الغرب يعد ضماناً ضد الانتقادات والتهم، وسلطة علمية تفرض نفسها على الجميع. فقد ألّف ١٥٠٠

أنه ألّف ثلاثة آلاف كتاب في مختلف العلوم والفنون.

وكتابا نهج البلاغة والصحيفة السجادية كتابان شهيران، وفيهما من العلم والأخلاق والعقيدة والتوحيد ومختلف فنون الحياة السلمية والحربية وما أشبه ذلك الكثير مما يصلح لإدارة العالم سلمياً وحربياً وأخلاقياً وعائلياً وغير ذلك، ومن الواضح أنّ السياسة كان لها الدور الكبير أيضاً في باب الإعلام

رسالة في الكيمياء ومثلها في الطب. وترجمت أغلب مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية.

يعدّ جابر أول من أشار إلى طبقات العين، وأول من اثبت إمكان تحويل المعدن الخسيس إلى الذهب والفضة. حيث قال بالطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، وهذه الأربعة، اذا اجتمعت الحرارة واليبوسة يكوّنان النار، واذا اجتمعت الحرارة مع الرطوبة يكوّنان الهواء، واذا اجتمعت البرودة واليبوسة يكوّنان الأرض، واذا اجتمعت البرودة والرطوبة يكوّنان الماء، وليس في الطبيعة كائن يخلو تركيبه من أن يكون واحداً من هذه الأجسام أو مزيجاً مركباً منها، ولا فرق في ذلك بين الجماد والنبات والحيوان الأ في نوع المركب ودرجة التركيب. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نحوّل المعادن بعضها إلى بعض، لأن المعادن فيها مقوّمين، هما: الكبريت والزئبق وهما يتكونان من النار والهواء.

وقد وصف ابن خلدون براعة جابر في علم الكيمياء في مقدمته: ص٤٤٧ قائلاً: «إمام المدونيّن فيها جابر بن حيان حتى إنهم يخصّونها به، فيسمونها علم جابر».

وقال عنه برتلّو: «إن اسم جابر ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة أرسطو في تاريخ المنطق».

يقول جابر بن حيان عن الإمام الصادق عليه السلام الذي علّمه الكيمياء: لولا أنّ هذه الكتب باسم سيدي صلوات الله عليه لما وصلت إلى حرف من ذلك إلى آخر الأبد، لا انت ولا غيرك إلاّ في كل برهة عظيمة من الزمن.

من مؤلفاته: الخواص الكبير، الأركان، البيان، النور، التدابير، الدرّة المكنونة، الخالص، الميزان الصغير، سر الأسرار، الإيضاح، الروضة، الأحجار، الزئبق، شرح المجسطي، الرحمة، خواص إكسير الذهب، السبعين، السموم، الحاصل، إخراج ما بالقوة إلى الفعل، أسرار الكيمياء، علم الهيئة، البستان.

عن جابر راجع الإمام الصادق ملهم الكيمياء لمحمد يحيى الهاشمي، الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب لجماعة من المستشرقين، الإمام الجعفر الصادق للدكتور محمد حسين الصغير، جابر بن حيان للمؤلف زكي نجيب محمود، جريدة العالم: ج٢ ص١٩٢.

ونشر العلم والثقافة، وكمثال لذلك أن الفاطميين[1] نشروا الدعوة نشراً غريباً، وكان منهم شيعة إمامية وشيعة غير إمامية كما يرى المطالع في التاريخ، وكثير منهم كانوا من النزاهة والفضيلة في مرتبة رفيعة وقد أخذوا لفظ «الداعي» الذي

---

(١) الدولة الفاطمية، مهّد لقيامها ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد، المعروف بأبي عبد الله الشيعي، المولود في صنعاء، حكمت من ٢٩٧ هـ (٩٠٩م)، واستمرّ حكمها إلى ٥٦٧هـ (١١٧١م)، وكان عدد حكّامها أربعَ عشرة خليفة؛ ابتداءً بعبد الله «المهتدي بالله» ومروراً بابنه محمد «القائم بأمر الله» وإسماعيل«المنصور بالله» ومعد «المعز لدين الله» ونزار «العزيز بالله» والمنصور «الحاكم بأمر الله» وعلي «الظاهر لأعزاز الله» ومعد «المستنصر بالله» وأحمد «المستعلي بالله» والمنصور «الآمر بأحكام الله» ثم ابن عمه عبد المجيد «الحافظ لدين الله» وابنه اسماعيل «الظافر بالله» ثم عيسى «الفائز بنصر الله» وانتهاءً بعبد الله «العاضد لدين الله». ـ ويرى المحقق حسن الأمين في كتابه صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين أن الخلافة الفاطمية انهارت في زمن المستنصر بالله عندما استولى بدر الجمالي أمير الجيش سنة ٤٦٦هـ على البلاد وأصبح الخليفة محكوماً عليه بالإقامة الجبرية، ثم عين بدر الجمالي بعده الأفضل ثم الحافظ .. وابتدأ سلطانهم بأن حكموا تونس واتخذوا قيروان عاصمة لها ثم أخضعوا الشمال الإفريقي كلّه ثم مصر؛ في عهد الخليفة المعز لدين الله، الذي مدّ حدود حكمه إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وأنشأ مدينة القاهرة وبسط نفوذه على سورية وفلسطين ولبنان. ومجموع خلافتهم مئتا سنة واثنتان وسبعون وبضعة أيام، منها مائتان وثمان سنين في القاهرة، ففي عهدهم انشئت المدارس والمكاتب واقتنيت الكتب النفيسة، وبني مرصد جبل المقطم. ومن إنجازاتهم: إيجاد وحدة التكامل السياسي بين المغرب والمشرق؛ فأصبح المغرب وملحقاته: صقلية وقوصرة وفلورية، ومصر وملحقاتها: وهي الشام والحجاز واليمن؛ وحدة سياسية قاعدتها القاهرة، بعد أن كانت كيانات مجزأة، ومن إنجازاتهم أيضاً: وقوفهم بوجه الدولة البيزنطية والصليبيين، كما أسّسوا جامع الأزهر وجامع الحاكم ودار الحكمة. ولهم الفضل في تعريب القسم الإفريقي وفي حماية الشواطئ الإفريقية الشمالية من الغزو الصليبي، وبنوا لأجل ذلك قاعدة عسكرية قوية، تضم خمسة آلاف ربان و٢٠٠ سفينة، وأضحت المهدية وسوسة ومرافئ صقلية مركزاً لهذه السفن، وكان لهما أسطولان في البحر المتوسط والبحر الأحمر ولهم موانئ على البحر المتوسط هي: الإسكندرونة ودمياط في مصر، وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام، وعيذاب على البحر المتوسط. راجع «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان، «أعيان الشيعة» لمحسن الأمين، «اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزي، «شمس العرب تسطع على الغرب» للمؤلفة زيغريد هونكة.

كانوا ينعتون به دعاتهم مقتبساً من قوله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[1]، وقبل نصف العالم الإسلامي دعوة الفاطميين في مصر وسوريا وغيرهما حتّى بدّلها صلاح الدين الأيوبي[2] بقوّة السيف وإحراق الكتب وقتل مليون إنسان إلى دعوة أخرى،

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان: ٤٥-٤٦.

(٢) صلاح الدين يوسف بن نجم الدين بن شاذي الأيوبي، ينحدر من سلالة فرنسية من جهة الأم؛ كما صرح بذلك الدكتور الفرنسي لويس بوزيه في محاضرة ألقاها في مؤتمر صلاح الدين الأيوبي في نيسان من سنة ١٩٩٤م، هاجر جدّه شاذي مع ولديه نجم الدين وأسد الدين إلى بغداد وعيّن على قلعة تكريت، ويعد مؤسس الدولة الأيوبية والتي أسماها باسم عائلته واستمر حكمها من سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م) وإلى ٦٤٨هـ (١٢٥٠م)، وأطيح بها من قبل المماليك، وقد حكموا مصر وبلاد الشام وبعض بلاد العراق والجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب ـ اليمن ـ، وعدد حكامها ثمانية أشخاص، أولهم: صلاح الدين وآخرهم نوران شاه. ولد صلاح الدين في تكريت سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) وهو من أصل كردي، وعاش في الشام عشر سنوات في عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سلطان السلاجقة، ثم ذهب مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر مع ثمانية آلاف فارس حيث أرسلهم نور الدين زنكي استجابةً لدعوة الخليفة الفاطمي ـ العاضد ـ الذي طلب مساعدته مراراً للردّ على الصليبيين، الذين زحفوا على عسقلان حتى وصلوا إلى «بليس» وهددوا القاهرة ثم تقهقروا عنها دون قتال، وقد قبل نور الدين مساعدة العاضد بشرط أن يمتلك ثلث مصر، وعندما وصل شيركوه إلى القاهرة، عهد إليه العاضد بمنصب الوزارة فبقي فيها مدة شهرين وخمسة أيام، حيث وافاه الأجل، ثم عهد من بعده لصلاح الدين، ولكن صلاح الدين سعى للتخلص من العاضد، فانقلب على الحكم وقضى على الدولة الفاطمية وخطب للعباسيين واعترف بسلطة الخليفة العباسي صورياً سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١م)، وقد حكم مصر أربعاً وعشرين سنة من ٥٦٤هـ (١١٦٩م)، ومات سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) عن عمر يناهز السابعة والخمسين. اشتهر صلاح الدين بالإدمان على الخمر وارتكاب الفواحش؛ وهذا ما صرح به أحد أعوانه وهو ابن شدّاد في كتابه النوادر السلطانية، وكذا ذكره سير أعلام النبلاء ج١ ص٢٧٩ وزبدة الحلب في تاريخ حلب المجلد الثاني، اتّسم حكمه بالديكتاتورية والاستبداد وأجبر الناس على اعتناق المذهب الشافعي، وحارب مذهب الشعب المصري وهو مذهب التشيع، وحبس علماءهم وكان يتتبع آثارهم لقتلهم، فقد قتل مليون مسلم شيعي وسجن عشرة آلاف شخص منهم ذكوراً وإناثاً وبكافة الأعمار بعد أن

وإلى الآن تجد آثار الدعوة الفاطمية في هذين البلدين وأطرافهما، وكمثال

صادر ما يملكون؛ حيث سجن الذكور كهولاً وشباباً وأطفالاً في سجن مدى الحياة، مصفّدين بالسلاسل والقيود، وسجن النساء عجائز وفتيات في سجن آخر وبنفس الصفة والطريقة، ومنعوهم من التناسل؛ لتنقطع ذرية الشيعة، واستمر هذا الحال بالمساجين سنوات متتالية حتى انقرضت الدولة الأيوبية.. كما أنه قتل الفيلسوف السهروردي، وعزل قضاة الشيعة وصلب بعضهم، أمثال: هبة الله بن كامل وعبد الصمد الكاتب وداعي الدعاة بن عبد القوي، وكان يقتل كل من يمدح أهل البيت ﷺ أو يذكر فضائلهم فيقطع لسانه ويديه ثم يرجمه، كما قتل الشاعر عمارة اليمني، وكان يأخذ الضرائب والمكوس من الشيعة لتشيعهم وأقلها خمسمائة ألف درهم، وقد أحرق المكتبات سنة ٥٧٤هـ بعد أن أضرم النار فيها. والقى بعضها الآخر في نهر النيل وترك قسماً منها في صحراء سيناء فسفت عليها الرياح حتى صارت تلالاً، عرفت بتلال الكتب، كما أن حمّامات القاهرة بقيت ستة أشهر تحرق الكتب لتسخين المياه في مراجلها وبعض هذه الكتب بيع وبعضها أخذه العبيد والإماء متّخذينها أحذية لهم!. ومن المكتبات التي احرقها «خزانة الكتب» التي أنشأها «العزيز بالله» سنة ٣٦٥ هـ؛ وكانت تحتوي على مليونين وستمائة ألف كتاب في جميع العلوم، يقول جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي: ج٢ ص٢٢٩: «كانت تحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة وستة آلاف وخمسمائة جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة، وكان فيها ٢٤٠ ختمة قرآن بخطوط منسقة مزينة بالذهب ومجلدة بشكل نفيس وكان فيها ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري»، وأحرق «دار الحكمة» التي أنشأها «الآمر بالله» سنة ٢٩٥هـ وكانت تضم أكثر من مائة ألف كتاب. ويقول الدكتور ألكسندر ستيفيتش في كتابه تاريخ الكتاب القسم الأول: ص١٤٣ ما نصه: «وقد سجلت نهاية العصر الفاطمي بداية انهيار المكتبات الكبرى في القاهرة فقد أدى النهب والحرائق واللامبالاة إلى القضاء على قسم كبير من ثروة المكتبات التي كان الخلفاء الفاطميون وهم من محبي الكتب قد أنفقوا عليها الكثير من اهتمامهم وثروتهم»، ومن الجرائم التي تفرد بها أنه فرق بين رجال الشيعة ونسائهم بعد أن سجنهم مصفدين بالسلاسل والقيود حتى لا يتناسلوا، وجعل يوم العاشر من المحرم ـ يوم استشهاد سبط الرسول الأكرم ﷺ ـ يوم عيد، نكاية بالإمام الحسين ﷺ، ومنع ذكر «حيَّ على خير العمل» في الأذان وصادر أموال الناس وأعطاها لجنده وغير ذلك ممّا يندى له جبين كل صاحب شرف وغيرة ودين وإنسانية، لمزيد من التفصيل راجع كتاب صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والصليبيين والفاطميين للباحث حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة: ج٢ ص٣٥٦ وج٤ ص٢٤٣، شذرات الذهب: ج٤ ص٢٩٨، الخطط للمقريزي: ج١ ص٤٠٨ وص٤٩٦.

على ما ذكرناه من قوّة دعوتهم، ما ذكره المعز لدين الله الفاطمي [1] قائلاً: «ما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلاّ ولنا فيه حجج ودعاة يدعون لنا ويأخذون ببيعتنا ويذكرون رجعتنا وينشرون علومنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا مع تصاريف اللغات واختلاف الألسن، وفي كلّ جزيرة وإقليم رجال يفهمون وعنهم يأخذون حسب قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[2]. يريد المعزّ بقوله: «ويذكرون رجعتنا» رجعة الإمام المهدي عليه السلام وآبائه، كما دلّ على ذلك متواتر الروايات الواردة عن الرسول والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، فمع أنّ الفاطميين كانوا مهددين من قبل الدولة العباسية بمختلف أنواع التهديد حتّى أنّ ابن خلدون[3] ذكر قائلاً: «وكان أبواق

---

(١) معد بن إسماعيل المشهور بالمعز لدين الله، رابع خلفاء الدولة الفاطمية، ولد سنة ٣١٩ هـ (٩٣١م) ومات سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥م)، تربّع على العرش في المغرب سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢م) وإلى سنة ٣٦١هـ (٩٧٢م)، عرف بتدبيره وحسن إدارته وسياسته العادلة وثقافته الواسعة وإنشاده للشعر. توسعت في عهده الدولة الفاطمية لتشمل مصر وبلاد الشام ومكة والمدينة وإفريقيا وطرابلس وصقلية. وفي عهده أنشئت القاهرة واتخذها عاصمة له وذلك سنة ٣٦٢هـ (٩٧٢م) وبنى جامع الأزهر وأسس دار الحكمة. راجع: وفيات الأعيان: ج٥ ص٢٢٤، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين: ج٤ للدكتور عارف تامر.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٣) عبد الرحمن بن محمد الكندي، الملقب بولي الدين نسبة إلى توليه منصب قاضي القضاة في مصر، والمشهور بابن خلدون، فيلسوف ومؤرخ، له باع في علم الاجتماع، ولد في تونس رمضان سنة ٧٣٢هـ (أيار ١٣٣٢م)، وتوفي في القاهرة رمضان سنة ٨٠٨هـ (آذار ١٤٠٦م) وله من العمر ٧٨ سنة، تنقل في بلاد المغرب والأندلس ثم أقام بتلمسان ثم عاد إلى تونس ومنها انتقل إلى مصر، شغل مناصب رفيعة في دولة بني مرين، فشغل منصب القضاء على المذهب المالكي في عهد السلطان أبي سالم الظاهر برقوق، نزح إلى الأندلس سنة ٧٧٦هـ وأخذ يمتهن الخطابة والتدريس، وكان من المقرّبين لثالث ملوك بني الأحمر، أبي عبد الله؛ والذي كلفه بالانكباب على كتابة التاريخ، كما استأثر بعدّة وظائف حكومية وقضائية في الأندلس خلال خمس وعشرين سنة، له عدة مؤلفات، منها: «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» التي انتهى من

الدولة العباسية يطعنون بالنسب الفاطمي، ويؤولون أعمال الحاكم الحسنة تأويلاً سيئاً، فيقولون: منع النزهة عن ضفاف النيل، وقطع رزق المنجمين، وهدم بيوتاً، وقتل كلاباً وخنازير، وأراق خموراً، ونحى بعض الموظّفين، وقطع إحسانه عن قوم عوّدهم الإحسان وجازى بعض التجّار» إلى آخر ما ذكره ابن خلدون، إلاّ أنّهم تمكنوا من الاستيلاء على بلاد شاسعة ونشروا الدعوة وأقاموا العدل في حدود تصوّرهم ونشروا العلم وفتحوا المكتبات واحترموا العلماء، ولهم آثار حسنة جليلة باقية إلى الآن في تلك البلاد. وقد قامت الدول الشيعية منذ صدر الإسلام هنا وهناك حتى أن القرن الرابع الهجري كان فيه كثيرمن البلدان الإسلامية تحكمها حكومات شيعية، فتجد الحكّام الشيعة في مثل إيران كالصفويين [1] وغيرهم ممّا أحصى جملة منها السيد محسن الأمين

كتابتها سنة ٧٧٩هـ، والذي اشتهر بـ «مقدمة ابن خلدون»، وله كتاب في الحساب، ورسالة في المنطق. للتفصيل راجع المجلد السابع من مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون لتيسير شيخ الأرض، الأعلام للزركلي: ج٤ ص١٠٦، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٦٢.

(١) الصفويون سلالة إسلامية شيعية، تأسست على أنقاض الحكم المغولي التيموري، وتنسب إلى «صفي الدين الأردبيلي»، المولود سنة ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) والمتوفى سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٤م)؛ وقد قام اسماعيل بن حيدر الصفوي المولود سنة ٨٩٣هـ (١٤٨٨م) حفيد صفي الدين بالقضاء على «الآقا قونيلو» الحاكم في أذربيجان والعراق واتخذ «تبريز» عاصمة له، ولقّب بشاه، وحكمت هذه السلالة إيران مدة مائتين وخمس وثلاثين سنة منذ سنة ٩٠٥هـ (١٥٠٠م) وإلى ١١٤٠هـ (١٧٢٨م)، وقد حكم اسماعيل من سنة ٩٠٥هـ (١٥٠٠م) واستمر إلى ٩٣٠هـ (١٥٢٤م)، وقد خاض حروباً متعددة مع العثمانيين؛ والذين هزموه في معركة «جالدران» قرب مدينة «تبريز» سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م)، ثم حكم من بعده ابنه «طهماسب الأول»، الذي اتّخذ «قزوين» عاصمة له سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥م)، والذي حكم ٥٤ سنة، ثم جاء بعده «إسماعيل الثاني» وحكم سنتين، ثم من بعده «محمد خدابنده بن طهماسب الأول» وحكم عشر سنوات، ثم «شاه عباس الأول ابن محمد»، الذي نقل العاصمة إلى «أصفهان» سنة ١٠٠١هـ (١٥٩٣م)، وحكم أربعاً وأربعين سنة، ثم جاء بعده «شاه سليمان»، حفيد شاه عباس الأول. وكان آخر ملوكهم «شاه حسين»، الذي حدثت في عهده فتنة «الأفغان»؛ عندما احتلّ ملكها «شرف الأفغاني» أصفهان، واعتقل «شاه حسين» وقتله سنة

في أعيان الشيعة والشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الدول الإسلامية إلى غير ذلك.

وقد عرف نابليون أثر الصحافة والإعلام والرأي العام، فكان يقول: «أربع جرائد ترهبني أكثر من مائة ألف بندقية»، وقد اهتم بإصدار الصحف في البلاد التي يحتلها سواء في أوربا أو البلاد الإسلامية لتعزيز موقفه وليصنع لنفسه هالة وشهرة عسكرية وسياسية، كما كان هارون العباسي[1] يقول ما يشبه ذلك

١١٤٠هـ (١٧٢٨م) وتركه ثلاثة أيام بدون غسل ولا كفن، وأمر ملك الأفغان بهدم المدارس والمساجد والمكتبات في إيران حتى قيل: إن حمّامات وأفران العاصمة أصفهان كانت تسخن لأكثر من شهر بواسطة كتب مكتبات الصفويين.

(١) هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، خامس خلفاء بني العباس وأوسعهم شهرة، والبالغ عددهم ٣٧خليفة، ولد في مدينة الري الإيرانية. وتقع في أطراف طهران الحالية. سنة ١٤٨هـ (٧٦٥م)، ومات في جمادى الأولى سنة ١٩٣هـ (٨٠٩ م) في قرية سناباد عندما ذهب إلى خراسان لقمع ثورة رافع بن الليث حفيد نصر بن سيار عن عمر يناهز ٤٧ سنة، قال الصولي: خلّف الرشيد مائة ألف ألف دينار ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته مائة ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار.

وحكم هارون سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م)، وامتد حكمه ٢٣ سنة وشهراً وتسعة عشر يوماً، وخلف عشرين ولداً نصفهم ذكور ونصفهم إناث، واتّسم حكمه بالظلم والاستبداد وعلى الخصوص لأئمة أهل البيت ﷺ و أتباعهم، فقد قتل الإمام الكاظم ﷺ بالسم بعد أن سجنه عشر مرات في البصرة وبغداد، وآذى الإمام الرضا ﷺ وأراد قتله وتصفيته جسدياً عدّة مرات، وكذا قتل الطالبين. وكان هارون يسعى دائماً إلى طمس المذهب الشيعي، والآثار الإسلامية، وبالأخص العتبات المقدسة في مدينة كربلاء فقد هدّم قبر الإمام الحسين ﷺ وحرث الحرم وقطع شجرة السدرة التي كانت معلماً لإرشاد الزائرين وذلك سنة ١٩٣هـ، وقد أضحى العلماء في عهده يتحامقون أمثال بهلول بن عمرو وعليان وعيناوة، ومن وسائل قتله للأبرياء بناء الأعمدة المجوّفة ووضع الإنسان فيها ثم سد فوهة العمود فيبقى المعذب فيه حتى يأتيه الموت بتلك الحالة، وبنى سياسته ضد خصومه على أسلوب خلق الفتن والتآمر والاغتيال والدعاية في طعن النسب وفي الإيديولوجية وفي الهجوم العسكري إن تسنى له ذلك، واهتم بالغناء والمغنين وقرّب الكثير منهم وأجزل العطاء عليهم، فقد أعطى سفيان بن عيينة مائة ألف دينار، وإسحاق الموصلي مائتي ألف دينار،

لهشام بن الحكم وهو شابٌ لم تنبت له لحية؛ إذ كان يقول: «إنّ لسان هذا أحدُّ عليّ من مائة ألف سيف».

الإعلام في العصر الحديث

أمّا الإعلام في العصر الحديث الذي يعنى بتقوية الرأي العام في احتضان الحكومة وفي تقديم حزب على حزب وفي إجراء الانتخابات وما أشبه ذلك، فقد أصبح جزءاً من حياة الناس في شتى أنحاء العالم ولم يعد الاهتمام بالرأي العام مقصوراً على الرأي العام المحلّي وعلى كلّ دولة بالنسبة إلى رعاياها بل

ومروان بن أبي حفصة خمسة آلاف دينار، وكان يجمعهم في مجلس واحد ويقترح عليهم في الأصوات ليطرب هو ومن معه، وقد اختار له إسحاق الموصلي من الغناء مائة صوت، عرفت بالأصوات المائة المختارة، التي وضع أبو الفرج الأصفهاني فيها كتاب الأغاني. وكان أخو هارون، إبراهيم، المعروف بابن شكلة قد بلغ منزلة بالغناء والعزف والمنادمة حتى اشتهر بشيخ المغنين، وقد ذكر في التاريخ أنه لما عجز إبراهيم عن توزيع عطاء الناس؛ لصرفها في ملذاته، قال قوم من أهل بغداد هازئين مستهزئين: «أخرجوا لنا خليفتنا يغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءً للجميع»، وكانت أخت هارون، علية، تغني وأخوها الآخر، يعقوب، يزمّر لها على الغناء. وقد قال الشاعر أبو فراس الحمداني مقارناً بين أفعال العباسيين والعلويين قائلاً:

منكم علية أم منهم وصاحبكم ... شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

تبدو التلاوة من أبياتهم سحراً ... ومن بيوتكم الأوتار والنغم

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا ... مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

راجع: الأعلام للزركلي: ج٨ ص٦٢.

ثار عليه يحيى بن عبدالله بن أبي طالب في بلاد الديلم سنة ١٧٦هـ (٧٩٢م).

وقد عدّ بعض المؤرخين هارون أول من جعل للمغنين والمغنيات مراتب وطبقات، اقتداءً بـ «أردشير وكسرى» حكام فارس، وأول خليفة لعب بالكرة والصولجان وهي لعبة فارسية، كما ذكر ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٢٢٧ والزركلي في الأعلام: ج٩ ص٤٣. وقد شاعت في زمانه لعبتا الشطرنج والنرد.

اتّسع نطاق هذا الاهتمام حتّى أصبح يشمل الرأي العام العالمي، فالحكومتان العالميتان الشرقية الشيوعية والغربية الرأسمالية كانتا ولا زالتا تخصّصان رصيداً كبيراً جداً لنشر أفكارهم في طول البلاد وعرضها.

وقد عقد مؤتمر المائدة المستديرة الثاني لرؤساء تحرير الصحف الآسيوية تحت رعاية منظمة اليونسكو، وجاء فيه: «هناك دور هام يتعيّن على وسائل الإعلام الجماهيري أن تضطلع به، وهي تستطيع بالفعل الاضطلاع بهذا الدور، وهو التعجيل بالتطوّر الاجتماعي والاقتصادي في آسيا. ذلك أنّ مشروعات التنمية لا تستطيع أن تنجح إلاّ بواسطة المشاركة من جانب الشعوب، الأمر الذي لا يتحقّق إلاّ بمساعدة من جانب وسائل الإعلام، أي الصحافة المطّلعة التي تتدفّق حيوية، وبرامج الإذاعة والتلفزيون المناسبة»[١].

أقول: لكن لا يخفى أنّ هذه التوصيات بقيت حبراً على ورق؛ لأنّه ليس وراءها القوّة الكافية، فإنّ هذه الدول إما دول ديكتاتورية، هم عملاء الغرب، يقولون ما لا يفعلون بل يفعلون ضدّ ما يقولون، أو ديمقراطية صورية، لا حقّ لها في اجتياز الخطّ الأحمر الموضوع من قبل الدول الغربية حتّى لا تتمكن أن تنهض هذه الدول، ولذا ترى كل شيء في هذه الدول في أيدي الغربيين وأحياناً في أيدي الشرقيين قبل التدهور الذي أصاب البلاد الشيوعية، أمّا بعد التدهور فقد استبدّ النظام العالمي الجديد بالأمر كله، فقد قال أحد الأساتذة: «شهدت السنوات الثمانون من القرن العشرين أزمات خانقة امتدت إلى كلّ مجالات الحياة، وبعد الانتعاش النسبي الذي شمل عدداً لا يستهان به من البلاد

---

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الثاني: ص٣٥ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

النامية نتيجة الثورة الصناعية واتساع ناتج العالم الثالث في المحافل الدولية وتقوي شوكة إسرائيل وتأثير كلّ ذلك على معنويات شعوب الجنوب، دارت الأيّام وأتى ردّ الفعل بأشدّ ما يكون، فإذا بالأزمة الاقتصادية تعصف بالمكاسب الهشة وتدفع بها في مهب الرياح، ناشرة المجاعة والإفلاس بدون أدنى اعتبار، وإذا بالقوى العظمى تسعى بكل أمانيها إلى استرجاع ما فاتها والسيطرة على ما تجاوزها مشعرة بذلك العالم النامي بأنّ استقلاله السياسي والاقتصادي والثقافي مقيّد بمصالحها قبل كلّ شيء، وقد انعكست كلّ هذه العناصر من المنظّمات الدولية حيث تجلّت النزاعات الدفينة بكلّ وضوح حتّى أصبحت هذه الهياكل المحدثة لخدمة الانفراج مهدّدة بالانفجار، وكان في مقدّمتها بطبيعة الحال قلعة التربية والعلوم والثقافة، اليونسكو التي سقطت في نظر الدول الكبرى في أيدي الجنوب وحركة عدم الانحياز، فدخلت أكثر من غيرها في دوامة الاهتزاز والأزمة التي تتخبط فيها هذه المنظمة لها في مفهوم رجل الشارع الغربي مبررات كثيرة، ولكن ليس لها علاقة بما ذكر فهي تعدو أساساً إلى سوء التصرّف الإداري والتبذير والمبالغة في الاهتمام بما لا يعني المنظّمة من مجالات النشاط، ومهما يكن الأمر فإنّ من المسلم به اليوم أن منطق الأزمة يعود أولاً وبالذات إلى مطالبة العالم النامي بإقرار نظام عالمي جديد للإعلام والاتّصال، وهذا استنتاج مبني على التقارير الرسمية والمقالات الصحافية. وقد أيّدَ هذه النظرة ما ورد في كتاب أمريكي صدر في بداية ألف وتسعمائة وأربع وثمانين تحت عنوان «المسابقة العجيبة»، وجاء فيه: إنّ الولايات المتّحدة الأمريكية عزمت على مغادرة اليونسكو بتعاطف هذه المنظمة مع العالم الثالث حول هذا الموضوع... إلى آخر كلامه. وقد قال أحد العلماء المعاصرين: «إنّ بناء الدولة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً يتطلب الاستعانة بشتّى الوسائط

ووسائل الإعلام سـواء أكـان ذلـك عـن طريـق التبليـغ بـالإعلام لـشخص إلـى شخص أو عن طريق تبادل الإعلام بين جماعات منظمة أو عـن طريـق الإعـلام الجماهيري عبر المتنفّذين في الصحافة والمطبوعات والإذاعة والتلفاز والسينما والفنون الأخرى».



العلاقات العامة في العصر الحديث

مسألة: ينبغي التوجه للعلاقات العامة [1] لإزالة الالتباس وسوء التفاهم

---

(١) العلاقات العامة: مصطلح شاع استعماله في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ويعتمد على حقيقة علمية مفادها أنّ الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته فلايمكن له أن يعيش بمعزل عن الآخرين.

واختلف العلماء في تعريف العلاقات العامة مثلما اختلفوا في تحديد طبيعتها، وقد جمع أحد الباحثين الأمريكيين تلك التعاريف وأوصلها إلى مئتي تعريف، ونحن نذكر بعضها بغضّ النظر عن الملاحظات والنقاشات حولها:

١- علم يدرس سلوك الأفراد والجماعات دراسة موضوعية بغية تنظيم العلاقات الإنسانية على أسس من التعاون والمحبة والوعي ٢- الجهود المتصلة الواعية الموجهة التي تستهدف إيجاد صلات وديّة، تقوم على الفهم المتبادل بين هيئة وجمهورها ٣- الجهود التي يبذلها فريق ما، لإقامة العلاقات الطيبة واستمرارها بين أعضائه، وبينه وبين مختلف قطاعات الراي العام ٤- الجهود التي يبذلها فريق ما، لإقامة علاقات الثقة واستمرارها بين اعضائه، وبين الفريق وبين الجماهير المختلفة التي تنتفع بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية التي تحققها المؤسسة ٥- وظيفة إدارة دائمة ومنظمة، تحاول المؤسسة العامة أو الخاصة عن طريقها أن تحقق مع من تتعامل أو يمكن ان تتعامل معهم، التفهم والتأييد والمشاركة.

راجع كتاب مبادئ في العلاقات العامة: ص٩-١٢ للمؤلف حسن الحلبي ٦- إعلام يعطي للجمهور، وإقناع يوجّه إليه لتعديل مشاعره وتصرفاته، ومجهود لخلق تكامل بين المشاعر والأفعال ٧- الترويج لإيجاد التفاهم والصلات القوية بين المنظمة وأفرادها وأي مجموعة من المجموعات أو الأفراد أو المنظمات. ومايتنتج عن هذا التفاهم من إقامة سمعة طيبة وعلاقة مستمرة ٨- وظيفة إدارية تقيّم اتجاهات الجمهور وتحقق سياسات وتصرفات الفرد أو التنظيم مع المصلحة العامة، وتضع وتنفّذ برنامج عمل للفوز بثقة الجمهور وتقبّله للمؤسسة راجع كتاب العلاقات العامة: ص١١٧ للدكتور عادل حسن.

وقد اختلف العلماء في تحديد تاريخ العلاقات العامة، فبعضهم أرجأها إلى بداية النشاط

والجهل ونقص المعلومات، ولأجل خلق التوافق والانسجام وفهم المصالح بين الأشخاص والأشياء سواء في نطاق المؤسسة أو المجتمع أو الدولة، فإنّ العلاقات العامّة في العصر الحديث أصبحت من الصعوبات بمكان؛ إذ الدعايات المضادة وكثرة توقّعات الجماهير ـ بكثرة الصناعات في البلاد ـ والحالة المادية التي طغت على المعنويات، سبّبت أن تكون العلاقات العامّة صعبة سواء علاقات الحاكم برعيته أو علاقات الشعب بالحاكم أو علاقات الشعب بعضهم مع البعض الآخر، فإنّ المجتمع الذي يسير حكمه في يسر وسهولة هو المجتمع الذي تكون فيه هذه الأمور الثلاثة، أي علاقات بعض الناس ببعض حسنة وعلاقات الحاكم بالشعب حسنة وعلاقات الشعب بالحاكم حسنة، فإنّ هذه الأمور مع صعوبتها في نفسها تلاقي مقاومة شديدة من قبل الدعايات المضادة، مثلاً: الديمقراطية أو الاستشارية في الاصطلاح الإسلامي هي الحكومة ذات الحزبين أو الأحزاب المتعدّدة وذات الصحافة

الإنساني، وآخر مع بداية الحياة الاجتماعية في المجتمعات، وثالث مع بداية النهضة الصناعية في أوربا.

وتقوم أهداف العلاقات على مبدأ احترام القيم الإنسانية، عبر إيجاد الثقة وتحقيق واقع يؤدي إلى قيام العلاقات، ونقل الحقائق بعيداً عن الكذب والمعلومات الخاطئة أو المشوّهة، والابتعاد عن الضغوط والتأثيرات والإثارات، والالتزام بالواجبات والمواثيق في التعامل.

وقد جمع أسبلي وهوتن المبادئ الأساسية للعلاقات العامة في المؤسسة التي تهدف الربح في كتاب له وأحصاها في ثلاث وخمسين وسيلة عن هذا الموضوع راجع كتاب العلاقات العامة والإعلام من منظور علم النفس: ص١٢٩-١٣٧ للدكتور حسين عبد الحميد. وأصول العلاقات العامة من الناحيتين النظرية والتطبيقية للدكتور حسن محمد خير الدين، العلاقات العامة فن للمؤلف أدوارد ل. بيرنيز ترجمة الدكتور وديع وحسني خليفة، العلاقات العامة للدكتور عادل حسن، العلاقات العامة مبادئها وتطبيقاتها للدكتور محمد طلعت عيسى، العلاقات العامة الناجحة إصدار جمعية تعلم الكبار الأمريكية ترجمة مصطفى حسن علي.

الحرة وذات المؤسّسات الدستورية، فمن الواضح أنّ الحاكم إذا كان من أحدهما أو أحدهم، يقاوم من قبل الآخرين. أمّا الحكومات الديكتاتورية فهي من باب «السالبة بانتفاء الموضوع»، وقد قال بعضهم: «إنّ عمل الحكومة لا يكفي بالأداء الجيد، وإنّما يجب أن يقتنع الشعب بأنّه يؤدّى جيداً»[1] فمهما كان المؤدي صادقاً في تصرفاته،فإنّ له معارض من جانب الآخر؛ حيث يقول: إنّه لا يؤدّي جيداً، فإنّا لا نشك مثلاً: أنّ عمل الرسول الأعظم ﷺ والإمام علي عليه السلام كان في غاية الجودة التي ليس فوقها جودة لكن مع ذلك المنافقون منتشرون في زمان الرسول الأكرم، والمخالفون في زمان الإمام علي عليه السلام كانوا ينتقدون الحكم مهما عمل الحاكم العادل أمثال الرسول الأكرم والإمام علي عليهما السلام، وأضيفت إلى ذلك في زماننا وسائل كثيرة يحتاج إليها الشعب من الصناعات كالثلاجة والغسالة والتلفاز والسيارة والهاتف وما أشبه ذلك، وحيث أنّ هذه الأمور ليست متوفرة لكل الشعب مهما كان متطوراً في الصناعة كشعوب أوربا وأمريكا فلا يكون الرضى عند جميع طبقات الشعب.

وقد قرأت في تقرير أنّ في أمريكا ثلاثين مليوناً تحت خطّ الفقر، فهل يمكن أن يرضى هؤلاء من أي حاكم جاء حتّى لو كان في أقوى مراتب العدالة في نظرهم؟، نعم لا شكّ أنّ هذا الفقر إنّما هو نتيجة الانحراف الرأسمالي ـ كما ذكرناه في بعض كتبنا مفصلاً ـ، هذا من ناحية الآلة والصناعة ثمّ هناك ناحية أخرى وهي ناحية الروح وتبدّلها إلى المادية، فإنّ الناس كانوا سابقاً يعرفون معاني الفضيلة والقناعة وما قدّر الله ﷻ لهم في معانيه الصحيحة،

---

(١) ونظير هذا الكلام ينسب لنابليون: انه لا يكفي لكي تكون عادلاً أن تفعل الخير، وانما يقتضي تحقيق إقناع الناس بأن ما تقوم به هو الخير وبأنك عادل. راجع كتاب مبادئ في العلاقات العامة: ص٧-٨ للمؤلف حسن الحلبي.

لكن الآن أبعد الناس عن هذه المعنويات؛ ولذا ترى أغلب الناس يسعون للمزيد من المادية فتقع الصدامات؛ لأنّ المادّة مهما بلغت، فمقدارها محدود، فإذا توارد إنسانان على مادّة واحدة وقع بينهما الشجار والتخاصم، بينما المعنويات وسيعة في محلّها، ولذا لا يقع الفساد ما بينهم، وإنّي لأذكر قبل خمسين سنة حيث كنّا في العراق كان الرضى والقناعة وما أشبه ذلك من المعاني السامية الإنسانية التي تسود المجتمع، والآن وبعد نصف قرن فقد تغلبت المادية على الجميع إلاّ من خرج بالدليل، ولذا فالرضى وما أشبه ذلك نادر ندرة كبيرة، ثم إنّ من أسباب كثرة الطلاق في الحال الحاضر هو ذلك أيضاً ـ في تفصيل ذكرناه في كتاب العائلة ـ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره بعضهم بأن المجتمع الحديث بكل تعقيداته يتطلب معرفة وفهم الجماهير لمشكلات عصرنا، إذ كان على المواطنين أن يقرروا مشكلات السياسة العامّة تقريراً وافياً، فلابد أن يكون هناك جسرٌ من التفاهم بينهم وبين الحكومة مع وضوح أنّ الفهم الجماهيري لمشكلات العصر أصبح صعباً جدّاً، ومن جانب رابع فإنّ ترابط العالم بعضه ببعض والفقر والانقلابات العسكرية وما أشبه ذلك في بعض جوانب العالم تؤثّر في الجوانب الخالية من الفقر والانقلابات؛ حيث إنّ الإنسان بما هو إنسان مزوّد بالعاطفة، فكما لا يتمكّن أن يرى نفسه مريضاً لا يستطيع أن يرى صديقه مريضاً أيضاً، وهكذا بالنسبة إلى سائر النواقص التي ابتلي بها الإنسان، وبالرغم من وجود هذه الظاهرة في السابق أيضاً لكن انعدام الاتّصالات بين أجزاء العالم كان سبباً لعدم علم بعض الناس ببعض، فإذا حدث مثلاً زلزال في الصين وقتل مليون إنسان، لا يكون ذلك بلاءً في البلاد القريبة من الصين.

وعلى هذا؛ فاللازم على الحاكم أن يفهم الشعب خير فهم، وأن يحسن

الظن بينه وبين شعبه، وأن يتطابق الواقع مع المعرفة في فهم الشعب، لأنّ عدم المعرفة المتبادلة تسبب سوء الظن في الأول وحسن اليقين في الثاني مع أنّ الواقعية إذا لم تكن في هذا أو في ذلك لم ينفع الإخفاء، فإنّه كما قال الشاعر:

وَمَهما تَكُن عِندَ امرِئٍ مِن خَليقَةٍ   وإن خالَها تَخفَى على النّاس تُعلَمِ[1]

كما لاحظنا ذلك في الحكومات الديكتاتورية، فإنّها مهما عملت في تلميع وجهها يكون ظن الناس بها سيئاً، وأحياناً يفوق السوء الموجود في نفس الحاكم وحاشيته، فقد قال القرآن الحكيم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وذكره ﷺ للمؤمنين مع أنّ هذه صفة عامّة لكلّ إنسان بما هو إنسان من جهة أنّ المؤمنين أزكى كما قال ﷺ بالنسبة إلى المنافقين، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[3]، وقال بالنسبة للكافرين ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾[4] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا

---

(١) للشاعر الجاهلي زُهير بن أبي سُلمى، من البحر الطويل، قصيدة عدد أبياتها ٦٢ بيتاً، وهو البيت رقم ٥٨. وهي من المعلقات السبع، مطلعها:

أمِنْ أمِّ أوفى دمنة لم تَكَلَّمِ   بحومانة الدَّرّاج فالمُتَثَلَّمِ

يعد زهير أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين على شعراء الجاهلية ـ وهم امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير ـ بالاتفاق، ولد في نجد وتزوج كبشة وأنجبت له شاعرين أحدهما كعب صاحب قصيدة «بانت سعاد» والآخر بجير. ينتمي إلى عائلة تجيد الشعر، فقد كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، واختاه سلمى والخنساء شاعرتين، وحفيده شاعراً، توفي سنة ١٤قبل الهجرة، وله من العمر ٩٧ سنة. له ديوان شعري مطبوع. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص٧٤ شرح وتحقيق كرم البستاني، شرح المعلقات السبع لحسين بن أحمد الزوزني: ص٦٥، تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري: ص١٤٨، أدباء العرب: ج١ ص١٢٨، تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان: ج١ ص٩٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٣) سورة المنافقون: الآية ٧.

(٤) سورة النمل: الآية ٦٦.

عَمُونَ﴾(١)، فإنّ من يرى نصف الدار ليس كمن يرى كلّ الدار، والمؤمنون يرون الدنيا والآخرة شيئاً واحداً، هذه مرحلة، وتلك مرحلة بينما الكفّار لا يعرفون من الآخرة شيئاً فهم كمن يرى نصف الدار فقط، وقد أشار إلى بعض ما ذكرناه بعض كتّاب الغرب(٢) قائلاً: «إنّ العلاقات العامّة تمثل استجابة ضرورية لحاجة المجتمع الذي يبلغ درجة عالية من التصنيع والتحضر واعتماد بعضه على بعض». وقال عالمٌ آخر(٣): «إنّ العلاقات العامّة كمهنة وإن كانت ما تزال في طور التجربة والخطأ، هي ثمرة حتمية لكلّ مجتمع صناعي معقّد، فالجماهير قد تضاعفت أعدادها وانتشرت إلى حدّ يحتم الوصول إليها الاستعانة بالخبراء».

أسباب تعقّد العلاقات

وقد ذكر بعض العلماء(٤): إنّ هناك خمسة عوامل هامّة أسهمت في جعل العلاقات العامّة عمليّة هامّة ومتخصّصة.

أمّا هذه العوامل فهي:

أولاً: الهيكل المتزايد التعقيد في الصناعة وزيادة ابتعادها عن الاتّصال المباشر بالجمهور.

ثانياً: ظهور شبكة واسعة معقّدة من وسائل الاتّصال بالجماهير.

ثالثاً: ظهور مصالح المنشآت الكبيرة وما يترتب عليها من نتائج.

رابعاً: ظهور تنافس، تتزايد حدته، مما فرض احتراماً للرأي العام بحاجة

---

(١) سورة النمل: الآية٦٦.

(٢) وهو سكوت كاتليب.

(٣) وهو كيرتيس ماكدوجال.

(٤) وهو تشارلز شتاينبرج.

إلى التأييد الجماهيري.

خامساً: اشتداد الطلب على الحقائق والمعلومات من جانب الجمهور نتيجة لانتشار التعليم والمعرفة.

أقول: ما ذُكر إنّما هو بعض الأمر، وإلاّ فاللازم أن يضاف إلى الخمسة السابقة أمورٌ أخرى:

أولاً: الفراغ من الروحيات والمعنويات والتكالب على المادّة.

ثانياً: الرأسمالية المنحرفة التي أوجبت اختلاف الأفراد في الارتفاع والانخفاض المادّي.

ثالثاً: التظاهر بالتجمّل عند الأغنياء ممّا يثير حسد الفقراء وتحريك شهيتهم بخلاف الزمان السابق؛ حيث لم يكن الأمر كذلك؛ فقد شاهدت قبل نصف قرن في العراق أنّ الأغنياء كانوا يخفون غناهم عن الفقراء في ظاهر ألبستهم وسلوكهم، بل وظواهر منازلهم التي تشاهد من الخارج.

رابعاً: كثرة وسائل السمع والبصر؛ ممّا أعلن للناس عامّة بارتفاع الجماعة المرتفعة مادّياً وصناعياً.

خامساً: تفرّق المجتمع إلى أحزاب؛ حيث يريد كلٌّ نقد الآخر ليسحب الحكم من تحته ويكون الحاكم هو.

لا يقال: إنّ هذه مساوئ الأحزاب.

فإنّه يقال: هذا صحيح، لكن الأمر دائر بين السيىء والأسوأ، والديكتاتورية أسوأ من الأحزاب.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا السياسية [1] أنّ الرسول ﷺ قسّم الناس أيضاً إلى

---

(١) أمثال كتاب الشورى في الإسلام، وكتاب الفقه ـ السياسة، وكتاب تعدد الأحزاب.

المهاجرين والأنصار كما قسّم المؤمنين في نفس المدينة إلى أحزاب؛ كما يدل على ذلك ما ذكره العلماء من قصّة ابن الأدرع[1] إلى غير ذلك ممّا يمكن أن يعدّ سبباً لتعقّد العلاقات العامّة.

الرضى شرطٌ أساسي

ومن الواضح أنّ الإدراك لا يكون فعالاً إلاّ إذا قام على أساس المعرفة الدقيقة للرأي العام ووضع في حساباته رغبة الناس حتّى يصل الحكم إلى سلطانه، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أنّ الحكومات تستمدّ سلطاتها من رضى المحكومين.

وقد كان كسب رضى العام أمراً مرغوباً فيه حتّى في زمان الرسول الأعظم ﷺ والإمام علي عليه السلام كما تدلّ على ذلك جملة من القضايا منها: أنّ الرسول ﷺ أرضى ذلك الفقير ثمّ قال له: (اذهب وقل لأصحابي أنّك رضيت منّي). وقال الإمام علي عليه السلام للبقال الذي أهانه: (ما أرضاني عنك إذا وفيتهم ـ أي الناس ـ حقوقهم)[2]، وحيث أنّ الناس في الحكومة الديمقراطية

---

(١) وهو مِحجَن بن الأدرع الأسلمي عاش أواخر حياته في البصرة، حيث قال الرسول الأعظم ﷺ: (أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع). راجع مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٧٩ ب٢ ح١٦١٤٢، غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٦٦ ح٥، وقد ذكرت الرواية كذلك في كتاب مسالك الإفهام للشهيد الثاني وجامع المقاصد للشيخ الكركي وجواهر الكلام للشيخ الجواهري.

(٢) جاء في كتاب الغارات للثقفي وفي بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٣٢ ب٩٨ ح١٤: أتى ـ الإمام علي عليه السلام ـ أصحاب التمر فإذا خادمة تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فرده مولاي، وأبى أن يقبله. فقال له: خذ تمرك وأعطها درهمها فإنها خادم ليس لها أمر. فدفعه ـ البائع ـ، فقلت: أتدري من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فصبّ تمره وأعطاها درهمها. وقال له: أحب أن ترضى عني، قال: ما أرضاني عنك.. إذا وفيتهم حقوقهم.

وورد نظير ذلك في كشف الغمة: ج١ ص١٦٤، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٢

مشاركون للحاكم في الحكم وهم شديدو النقد، وكثيراً ما تجد جماعة منهم جاهلين بهذا النقد، تكون العلاقة العامّة من أشكل ما يكون، ولذا ينقل عن ارسطو أنّه قال: «إنّ الكثرة تشكل قضاة أفضل ممّا يشكل فرد واحد؛ لأنّ البعض يفهم جزءاً والبعض الآخر يفهم جزءاً آخر، وهكذا فيما بينهم جميعاً يفهمون كلّ شيء؛ كمعرفة سكان البيت الذي يحكم عليه من البنّاء الذي بناه، كما أنّ الملاح أصدق حكماً على الدّفة من النجار الذي صنعها، والضيف أصدق حكماً على الوليمة من الطاهي الذي قام بالطهو».

أقول: لكن ربّما لا يكون هكذا؛ لأنّ الشخص الذي يحكم كالضيف لا يعرف مشكلات الطاهي، وهكذا بالنسبة إلى غيرهما.

إذن، فالعلاقات العامّة علم جديد في المجتمعات الاستشارية التي تستهدف الإقناع؛ إذ لولا الإقناع لم يتمكّن الحاكم الديمقراطي من الوصول إلى الحكم، وقد لا يكون الإقناع واقعياً لكنه على كلّ حال أفضل من عدم الإقناع، وكشاهد لذلك: أنّ الشعب يرى زيداً وعمراً المرشحين للرئاسة أحدهما أسوأ من الآخر فيختار السيئ اقتناعاً به عن الأسوأ لا أنّه قانع بأنّه الحاكم الخيّر.

نعم، في مثل هذه الحالة يجب على الشعب تحرّي الصالح المطلق بالإضافة إلى تحرّي الأفضل من الموجودين، ولا يكفي فهم الجماهير فقط في الوصول إلى الحكم، فإنّ الواصل إلى الحكم قد يصل إليه لكنّه يسقط في وسط الطريق؛ لأنّه لا يحسن المعاملة، وقد يكون غير صالح في نفسه لكن الجماهير يغفلون حتّى وصوله إلى الحكم، فإذا انكشفت سوأته أثناء الطريق أسقطوه.

ص١١٢، مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي: ج٢ ص٦٠٢.

فالعلاقات العامّة ضرورية الفهم والتطبيق؛ إن أرادت استقامة الحكم، ثمّ العلاقات العامّة ليست ضرورية للحاكم فقط بل للأحزاب نفسها وللمنظّمات والشركات والهيئات؛ لأنّ حجم كلّ واحد من هذه المؤسّسات سعةً وضيقاً يتوقّف على العلاقات العامّة في الفهم والتّفاهم مع الجماهير، فإنّ الحاكم إذا كان غير متفهم للشعب أسقطه الشعب بالقوة كما في الديكتاتوريين، ويسحب الرأي منه كما في الديمقراطيين، وكذلك حال المنظّمة والهيئة والحزب والشركة، فإنّهم إذا لم تكن لهم علاقات عامّة بالمستوى المطلوب سحب الناس اعتمادهم عنهم، وإذا سحب اعتماد الناس لم تتمكّن الهيئة والمنظّمة والحزب من الاستمرار في رسالته التي أخذها على عاتقه.

فالجماهير هم كلّ شيء، نجد ذلك في الحكومات الدينية وغيرها، في الديكتاتورية والديمقراطية، وقد قتل الناس الخليفة الثالث كما قتلوا جملة من الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وهكذا الأمر في الغرب إذ نجد أنّ الغربيين قتلوا جملة من حكّامهم، وفي القرن الأخير قتل في العراق الملك غازي[1] والملك فيصل الثاني[2] وعبد الكريم قاسم، كما قتلوا في مصر أنور

---

(١) غازي بن فيصل الأول، ولد في مكة سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢م)، دخل العراق وهو في السن السادسة من عمره برفقة والده الذي نُصّب ملكاً على العراق، حكم العراق بعد موت والده سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) واستمر في الحكم إلى سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م)، قتل من قبل الإنجليز؛ إثر اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه بعمود كهربائي بالقرب من قصر الحارثة ليلاً.

(٢) فيصل بن غازي والمشهور بفيصل الثاني، ولد في بغداد سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، عين ملكاً بعد وفاة أبيه، ابتدأ حكمه سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) وكان عمره آنذاك خمس سنوات؛ ونتيجة لعدم بلوغه الرشد القانوني «١٨سنة»؛ عين خاله عبد الإله وصياً عليه لإدارة شؤون البلاد حتى سنة ١٩٥٣م حيث تسلم الحكم بمفرده، قتل مع أغلب أعضاء العائلة الملكية سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) إثر انقلاب عسكري دبّره عبد الكريم قاسم.

السادات وحاولوا اغتيال غير واحد من الحكام الذين عاشوا أو ماتوا، كما حاولوا اغتيال جمال عبد الناصر واغتيال شاه إيران وضياء الحق[1] في باكستان إلى غير ذلك، ولا أريد القول أن كلّ تلك الاغتيالات أو المحاولات كانت على صواب؛ لأنّ بعضها كانت بسبب استعمار أو ما أشبه ذلك، إلاّ أنّ الجامع هو أنّ الحكومة التي لا يؤيّدها الشعب، تكون في معرض السقوط والزوال.

سلوكيات العلاقات العامة

والعلاقات العامّة التي يجب على الإدارة الحكومية مراعاتها مشتملة على الأخذ والعطاء والإقناع من الجماهير، ماذا يريدون؟ وكيف يريدون؟ وكم يريدون؟ والإعطاء للجماهير من أعمال الحكومة وما أشبه ذلك، فأولاً يجب في العلاقات العامّة تعريف الشعب بالأحداث الجارية في البلد من الحرب والسلم أو التأميم أو الاشتراكية أو الرأسمالية أو غير ذلك، وتزويدهم ببيانات دقيقة عن الشؤون المختلفة حتّى يكون الشعب على علمٍ كامل بمجريات الأوضاع مع أدلّتها وخصوصياتها، وتوضيح وشرح النشاط الحكومي والنشاط المتعلّق بمؤسّسات القطاع العام والقطاع الخاصّ المرتبطة بالحكومة أيضاً؛ إذ القطاعات الخاصّة أيضاً ترتبط بالحكومة ارتباطاً ما، وإجراء الاستفتاءات

---

(١) محمد ضياء الحق، ولد سنة ١٩٢٤م، عين ضابطاً في سلاح الخيالة سنة ١٩٤٥م أيام الاحتلال البريطاني للهند. تخرج من كلية الأركان سنة ١٩٥٥م وعاد إلى الكلية كمدرّس فيما بعد. شارك في الحرب الهندية الباكستانية سنة ١٩٦٥م. أطاح بنظام ذوالفقار علي بوتو إثر انقلاب عسكري في الخامس من تموز سنة ١٩٧٧م، وأصبح الحاكم العرفي العام للباكستان. وفي الرابع عشر من آب سنة ١٩٧٨م أصبح رئيساً للباكستان. قتل إثر تفجير طائرته.

والإحصاءات الاستطلاعية للتعرّف على رغبات الشعب وحاجاته، وأنّ الشعب ماذا يرغب؟ ولماذا يرغب؟ وإذا كان الشعب على خلاف مع الحكومة. فاللازم أن تبيّن الحكومة للشعب وجهة نظرها عبر الوسائل السمعية والبصرية والمنظّمات والأحزاب الموالية لها، وإن كان هذا شأن كلّ فرد في الدولة؛ لأنّ كلّ ما يصيب الدولة يصيب المجموع من خير أو شر؛ فإن الدولة المحبوبة كلّ أفرادها محبوبون، والدولة المكروهة كلّ أفرادها مكروهون.

ومن الضروري أن يكون هناك جهاز خاص في الوزارات ونحوها، شأنه العلاقات العامّة مع التوافق بين هذه الأجهزة المتعدّدة في مختلف الوزارات والتنسيق بينها.

واللازم أيضاً أن يجري تدريب هؤلاء الموظّفين في العلاقات العامّة تدريبات دورية حتّى يكونوا خبراء بما ينبغي لهم أن يفعلوه من الأخذ والعطاء والإقناع وما أشبه ذلك[1]، كما أنّ اللازم على إدارات العلاقات العامة أن تشكّل الندوات الجماهيرية بين السائل والمجيب، إذ يسأل الجماهير أسئلتهم ويكتشفون إشكالاتهم ثم يجيب الوزراء والمدراء ومن أشبههم ـ من الذين هم

---

(١) وقد ذكر البعض أنه يجب أن يتحلى اختصاصيو العلاقات العامة بالصفات والمؤهلات التالية: ١- الصفات الذاتية ـ كحسن السيرة وحب المهنة والانفتاح والثقة بالنفس والدبلوماسية في التصرف ـ والفكرية ـ كاللياقة الفكرية والقدرة على التعبير والإقناع والموضوعية والتجرّد ورؤية الأمور على واقعها وحسن الدّراية في تحليل الوقائع والأحداث ـ.
٢- المؤهلات كالثقافة الواسعة والإحاطة بالعلوم الإنسانية ومعرفة تقنيات الإعلام.
راجع كتاب مبادئ في العلاقات العامة: ص٧٠-٧٢.

مسؤولون عن العلاقات العامّة ـ بالتي هي أحسن [١].

شاهدٌ من التاريخ

ولنذكر مثالاً واحداً في مصر حينما أدرك المصريون من خلال العاصفة التي أثارتها الحكومتان البريطانية والفرنسية حول تأميم قناة السويس احتمال وقوع تدخّل عسكري [٢]، فأوعزت الحكومة المصرية إلى معهد الرأي العام والإعلام والموظّفين في العلاقات العامّة أن يجمعوا بيانات حول الموضوعات التالية ـ حسب ما ذكر بعض علماء مصر المرتبطين بالرأي العام ـ:

أوّلا: مشاعر الجماهير حول تأميم قناة السويس.

ثانياً: الإجراءات الدفاعية الاحتياطية إذا ما قررت بريطانيا وفرنسا أن تستعملا القوة.

ثالثاً: مشاعر الدول التي يحتمل أن تؤيّد مصر في حالة وقوع أي عدوان.

وكشفت هذه البيانات التي استنبطت من عشرين تقريراً، بالنسبة لتأميم قناة

(١) ذكر بعض المتخصصين أنّ أسس العلاقات يعتمد على الأداء الناجح والإخبار الصادق وكسب ودّ الناس وضمان التفاهم بين المؤسسات والجماهير. كما ذكر أنّ تنفيذ العلاقات يعتمد على ما يلي: ١- وضع خطة متكاملة يتم عبرها معرفة الإمكانات والقدرات مع تعيين رصيد مالي محدد، وتعيين مسؤول تنفيذي للخطة يتعاون الجميع في رسمها والتوافق عليها ٢- جمع المعلومات والحقائق والوقائع المتعلّقة بالموضوع ٣- تحديد الجمهور ٤- تحديد الأهداف وموضوع الخطة والعمل على المشتركات ٥- تقرير الطرق التي يسلكها في مخاطبة الجمهور ٦- مباشرة التنفيذ ٧- مراقبة النتائج وتقييمها.

(٢) وبالفعل فقد هاجمت القوات الإسرائيلية والفرنسية والإنجليزية ـ صاحبة أكثرية أسهم شركة القنال ـ مصر في تشرين الأول سنة ١٩٥٦م كردّ فعل لتأميم القناة، فاستهدفت الإسكندرية عبر إنزال جوي وزحف بريّ من ليبيا، وانتهت نتائج هذا العدوان لغير صالح مصر باعتبار تعهد مصر بعدم قيام بأي عمل عدائي ضد إسرائيل وضمان حرية الملاحة في خليج العقبة.

السويس عن النتائج التالية:

فقد أيّد الرأي العام المصري هذا الإجراء بنسبة أكثر من تسعين في المائة وعارضه بأقلّ من أربعة من المائة والتزم الحياد أقل من أربعة في المائة. ولقد بنى الرأي العام تأييده على أساس أسباب مختلفة منها: القضاء على آثار التبعية والاستغلال والسيطرة، والقضاء على التدخّل الأجنبي في الحياة القومية للبلاد، ورغبة الجمهور في اتّخاذ موقف رافع للرأس أمام الغرب في مواجهة هذا التحدّي، وتمكين مصر من الحصول على الرسوم التي كانت تفرض على البواخر والسفن التي تعبر قناة السويس، وهي رسوم يمكن استخدامها في إنشاء السد العالي.

أمّا الذين عارضوا إجراء التأميم، فقد ذكروا الأسباب التالية:

يجب على الحكومة أن تنتظر حتى سنة ١٩٦٨م ـ وهو تاريخ انتهاء عقد الامتياز من عائدات الأسهم ـ بدلاً من تعويض حملة الأسهم، وقد تسحب الدول الغربية مرشديها من القنال، وبذلك تصبح مصر في وضع يتعذر عليها فيه إدارة القنال، وقد تتحوّل السفن الغربية عن القنال ويفقد العمّال المصريين وظائفهم، وتفقد الدولة عائداتها من القنال، وقد تساعد دول الغرب إسرائيل على حفر قناة أخرى موازية للقناة المصرية بين إيلات والبحر الأبيض المتوسّط، وأخيراً، فإنّ الإذعان سيجنّب البلاد الضغوط السياسية والاقتصادية من جانب الدول الغربية.

أمّا الحياديون فكانوا متحيّرين بين هذا الرأي وذاك، كما كانت هناك نسبة مئوية صغيرة تتجه إلى أخذ الأمر بين الأمرين، فلا يكون الانتظار إلى ألف وتسعمائة وثمانية وستين وإنّما يكون الانتظار إلى ما بعد سنتين مثلاً.

وأمّا الإجراءات الدفاعية الاحتياطية فقد اقترح الرأي العام ما يلي:

أولاً: يجب أن تقسم البلاد إلى مناطق إقليمية، برأس كل منطقة منها قائد يضطلع بمسؤولية محاربة المعتدين، من قرية إلى قرية، ومن شارع إلى شارع دون استسلام، ويجب إنشاء مواقع تدريب للحرس الوطني وللفدائيين.

ثانياً: يجب ردم القناة من بور سعيد إلى السويس إذا ما قررت بريطانيا وفرنسا غزو مصر؛ ذلك أنّه يجب أن يتعلّم المصريون من تجارب أحمد عرابي الماضية حين رفض نصيحة قوّاده بردم الممر المائي، وما ترتب على ذلك من سهولة غزو مصر في سنة ألف وثمانمائة واثنتين وثمانين.

ثالثاً: يجب الاستيلاء بسرعة على مركز القيادة البريطانية في منطقة القنال لتستخدمها مصر.

رابعاً: يجب تفجير أجزاء من خطّ أنابيب البترول، وتدمير بعض محطّات الضخ في العالم العربي لمنع تدفق البترول إلى المعتدين.

وأمّا بالنسبة للدول التي قد تؤيّد مصر أثناء العدوان فقد رتّبها الرأي العام كما يلي: سوريا، السعودية، الأردن، ليبيا، الكتلة الإفريقية في الأمم المتحدة، الهند، إندونيسيا، الباكستان، سيلان، ودول شرق أوربا، الاتحاد السوفيتي ـ السابق ـ، الصين، والولايات المتحدة الأمريكية، الأمم المتحدة ولكن دون ثقة في فعاليتها، فقد عانى العرب من العلاقات غير المتكافئة من قبل الأمم المتحدة منذ احتدام مشكلة فلسطين[1].

أقول: ولا يخفى أنّ العنصر الأساسي الذي أعطى الثقة لمصر في حال العدوان هو الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنّ الأمريكيين كانوا بصدد إبعاد بريطانيا وفرنسا من المواقع الاستراتيجية في كافة البلاد العربية، وقد رأينا

---

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الثاني: ص٦٢-٦٥ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

كيف عملوا جاهدين حتّى أبعدوا كثيراً من البريطانيين والفرنسيين من مواقع نفوذهم، وكان ذلك مقدّمة للنظام العالمي الجديد، وقبل ذلك كان من أسباب أن يكون العالم ذا قطبين فقط ـ الاتحاد السوفيتي السابق وأمريكا ـ، أمّا الدول التي هي صغيرة في نظرهم مثل بريطانيا وفرنسا فلا حقّ لها إلاّ شيء ضئيلٌ جداً، وكذا الولايات المتحدة الأمريكية أبعدت بريطانيا وفرنسا عن الميدان وتفرّغت لتحطيم الكتلة الشرقية كما رأينا، وإنّ حكام مصر لارتباطهم المباشر بأمريكا لم يسعوا لاستقلال مصر، فهم أبدلوا استعماراً باستعمار آخر، لذا فإنّنا نرى مصر اليوم وهي ترزح في قيود الفقر والفاقة والذلّة والتبعية للغرب والتبعية لإسرائيل، وما السادات وغيره من حكام مصر إلاّ إفراز لعبد الناصر، فالشعب المسلّط عليه الديكتاتور لا ينمو، والشعب الذي لا ينمو لا يقدر على مقابلة الشعوب المتّحدة الراقية، وقد دلّ الوضع الذي شاهدناه في الهند مقارنة بمصر، أنّ الهند كانت ترزح تحت الاستعمار البريطاني ثلاثمائة سنة ولم يمض خمسون سنة من خروج الاستعمار إلاّ وقد استقلوا في كلّ شيء من صناعة وزراعة وتجارة واقتصاد وغير ذلك، أمّا مصر ففي ظلّ ثورة عبد الناصر وإلى اليوم لم تتقدّم إلى الأمام، وإنما تأخر في تأخر، إذ تحوّلت البلاد إلى مرمى لأطماع وأهداف استعمارية بمختلف أشكاله، وحتّى أنّ السادات جرّ مصر إلى الاستعمار الإسرائيلي في بعض نواحي الحياة، وفي نظرنا أنّ الإخوان المسلمين والأحزاب الحرّة المصرية لو انتهجت سبيل اللاعنف لأمكن لهم النجاح الواقعي لمدّة عقد من الزمان، فالواضح أنّ العنف إنّما يكون مع الأكثر عدّة وعدداً، هذا بالإضافة إلى احتياج المعارضين للحكومة لروح عالية من ناحية الكيف، وذلك لا يكون إلاّ بالإيمان بالإيديولوجية الإسلامية أو الوطنية إيماناً كاملاً يضحون من أجلّه بالغالي والنفيس، فالمسلمون في أوّل الإسلام

كانوا من ذوي المعنويات العالية من جهة الإيمان بالله واليوم الآخر، كما أنّ حزب المؤتمر في الهند كان يمتاز بروح عالية من الإيمان بالوطنية، فاللازم للنصر النهائي واستقلال بلاد الإسلام أن نأخذ بقوله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فالواضح أنّ هذه الآية المباركة ليست بصدد بيان الجزئيات فقط؛ كأن تأمر زيداً بالصلاة أو تنهى عمراً عن شرب الخمر أو إرشاده إلى المسائل الشرعية من طهارة وصلاة وآداب الصيام وما أشبه ذلك، فإنّ ذلك صحيحٌ مائة بالمائة ولكن الصحيح أيضاً أن يربّوا أنفسهم على القوة والمنعة لينقذوا المسلمين جميعاً من الاستعمار والاستغلال والتبعية، وقد أمرنا الله ﷻ بالجهاد بالمال والنفس فقال: ﴿جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، فاللازم أن نثير الرأي العام في جميع جوانب حياة المسلمين، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (لا تكن امّعَة)[3] والامّعَة هو الذي يقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساؤوا أسأت، فهو ليس صاحب رأي وإنّما منطقه: «حشرٌ مع الناس عيد».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٣) ورد في الحديث الشريف: (اغدُ عالماً أو متعلّماً ولاتكن إمّعة). بحار الأنوار: ج٢ ص٢٢ ب٨ بيان.

والإمعة ـ بكسر الهمزة وتشديد الميم والهاء للمبالغة ـ وهو الذي لارأي له، وقيل الذي يقول للآخر انا معك. وبناءً على هذا يكون أمّعة بفتح الهمزة باعتبار أنا معك. وفي كتاب الاختصاص للصدوق: ص٣٤٣ ورد حديث عن الإمام الكاظم ﷺ: (أبلغ خيراً وقل خيراً، ولاتكونن امّعة، قلت: وما الأمّعة، قال تقول: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس، إنّ رسول الله ﷺ قال: أيها الناس إنهما نجدان، نجد خير ونجد شر، فما بال نجد الشر أحبّ إليكم من نجد الخير).

والواضح أنّ هذه الروح الوثّابة القوية، والتي تفهم الظروف الحاضرة، والتي تسير في سبيل العمل، وتفهم الحضارة الغربية والشرقية؛ هي التي تتمكّن من الإنقاذ، وقد جرّبت البلاد الإسلامية شعر الشاعر رشيد سليم الخوري حيث قال:

سلامٌ على كفرٍ يوحّد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم[1]

فالكفر سواء وحّد بيننا أو فرّق بيننا تفريقاً كبيراً، إنّما كان ذلك نتيجة لرجوعنا معنوياً إلى الآلهة المتعدّدة التي قال عنها الكفّار عند ظهور نور الرسالة ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[2]، وكانوا يقولون لنا كذا مائة من الآلهة ولا نتمكّن من المضي في شيء وإنّما نحن بحاجة إلى آلهة اخرى حتّى نتمكّن من المضي في أمورنا وتتحسن أحوالنا، فهل هذا النبي الذي يجعل الآلهة إلهاً واحداً يتمكّن من هذا الشيء؟! لكنّ الكفار رأوا كيف أن النبي ﷺ تمكّن من كلّ شيء بعد تحطيمه لآلهتهم، وقد جرّب حكّام البلاد الإسلامية مبادئ الشيوعية والبعثية والقوميات المختلفة الأشكال والجغرافيات والأسوار والحواجز التي صنعوها في بلادهم وبعض القوانين التي لا تمت إلى الكتاب والسنّة بصلة، فلم يجدوا إلاّ أكثرية الشرّ وقوّة تغلّب الشرق والغرب عليهم واشعالهم للحروب والفتن والانقلابات طيلة نصف قرن ممّا أذكره.

فلنرجع إلى الحديث حول مصر، فمصر وبعد أكثر من عهد من الزمن من

---

(١) وهو من البحر الطويل. راجع ديوان رشيد سليم الخوري، الذي يشتمل على ثمانية أناشيد. ولد الشاعر في بلدة بربارة اللبنانية سنة ١٨٨٧م وتوفي فيها سنة ١٩٨٤م، وقد كتب أكثر ديوانه الشعري في الغربة وعلى الخصوص في البرازيل حيث هاجر إليها سنة ١٩١٣م.

(٢) سورة ص: الآية ٥.

جمع السلاح ومصادقة الحكومات وما أشبه ذلك لم تصمد أمام إسرائيل الضعيفة إلاّ أياماً قليلة؛ هذا على أحسن الأحوال، بينما كان الواقع أنّها لم تصمد إلاّ ساعات، وهل كان ذلك من معاجز التاريخ أو أنّه من معاجز الديكتاتورية التي مارسها عبد الناصر على أسوأ صورة، فحارب المصريين في عقيدتهم الإسلامية وجعل من عقيدتهم الشيوعية، حتى أنّ الصحافي الهندي لمّا قابله قال: «إنّي أمرت بابعاد الإسلام عن المعركة»، ولذا اشتهر في كلّ البلاد الإسلامية أنّ عبد الناصر هو المسؤول عن الخطر الذي داهم مصر؛ لأنّ عبد الناصر هو المتهم فيما جرى على الخط المصري الإسرائيلي. أنّ عبد الناصر هو هتلر العرب الذي سبّب الكراهية لبلاده بسبب ديكتاتوريته. ولا يمكن ضمان استقلال مصر وعزّتها إلاّ بالعودة إلى الإسلام العملي في جميع جوانب الحياة، ولا يمكن رجوع مصر إلى السيادة والسعادة إلاّ بالحرّية الكاملة حسب التقرير الإسلامي إلى غير ذلك ممّا يجده المتتبّع للشأن المصري والكتب المصرية التي كتبت بعد الهزيمة، والنكسة أو النكبة ـ على اصطلاحهم ـ.

ديمقراطية الإعلام

مسألة: من الضروري في الإعلام والعلاقات العامّة إقرار ديمقراطية الإعلام والعلاقات، وذلك بأن يكون الفرد شريكاً واقعياً في كلا الأمرين لا مجرّد هدف سلبي للإعلام وآلة لانصباب إعلام الدولة وأجهزتها الديكتاتورية في الشعب، كما يجب أن يكون التنوّع في العلاقات والتعدّد الإعلامي أمراً منتشراً بين أفراد الشعب، وأن تكون المساهمة الاجتماعية هي رائدة الموقف، وحتّى لو لم نعرف هذه الأمور معرفة علمية مع أنها علمية مائة في المائة، فلننظر إلى الدول الديمقراطية كيف تقدّمت هذا التقدّم الهائل بعد أن أخذت بما ذكرناه من شراكة كلّ فرد والتنوّع والمساهمة، فالحوار والنقاش والمشاركة في إصدار الأحكام والمساهمة فيها، كلها من حتميات الدولة التقدمية الديمقراطية، فالواضح أنّ التدفّق العمودي وفي الاتجاه الواحد من فوق نحو الأسفل يحدّ من إمكانات الفرد ويجعل منه مجرّد آلة استقبال سلبية بسبب انصراف اهتماماته إلى الأمور الشخصية ولا يهتم بعد ذلك بطموحاته ومطالبه الحتمية، كما أنّه لا يهتم بالدولة ككلّ ولا بالشعب ككلّ ولا بالتقدّم والصناعة والزراعة والتجارة والتربية العسكرية والمستقبل؛ كما نجد مثل ذلك في كلّ البلاد الإسلامية، ومثل هذا الأمر يوجب حجب الشعب وسقوط الحاكم، ولا ينفع بعد ذلك كلّ صيّاح ونيّاح للديكتاتور الذي يزعم أنّه يريد تقدّم البلاد وما أشبه ذلك من الألفاظ، فلا يستقبل الشعب هذه الشعارات إلاّ بالسخرية، فالوحدة في هذا الجانب تتضارب وطموح الأمّة وتطلعاتها، إذ التعدّدية بمؤسّساتها الدستورية

الواقعية هي الشرط الأساسي والضروري للحريات والتقدم الواقعي في مختلف مناحي الحياة، ولولا ذلك لضاعت الحريات المحدودة، وآل أمر المجتمع إلى الخراب والانهيار حتّى تصبح الأمور بيد الحكّام الديكتاتوريين والغربيين الذين من ورائهم كما نشاهد ذلك في عراق صدام؛ حيث أضحت تلك الدولة الغنية القويّة المرفوعة الرأس ضعيفة فقيرة تعاني من جميع مشكلات الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية، فالأمر كلّه بيد ديكتاتور واحد هو صدام ومن قبله البكر ومن قبله عبد الرحمن عارف ومن قبله عبد السّلام عارف ومن قبله عبد الكريم قاسم ومن قبله نوري السعيد ومن أشبههم. لقد قتل صدام من الشعب العراقي ثلاثة ملايين في حربين عدوانيتين وشرّد أربعة ملايين، عدا عن أكثر من مليون مهدّد بالمجاعة والموت البطيء نتيجة عدم توفر الطعام والدواء، وقد أصبح العراق بلداً خرباً وأرضاً صحراوية وشعبه مشرداً في فيافي الدول والقارات.

مقوّمات رجل الإعلام

مسألة: يجب أن يكون رجل الإعلام في غاية الذكاء، وأن يكون متعلّماً ومثقّفاً بثقافة عالية، وأن يكون متميّزاً بالاحترام والخبرة المتزايدة، وأن يكون عارفاً بطبيعة الإعلام ووسائله وأساليبه وطبيعة الأرضية التي تتقبّل الإعلام، وأن يعرف الكلام المناسب ثم يضعه في الموضع المناسب، وأن يكون ليناً، وحتّى لو أراد أن يمارس إعلاماً كاذباً يجب أن يعرف كيف يتفنن في صياغة الخبر الكاذب؛ لأنّ بعض الأكاذيب تفضح نفسها بنفسها، وإذا عرف الناس أنّ الخبر الذي نقله كان خبراً كاذباً لن يثقوا به بعد ذلك أبداً وإن كان صادقاً في المرات الأخرى، وإذا عرف بالصدق فإنهم يقبلون على أخباره وتحاليله وإن كان في واقعه كاذباً، كذلك عليه أن يتعلّم فن الاستقامة؛ فالناس لا يصغون لكلام المتلونّين الذين يغيّرون اتجاهاتهم السياسية كما يغيّرون ملابسهم، ولذا ورد في الحديث: (من مدح وذم كذب مرتين)[1]، فإنْ كان كلامه صادقاً فهو محمول على الكذب أيضاً، كذلك عليه أن يكون عارفاً بعلم النفس، لأنّ العارف بخلجات النفس يعرف كيف يصوغ كلامه بحيث يتقبله السامع[2].

---

(١) راجع نفحات الأزهار للسيد علي الميلاني: ج٦ ص٢٤٢، محاكمات الخلفاء وأتباعهم للدكتور جواد الخليلي: ص٢١٩.

(٢) ويرى البعض أن الإعلامي الناجح من يستطيع ان يرصد الواقع ويعيد انتاجه ويحدّد اولوياته اعتماداً على الربط العميق بين النظرة المتجددة وامتداداتها في مجال الإعلام وبين المبادئ السياسية والانفتاح الاقتصادي مقروناً بالعدالة الاجتماعية.

عناصر الاتصال

مسألة: يجب التوجه إلى عناصر الاتصال[1] ـ المرسل ووسيلة الاتصال

---

(١) تكمن أهمية الاتصال باعتباره وسيلة للإمداد بالمعلومات والتقريب لوجهات النظر والتنظيم للوقت ومشجّعة لانجاز الأعمال، وباعتباره يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية ويساعد الإنسان على التكيّف وايجاد التوافق بينه وبين تحقيق ذاته. فقد ذكرت الاحصاءات أنّ الإنسان يقضي ٧٠٪ من حياته مستخدماً لوسائل الاتصال سواء عن طريق الاستماع أو التحدث أو القراءة أو الكتابة. وقد ذكر بعض العلماء أنّ أركان الاتصال أربعة: من يتحدث مع من، في أي شيء يتحدث، اين، كيف.

وعرّف الاتصال بتعاريف عدّة نذكر بعضها:

١-انفتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تنقطع حتى تعود من جديد، وهذا التعريف ذكره الدكتور عنان يعقوب والدكتور جوزيف طبش في كتاب سيكولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية.

٢- عبارة عن تفاعل الأفراد أو الجماعات. وهذا التعريف ذكره الدكتور زيدان عبد الباقي في كتاب وسائل وأساليب الاتصال.

٣- عملية يتم بمقتضاها توصيل فكرة أو خبرة لدى شخص آخر حيث تصير مشتركة بينهما أو مشاعة. راجع الإتصال ووسائله في الخدمة الإجتماعية: ص٧ للدكتور محمد بهجت كشك.

٤- عملية تتضمن تبادل الحقائق والأفكار والآراء والمفاهيم والاتجاهات بين شخصين أو أكثر باستخدام صيغة أو أكثر من صيغ التعبير بحيث يفهم كل طرف ما يعنيه الطرف الآخر. راجع السلوك الإنساني في التنظيم: ص٧١ للدكتور رفاعي محمد رفاعي.

٥- النشاط الذي يستهدف تحقيق العمومية أو الذيوع أو الانتشار أو الشيوع أو المألوفية لفكرة أو موضوع أو منشأة أو قضية، عن طريق انتقال المعلومات والأفكار والآراء والاتجاهات من شخص أوجماعة إلى أشخاص أو جماعات باستخدام رموز ذات معنى موحد. راجع كتاب العلاقات العامة والإعلام: ص٢٥٦ للدكتور حسين عبد الحميد.

٦- عملية يتم من خلالها تبادل المفاهيم بين الأفراد، وذلك باستخدام نظام الرموز المتعارف عليها.

٧- مجموعة الوسائل التي تربط بين البشر ببعضهم وتحقق التفاعل والعلاقات الانسانية.

٨- عمل لتغيير المفاهيم باستعمال اللغة أو أي من الوسائل الأخرى المتيسرة. والتعاريف الثلاثة الأخيرة ذكرت في كتاب العولمة والتبادل الاعلامي الدولي: ص١٠٥ للدكتور صابر فلحوط والدكتور محمد البخاري.

٩- عملية مشاركة في الخبرة وجعلها مألوفة بين اثنين أو أكثر من الأفراد. راجع العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع: ص٢٥٤ للدكتور حسين عبد الحميد.

١٠- وسيلة يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار وتغيير حياته الاجتماعية، ونقل أشكالها ومعناها من جيل إلى جيل عن طريق التعبير والتسجيل والتعلم. راجع العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع: ص٢٧٨ للدكتور حسين عبد الحميد.

إنّ كلمة الإتصال مشتقة من الأصل اللاتيني (COMMUNIS أو COMMUNICARE) أي ما هو عام أو مألوف أو شائع أو مشترك. ويمتد تاريخ علم الاتصال إلى زمن أرسطو الذي وضع أسساً علمية لعملية الاتصال، فقد قسم الموقف الاتصالي إلى الخطيب والخطبة والجمهور. أما ابن خلدون فقد قسمها إلى المرسل والرسالة والمستقبل. أما كولن فقد قسمها إلى المرسل والرسالة والتغذية العكسية. وستيفنسون ألزم المرسل بأيديولوجية المجتمع وصياغة الرسالة في اسلوب شيق واتاحت الفرصة للمستقبل للدخول في حوار مع المرسل، فأضاف شيئاً رابعاً وهو الإمتاع باعتبار أن مستقبل الرسالة يشعر بالمتعة.

وقسم الدكتور حسين عبد الحميد في كتابه العلاقات العامة والإعلام: ص٢٦٠ عناصر الاتصال إلى خمسة، وهي: ١- المصدر أو المرسل الذي تكون مهمته تحديد الفكرة وتوضيحها واختيار الأسلوب الناجح. ٢- الرسالة. ٣- وسيلة الاتصال والتي تكون إما رمزاً أو شكلاً أو لغة مكتوبة أو مقبولة. ٤- المستقبل. ٥- رد الفعل أو الاستجابة

وأضاف آخرون الإعداد الجيد للرسالة عبر معرفة الجمهور ورغباته واتجاهات سلوكياته، والإرسال في الوقت المناسب، والصراحة والوضوح وعدم التحريف، واختيار الوسيلة المناسبة التي يستطيع الجمهور استيعابها، وتذليل المعوّقات الناشئة من اختلاف قدرة الناس على ادراك معاني الاتصال خاصة إذا عرفنا أنّ هذا الإدراك له علاقة بالشعور والإحساس، عدم التحريف.

وقسم ايفيريت روجرز ـ الحائز على جائزة أفضل كتاب في الجمعية الأمريكية للتاريخ والكمبيوتر لسنة ١٩٩٨م ـ التاريخ الخاص بتطوير طرق الاتصال البشري إلى أربع حقبات. الحقبة الأولى: سادت فيها طرق اتصال تعتمد الكتابة اليدوية، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وبدأت مع السومريين.

والخبرأو الفكرة ولغة الارسال والمرسل إليه والتغذية العكسية أو ردود الأفعال ـ عند صياغة الفكرة أو الخبر بما يتناسب مع الهدف، ففي بحث الفكرة يجب التوجه إلى نوعية الفكرة[1]، ومثاله الذي لا يتمكّن أن يأتي بالفكرة الاقتصادية وهو يريد الفكرة السياسية أو بالعكس، وهكذا في الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والتربوية والعائلية وما أشبه ذلك. فالفكرة تكون سياسية إذا أراد صياغة فكرة مرتبطة بالحزب أو المنظّمة أو أيّة دعاية أو ردٍ على عدوٍ أو ما أشبه ذلك ممّا يدور حول السياسة سواء في السلب أو الإيجابٍ، فإذا أراد صياغة فكرة عسكرية كالتمهيد لحرب أو مرحلة من الحروب دفاعاً أو هجوماً أو انسحاباً أو استقامة أو ما أشبه ذلك، صاغها بالصورة المرتبطة بالعسكرية، وكذلك حال الفكرة الاقتصادية أو الفكرة الاجتماعية أو غير ذلك، وكثيراً ما نرى كلّ واحد يقوم بنشر الفكرة في باب واحد بردّ نفسه بنفسه بمعنى أن تتحول الدعاية ضده، أو يقول ما ينفع العدو لا الصديق. ومثاله في الحرب العالمية الثانية حيث كان الألمان يمنعون اللحم

الحقبة الثانية: نمت فيها طرق اتصال تعتمد على تقنيات الطباعة، ويعود تاريخها إلى مطبعة غوتنبرغ سنة ١٤٥٦م وما سبقها من مساهمات صينية سنة ١٠٤١م ثم كورية سنة ١٢٤١م.

الحقبة الثالثة: شهدت ولادة الاتصالات السلكية واللاسلكية مع استخدام صموئيل مورس التلغراف سنة ١٨٤٤م.

الحقبة الرابعة: عرفت بحقبة الاتصال التفاعلي مع دخول أول كومبيوتر عالم التشغيل سنة ١٩٤٦م واستخدامه الفعلي كوسيلة اتصال مع ظهور الكمبيوتر الشخصي سنة ١٩٧٥م.

نقلاً عن كتاب الإعلام والاتصال في مجتمعاتنا: ص٥٢٩. لمجموعة من الباحثين.

(١) والأفكار على قسمين، الأول: الأفكار الطارئة والآنية العابرة التي تتشكل تحت تأثير اللحظة كالانبهار بفرد ما أو بعقيدة ما.

الثاني: الأفكار الأساسية التي تقدّم لها البيئة والوراثة والرأي العام استقراراً كبيراً كالأفكار الدينية.

عن الشعب أربعة أيّام في الأسبوع توفيراً له. وقد قام البريطانيون بمنع اللحم يوماً واحداً في الأسبوع فاستغل الألمان ذلك استغلالاً إعلامياً، لكن الإعلام انعكس على أعقابهم؛ حيث قال الجميع بأنّ البريطانيين يأكلون اللحم أكثر من الألمان؛ لأنّ منع اللحم يوماً واحداً أفضل من منعه أربعة أيّام.

وفي عهد جمال عبد الناصر استوردت الحكومة لحوماً من الصين، وقد رافق هذا الخبر خبرٌ آخر مفاده أنّ الصين صدّرت إلى مصر لحوم القردة بدلاً من لحوم الغنم؛ فسبّب ذلك تجنب الناس عن أكل اللحوم المستوردة، وهكذا أخفقت الدعاية المصرية في إقناع الناس بشراء اللحوم المستوردة.

شروط الفكرة

وقد ذكر أحد المتخصّصين في الإعلام والدعاية شروطاً للفكرة ـ سواء كانت سياسية او اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية ـ يجب أن تكون متّصفة بها على النحو التالي:

١ـ يجب وضع الفكرة وما يتعلق بها على أساس من الدراسة العلمية بعد تحليل اتجاهات وميول الرأي العام.

٢ـ يجب اختيار أحسن وسيلة اتّصال جماهيري لتوصيل الفكرة إلى المرسل إليه.

٣ـ يجب أن تكون الفكرة واضحة ومفهومة عند المرسل إليه.

٤ـ يجب أن تتمكن الفكرة من تحقيق الفعل والتأثير والاستجابة والسلوك المطلوب.

٥ـ يجب أن يكون التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب من المرسل إليه ممّا يمكن أن ينفذه.

٦ـ يجب أن تخدم الفكرة مصالح المرسل إليه، وأن يكون في حاجة إليها.

٧ـ يجب التأكّد من أنّ التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب في جانب الصالح العام، ولذلك يجب أن تكون وسائل الإعلام قد وضعت الفكرة، لتدفعها إلى عقول الجماهير إمّا لتقتنع بها الجماهير أو لتنتزع من عقولها فكرة أخرى، ومحصّلة كلّ هذا هي الوصول إلى سلوك معيّن على نحو الإيجاب أو السلب.

٨ـ يجب أن تكون الفكرة المعروضة قد دُرست وناقشت الآراء المعارضة لها، بأن يعرض المرسل إليه هذه الأفكار والآراء المعارضة أول الأمر مع تنفيذها وإظهار خطئها، وبذلك يتحصن المرسل إليه ضدّ أيّ فكرة.

٩ـ يأمل المرسل إليه أن تكون الفكرة المرسلة إليه ملائمة أو متّفقة مع أفكاره أو تؤيّدها، أمّا إذا كانت الفكرة لا تتماشى مع أفكاره فقد تجد هذه الفكرة صعوبة لدى عقل المرسل إليه ليصدقها.

١٠ـ يجب أن تكون الفكرة المعروضة غير مصاغة في صيغة أمرٍ أو تظهر الفوقية في التعامل مع المرسل إليه. فالمرسل إليه يجب أن يشاركَ دائماً في صنع حياته بنفسه وأن يأخذ القرار بنفسه ويستجيب طواعية بعد الاقتناع.

١١ـ يجب أن تكون الفكرة متّفقة مع المجتمع كلّه إنْ أمكن ذلك؛ لأنّ المرسل إليه يريد عادة أن يحقّق أفكاره بشرط أن يسلك السلوك الذي ترضى عنه الجماعة التي يعيش فيها.

١٢ـ يجب أن تكون الفكرة التي ترسل إلى جماعة مختلفة الأذواق والمفاهيم؛ بحيث يقبلها الجميع بصورة مطلقة أو بصورة جزئية، ومثل ذلك الخطيب الذي يريد أن يخاطب الجماهير وفيهم الكبير والصغير والمثقّف والجاهل والغني والفقير ومن أشبه، فإنّه إذا صاغ الفكرة وفق بعضهم لا يقبله

غيرهم. أمّا إذا صاغها على نحو فضفاض، يمكن قبول الجميع لها ويعدّ هذا خطيباً ناجحاً؛ ولذا فاللازم أن يقنع العموم لا الخصوص فقط، ومن هنا قالوا: إنّ عظمة القرآن تكمن في شموله لمختلف الأذواق، مثلاً قوله ﷻ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً﴾[١]؛ يفهم منه كل ما يناسب مداركه وخصوصياته العلمية والثقافية، فقد فهم العرب يوم نزول هذه الآية نوعاً من الشجر ينبت في صحراء الجزيرة العربية يسمى المرخ والفنار يستفاد منهما كحطب، ومن ثمّ فُهِم من الآية المباركة كلّ شجر قابل للاحتراق، وأخيراً فهم من الآية المباركة كلّ عود يختزن في داخله حرارة الشمس القابلة للإرجاع عند توفر الشرائط المناسبة، وهكذا قالوا في قوله ﷻ عن النّار: ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٢]، وكذا في الآية المباركة: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٣]، إلى غير ذلك ممّا ذكره جماعة من علماء التفسير في كتبهم، ومن الاطّراد والاستزادة ما ذكره بعض المحدّثين أنّ الإمام الصادق عليه السلام كتب إلى ثلاثة من تلاميذه حرف (ج)؛ ففهم أحدهم الجلاء من الوطن وهو أن يسافر من مكانه إلى مكان آخر حيث أنّ الخليفة وجلاوزته كانوا يريدون إلقاء القبض عليه وسجنه أو قتله. وفهم الثاني من حرف (ج) كلمة الجبل أي: اذهب إلى الجبال حتّى تكون في حصن حصين. وفهم الثالث لفظ (ج) الجنون أي: تجنن نفسك حتّى يقال عنك عند الخليفة إنّه مجنون فتأمن شرّه وشرّ جلاوزته. وهكذا نفذوا الأوامر كلٌّ على فهمه فنجوا من بطش الحاكم الفاسد[٤].

---

(١) سورة يس: الآية ٨٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٣) سورة الانفطار: الآية ٣.

(٤) ذكر غوستاف لوبون في كتابه سيكولوجية الجماهير: ص٨١ وما بعدها شروطاً لإيصال الفكرة إلى الناس، ونوجز ذلك بما يلي: أن يكون طرح الفكرة على هيئة بسيطة ولغة واضحة يفهمها الناس، وأن ننظر إلى عامل الزمن في نشر الأفكار، وأن ندخل الفكرة إلى

وسائل تنفيذ الاتصال

ثمّ إنّه لا فرق في تنفيذ الاتّصال بين أن تكون وسائل الاتّصال والإرسال والدعاية والإعلام وسائل عامة أو وسائل شخصية ـ عبر المقابلات الفردية ـ سواء كانت من نفرين أو جماعة منظّمة أو هيئة أو حزب أو وسائل مقروءة كالصحف والمجلاّت والكتب والنشرات أو وسائل سمعية كالإذاعة والخطابات المنبرية أو وسائل بصرية كاللوحات الفنّية والتماثيل أو الوسائل السمعية البصرية كالتلفاز والمسرح والسينما أو وسائل لمسية كالعميان الذين يعرفون الموضوعات بسبب اللمس بطريقة «بيل» أو وسائل بالأمواج كما يحدث في الوقت الراهن حيث تتم المخاطبة عبر الأمواج، فقد ثبت في العلم الحديث أنّ أمواج القلب تصل إلى قلوب الآخرين بأساليب خاصّة، ولعل من هذا الباب ما ورد في الحديث من أنّ: (المؤمن ينظر بنور الله)[1]، وما ورد من أنّ (القلب يهدي إلى القلب)[2]، وقديماً قالوا: «قلبك شاهدٌ على حبّي لك».

القابلية شرط في التحقق

أمّا ما ذكرناه سابقاً من لزوم أن يكون المرسل إليه موضعاً قابلاً للدعاية والإعلام لوضوح أنّ لكلّ فردٍ أو جماعة أو منظّمة أو حزب أو شعب له تطلعاته الخاصّة وبيئته الخاصّة ومعتقداته الخاصة ومفاهيمه الخاصة وأعرافه

النفوس بشكل هيئة صور، وأن تدخل هذه الصور في لا وعي الانسان لتتحول إلى عاطفة متماسكة ومتينة، ومن ثم ينتج عنها سلسلة من الانعكاسات والنتائج.

(١) ورد عن الرسول الأعظم ﷺ: (المؤمن ينظر بنور الله ويسمع بسمع آخر) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج٢ ص٦١ ب٣١ ح٢٥٠، بحار الأنوار: ج٧ ص٣٢٣ ب١٦ ح١٦.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٨ ص٥٦٨.

وتقاليده الخاصة وذوقه الخاص وثقافته الخاصّة إلى غير ذلك من الظروف المكتنفة به زماناً أو مكاناً أو اجتماعاً أو ما أشبه ذلك من الحالات المتنوّعة، وربّما تتبدّل هذه الحالات عند سفر الإنسان من مكان إلى مكان، أو يكون الزمان الثاني غير الزمان الأوّل في الخصوصيات إلى غير ذلك، وفي الحديث: ثلاثة سألوا الإمام عليه السلام عن سؤال واحد في مجلس واحد فأجابهم الإمام بثلاثة أجوبة مختلفة [1].

سلوك المتلقي

ولا يخفى أنّ سلوك المرسل إليه أو تقبّله للفكرة قد يتطابقان، وقد يتخالفان كما قال سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[2]. فالكفّار كانوا متيقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحّة نبوته في قلوبهم، لكن كانوا يسلكون سلوكاً آخر، وقد يحدث العكس كالذين هم مع جماعة يتقون منهم فإنّهم يسلكون سلوك الجماعة بينما قلوبهم منكرة لهذا السلوك. وقد يتطابق العقل والسلوك كما يحدث للمؤمن؛ وهذه الحالة الثالثة، أمّا في الحالة الرابعة فهم الذين لا يؤمنون ولا يسلكون سلوك المؤمنين كالكافر الذي لا يؤمن بالإسلام ولا يسلك سلوكه.

وهنا فذلكة منطقية هي أنّ المنطقيين قسموا القضية إلى ثلاثة أقسام بينما هي أربعة ـ كما ذكرنا ـ.

والجواب: أنّ السلبيين ليسا مطروحين في هذا المقام، وقد ذكرنا تفصيل

---

(١) ثم إنّ البعض وضعوا مقاييس لصدى الخبر منها: ١- كمية الخبر المقاسة بعدد الكلمات المستعملة للتعبير عن الخبر. ٢- مضمون الخبر. ٣- كيفية تقديم الخبر. ٤- لغة الخبر. ٥- قيمة الخبر. ٦- الفترة الزمنية التي يبقى فيها الخبر متداولاً.

(٢) سورة النمل: الآية ١٤.

ذلك في حاشية على كتاب الملا عبد الله مما لا نحتاج إلى تفصيل ذلك هنا؛ لأنّه لا يتعلّق بموضوعنا.

ثمّ لا يخفى أنّه كلّما ألح رجل الدعاية أو الإعلام أو التبليغ في إعلامه على الفكرة التي يعتقد بها يكون التأثير أقوى؛ كما قال الشاعر:

أما ترى الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثّرا[1]

ولا فرق في ذلك بين الواقع وغير الواقع، وقد حدّثني بعض العاملين في الحقل الاجتماعي أنّه أراد إدخال شخص كعضو في منظّمته، فطلب منه مرّة ومرّتين وثلاث مرّات إلى أربعين مرّة مطالباً إيّاه بالانضمام إلى المنظّمة، وأخيراً وبعد هذا الإلحاح دخل في المنظّمة.

التغذية الارتجاعية

إنّ تكرار الإعلام قد يكون سبباً لقبول الشخص المرسل إليه للفكرة بكل رضى وطمأنينة خاطر، وقد يكون الأسلوب أسلوباً إرهابياً يسبّب القبول الإرهابي لكنّ هذا الثاني لا يدوم، فإذا انقشع الإرهاب رجع إلى فكرته الأساسية وعقيدته الذاتية من غير فرق بين أن يكون الإرهاب إرهاباً بدنياً مثل الحرمان من الطعام والنوم، أو عزله عن الحياة كوضعه في زنزانة أو جزيرة نائية، أو التهديد بأعمال العنف أو استخدامه كالضرب المبرح، أو الخيانة الزوجية بزوجته أو هتك عرض ولده أو بنته، أو تسقيطه مثل إذلاله والاستهزاء به، أو تعصيب عينه بقطعة من القماش وما أشبه ذلك، أو غسل الدماغ وفق الطرق المعروفة في غسله كما كانت تفعله محاكم التفتيش في أوربا في القرون الوسطى وما تفعله محاكم التفتيش في البلاد المتخلّفة في العالم

---

(١) من البحر السريع.

الثالث، وذلك بفرض مؤثّرات معيّنة خاصّة حسب أساليب مخصوصة على مخ الإنسان بدرجات متفاوتة زائدة أو ناقصة حتّى يصل الإنسان إلى درجة الانهيار، فيتوقّف النطق عن العمل، ويرى الإنسان نفسه في ضياع تام ويصبح مستعداً لتقبل أيّة فكرة وردت عليه، كما شاهدنا المئات من الأمثلة على ذلك في سجون نظام البعث في العراق وفي سجون الشيوعيين والقوميين ومن شابههم، وقد يكون غسيل الدماغ بسبب التنويم المغناطيسي فيلقن المنوِّم (بالكسر) المنوَّم (بالفتح) ما يلقى عليه من الأفكار والصور الباطلة والآراء المنحرفة، إلى غير ذلك من وسائل الإعلام والدعاية الإرهابية.

بالطبع أنّ العقاب غير الإرهاب، فقد يعاقب شخص عقوبات بدنية أو نفسية أو ما أشبه ذلك لأنّه ارتكب جرماً، وقد يرهب فكرياً لأجل تغيير فكره؛ مثال على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾[1]، إلى آخر الآية في قصّة مشهورة، وكان هذا الجزاء عقاباً ولم يكن إرهاباً فكرياً، والفرق بين العقاب والإرهاب هو الفرق بين ضرب شخص عدواناً بلا حقّ، وضرب شخص قصاصاً واستحقاقاً[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٨.

(٢) ومن نافلة القول: أن المناهج المستخدمة لقياس التغذية العكسية على أنواع، منها:

أولاً: المناهج الاستقرائية، وتعتمد على:

١- القائم بالاتصال: حيث يزداد تأثير الرسالة الإعلامية إذا كان القائم بالاتصال ينقل مواقف تتماشى ومواقف مستقبل الرسالة. وإنّ المستقبل يبدأ بنسيان مصدر الرسالة الإعلامية، أو القائم بالاتصال بعد مدة وجيزة، وهو ما يطلق عليه اسم «الأثر النائم»، وأنه هناك عوامل مساعدة أخرى لزيادة التأثير الذي يمارسه القائم بالاتصال على مستقبل الرسالة الإعلامية كالسن والجنس والمظهر الخارجي للقائم بالاتصال.

٢- الرسالة الإعلامية: كالقيم السائدة والمواقف الفكرية والآراء والمعتقدات، فإنّ لها تأثيراً على المستقبل، وإن العرض الجزئي للمشاكل ضروري إذا كان المستقبل محدود التعليم

والثقافة، وإنّ العرض الكلي للمشاكل ضروري إذا كان المستقبل على مستوى رفيع من التعليم والثقافة.
٣- الوسيلة الإعلامية: فإنّ طريقة عرض الرسالة مرتبطٌ بالتأثير الإعلامي، فيجب مراعاة مدى انتشار كل وسيلة إعلامية في الأوساط المستقبلة قبل استخدامها واختيار الوسيلة التي يمكن أن تعطي أكبر قدر ممكن من التأثير والفاعلية.
٤- مستقبل الرسالة: معرفة خصائص المستقبل من النواحي الثقافية والفكرية والمعتقدات والمواقف السياسية وأنماط السلوك والسن والجنس والوضع التعليمي والوضع الاجتماعي والاقتصادي.
ثانياً: المناهج الاستنباطية المعتمدة على النظرية السلوكية، التي تركز على تغيير المواقف وتكوينها وتعديلها والتنبؤ بأثر عملية الاتصال، والتركيز على تعديل المواقف من خلال معتقدات وعواطف الفرد، وتحقيق التوافق المنطقي لمعارف الفرد، تعتمد كلها على عملية الاتصال. للمزيد راجع كتاب العولمة والتبادل الإعلامي الدولي: ص١٠٤-١٠٥ للمؤلفين الدكتور صابر فلحوط والدكتور محمد البخاري. ونقلناها بتصرف.
ثم إنّ الناس تختلف ردود أفعالهم تجاه الاتصال، وذلك يرجع إلى عدّة عوامل: إنّ الأثر الذي يمكن أن يحدثه الاتصال يعتمد إلى حدّ كبير على المشاعر والاتجاهات التي يكوّنها كل طرف حيال الطرف الآخر أو يتوقف على مدى التوافق بين أهداف واهتمامات أطراف الاتصال أو يتوقف على درجة الثقة بين أطرافه أو يتوقف على مقدار التعضيد والتأييد الذي يحصل عليه الفرد من جماعته في العمل. نقلاً عن كتاب الملاقات العامة والإعلام: ص ٢٦٢-٢٦٤ «باختصار».

شروط المخاطبة

مسألة: يلزم أن يخاطب الإعلام الحسّ أو العقل أو النفس، والفرق بين الثلاثة أنّ الحسّ عبارة عن الحواس الخمس وهي: البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس، ومن الواضح أنّ اللمس قد يكون شهوانياً متعلّقاً بغيره كقضايا الجنس، وقد يكون غير متعلّق وإنّما يحسّ باللامسة، وهذه الحواس الخمس إنّما تريد ما يلائمها بأن تنظر العين إلى المناظر البهيجة، وتسمع الأذن الكلام الذي يحب الإنسان سماعه، وكذلك الذوق والشمّ واللمس على قسميه.

وقد يخاطب الإعلام العقل، وخطاب العقل مرتبط بالعلم والحكمة والصفات الحسنة كالصدق والأمانة والوفاء والحياء والمروءة والشجاعة والكرم وما أشبه ذلك.

وكنموذج على اتّباع العقل قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إنّ إمرتكم هذه لأهون عندي من شسع نعل إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)[1]، أمّا معاوية الذي كان يتّبع شهواته فإنّه وبعد إقراره بأنّ الخلافة حقّ لعلي عليه السلام، سأله أحد الحاضرين: إذاً لماذا حاربته إذا كنت تعلم بأنّ الحقّ معه، قال معاوية: بأنّي

---

(١) قال الإمام علي عليه السلام لابن عباس في ذي قار وهو يخصف نعله: ما قيمة هذا النعل؟. قال ابن عباس: لا قيمة لها. فقال الإمام: والله لهي أحبّ إليّ من امرتكم إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً. راجع: نهج البلاغة: ص٧٦ باب الخطب الخطبة ٣٢، الإرشاد: ج١ ص٢٤٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص١٨٥، مجموعة ورام: ج٢ ص٩.

أحببت أن يوضع خاتمي تحت الأوراق لا خاتمه. وقد يخاطب الإعلام النفس، فإنّ النفس ترغب بالخيال المرتبط بها كالتخيّل في كسب المناصب الرفيعة والارتفاع والعلو للحصول على السلطة والقدرة وما أشبه ذلك.

وكثير من الناس لا ينظرون إلى النفس والعقل، وإنما يكونون تابعين للملذات المتعلّقة بالحواس كما قال ﷻ عنهم: ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1].



(١) سورة محمد: الآية ١٢.

الأهداف من وراء الأسئلة

مسألة: هناك أهداف محدّدة ينبغي للإعلاميين الوصول إليها من خلال الأسئلة التي يطرحونها على الناس، وقد جمع أحد العلماء هذه الأسئلة وكان من ورائها أكثر من ستين هدفاً، فقد يكون السائل يقصد الاستهلال أو التمهيد أو التذكير أو التوجيه أو التهدئة أو الاستثارة أو التحقير أو التوكيد أو الإحراج أو التنفير أو الوفاء بالجميل أو المقاطعة أو التمني أو التعقيد أو التعجيز أو التشجيع أو تحريك الذهن أو التحييد أو التمويه أو التركيز أو المجادلة أو الملاحقة أو التهيئة أو الاستطلاع أو الإيحاء أو التطمين أو التحدي أو التعظيم أو النفي أو الاثبات أو الإرباك أو التشويق أو اللوم أو الاستدلال أو الاسترسال أو الإحباط أو التبسيط أو التبليغ أو التثبيط أو تحريك العاطفة أو التفريغ أو التنبيه أو الكشف أو التشتيت أو المباغتة أو الإلحاح أو الممانعة أو التهديد أو التراجع أو التشفي أو إنهاء الحديث أو قياس العاطفة أو قياس الغرائز أو قياس الذاكرة ـ أي بقصد اختبار عواطف الناس أو غرائزهم أو ذاكرتهم ـ أو التلاعب أو الحفز أو الاستيفاء أو التنفيس أو التكيّف أو تضييع الوقت أو قياس العقل أو قياس الأعصاب أو إثارة الذكريات أو الترفيه أو التنبيه أو فرض الذات[1] أو قياس العلم أو قياس الفضيلة

---

(١) راجع كتاب الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية: الكتاب الثاني: ص١٣١-١٣٢ للدكتور محمد عبد القادر حاتم.

أو قياس قوّة الرأي وضعفه أو الاستعلام عن الدين أو القومية أو العصبية أو القبيلة أو الجغرافية إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي تكون مقصد السائل في سؤاله.



هنا يكمن الداء

مسألة: يجب إزالة الديكتاتورية من العالم ونشر الإسلام الواقعي الذي دعا إليه الرسول الأعظم والأئمة الكرام عليهم السلام، ولا يتم ذلك إلاّ بتوعية الشعوب عبر الوسائل المقروءة والمسموعة بما ينبغي وما لا ينبغي وبفصل السلطات الثلاثة في الجانب الإداري وما اشبه ذلك.

لاشكّ أنّ كثيراً من الدول اتجهت نحو الديمقراطية بسبب كتّابها ومفكّريها؛ حيث إنّ الكُتّاب والمفكرين من علماء الغرب فكروا فيما وصل إليه حالهم من التّشتت والقتل والدمار فتوصّلوا إلى أنّ السبب هو تمركز القوّة في أيدي فرد أو جماعة قليلة، يفعلون ما يشاؤون، فإذا جاءت السلطة الدينية كالكنيسة إلى الحكم، قامت بقتل الناس وهتك أعراضهم وسلب أموالهم وتعذيبهم بمختلف أنواع التعذيب باسم الله، وإذا ما أزيل ملكهم وجاء من بعدهم الملوك والقياصرة قاموا بالشيء نفسه فقتلوا الناس وهتكوا أعراضهم وعذبوهم وسلبوا أموالهم باسم الوطن، وإنّ هذه الحالة من الاستبداد الديني أو الدنيوي هي التي سببت تلك المشاكل والانتهاكات. وبعد استقراء الأوضاع توصّل أولئك المفكرون والكتّاب إلى أن تقسيم القوّة السياسية بين عدد متعدّد من القوى هو الحلّ الأمثل للمشكلات فإذا انحرفت قوّة جابهتها القوّة المعارضة، وإذا أرادت إحدى القوى الاستئثار بالسلطة واجهتها القوى الأخرى.

وأخذ هؤلاء العلماء يكتبون في هذا المضمار، فألّفوا عشرين ألفاً من الدراسات والكتب التي نشروها بصورة واسعة، وكان من بين تلك الكتب

«روح القوانين» لمونتسكيو الذي بلور نظرية الفصل بين السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية. واستطاعت هذه الكتب أن توجد وعياً عاماً ضدّ الاستبداد والديكتاتورية.

وهذا الحلّ ليس بجديد، فقد قام به رسول الله ﷺ؛ حيث شجع المهاجرين على التكتل، وشجّع الأنصار على التكتل أيضاً، وكان هناك تنافسٌ في الخير بين المهاجرين والأنصار، وانتقل هذا الأسلوب في الحكم إلى الدول الغربية التي بدأت تأخذ بنظرية التعدّدية السياسية.

يقول الخبير الغربي وولتر ليبمان [1] في كتابه فلسفة الجماهير: «إنّ اتجاه الحكومات إلى الشعوب لتعطيها المزيد من الجهد والتضحية حتّى تقوى على الاستمرار في الحرب، تلك هي نقطة البدء، حين تنازلت الحكومات الغربية للشعوب عن بعض سلطاتها في اتّخاذ القرارات الخاصّة فيما يتعلّق بشؤون الحرب والسلام، وقد لازم تلك السياسة انحراف رجال السياسة في الدول الديمقراطية عن اتباع المبادئ القويمة ومحاولة إرضاء الجماهير على حساب المصلحة العامة ليضمن الواحد منهم البقاء في مركزه، كلّ ذلك ساعد على زيادة تسلّط الجماهير، ومن ثمّ حدث نوع من التداخل بين السلطات فأدى

---

(١) صحفي وكاتب سياسي أمريكي، وأحد أبرز صانعي الرأي العام في القرن العشرين، ولد في نيويورك سنة ١٨٨٩م من عائلة يهودية وتوفي سنة ١٩٧٤م. عمل سنة ١٩١٧م مع هاوس مستشار الرئيس ويلسون، فكان يجمع له المعلومات ويرفع له مذكرات حول الأوضاع العامة في أمريكا وخارجها. اقترن اسمه بثلاث صحف أساسية: صحيفة نيوربوبليك وصحيفة نيويورك هيرالد تريبيون ومجلة نيوزويك. من مؤلفاته: الولايات المتحدة في القضايا الدولية، المجتمع الصالح، سياسة الولايات المتحدة الخارجية، العالم الشيوعي وعالمنا نحن ـ الحرب الباردة ـ، الوحدة الغربية والسوق المشتركة، الرأي العام، فلسفة الجماهير ـ فلسفة الحياة العامة ـ. راجع موسوعة السياسة: ج٥ ص٥٤٧، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٦ ص٣٠٤٨

إلى اضطرابها واستغل الساسة ورؤساء الأحزاب تلك السياسة لمصلحتهم الخاصّة بعد أن تخلّت الحكومات عن معظم سلطاتها للمجالس النيابية ومجموع الناخبين، ممّا أدى إلى انحراف ميزان القوى وساعد على ذلك حداثة عهد الشعوب بحقوقها المدنية والانتخابية وكثرة جماعات الناخبين وقلّة وعيهم ممّا أدى إلى التفريط في الحرّية والمصلحة العامّة، وظهرت ثورات انقلابية نتيجة لفشل الغرب في القضاء على البؤس والشقاق والقلق الذي ألمّ بالشعوب في القرن العشرين».

أقول: وبقي العالم الثالث والعالم الثاني الذي انهار بانهيار الشيوعية، يرزحان تحت نير حكم الديكتاتوريين لعدم وجود الوعي الكافي لديهما، وهما لا يعرفان من أين أتتهما المشكلة، والمشكلة تتمثّل في تمركز القدرة، فإذا وعيا هذه الحقيقة وجعل القدرة مقسّمة بين الأحزاب بانتخابات حرّة مستندة إلى المؤسّسات الدستورية انتهت المشكلة. والمراد بانتهاء المشكلة هنا مشكلة الديكتاتور وإلاّ فالدنيا هي دار مشاكل مهما كانت حسنة؛ ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام عن الدنيا: (دارٌ بالبلاء محفوفة وبالغَدر معروفةٌ لا تدوم أحوالَها ولا يَسلمُ نزّالُها)[1]، ولا يخفى أنّ المشكلة حتى لو تحققت الديمقراطية، قائمة أيضاً، ما دامت الروح مفقودة، وما دام النظام نظاماً ليس مرتبطاً بالسماء، ولذا نشاهد أنّ الغرب أيضاً بعد الديمقراطية غارق في المشكلات وكذلك حال الشرق في كيانات، فالإنسان روحٌ وجسد، فإذا روعي جانب الجسد فقط لم يتمكّن من الاستمرار لنقصان جانب الروح، كما وأن جانب الروح لا يمكن ملؤه بسبب الكنيسة التي هي فاقدة للروح، والفاقد للشيء لا يعطيه كما تقول

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٤٨ الخطبة ٢٢٦، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١١ ص٢٥٧، إرشاد القلوب: ج١ ص٣٠ ب٤، بحار الأنوار: ج٧٠ ص٨٢ ب ١٢٢ ح٤٥ ط بيروت.

القاعدة؛ حيث إنَّ الكنيسة تستند إلى أمثال التوراة والإنجيل المحرّفين اللـذين يحتويان على مجموعة كبيرة من الانحرافات والخرافات.

التجربة اليابانية

وفي اليابان أوجب القانون الإمبراطوري[1] على طلبة المدارس والعمال في المصانع والفلاحين في المزارع ومن أشبههم اتّخاذ الأسلوب التالي:

أوّلاً: إنّني أعبد والدي في البيت.

ثانياً: إنّني أعبد الإمبراطور لأنّه والد الشعب كلّه.

ثالثاً: إنّني أعبد المنظّمة التي أنا فيها سواء كانت مدرسة أو مصنعاً أو معملاً أو ما أشبه ذلك.

رابعاً: إنّني أعبد قريتي، وأعبد مدينتي، وأعبد وطني.

خامساً: إنّني أحترم كلّ من هو أكبر منّي سناً.

سادساً: إنّني أحترم كل أصدقائي وأبناء وطني وأكون طيباً معهم جميعاً.

أقول: من الواضح أنّ بهذه الطريقة لا يمكن مقابلة الإنسان بما هو إنسان، فالإنسان له جوانب متعدّدة أكثر من هذه الأمور الستة بمئات المرات، فكيف يمكن بإصلاح جزء ـ على فرض أنّ هذه الأمور الستة بمثابة إصلاحات ـ أن يصلح الكلّ؟

---

(١) وهذا القانون تابع للديانة الشنتوية البوذية التي تطالب المواطنين أن يحترموا الأجداد والإمبراطور والأمة.

وديانة الشنتو أو طريق الآلهة: تقوم على عبادة وتقديس روح الأرز وأرواح الأسلاف وإيمانها بتناسخ الأرواح في كثير من عناصر الطبيعة. ومن أهم تلك الأرواح هي المحصولات الحبوبية. ويعتقد الشنتو بتحويل الأرواح بعد موت أصحابها إلى آلهة. وفي اليابان يوجد ثمانية آلاف معبد للشنتو وسبعة آلاف وخمسمائة معبد للبوذية.

وأمّا وجه قوّة اليابان ـ بغض النظر عن خرافة مثل هذه العقيدة ـ هو الاهتمام بالتعليم [1] والاستفادة من الغرب في الديمقراطية؛ حيث بعث الإمبراطور ألوف الشباب إلى الخارج ليتعلّموا مختلف فنون العلم ثمّ يرجعوا إلى بلادهم ليغرسوا العلم والحضارة والتكنولوجيا في أوساطهم، وهكذا نجحت اليابان في الاقتصاد بينما فشلت في الجيش ونحوه بعد الحرب العالمية الثانية. وإذا أرادت بقية دول العالم النهوض، فاللازم أن تتّخذ من الإسلام منهجاً مع الاستشارية الإسلامية التي هي أفضل بكثير من الديمقراطية الغربية بل وحتّى

---

(١) ففي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي قامت اليابان بإرسال وفود إلى البلاد الغربية ولمدة سنتين لهدف دراسة النظم والثقافات لكي تستفيد من عناصرها الحديثة، وكانت تضم البعثة أفراداً من كل المقاطعات ومن كل الوزارات والسمات العسكرية إضافة إلى أربعين شخصاً من كبار الموظفين غير الرسميين. وقبل إرسال الوفد تدرّب هؤلاء على العادات الثقافية اليابانية حتى تكون لهم الحصانة ضد التغرّب. وعند انتهاء مهام هذه البعثة أعدت تقريراً مكوناً من مائة مجلد في خمسة فصول، نشر سنة ١٨٧٨م وضمّنته كل مشاهداتها حول المدارس والمجالس والمصانع والجيش والسجون، وهذا الوفد شكل في ما بعد نواة حركة من أجل المطالبة بالديمقراطية. وبعد الحرب العالمية الثانية اعتمد اليابانيون النظام التعليمي الامريكي كما بحثوا عن سبل الرقي في التعليم، ووضعوا خطة لتقييم التحصيل التعليمي لاختبار مدى الاستيعاب في مجال الرياضيات والعلوم الأخرى، ووضعوا خطة لنشر التعليم الثانوي بصورة واسعة، واعتمدوا على نظرية إمكانية تحسين مكانة الإنسان في المجتمع من خلال الارتقاء العلمي والتهذيب الأخلاقي، وجعلوا قوام التعليم يعتمد على أصول دينية، واهتموا بالهندسة كمادة أساسية في الجامعات دون العلوم الأخرى، ووضعوا خطة يصعب بمقتضاها الالتحاق بالجامعة نسبياً ويسهل التخرّج منها، وقاموا بالاستخدام الذكي للطاقات الثقافية المتجمّعة من تقاليد الماضي، وبادروا إلى جمع أكبر قدر من المعلومات عن الضغوط الغربية، واستخدموا العناصر الحضارية الغربية التي تتناسب مع الثقافة اليابانية واختاروا الطريق الصائب للتوسعة الوطنية عبر التعلّم من الأسلوب الذي اتخذه بسمارك في بروسيا إلى التوسع في المانيا، وأوجدوا صيغة للتفاعل بين عقدتين، عقدة النقص أمام الغربيين وعقدة التفوق أمام الآسيويين. للمزيد راجع كتاب خفايا المعجزة اليابانية تأليف مجموعة من الكتاب اليابانيين.

إذا أراد الغرب التخلّص من مشاكله يجب أن ينتحي منحى الإسلام، أمّا مجرّد الكنيسة الخاوية والدعايات القائمة على الكذب والرأسمالية المنحرفة بسبب الخطب الملتهبة والبلاغات الكاذبة والأحاديث الشاعرية فلا تؤدّي في النهاية إلى رفع عطش الشعوب وإقناعها بالأمر الواقع، وفي تصوّري أنّ الغرب لا بدّ أن ينتحي منحى الإسلام، إمّا باسم الإسلام أو باسم الإصلاح، وقد كتبت كتاباً حول هذا الموضوع اسمه «الغرب يتغيّر»[1]، والله هو العالم بالمستقبل، لكن الكلام في الظواهر التي تؤدي إلى نتائج خاصّة، فكما أنّ الله ﷻ جعل للأمراض علامات، كذلك جعل للاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها علامات فإذا تمكن الإنسان من معرفتها وفّق إلى نتائج تلك العلامات.

بين الكتاب والمقال السياسيين

ومن الوسائل المهمة في توعية الشعوب والمجتمعات هو الكتاب، وقد ذكر بعض الكتّاب: «إنّ الكتاب السياسي يختلف في تأثيره عن المقال السياسي، فإنّ المقالات السياسية مهما بلغت في عمقها فهي تنسى بمجرّد أن يلقي القارئ الجريدة أو المجلة جانباً. وقليل من القراء من يتذكّر ما قرأه في الصحف والمجلات. ولذا ارتأى بعض كتّاب الصحف أن يجمع مقالاته في كتاب وينشره ليبقي على آثاره»، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: (احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها) [2]، ولذا نشاهد أنّ الدولة الديكتاتورية

---

(١) يقع الكتاب في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط طبع سنة ١٤١٤هـ وقد ترجم الى اللغة الفارسية.

(٢) الكافي (الأصول): ج١ ص٥٢ ح١٠، منية المريد: ص٣٤١ ب٤، وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٨١ ب٨ ح٣٣٢٦٢ وص٣٢٣ ب٨ ح٣٣٨٤٥، بحار الأنوار: ج٢ ص١٥٢ ب١٩ ح٤٠.

لا تحتكر الإذاعة والتلفاز والصحف وحسب بل تحتكر الكتب، فإذا صدر كتاب ليس في نفعها فإنّها إمّا أن تحرقه أو تحوّله إلى عجينة أو تلقي به في البحر، وفي الوقت نفسه تمنع هذه الدول دخول الكتاب إلى بلادها، أو عرضه في معارضها إن كانت من الدول التي تقيم المعارض، والمعارض في البلاد الديكتاتورية ضعيفة وباهتة.

وقد عقد معرضان للكتاب أحدهما في بلدٍ إسلامي شرقي والآخر في بلدٍ غربي مسيحي، وكان عدد الكتب في معرضٍ هذا البلد الغربي قد تجاوزَ الثمانين مليون كتاب، بينما لم يزد عدد الكتب في البلد الإسلامي على مليوني كتاب بحسب ادّعاء تلك الدولة. هذا في جانب عدد الكتب، أمّا عن عناوين الكتب فعددها في البلد الغربي يتجاوز الخمسة ملايين عنوان، بينما لا يزيد عدد عناوين الكتب في الدولة الإسلامية عن ستّين ألف عنوان. والسبب في ذلك هو أجواء الحرّية التي تتوفّر في الدولة الغربية، وتنعدم في البلد الإسلامي، الأمر الذي أثر على مستوى الثقافة والنشر.

والمفترض أن ينحو الكتاب منحيين: الأول منحى الدعاية، والثاني منحى مقاومة الدعاية.

والمعروف أنّ الغزاة والمحتلين والديكتاتوريين يرهبون الكتاب كما يرهبون السيف، فصلاح الدين الأيوبي أحرق مليونين وستمائة ألف كتاب من كتب الفاطميين كانت من أثمن الذخائر، وأكثر هذه الكتب كانت خطية للمئات من العلماء والمفكّرين[1].

---

(١) ذكر في التاريخ أن الأيوبي أحرق مباني المكتبات التي كانت في أرجاء الدولة الفاطمية، وأحرق بعض الكتب وألقى بعضها الآخر في نهر النيل وترك بعضها في صحراء سيناء فسفت عليها الرياح حتى صارت تلالاً عرفت بتلال الكتب، كما أن حمامات القاهرة وعلى وسعة انتشارها بقيت ستة أشهر تحرق كتب الشيعة لتسخين المياه في مراجلها.

وعلى الذين يرون صلاح الدين بغير صورته الواقعية ويعتقدون أنّه قائد فذ أن يراجعوا المصادر التاريخية ومنها تاريخ الطبري، ليكتشفوا بأنفسهم حقيقة هذا الرجل، وقد كتب السيد الأمين كتاباً حول صلاح الدين ذكر فيه من الحقائق شيئاً مذهلاً[1].

---

(١) راجع كتاب صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين للسيد حسن الأمين، وكتاب لكيلا تتنازعوا للإمام المؤلف قدس سره.

وممّا يؤخذ أيضاً على صلاح الدين الأيوبي:

١- أنه جنى على التاريخ والأدب والثقافة العربية والإسلامية، بهدمه لدور العلم والمعرفة وإحراقه للكتب وقتله للعلماء والفلاسفة والشعراء.

٢- بعد استرداده للقدس في معركة حطين، أصدر مرسوماً سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م)، يدعو فيه اليهود لاستيطان القدس الذي كان محظوراً عليهم من قِبَل المسيحيين.

٣- إن تصرفاته بعد استرداد القدس، أبطلت نتائج الانتصار؛ لأنه أعاد للصليبيين المدن الفلسطينية جميعاً باستثناء القدس، وبهذا العمل جعل دماء المقاتلين الشرفاء وثروات المسلمين تذهب سدىً.

٤- عقده للهدنة مع قلب الأسد، الزعيم الصليبي، والتي لا مبرر لها سوى تكريسه لمصالحه الشخصية على حساب مصالح الأمة الإسلامية، حيث منح بموجبها الصليبيين مدينة حيفا ويافا وعكا وصور وطرابلس وأنطاكيا وقيساريا.

وبموجب هذه الهدنة، اعترف ضمنياً بسلطة الصليبيين على البلاد الإسلامية التي كانت في أيديهم، كما أدت إلى تثبيط عزائم المسلمين في محاربة الصليبيين وتحرير أراضيهم.

٥- حال دون قيام دولة إسلامية موحدة، تتجلى فيها قوة المسلمين على غيرهم. يقول الباحث حسن الأمين في كتابه: صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين: ص١٨٧ في هذا الصدد: «كان ما يسيطر عليه، صلاح الدين، يشمل بلاد الشام امتداداً إلى جبال طوروس، ويشمل مصر واليمن. وبانضمام هذه الأقطار إلى حكومة بغداد، تقوم الدولة العربية الكبرى برعاية الخلافة الإسلامية المرتبط بها العالم الإسلامي كله ارتباطاً معنوياً حتى في حالة ضعفها. أما حين تكون بهذه القوة ارتباط هذا العالم بها يكون الارتباط المتماسك المتضامن بالطبع».

٦- وقف الأيوبي بوجه الجيوش الإسلامية في زمن نور الدين زنكي الذي طلب منه أن يزحف من مصر لمحاربة الصليبيين على أن يزحف هو من الشام، ولكن الأيوبي رفض ذلك، مما حدا بالزنكي أن يؤدّبه، ولكن الأيوبي احتمى بالصليبيين. يقول ابن الأثير: «وكان

المانع لصلاح الدين من غزو الإفرنج الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الإفرنج أخذ البلاد منه، فكان يحتمي بهم عليه ولا يؤثر استئصالهم، وكان نور الدين لا يرى إلا الجد في غزوهم بجهده وطاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه، تجهّز عليه، فأتاه أمر الله الذي لايرد».

٧- ويقول الأمين في ص١٩٩ من نفس الكتاب: «إن الاحتلال الصليبي لفلسطين كان يعطي صلاح الدين انفصالاً كاملاً عن المملكة المتحدة، وتبقى تبعيته لها اسمية فقط، فإذا زال الكيان الصليبي من فلسطين، تم الاتصال بين بلاد الشام وبين مصر وتصبح مملكة واحدة، يكون لصلاح الدين المكان الثاني فيها بعد نور الدين، بل يصبح مجرد حاكم لمصر، تابعاً فعلياً لا اسمياً لنور الدين، وهذا ما لا يرضي مطامع صلاح الدين الشخصية، لذلك آثر التمرد على نور الدين وإخراج مصر من الحرب المأمولة لاستئصال الصليبيين. وغضب نور الدين لذلك، وصمم على التفرغ لصلاح الدين أولاً وتسليم حكم مصر لمن يعيد مصر إلى حال الحرب مع الصليبيين، ولما أعدّ عدّته للزحف على مصر وإزاحة صلاح الدين، فاجاه الموت».

٨- وكذلك وقف الأيوبي بوجه الجيوش الإسلامية في زمن الخليفة العباسي - الناصر - الذي أراد هو الآخر أن ينازل الصليبيين بمائة وعشرين ألف مقاتل في فلسطين وطلب من الأيوبي أن يشاركه في الحرب، ولكن الأيوبي رفض؛ لاعتقاده أنه سيصبح والياً وتابعاً للناصر، ثم احتمى بعد ذلك بالصليبيين، ويذكر الأمين في كتابه: ص١٨٧: «وخوفاً من أن يصر الخليفة - الناصر - على إرسال جيشه، بادر صلاح الدين إلى التحالف مع الصليبيين وتوحيد جيوشه مع جيوشهم لصدّ جيش الخلافة إذا تقدم إلى بلاد الشام، ورأى الصليبيون حاجة صلاح الدين إليهم فأخذوا يشترطون في شروطهم لعقد هذا التحالف. وكان أهم ما في شروطهم إعادة فلسطين إليهم واسترجاعهم لكل ما أخذه منهم صلاح الدين فيها من المدن. فخضع صلاح الدين لشروطهم وسلم لهم بكل ما طلبوا، مستثنياً القدس؛ لأن احتفاظه بها سيديم النشوة التي غرّت المسلمين باسترجاعها فيغطي ذلك على استسلامه للصليبيين. فلا يدرك المسلمون في فرحتهم حقيقة ما يجري حولهم».

ويضيف أيضاً في ص١٨٨: «إن رفض صلاح الدين قبول نجدة الناصر وما بلغ الناصر من عزم صلاح الدين على قتال جيوشه في تقدمها إلى فلسطين، حال بين الناصر وبين تنفيذ ما عزم عليه، فلم يكن ليقدم على الاشتباك في حرب أهلية بين المسلمين».

فضّل مصلحته الشخصية على المصلحة الإسلامية العامة عند عدم موافقته لخوض الحروب ضد الصليبيين بل وتسليمهم للبلاد الإسلامية؛ معللاً ذلك أن الحروب معهم تحدّ من نفوذه وتقلّل من هيمنته ومطامحه وتتنافى مع تفرّده بالسلطة.



٩- أنكر الجميل على نور الدين زنكي - الذي كان سبباً في سيطرته على مصر - والذي طلب منه الزحف على الصليبيين ثم ختم إنكاره للجميل أن قتل ابن الزنكي، حاكم حلب البالغ من العمر اثنتي عشر سنة ثم زنا بزوجة زنكي ليلتين، نكاية بزوجها.

١٠- هيأ الظروف لأولاده وورثته لتنفيذ ما عجز هو عن تنفيذه عندما سلموا القدس للصليبيين في عهد فردريك الثاني سنة ٦٥٥هـ، وكذلك بقايا أنطاكيا وطرابلس وعكا والناصرة وغيرها. يقول الباحث حسن الأمين في كتابه صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين: ص١٣٢-١٣٣ ما نصّه: «ففي سنة ٦٣٨هـ، سلّم الصالح إسماعيل صاحب دمشق للصليبيين صيدا وهونين وتبنين والشقيف؛ ليساعدوه على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر. وفي سنة ٦٢٥هـ (شباط سنة ١٢٢٩م) ، سلّم الكامل والأشرف ولدا العادل أخي صلاح الدين، سلّما القدس وما حولها للملك الصليبي فردريك الثاني، وسلّماه معها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل القدس وعكا. ويصف ابن الأثير وقع هذه الرزية على العالم الإسلامي بقوله: واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لايمكن وصفه».

الصحافة

مسألة: يجب التوجه إلى الصحافة[1]؛ لأنها من أهمّ وسائل التبليغ والإرشاد

---

(١) ظهرت الصحافة عند اختراع الآلة الطابعة سنة (١٤٥٤م)، عندما تمكن ميانكيس وجوهان جنسفليش الملقب بـ«غوتنبرغ»، وجوهان فوست، وبيترشوفير من التوصل إلى اختراع يعتبر الأساس لنشأة الطباعة الحديثة، وهو الطباعة على الحروف المنقوشة على مادة مصنوعة من الخشب أو الحجر أو الحديد، والذي عرف بالتيبوغرافيا. ثم إنّ أول صحيفة طبعت في العالم كانت على شكل نشرة خبرية تحت اسم «غازيتا» في القرن السادس عشر في مدينة البندقية. وأول صحيفة صدرت في أمريكا سنة (١٨٣٤م) واسمها «البنس» إشارة إلى أن ثمنها لا يتجاوز بنساً واحداً. وأول صحيفة صدرت في بريطانيا هي ديلي نيوز سنة ١٦٢٢م ثم تبعتها «ديلي» سنة (١٧٠٢م). وأول صحيفة صدرت في الصين في القرن الثامن الميلادي، وأول صحيفة صدرت في العراق سنة ١٨٦٩م باسم «الزوراء». وأول صحيفة عربية صدرت في مصر سنة (١٨١٣م) واسمها «الجورنال» ثم تحولت إلى جريدة «الوقائع المصرية» سنة (١٨٢٨م) في زمن محمد علي باشا.. وأول صحيفة صدرت في اليابان سنة ١٨٧٢م باسم «طوكيو ليتشي نيتشي شيمبون». وأول صحيفة صدرت في ألمانيا سنة (١٦٦٠م) تحت عنوان «ليبزيغور زايتنغ». وبلغت عدد الصحف في أمريكا سنة (١٩٥٠م) ١٧٧٢ صحيفة وارتفع هذا العدد سنة (١٩٩٤م) إلى ١٩٥٠ صحيفة. وفي بداية القرن الواحد والعشرين ومع انتشار وسائل الإعلام الأخرى أصبح عددها ١٦٤٥ صحيفة يومية و٧٧١٠ صحيفة أسبوعية، تسحب اثنين وستين مليون نسخة، وإنّ مجموع ما يصدر من الصحف اليومية في أمريكا يعادل ربع عدد الصحف اليومية الصادرة في العالم. وإن ٦٥٪ من محتويات الصحافة الأمريكية يوضع للإعلانات، وما ينفق للإعلانات في الصحف الأمريكية أكثر من ثلاثين مليار دولار سنوياً. وإنّ أباطرة الصحف الأمريكية هما ويليام راندولف هيرست وجوزيف بوليتزر، وإنّ مجموعة طومسون تمتلك أكثر من ١٠٨ صحيفة، ومجموعة جانيت ٨٢ صحيفة. وفي بريطانيا قرابة ١٥٠ صحيفة دولية، و١٢٠٠ صحيفة محلية أغلبها أسبوعية، منها ١٤٥ صحيفة تصدر في لندن تطبع أكثر من ٢٦ مليون نسخة، وصحف يوم الأحد ٢٧ مليون، إنّ صحيفة «ديلي» الصباحية يطبع منها أكثر من خمسة

والإعلام والنشر والإمتاع وتهيئة الرأي العام وتوجيهه سواء في مجال الحرب أو مجال السلم أو في مجالات التجارة والزراعة والصناعة والتعليم وما أشبه ذلك[1].

وتعد الصحافة أقدم وسيلة إعلامية كانت ومازالت لها الدور في تغيير

ملايين وإن عدد القراء للصحف البريطانية يفوق عدد النسخ الصادرة ثلاثة أضعاف. وبلغت حصة كل ١٠٠٠ مواطن ألماني ٢٢٨ صحيفة وفق إحصاء (١٩٩٣م) علماً أنّ عدد النسخ الصادرة للصحف اليومية هو ٣٠،٦٩٣٠٠٠ نسخة، وبلغت حصة كل ١٠٠٠ مواطن بريطاني ٤٨٨ صحيفة. علماً أن ٧٠٪ من سكان العالم القاطنين في قارة آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يستهلكون ٣٦٪ من الصحف اليومية في حين تستهلك أوربا ٣٨٪ وأمريكا الشمالية ٢٣٪ والبقية الباقية في الأماكن الأخرى. وإن حصة العرب من الصحافة العالمية اليوم لا يتجاوز نسبة ١،٤٪ مع أن العرب يشكلون ١٧٪ من مجموع سكان الكرة الأرضية، فكل ١٠٠٠ عربي يحصل على ٣٩ صحيفة، وإن مجموع الصحف العربية لا يتجاوز ١٥٠ صحيفة من أصل عشرة آلاف صحيفة في العالم.

(١) وقد أضحت وسيلةً تعليميةً تثقيفية لتزويد المجتمع بالمعرفة وترشيد الحلول وتضمن للفرد الاتصال، كما أنها أضحت في الجانب السياسي أداة التعرّف بين الناخب والمرشح دون اتصال مباشر عن طريق انتقال الأفكار المكتوبة في صفحاتها، وأضحت وسيلة لتصريف السلع المنتجة في المصانع، وإيجاد فرص للعمل وتوفير الأيدي العاملة للباحثين عنها.

ولبيان أهمية الصحافة ودورها يمكن أن نشير إلى النزاع الشهير بين الحكومة الأمريكية والحكومة الروسية في الثمانينات من القرن الماضي إبان تصاعد أجواء الحرب الباردة، فقد بنى السوفيات في واشنطن سفارة جديدة فوق تلة عالية تطلّ على واشنطن، ورفضت الولايات المتحدة السماح للدبلوماسيين السوفيات بالانتقال إلى مقرهم الجديد، تحت ذريعة أنه سيكون باستطاعة هؤلاء الدبلوماسيين اعتراض الاتصالات بين البيت الأبيض والمقرّات الحكومية الحساسة الأخرى بما فيها البنتاغون والسي آي أيه. وثار الجدل في وسائل الإعلام وشاركت فيه شبكات التلفزيون التي استضافت إحداها شخصيتين معنيتين بهذه القضية، هما مسؤول في مكتب التحقيقات الفدرالية ـ إف بي آي ـ، والثاني من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ـ سي آي أيه ـ، وفيما تحدث الأول بإسهاب عن خطورة موقع السفارة والأسرار التي يمكن أن يحصل عليها السوفيات إذا دخلوا على خطوط الاتصالات. فإنّ الثاني قال بهدوء: دعوهم بحق السماء يسكنون أينما شاؤوا في واشنطن، ولكن فقط اقطعوا عنهم اشتراكهم في جريدة واشنطن بوست.

العلاقات الإنسانية في المجتمع، فكلّما كانت الصحافة أكثر وعدد الصحف أوفر ـ سواء كانت سياسية أو غير سياسية، يومية أو أسبوعية أو شهرية، واليومية صباحية أو عصرية أو مسائية أو بلغات مختلفة ـ، ارتفع مستوى الوعي عند الناس وأصبح الشعب قاب قوسين من الديمقراطية، أمّا الصحف المنتمية للديكتاتور؛ فمهما كانت كثيرة فإنّها لا تسمن ولا تغني من جوع؛ لأنها كلّها تصب في مصب الرجل الأوحد، ولذا نجد أن الديكتاتوريين دائماً في حالة تخلّف دائم، بينما الديمقراطيين الاستشاريين دائماً في حالة تقدّم سواء بالنسبة إلى الحكومة أو الشعب وفي مختلف أبعاد الثقافة. ثم إنّ الصحيفة إذا كانت نزيهة وموضوعية وذات إنصاف وأخلاق وانضباط وذات منهجية ومضامين ثقافية وتعليمية عالية والقائمين بها ذات احتراف واتقان، كانت في غاية الرفعة، لذا لقبت الصحافة النزيهة «السلطة الرابعة»[1]. وكما ورد في الحديث: (كما تكونوا يولّى عليكم)[2]، كذلك الصحافة فهي لسان حال الشعب وتعكس حالته ومستواه، فإذا كان الشعب جيداً كانت الصحافة جيّدة، وإذا كان الشعب سيئاً كانت الصحافة سيئة أيضاً.

وقد قرأت في بعض الكتب أنّ إسرائيل تحظى بكثرة الصحف وأنّ الصحف

---

(١) إنّ أول من تحدث عن الصحافة باعتبارها سلطة رابعة الكاتب الايرلندي إدمود بيرك، وقيل الصحفي البريطاني ويليام كوبيت في أوائل القرن التاسع عشر. وهذا الاصطلاح مقتبس من عصر الإقطاع في أوربا حيث كانت السلطات الثلاث هي سلطة رجال الدين وسلطة النبلاء وسلطة العموم، أمثال ممثلي المدن في البرلمان. واليوم تعد الصحافة السلطة الرابعة مقابل السلطات الثلاث الأخرى التشريعية ـ وضع القوانين العامة التي يخضع لها المواطنون ـ والقضائية ـ يختص بالفصل في المنازعات التي يثيرها تفسير القوانين او توقع الجزاء على ما يرتكبه الانسان من مخالفات ـ والتنفيذية ـ تطبيق القوانين ـ.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٧ ص٤٣٥، الجامع الصغير للسيوطي: ج٢ ص٢٩٤ ح٦٤٠٦، كنز العمال: ج٦ ص٨٩ ح١٤٩٧٢، مغني اللبيب: ج٢ ص٦٩٧، كشف الخفاء: ج١ ص١٤٧ ح٤٢٧.

فيها رخيصة جداً[١]، ناهيك عن الامبراطورية الإعلامية الواسعة التي تعمل وفق منهجية صحفية خاصة[٢]، فهي تباع بقيمة الورق الذي تطبع عليه الصحيفة،

---

(١) تعتبر الصحافة اليهودية اليوم أوسع شبكة صحفية تصدرها مجموعة بشرية في العالم، فهي تمتلك ما يقارب ١٠٣٥ صحيفة ومجلة، منها ٢٥٤ في امريكا و١٥٨ في أوربا و٣٢ في إفريقيا. هذا بالإضافة إلى سيطرتهم على أكثر وكالات الأنباء العالمية ناهيك عن تغلغلهم في وكالات الأنباء الأخرى سواء في أمريكا وأوربا وآسيا، فعلى سبيل المثال إن روبرت مردوخ اليهودي يمتلك ما يزيد على ثمانين صحيفة ومجلة تصدر في عدد من أقطار العالم، وعدداً من المحطات التلفزيونية في أستراليا وأمريكا، ونصف أسهم شركة فوكس الأمريكية للأفلام السينمائية، ويمتلك كذلك المحطات السبع لشركة مترو ميديا الامريكية، وهي من أهم التجمعات التلفزيونية المستقلة في أمريكا، إضافة إلى صحيفة تايمز البريطانية مع سائر الملحقات التي تصدر عنها، وقد فضح المؤلف بول فندلي في كتابه «من يجرؤ على الكلام» أساليب اليهود للضغط على الإعلام الأمريكي.

(٢) تحددت المنهجية اليهودية للسيطرة على الصحافة في الاجتماع السري الذي عقد سنة ١٨٦٩م في مدينة براغ، والذي حضره عدد من الحاخامات والتي قال فيها الحاخام: rericbornr إذا كان الذهب هو القوة الأولى، فإنّ الصحافة هي القوة الثانية، لكن الثانية لاتعمل من غير الأولى، علينا بواسطة الذهب أن نستولي على الصحافة، وحينما نستولي عليها نسعى جاهدين لتحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والقضاء.

ثم إنّ الإعلام اليهودي يستند على مرتكزات، أهمها: ١- ادعاء إسرائيل أنّ الصهيونية ليست سوى تعبير عن إيمانها بالعالمية ٢- إظهار إسرائيل بمظهر الدولة المحبّة للسلام والراغبة في التعايش مع العرب، في مقابل إظهار العرب بأنهم يرفضونها كياناً وحضارة وشعباً، الأمر الذي يعطيها تأييد الرأي العام الغربي ودعمه ٣- ادعاء إسرائيل بأنها قسم من حضارة الغرب المتمدّن ممزوجة بحضارة يهودية أصيلة، الأمر الذي يعطيها صورة فريدة تجعل الغرب راغباً في دعمها ومساعدتها على حقها التاريخي في الوجود ٤- إظهار إسرائيل كدولة تؤمن بالمساواة بين الشعوب وبين أبناء الشعب الواحد، لذا تطرح إسرائيل نفسها معيناً ومؤيداً للشعوب والأقليات المضطهدة مثل الأكراد والأقباط ٥- إظهار العرب بصورة رديئة وسيئة سواء على صعيد الأفراد أو المجتمعات، فهي تصوّر الإنسان العربي بمظهر المتآمر، الجبان، الغبي، المتخلّف، الإرهابي ٦- احتضان اليهود في العالم عبر الصحافة بإيجاد لغة خطاب مشتركة بين اليهود في العالم، وتحريضهم على التسلل لمراكز القرار في الدول، واستخدام تلك المراكز لابراز وجة نظر اليهود وكسب الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لهم ٧- جعل الإعلام العالمي يهتم بإنجازاتهم وأخبارهم وتطوراتهم

كما وأن إجازة الصحيفة تتم بسهولة ويسر ولا تكلّف طالبها سوى قيمة الطابع اللازم لتقديم الطلب، أما في بعض البلاد الغربية فلا تحتاج الصحافة إلى إجازة. وقد بعثت بشخصين لأحد البلدان الغربية لأخذ الإجازة في إصدار مجلة للمسلمين، فالتقيا بوكيل وزير الثقافة والإعلام الذي كان يضحك لطلبهما، وقال: «إنّ إصدار مجلة في بلدنا في حكم دخول السوق وشراء كيلو من التفّاح أو الليمون»، كناية عن أنه لا تحتاج المجلة إلى إجازة أو شيء آخر، بينما في الوقت نفسه كان الثمن الذي تتقاضاه الدولة العراقية لإجازة الجريدة هو مليون دينار عراقي في ذلك الوقت الذي كان بهذا الثمن تستطيع أن تشتري مائة دار أو أكثر بمساحة أربعمائة متر، وبسبب هذه العراقيل تخلّف العراق حتّى آل الأمر إلى صدّام، بينما تقدّمت البلاد الغربية في مختلف الشؤون كالصناعة والزراعة والتجارة وغير ذلك.

والصحافة في ظلّ الديكتاتورية لا تستطيع أن تفعل شيئاً، لأنّ المناخ السياسي سيكون مسموماً، وتنتقل هذه السموم إلى الصحيفة نفسها. حتّى لو كانت الصحيفة صادقة فإنّها ستتحول إلى عامل دعم للديكتاتورية شاءت ذلك أم أبت؛ لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: (ولا تبن لهم مسجداً).

وقد نهى الإمام عليه السلام صفوان الجمال [1] عن كراء جماله لهارون، فالقاعدة

٨- التركيز على الدور الحضاري لليهود في العالم، وكيف أن اليهود غيروا مجرى الأحداث السياسية والعلمية في العالم أمثال ماركس وفرويد وآينشتاين وأريليخ ٩- تشويه الصور والحقائق وخلط الأوراق حتى لايميّز بين القاتل والضحية ١٠- الإعلام الموجّه ضد العرب تشرف عليه دائرة الحرب النفسية في وزارة الدفاع الإسرائيلية، وهذا الإعلام يهدف إلى زرع اليأس في نفسية الإنسان العربي وزعزعة ثقته بنفسه وأمته وتاريخه وحاضره ومستقبله.

(١) صفوان بن مهران بن المغيرة الأسدي، يعدّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته، وقد حمل الإمام الصادق عليه السلام من المدينة إلى العراق أكثر من مرة، وكان

العامّة المذكورة في الروايات هي: (لا يطاع الله من حيث يعصى) [1]، فالصحفي يجب أن يربّي الناس على المشاركة ويجعلهم يترفعون عن الصغائر، وقد ضاعت فلسطين بين حكّام ديكتاتوريين وبين صحفيين عملاء مرتزقة، صاروا سبباً لنهب هذا البلد الإسلامي.



ممن تشرف بزيارة الإمام علي عليه السلام مع الإمام الصادق وعلّمه الإمام الزيارة المعروفة للإمام علي عليه السلام كما علمه دعاء علقمة وكيفية زيارة الأربعين، ويعدّ كذلك من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام. وقد جاء في وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٨٢ ب٤٢ ح٢٢٣٠٥ الحديث التالي: روي عن صفوان أنه قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام، فقال لي ياصفوان كل شيء منك حسنٌ جميلٌ، ما خلا شيئاً واحداً. قلت: جُعلت فداك اي شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل - هارون -. قلت: والله ما أكريته أشراً ولابطراً ولالصيد ولا للهو، ولكني أكريته لهذا الطريق - طريق مكة - ولا أتولاه، ولكن أبعث معه غلماني.
فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قلت: نعم. قال: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وردَ النار. فقال صفوان: فذهبت وبعتُ جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني وقال: ياصفوان بلغني أنك بعت جمالك؟ قلت: نعم. فقال: لمَ قلت: انا شيخ كبير وانّ الغلمان لايفون بالأعمال.
فقال: هيهات، إني لأعلم مَن أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر. قلت: ما لي ولموسى بن جعفر. فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك. ونظير هذا ورد في وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٥٩ ب٣٧ ح٢١٥٨٠ وسفينة البحار: ج٥ ص٢٨٣.

(١) شرائع الإسلام: ج٢ ص٥٥٨.

نواقص الإعلام الإسلامي

مسألة: من الضروري التوجه الى نواقص الإعلام الإسلامي ورفع هذا النقص ليتسنى للمسلمين نشر التوحيد وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ومن هذه النواقص:

الأوّل: اللاّعنف [1].

الثاني: المنهج.

الثالث: نزاهة العاملين.

أمّا اللاعنف؛ فواضح لأنّ العنف لا يوصل الإنسان إلى مكان معيّن، فمهما كنت عنيفاً فإنّ عدوّك أعنف منك، ومهما أوتيت من الأسلحة فإنّ عدوك يمتلك أكثر منك. وبما أنّ سلاح الروح أقوى من سلاح البدن، لذا يجب على المسلمين أن يشهروا سلاح الروح لمقاومة سلاح البدن ويعملوا بالآية الكريمة:

---

(١) يعرّف اللاعنف بعدّة تعريفات، منها:

١- سلوك سياسي لايمكن فصله عن القدرة الداخلية والروحية على التحكم بالذات وعن المعرفة الصارمة والعميقة للنفس. راجع موسوعة السياسة: ج٤ ص٣٢٠ عبد الوهاب الكيالي.

٢- وسيلة من وسائل العمل السياسي والاجتماعي، وهو كمبدأ يحاول أن تمثل قوة الضعيف وملجاه الأخير مرتكزاً على إثارة الضمير والأخلاق لدى الخصم أو على الأقل لدى الجمهور الذي يحيط به. ففضيحة الظلم تفتح العيون والقلوب وتربك المتحكّم وتفقده قوته. راجع موسوعة السياسة: ج٥ ص٣٨٥ عبد الوهاب الكيالي.

٣- أن يقف الشعب ضد المستعمر موقف عدم تعاون وبطريقة سلبية ولا يلجأ بحال إلى العنف. راجع معجم العلوم السياسية الميسر: ص١٤٢ أحمد سويلم العمري.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1]. وتعقيب الجملة الثانية بالجملة الأولى معناه ممّا يظهر من ظاهر الآية المباركة؛ أنّ من لا يدخل في السلم يكون متّبعاً لخطوات الشيطان، وقد ذكرت بحثاً مفصّلاً عن اللاعنف في كتاب «إلى حكم الإسلام»[2] ممّا لا حاجة إلى تكراره هنا.

واللاعنف يبدأ من النفس ومنها إلى الأعضاء والجوارح، وفي روايتين، ذكرتهما في كتاب «الآداب والسنن»[3] عن النبي ﷺ والإمام الصادق عليه السلام ذكرا «اللاعنف» بهذا اللفظ[4]. فاللسان يجب أن يكون غير عنيف، والقلم يجب أن يكون غير عنيف، والعمل يجب أن يكون غير متصف بالعنف. وكلّ شيء يبدأ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٨، وان الدخول في السلم كافة يشمل الدعوة وفي المصادمة وفي التطبيق وفي التنفيذ.

(٢) ذكر المؤلف قدس سره في كتابه «إلى حكم الإسلام»: إن معالجة الأشياء سواء كان بناءً او هدماً بكل لين ورفق، حتى لايتأذى أحد من العلاج، ويقع الكتاب في ٢٠٠ صفحة وهو من تأليفاته قدس سره في كربلاء المقدسة سنة ١٣٨٢ هـ. وطبع الكتاب عدّة طبعات في لبنان والكويت وإيران. وكذا تطرّق المؤلف قدس سره إلى اللاعنف مفصلاً في كتاب «الفقه ـ السلم والسلام».

(٣) وهي الأجزاء ٩٤-٩٧ من موسوعة الفقه.

(٤) فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (من علامات المؤمن... لا عَنِفٌ) الكافي (أصول): ج٢ ص٢٢٧، وورد عن الإمام علي عليه السلام: (من عامل بالعنف ندم) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٨ القسم السادس ب٥ الفصل الأول ح١٠٤٧٣، وقال الإمام الباقر عليه السلام: (ما عرض أمران مرضيان لله الاّ اختار الأيسر قائلاً ان الله يحب اليسر ويكره العنف) أصول الكافي: ج٢ ص١١٩، وقال كذلك: (إن الله رفيق ويحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٦٩ ب٢٧ ح ١٠٤٧٨ وأصول الكافي: ج٢ص١١٩ ح٥، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف لأنّ الله يسير ويحب اليسر ويعطي على اليسير ما لايعطي على العنف) الاستبصار: ج٢ ص١٦٢ ب٩٣ ح٥. وفي كتب العامة عن الرسول ﷺ (تعافوا تسقط الضغائن بينكم)، وعن موضوع اللاعنف راجع كتاب «اللا عنف في الإسلام» وكتاب «اللاعنف منهج وسلوك» للمؤلف قدس سره.

من القلب، فالقلب هو سلطان البدن؛ إنْ أحسنَ أحسن، إنْ أساء أساء؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، ولست أريد بالقلب هنا العضو الحيوي بل النفس والروح أيضاً التي توجّه الجوارح والأعضاء، فإذا صار اللاعنف ملكة عند الإنسان تمكّن من المضي نحو التقدم، وعندما قال عيسى عليه السلام: (أحبوا أعداءكم) (١)، وقال في موضع آخر: (وإن لطم أحد خدك الأيمن فأعطه الأيسر) (٢)، إنّما أراد من ذلك خدمة السّلام وتثبيت الاستقرار في المجتمع، فالواقع أنه بهذه الردود الإيجابية وحدها يمكن كسب العدو وجعله صديقاً، ولذلك عمل الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام بمنهج اللاعنف إلى أبعد الحدود، فلو جمعت تلك القصص لكانت كتاباً كبيراً بالنسبة إلى أخلاقياتهم وأعمالهم وحتّى حروبهم التي كانت دفاعية، وكان أهل البيت عليهم السلام إذا انتصروا، قالوا: (أنتم الطلقاء)؛ كما قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ذلك (٣) وكما منّ أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقال: (مننت على أهل البصرة كما منّ رسول الله على أهل مكّة) (٤)، فيجب أن يصبح اللاعنف ملكة، فالملكات هي التي تفصح عن الأعضاء والجوارح، ولذا قال صلى الله عليه وآله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥)، وكان الرسول صلى الله عليه وآله يؤذى بكثرة حتّى قال:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠ ص١٥٩، تاريخ اليعقوبي: ج١ ص٧٠.

(٢) الأمالي للصدوق: ص٣٦٦ المجلس الثامن والخمسون ح١٢، روضة الواعظين: ج٢ ص٤٧٠، تحف العقول: ص٤٩٩، مشكاة الأنوار: ص١٧٤.

(٣) راجع قرب الإسناد: ج٣ ص١٧٠، تهذيب الأحكام: ج٤ص ٣٨ ب١٠ ح ٨ وص ١١٨ ب ٣٤ ح١، الاستبصار: ج٢ص٢٥ب١١ح٤، الكافي (فروع): ج٣ ص٥١٣ ح٢، أعلام الورى: ص١١٢، المناقب: ج١ ص٢٠٩، وسائل الشيعة: ج٩ ص١٨٢ ب٤ ح١١٧٩٠ وج١٥ ص١٥٨ ب٧٢ ح٢٠٢٠٣، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٦٠.

(٤) الاحتجاج: ج١ ص١٨٨ في احتجاجه على الخوارج لما حملوه على التحكم ثم انكروا عليه ذلك.

(٥) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت) [1]، ومع ذلك كان يقول: (اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون) [2]. وفي القرآن الحكيم: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [3] وفيه أيضاً: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [4].

وقال نوح عليه السلام كما يحكي القرآن الحكيم: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ [5]. وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله: (كلّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه) [6]، وقال: (إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) [7]. وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله (أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلاّ رجعت عليه) [8]،

---

(١) كشف الغمة: ج٢ ص٥٣٧ ب٥، المناقب: ج٣ ص٢٤٧ باب النكت واللطائف.

(٢) قالها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة، عندما كان يضربه قومه حتى يغشى عليه، قصص الأنبياء للجزائري: ص٧١ الفصل الثاني، الخرائج: ص١٦٤. وفي الحروب عند الرمي، المناقب: ج١ ص١٩٢، وفي يوم حنين عندما انكسرت رباعيته وسال الدم من وجهه، إيمان أبي طالب للفخار: ص١٥٥ الفصل الثاني، أعلام الورى: ص٨٣.

(٣) سورة النور: الآية ٥٤، سورة العنكبوت: الآية ١٨.

(٤) سورة القصص: الآية ٥٦.

(٥) سورة نوح: الآيات ٥-٩.

(٦) مجموعة ورام: ج١ ص١١٥، منية المريد: ص٣٢٧ ب٢ الفصل الثاني، كشف الريبة: ص٦.

(٧) تفسير القمي: ج١ ص١٧١ في تفسير سورة المائدة، الخصال: ج٢ ص٤٨٧ ب١٢ ح٦٣، الإفصاح في الأعلام: ص٥٠. ونظيره في غوالي اللآلي: ج١ ص١٦١ ح١٥١، مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٠٩ ب١ ح٢٢٥١٦.

(٨) وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (من رمى رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه) الصوارم المهرقة: ص٢٢١، وورد عنه أيضاً: (أيما رجل قال لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) غوالي اللآلي: ج١ ص١٤٣ ح٦٢. وورد عنه: (أيما امرئ قال لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه) الديباج على مسلم للسيوطي: ج١ ص٨١.

وفي القرآن الحكيم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١). وفيه أيضاً: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (٢).

وفي القرآن الحكيم أيضاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣).

وقال ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) (٤). وقال الإمام علي عليه السلام: (شرّ الناس من لا يعفو عن الزّلة ولا يستر العورة) (٥).

وقال ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) (٦). وقال الإمام علي عليه السلام: (ارحم من دونك يرحمك من فوقك)(٧).

الثاني: المنهج؛ فالدنيا الآن خاضعة لأصحاب المناهج التي تعرض عليها في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والجيش وغير ذلك، فاللازم أن تكتب مئات الكتب التي تبيّن كيفية الاقتصاد الإسلامي والسياسة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والعسكرية الإسلامية والجهاد الإسلامي والعائلة الإسلامية والأخلاق الإسلامية وغير ذلك، فإنه بدون هذين الأمرين ـ اللاعنف والمنهج ـ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) غوالي اللآلي: ج١ ص٣٦١ ح٤١، الرسالة السعدية للعلامة الحلي: ص١٤٣، وورد عنه: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى) الجعفريات: ص١٦٧، مستدرك الوسائل: ج٩ ص٥٥ ب١٠٧ ح١٠١٨٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٥ القسم الثالث ب٢ الفصل الثاني ٥١٦.

(٦) غوالي اللآلي: ج١ ص٣٦١ ح٤٢، مستدرك الوسائل: ج٩ ص٥٥ ب١٠٧ ح١٠١٨٧ وج١٢ ص٣٨٥ ب١٩ ح١٤٣٦١، سنن الترمذي: ج٢ ص٢١٧ ح١٩٨٩، تفسير الثعالبي: ج٥ ص٢٦١، التاريخ الكبير للبخاري: ج٩ ص٦٤ ح٥٧٤، وقريب من ذلك في بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٦٩ ب٧ ح٤ ط بيروت.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٢٥ القسم السادس ب٢ الفصل الثالث ح ٩٩٧٤.

لا ينضوي الناس تحت لواء الإسلام، وهو أمرٌ ثابت في الكتاب والسنّة وبيّنهما رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام.

الثالث: نزاهة العاملين؛ فيلزم أن يكون القائم بالدعوة الإسلامية نزيهاً إلى أبعد الحدود، فالنزاهة نصف الأمر. أمّا الانغماس في الدنيا وملذاتها ـ وإن كان من حلال ـ فليس مرغوباً عند الناس، ولذا يُمدح الناس المتظاهرون بالزهد حتّى لو كانوا ماديين في الواقع. ثمّ إذا تحققت هذه الأمور الثلاثة يأتي دور تقديم القيم الدينية، والمراد بالقيم مطلقاً هو ما يتّخذه الإنسان قيمة للوصول إلى أهدافه الماديّة والمعنوية في الحال والمستقبل لنفسه وعشيرته والمجتمع عموماً، فاللازم أن توزن كلّ قيمة حسب وضعها، وهي ثلاث قيم: القيمة العقيدية، القيمة الأخلاقية، القيمة العملية في جميع الأبواب من العبادات والمعاملات والقضاء والشهادات والإرث والحدود والديّات والقصاص وغير ذلك.

واللازم على الإعلام الإسلامي أن يذكر الأدلّة لرفع قيمة على أخرى كرفع قيمة التوحيد على قيمة التثليث وقيمة التثنية. كما يقول بذلك المسيحيون والمثنوية، الذين يقولون بالوجود الأزلي من نور وظلمة، وقيمة الأصنام المتعدّدة معبودات بلاد الهند وبعض البلدان الأخرى في الحال الحاضر. وقد ذكر بعض الكتّاب أن في بلاد الهند ألف مليون صنم بعدد نفوس الهند، والحال أنّ في الهند مائتي مليون مسلم وهم لا يعبدون الصنم إطلاقاً، مما يعني أنّ كلّ فرد عابد للصنم مرتبط بصنم أو صنمين أو ثلاثة أو أكثر، وحيث يبين الإعلام التفاوت بين هذه القيم العقيدية يأتي دور بيان التفاوت بين القيم الأخلاقية، فهل الأفضل الصدق أو الكذب، أو الشجاعة أو الجبن، أو الكرم أو البخل؟ فهناك من الناس من يرجحون ما نسميه بالرذائل على الفضائل كقول

نيتشه [1]: «إن الكرم تبذير وإنّ الشجاعة تهور»، وكذا بالنسبة إلى سائر الأمور الأخلاقية، ثمّ يأتي دور المقارنة بين الأعمال كالصلاة وتركها، والصوم وتركه، والحج وتركه، والخمس وتركه، والزكاة وتركها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركهما، وكذا بالنسبة إلى تولّي أولياء الله والتبرّي من أعداء الله وتركهما، والمعاملات كالبيع فقط أو البيع مع الربا، والنكاح الشرعي فقط أو النكاح مع الزنا، أي أنْ ينكح ويزني وأن يشرب الخمر وأن يتركه، فإنّ كلّ واحد واحد من القيم العقيدية والأخلاق والأمور العملية لها ضدّ أو نقيض، فاللازم الملازمة بين الضدّين أو النقيضين كما كانت عادة علماء المسلمين، فكتبوا كتباً في العقائد كشرح التجريد للعلامة الحلي، وكتبوا كتباً في الأخلاق كجامع السعادات للشيخ النراقي، وكتباً في العبادات والمعاملات كالجواهر والحدائق والمستند وغيرها، وبعد هذه الأمور [2] يأتي دور الأسئلة التي يجب أن يجاب عنها من قبل الجماهير، ومن هذه الأسئلة:

س١: هل للإعلام الديني دور مهم في تغيير القيم الثلاث [3] من الباطل إلى

---

(١) فردريك فلهلم نيتشه، فيلسوف ألماني، ولد في ألمانيا سنة ١٨٤٤م، ومات في مشفى للأمراض العقلية بعد إصابته بانهيار عصبي سنة ١٩٠٠م عن عمر يناهز السادسة والخمسين، أخذ بنظرية الإرادة وبمذهب التطور وقال: «إن الحياة ليست غير تنازع البقاء وبقاء الأصلح، وإن «الإنسان الأعلى» هدف يجب الوصول إليه». انتقد المسيحية ودعى إلى إنكار القيامة والبعث والحساب. ويعدّ من مؤسسي العرقية الجرمانية، ويتلخص مذهبه بما يدعى «إرادة القوة» وتحدث عن اللاشعور وأقنعته وتحولاته. من مؤلفاته: نشأة المأساة وروح الموسيقى، المسافر وظلّه، هكذا تكلّم زرادشت، مدائح ديونيزوس، إرادة القوة، فيما وراء الخير والشر. ترجمه: المنجد في الأعلام: ص٥٨٢، موسوعة المورد: ج٧ ص١٣٠، جريدة العالم: ج٥ ص١٠٥، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٨ ص٣٥٣٦، عظماء ومشاهير معاقون: ص٢٣٦.

(٢) اللاعنف والمنهج ونزاهة العاملين وتقديم القيم الثلاث وترفيع بعضها على بعض.

(٣) القيم العقيدية والأخلاقية والعملية.

الحقّ في المجتمع سواء كان مجتمعاً حضرياً أو مجتمعاً ريفياً؟

س٢: ما هي العوامل والظروف التي تساهم في هذا الدور حتّى يصعد الفرد من القاع إلى الأعلى، وكذلك يتغيّر المجتمع من التقهقر إلى التفوّق؟

س٣: إذا لم يكن للإعلام الديني دورٌ ملحوظ، فيجب أن نبحث عن السبب، والحال أنّ الإعلام الديني بذاته شيء مرتبط بفطرة الإنسان سواء في أصوله أو أخلاقه أو فروعه، وما هي سلبيات الإعلام وما هي المعوّقات التي تمنع حدوث هذا الدور للإعلام الديني، فالوسيلة إذا كانت صحيحة لا بدّ وأن تأتي بالنتيجة الصحيحة لاستحالة أن تكون الواسطة صحيحة والنتيجة غير صحيحة كاستحالة العكس بأن تكون الواسطة غير صحيحة والنتيجة صحيحة، فإنّ: «الشيء يولِّد مثله» و«فاقد الشيء لا يعطيه».

س٤: هل وسائل الإعلام الدينية رسّخت قيمة العمل والتعاون والتعليم والوعي والنظافة والنظام وما أشبه ذلك، فإن لم تفعل ولم ترسّخ فيجب أن نبحث عن السبب؟

س٥: هل البرامج الدينية الإذاعية والتلفازية وما أشبه ذلك عملت على ترسيخ قيمة التعاون والعلم والعمل والواقعية والجدّية ونحو ذلك؟

س٦: هل هناك علاقة بين الحالة التعليمية التي يتلقاها الطفل والشاب من الروضة إلى ما بعد الجامعة، وبين الأسس التي يقوم عليها التعاون في المجتمع الصغير كالأسرة والمجتمع الأكبر كالحزب والمنظّمة والمجتمع الكبير كالأحزاب السياسية ونحوها؟ وإذا لم تكن هناك علاقة فلماذا؟ وإذا كانت هناك علاقة فهل هي علاقة متينة أم علاقة واهية؟

س٧: هل التعليم الديني له أثرٌ في نشر هذه القيم، وما مقدار الأثر هل هو ١٪ أو ١٠٠٪ أو ما بين ذلك، وإذا كان قليلاً فكيف يمكن تطويره ليصل إلى مائة

في المائة؟

س٨: هل البرامج الإذاعية والتلفازية الدينية ساعدت على علاج قضية التسامح الديني والتعصّب والأمور القبلية والمذهبية أو ما أشبه ذلك، وقد أشار إلى ذلك ﷻ بالنسبة إلى رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[3] إلى غير ذلك؟

س ٩: هل الإعلام الديني بوسائله المختلفة ساعد في معالجة قضايا الأسرة كالنكاح والطلاق والعزوبة والعنوسة، وعلاج تكثير النسل؛ حيث قال ﷺ: (تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط)[4]، وإنّه إذا كثر النسل ماذا يمكن عمله في مختلف النواحي من العمل في قبال البطالة، والتعليم في قبال الأمية، والرزق في قبال الضيق وما أشبه ذلك؟

س ١٠: هل الإعلام الديني بوسائله المختلفة ساعد على معالجة مسألة تشغيل المرأة وتعليمها وجعلها جزءاً من المجتمع مع حفظ الحجاب والعفّة والعصمة؟

س١١: هل تختلف الأسرة الريفية عن الأسرة الحضرية في مختلف المسائل التي ذكرناها أم لا؟

س ١٢: هل الإعلام الديني سبّب رفع مستوى الناس علماً وعملاً ووظيفة

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) جامع الأخبار: ص ١٠١ الفصل الثامن والخمسون، وورد كذلك (تناكحوا تناسلوا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة) الخرائج: ج٢ ص٩٢٠ ب٧، غوالي اللآلي: ج١ ص٢٥٩ الفصل العاشر ح٣٤.

وأخلاقاً وما أشبه ذلك، وإن لم يفعل ذلك فلماذا؟ وإن فعل فبأيّ مستوى وإلى أي حدّ فعل ذلك؟

س ١٣: هل يستمع الناس إلى محطّة القرآن الحكيم والمباحث الدينية التي تلقى من الإذاعة والتلفاز؟

س ١٤: هل الصحيفة الدينية ذات تأثير ومفعول في محاربة الأفكار الخاطئة كالأفكار المضادة للإسلام والمعادية للإنسانية وإلى أي حدّ استطاعت الصحيفة الدينية تحقيق هذه الأمور؟.

س ١٥: هل الإعلام الديني بوسائله المتعدّدة ذو تأثير في تغيير مفاهيم المجتمع الخاطئة مثلاً: «حشرٌ مع الناس عيد» و«كن مع الناس كيفما كانوا»؟

س ١٦: هل هناك علاقة بين نوع الجمعيات الدينية وقدرتها على الإقناع، وبأيّ قدر. ولماذا هذا القدر دون زيادة؟

س ١٧: هل يؤثّر السن في اعتقاد الناس أنّ برامج الإذاعة والتلفاز تتّفق والقيم الدينية أم لا تتّفق؟

س ١٨: هل الدين يتعارض مع العلم أو مع الفن أو مع العمل أو مع مشاركة المرأة في الحياة العامّة؟

س ١٩: هل هناك علاقة بين المستوى التعليمي واستلهام البرامج الدينية المختلفة من القيم الدينية؟

س٢٠: هل ساهم الإعلام الديني في إزالة الديكتاتورية من بلاد الإسلام؟ فإذا ساهم فأين؟ وإذا لم يساهم فلماذا لم يساهم؟ مع أنّ الدين هو المشورة؛ كما ورد في أحاديث كثيرة تناهز المائتين بعد إعلان القرآن الكريم؛ حيث ورد لفظ الشورى في ثلاث آيات[1] وحيث وردت الشورى في المعنى في عدد من

(١) وهي: الآية ٣٨ من سورة الشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾، والآية ١٥٩ من سورة آل

الآيات منها في قصّة سبأ؛ حيث قالت بلقيس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1] إلى غير ذلك من الأسئلة.

ثم إننا نشير إلى بعض النقاط السابقة بإشارة إجمالية وإن كان التفصيل فيها بحاجة إلى كتاب لا يقل عن خمسمائة صفحة. وفي النقطة الثامنة التسامح الديني والتعصّب، حيث أشار القرآن الحكيم والرسول الأعظم ﷺ وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى التسامح في العلاقات الإنسانية؛ حتّى أنّ الرسول ﷺ أعطى الماء لأشدّ أعدائه في بدر[2]، كما أنّه بعد فتح خيبر أرسل مقداراً من المال إلى أهل مكّة وهم أعداؤه الألداء ليوزّع عليهم، ولما عرف المشركون عزم الرسول ﷺ في بعث الأموال إلى أهل مكّة تعجبوا وتحيّروا وخفّ العداء في نفوسهم، وبهذا الأسلوب السلمي استطاع الرسول ﷺ أن يفتح مكّة بلا مقاومة تذكر. وكذا أمير المؤمنين عليه السلام أعطى الماء إلى معاوية وجماعته بعد منعهم الماء عن أصحابه[3]. والإمام الحسن عليه السلام تزوّج ابنة الأشعث وهي جُعدة، بينما كان الأشعث من أشدّ أعداء علي عليه السلام، وجعدة هي التي سمّت

عمران ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، والآية ٢٣٣ من سورة البقرة ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ وهي صغرى من صغريات مسألة الشورى.

(١) سورة النمل: الآيات ٢٩-٣٤.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤ ص١٢٢.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ص٣١٩.

الإمام الحسن عليه السلام. والإمام الحسين عليه السلام أعطى الماء لمن جاء إلى قتله في قصّة معروفة[1]، وكذا كان سائر الأئمة عليهم السلام؛ إذ كانوا على أعلى مستويات التسامح مع أعدائهم، ذلك التسامح الذي لم نجد له مثيلاً في التاريخ القديم والحديث. وألزموا عمالهم أيضاً على التسامح، فإنّ التسامح سر نجاح المتسامحين بينما التعصّب ينفّر القلوب بعضها عن بعض ممّا يوجب عدم قبول الناس حتّى لو كان الحقّ مع المتعصّب، ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم)[2] أمّا قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، فالمراد بالشدّة هي التي فسّرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في أخلاقه العملية. ومن الواضح أنّ عمل الرسول هو المفسّر للقرآن، فليس المراد بالشدّة إلاّ القدر الضعيف من الشدّة لا القدر المنصرف من اللفظ، وقد كتب أحد العلماء كتاباً حول التعصّب والتسامح بين المسيحيين والمسلمين، ذاكراً أنّ المسيحية كانت ديناً تسامحياً إلى أبعد الحدود؛ كما كان هو دين التوحيد، لكن الكنيسة حرّفت تلك التعاليم وحولتها إلى دين تعصّبي، الأمر الذي تسبّب في ابتعاد المسيحيين عن دينهم وإقبالهم على المادّية الغربية التي نشاهدها الآن.

والسؤال المطروح اليوم: هل المسلمون في الوقت الحاضر يأخذون بهذا المبدأ في مناهج إعلامهم كالإذاعات والتلفاز وما أشبه ذلك؟.

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص١٨٢.

(٢) الكافي (أصول): ج١ ص٣٦ ح١، وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧٦ ب٣٠ ح٢٠٥٠٢، الأمالي للصدوق: ص٣٥٩ المجلس السابع والخمسون ح٩، روضة الوعظين: ج١ ص١٠، مستدرك الوسائل: ج١١ص٣٠٣ ب٣٠ ح١٣٠٩٨، منية المريد: ص١٦٢ ب١.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

وفي الجواب نقول: إنّ منطق الواقع يثبت عكس ذلك.

أما النقطة التاسعة، الإعلام الديني ومسألة تكثير النسل؛ فالإسلام شجّع على الزواج لا سيّما الزواج المبكّر؛ فقد قال ﷻ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: (تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط)[2]. وفي الحديث: (من تزوّج فقد أحرز نصف دينه فليتّق الله في النصف الباقي)[3]. ومن الواضح أنّ لفظه «من» للمذكّر والمؤنّث، ويجوز في ضمير (من) و(ما) مراعاة اللفظ والمعنى.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (ركعتان يصليهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصليها عزب)[4]. وفي حديث عن سلمان الفارسي[5] رضي الله عنه عن الرسول

---

(١) سورة النور: الآية ٣٢.

(٢) جامع الأخبار: ص١٠١ الفصل الثامن والخمسون، وورد: (تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة) الخرائج: ج٢ ص٩٢٠ ب٧ وغوالي اللآلي: ج١ ص٢٥٩ الفصل العاشر ح٣٤؛ وورد أيضاً: (تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٠ ح٢٤ ب١ ط بيروت، غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٨٦ ح٢٩، تفسير أبي الفتوح الرازي في تفسير سورة النور الآية ٣٢.

(٣) الأمالي للطوسي: ص٥١٨ المجلس الثامن عشر ح١١٣٧، بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢١٩ ب١ ح١٤، غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٨٩ باب النكاح ح٤٢، مكارم الأخلاق: ص١٩٦ الفصل الأول، جامع الأخبار: ص١٠١ الفصل الثامن والخمسون.

(٤) روضة الواعظين: ج٢ ص ٣٧٤ ب١.

(٥) سلمان الفارسي: زوريه بن خشفوذان، وسمّاه الرسول الأكرم ﷺ بـ «سلمان»، عالم ومحدث وقائد إسلامي، وكان عارفاً ومتضلعاً بكتب الفرس والروم واليهود، ترك أهله ووطنه أصفهان وقيل رامهرمز مهاجراً في سبيل الوصول إلى المنهج الروحي، الذي يستقي منه تعاليم الدين؛ فذهب إلى الشام والإسكندرية والحجاز ولاقى في رحلته هذه من

الأعظم ﷺ: (أيما رجل كانت عنده جارية فلم يأتها أو لم يزوجها من يأتيها ثم فجرت كان عليه وزر مثلها)[١]. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي ذكرنا جملة منها في كتاب النكاح من الفقه[٢].

المصائب والمحن ما يعجز البيان عن ذكره. أسلم على يد الرسول ﷺ في السنة الأولى للهجرة؛ وقال ﷺ في حقه: (سلمان منّا أهل البيت) وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي ذر ، واشترك معه في غزواته وحروبه، فشارك في غزوة الخندق سنة ٥هـ، وأشار بحفر الخندق في الأماكن الضعيفة للمدينة؛ ليقي المسلمين من هجمات قريش، وشارك في حرب ثقيف بالطائف؛ وأشار باستعمال المنجنيق، كما وشارك في فتح المدائن الغربية ـ بهرسير ـ، وفتح المدائن ـ توسفون ـ؛ وتولى إمارتها في عهد عمر بن الخطاب وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل سنة ٣٤هـ، وقيل ٣٥هـ، وقيل ٣٦هـ. و كان ينسج الخوص ويأكل خبز الشعير من كسب يده وإذا خرج عطاءه تصدق به، وعاش على أقل التقادير مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: إنّه أدرك بعض أوصياء عيسى . من مؤلفاته: حديث الجاثليق الرومي، وروي أن أبا الدرداء ـ وكان يسكن بلاد الشام ـ كتب إلى سلمان: أمّا بعد فإنّ الله رزقني بعدك مالاً ونزلت الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان: أمّا بعد فإنك كتبت إليّ أنّ الله رزقك مالاً وولداً فاعلم أنّ الخير ليس بكثر المال والولد ولكن الخير أن يكثر حلمك وأن ينفعك علمك، وكتبت إليّ أنك نزلت الأرض المقدسة، وأنّ الأرض لا تعمل لأحد، وأعمل كأنك تُرى وأعدد نفسك من الموتى. ترجمه السيرة الحلبية: ج٢ ص٤١٤، حلية الأولياء: ج١ ص١٨٥، الأعلام للزركلي: ج٣ ص١٧٠، معجم رجال الحديث: ج٩ ص١٩٤، الجرح والتعديل: ج٤ ص٢٩٦، أسد الغابة: ج٢ ص٣٢٨، سير أعلام النبلاء: ج١ ص٥٠٥، تهذيب التهذيب: ج٤ ص١٢١، رجال العلامة الحلي: ص٨٤، رجال الطوسي: ص٦٥، الإصابة: ج٢ ص١١٨ الرقم ٣٣٦٩، أعيان الشيعة: ج٧ ص٢٧٩، مجالس المؤمنين للتستري: ص٤٢، شذرات الذهب: ج١ ص٤٤، الذريعة: ج١ ص٣٢٢، سفينة البحار: ج٤ ص٢٤١، فهرست الطوسي: ص١١٠.

(١) وسائل الشيعة: ج٢١ ص١٧٩ ب٦٢ ح٢٦٨٤٠. ونظير ذلك روى الكشي بسنده عن أبي عبدالله ، قال: (تزوج سلمان امرأة من كندة، فدخل عليها فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة. فقال سلمان: إنّ في بيتكم هذا مريضة. أو قد تحولت الكعبة فيه. فقيل إن المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه. قال: فما هذه الجارية. قالوا: كان لها شيء فأرادت أن تخدم. قال: إني سمعت رسول ﷺ يقول: أيما رجل كانت عنده جارية فلم يأتها أو لم يزوجها من يأتيها ثم فجرت كان عليه وزرها). راجع رجال الكشي: ج١ ص١٧ ح٣٩.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج٦٢ كتاب النكاح.

والطلاق أبغض الحلال عند الله ﷻ. أما النكاح الدائم فقد رغب فيه الإسلام كما رغب في نكاح المتعة؛ حيث قال ﷻ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [١]، وفي أيام العبيد والإماء، ونحن قريبو العهد به؛ لأنّ الانقراض في جملة من بلاد الإسلام له ومنذ نصف قرن وهي أيضاً موجودةٌ في بعض بلاد العالم، كما تدلّ على ذلك التقارير والإحصاءات، فكان للرجل أن يتّخذ الإماء من ملك اليمين أو يحللها له مالكها، ثمّ بعد ذلك يأتي دور مثنى وثلاث ورباع، ثمّ بعد أن يتم الزواج يأتي دور تكثير النسل فتأتي الوصايا بذلك، أمّا مشكلة كثرة النسل ممّا ذكرها الغربيون وتبعهم بعض المسلمين، فالظاهر أنّها ليست بمشكلة كما ذكرنا تفصيله في كتاب «العائلة» [٢] بل إن (تناكحوا تناسلوا) هو الأصل، أمّا تحديد النسل فهو عند الاضطرار فإنّه (ما من شيء حرّمه الله إلاّ وقد أحلّه لمن اضطرّ إليه) [٣]، كما وأنّ بعض الواجبات أيضاً تسقط عند الاضطرار، فالصوم يتحوّل حكمه إلى الإفطار حين الاضطرار لمن كان مريضاً أو على سفر ﴿فعدّةٌ من أيّام أُخر﴾ [٤]، أمّا شعار «قلّة الأولاد يوجب رفاه العائلة» فهو شعار أظهره الغربيون بقصد تقليل نسل المسلمين، وأخذه

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٤.

(٢) وهو كتاب يقع في ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط وطبع من قبل مؤسسة الوعي الاسلامي بيروت ـ لبنان، وترجم الى اللغة الانجليزية.

(٣) إشارة إلى الحديث الوارد عن الإمام الصادق ﷺ: (وليس شيء مما حرّم الله إلاّ وقد احلّه لمن اضطرّ إليه) تهذيب الاحكام: ج٣ ص١٧٧ ب١٤ ح١٠، وسائل الشيعة: ج٤ ص٣٧٣ ب١٢ ح٥٤٢٨ وج٢٣ ص٢٢٨ ب١٢ ح٢٩٤٤٢، نوادر الأشعري: ص٧٥ ب١٥ ح١٦١، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٥٨ ب٢٤ ح١٤٠٥١، الخلاف للطوسي: ج١ ص٤١٩، منتهى المطلب للعلامة الحلي: ج١ ص٢٦٥.

(٤) إشارة إلى الآية المباركة في سورة البقرة: الآية ١٨٥﴿وَمَن كَانَ مَرِيضاً او عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

بعض حكّام المسلمين بدون فحص وتمحيص، كما أخذ أولئك الحكّام بسائر الأمور والقوانين التي روّج لها الغرب، وإلاّ فبالنسبة إلى الشعوب المسلمة بقي القانون الإسلامي في هذا الباب على ما هو عليه من القوّة والواقعية، ونحن قد ذكرنا هذه الأمور كعيّنات وإشارات وإلاّ فالتفاصيل بحاجة إلى مجلّدات.

وأمّا النقطة العاشرة؛ وهي الإعلام الديني وخروج المرأة للعمل، فإنّ من حقّ المرأة أن تعمل كلّ شيء إلاّ ما استثناه الشرع وهي استثناءات قليلة ومحدودة بالنسبة إلى المشاركة الكثيرة للمرأة، فيحق للمرأة البيع والشراء والرهن والإجارة والمضاربة والمزارعة والمساقاة وغيرها من المعاملات، كما وأن لها حقّ النكاح، وحتّى في الطلاق لها الحقّ إن اشترطت ذلك في النكاح. والشرط أن يكون الاختيار بيدها في حالات خاصّة أن تكون وكيلة عن الرجل في طلاق نفسها وكذلك لها حقّ الإرث، فقد قال ﷻ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [1]، وقال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [2]. وقد ورد في تفسير الآية: أنّ أمّ سلمة قالت لرسول الله ﷺ: (لماذا يذكر الله الرجال فقط دون النساء في آيات القرآن الحكيم؟)، فأنزل الله ﷻ بهذه المناسبة قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

---

(١) سورة النساء: الآية ٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (1) ، بل إنّ من حقّ المرأة ممارسة كلّ الأنشطة الاقتصادية وفي مختلف المستويات سواء بطريق مباشرة أو بطريق غير مباشرة، والمقصود بالنشاط الاقتصادي الأعمّ من الزراعة والتجارة والرعي وغير ذلك، وقد قال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (2).

ثم إنّ الدين الإسلامي احترم المرأة وسعى لحفظ شخصيتها وكرامتها وحث على تعليمها. فقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم ﷺ: (طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة) (3).

وقد قامت المرأة في الإسلام بأنشطة كبيرة في مجال العلم والتعليم، وفي العديد من الأحاديث إشارة إلى قيام الرسول الأعظم ﷺ بتعليم زوجاته وغيرهنّ إذ قال ﷺ لتلك المرأة التي كانت تخفض البنات: (فأشمي ولا تجحفي) (4)، بمثل هذه الخصوصية التي يتحاشا الرجال ذكرها أمام المرأة، بالإضافة إلى أنّ كثيراً من أفاضل الرجال لا يعرفون خصوصيات هذا الأمر،

---

(1) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.

(2) سورة التوبة: الآية ٧١.

(3) مجموعة ورام: ج٢ ص١٧٦، غوالي اللآلي: ج٤ ص٧٠ ح٣٦، كنز الفوائد: ج٢ ص١٠٧، مشكاة الأنوار: ص١٣٢ الفصل الثامن، عدة الداعي: ص٧٢ القسم السادس، مصباح الشريعة: ص٢٢ الباب التاسع، بحار الأنوار: ج١ص١٧٧ ب١ ح٥٤ وج٢ ص٣١ ب٩ ح٢٠، مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٤٩ ب٤ ح٢١٢٥٠.

(4) الكافي (فروع): ج٥ ص١١٩ ح٤، تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٦١ ب٩٣ ح١٥٥، وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٣٠ ب١٨ ح٢٢١٧١.

وفي أحاديث كثيرة أن الرسول ﷺ علّم النساء في مختلف شؤونهن الدينية والدنيوية. فقد قال رسول الله ﷺ في حديث له: (**دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها النساء**)[١]، وفي حديث آخر: (**علم الله ضعفهنّ فرحمهن**)[٢]. وبيت فاطمة «سلام الله عليها» كان مدرسة لتعليم النساء، كما يظهر من بعض الأحاديث وإن لم يكن مدرسة بالاصطلاح الحاضر، كما أنّ لفاطمة عليها السلام كتاباً يسمّى «مصحف فاطمة»؛ والمصحف عبارة أخرى عن الكتاب مشتقّة من الصحف والصحيفة، كما أنّه كان لعلي عليه السلام كتاب يسمّى «كتاب علي»، ولذا فعليٌ وفاطمة عليهما السلام هما أوّل مؤلّف ومؤلّفة في الإسلام حسب ما وصلنا إليه من الاستقراء، وكذلك ابنتهما زينب عليها السلام، كانت تدرّس القرآن وتفسّره لنساء الكوفة. وكان رسول الله ﷺ حريصاً أشدّ الحرص على تعليم الأميين وتعليمهم رجالاً ونساءً، وحرصه هذا ناشئ من إطلاق الأدلة كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[٣].

وكتاب «بلاغات النساء»[٤] وغيره من أقوى الشواهد في بيان دور المرأة في العلم والتعليم والتعلّم، وهنا يتساءل البعض: هل قام التعليم الديني ببيان دور المرأة في هذه الأمور أم لم يقم إلاّ القليل؟.

أما النقطة الثانية عشرة: الإعلام الديني ومسألة ترشيد الدخل والإنفاق،

---

(١) راجع كتب العامة: كشف الخفاء: ج١ ص٤٠١ ح١٢٨٨، تذكرة الموضوعات للفتني: ص٢٢٥.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٢٣٥ ب٨ الفصل العاشر، وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٨ ب٨٦ ح٢٥٣٢٦، من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٦٨ ح٤٦٢٨.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٤) بلاغات النساء للمؤلف أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني، المولود سنة ٢٠٤ هـ والمتوفى سنة ٢٨٠ هـ.

فهناك آيات وروايات بهذا الصدد، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [١]. وقال ﷻ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [٢]. وقول الرسول الأعظم ﷺ: (نحن قوم لا نأكل حتّى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) [٣] و (حَسبُ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه) [٤].

وفي حديث آخر: (إنّ لله ﷻ ملكاً ينادي كلّ يوم: اللهمّ أعط كلّ مُنفق خلفاً، والآخر يقول اللهم أعط كل ممسك تلفا) [٥].

وبهذه الطريقة فإن الإعلام الديني بمختلف الوسائل يجب أن يعمل على ترشيد الاقتصاد وتحديد ثقافة الاستهلاك، لكن المسلمين لا يُعيرون لهذا الأمر أية أهميّة، ولذا وجدنا في المجتمع كثيراً من الفقراء والقلّة من المنفقين، بينما المفترض إيجاد حالة من التعادل بين الدخل والإنفاق وعدم الإسراف.

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٣) طب النبي لأبي العباس جعفر المستغفري: ص٥ ـ ٦ المقدمة. قالها الرسول الأكرم ﷺ للطبيب الذي أرسله المقوقس صاحب مصر مع ما أرسله من الهدايا، فبقي الطبيب برهة لم يراجعه أحد في فنه، فسأل النبي عن سر ذلك. فقال ﷺ: (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع).

(٤) عدة الداعي: ص٤٨، مجموعة ورام: ج١ ص١٠٠.

(٥) ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: (ما من يوم يصبح على العباد إلا وفيه ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط كل منفق خلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط كل ممسك تلفا) غوالي اللآلي: ج١ ص٣٦٦ ح٦٢. وورد أيضاً عن الرسول ﷺ في حديث الإسراء: (ورأيت ملكين يناديان في السماء أحدهما يقول: اللهم أعط كل منفق خلفاً، والآخر يقول: اللهم أعط كل ممسك تلفاً) تفسير القمي: ج٢ ص٧، مستدرك الوسائل: ج١٥ ص٢٦١ ب١٧ ح١٨١٨٤.

الهدف تربية الشباب

مسألة: يجب على العاملين في حقل الإعلام بمختلف صوره أن يضعوا ضمن أهدافهم التربية بصورة عامّة وتربية الشباب بصورة خاصة، فعند الشباب قابلية كبرى للتربية، حيث يمتلكون زمام المستقبل؛ كما قال الشاعر:

يا شبابَ اليوم أشياخَ الغَدِ ... أنتم مُتعتمو بالسُّودد

يا شباباً درسوا واجتهدوا ... لينالوا غاية المجتهد[1]

---

(١) من البحر الرَّمل، وهو البيت الأول والثاني من القصيدة، للشاعر الشيخ محمد رضا بن محمد جواد محمد الشبيبي من عشيرة بني أسد، ولد الشبيبي في النجف الأشرف سنة ١٣٠٦هـ وتوفي في بغداد سنة ١٣٨٥هـ ودفن في النجف الأشرف، درس عند الشيخ محمد كاظم الخراساني، برع في البلاغة والفلسفة والتاريخ، ويعدّ من رواد الحركة الفكرية والنهضة العراقية. اشترك في ثورة العشرين التحريرية، وكان رابطاً مع شيوخ العشائر في الفرات الأوسط ويعد أحد الأعضاء البارزين في حزب الاستقلال، رشح لعضوية القلم البريطاني سنة ١٣٥٦هـ، وتقلّد وزارة المعارف خمس مرات، وأصبح عضواً في مجلس النواب لثمانية دورات، ومنح شهادة الدكتوراه في الآداب من مصر. ترأس المجمع العلمي العراقي وأصبح عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وعضو المجمعين العلمي واللغوي بمصر. يقول عنه الطهراني: «هو في طليعة حاملي مشعل الحركة الفكرية والنهضة الوطنية في العراق، فقد جاهد في إحياء الثقافة والآداب العربية في عهد الأتراك يوم كانت معالم اللغة مطموسة، وطرق جميع الفنون فنظم في التربية والسياسة والوصف والغزل والمدح والرثاء والتهاني وغير ذلك».

من مؤلفاته: آداب النظر، تاريخ الفلسفة، التذكرة، المأنوس من لغة القاموس، مؤرخ العراق ابن الفوطي، ديوان شعري طبع سنة ١٣٥٩هـ. راجع نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ص٧٤٥، الأدب العصري لرفائيل بُطي: ج١ ص١١٤، أعيان الشيعة: ج٩ ص٢٨٧، مستدركات أعيان الشيعة: ج١ ص١٦٩، مصفى المقال للطهراني: ص١٧٩.

والمنحرفون من أيّ لون أو فئة يهتمون بالشباب كلّ اهتمام.

أمّا الأطفال؛ فلا يبلغون بعد مبلغ التحوّل والعمل، وأمّا كبار السن فقد فاتهم القطار؛ فلذا كان علي عليه السلام يقول: (رأي الشيخ أحب إلي من جلَد الغلام)[1]، فإنّه لاشكّ أنّ لرأي الشيخ الشيء الكبير من التعقّل والواقعية والتجربة، بينما ليس للغلام ذلك الرأي وإنّما له الحركة والجَلَد.

ومن المؤسّف جداً أنّ الشباب هم ضحيّة الشرقيين والغربيين وتمتلئ بهم السجون والمعتقلات، كما وأنّهم منفيون خارج بلدانهم أكثر من غيرهم، ولا فرق هنا بين البنين والبنات، ولأجل حل هذه المعضلة؛ نضع هذه التوصيات:

١ـ الواجب على القائمين بالإعلام سواء كانوا دينيين أو زمنيين أن يضعوا البرامج التي تكفل حاجات الشباب للأعمال البدنية واليدوية والفكرية حتّى يتخلّصوا من البطالة، ومن الواضح أن وضع البرامج لا ينفع فقط وإنّما يجب أن تتهيّأ الأجواء أيضاً لعملهم، ومعنى تهيّؤ الأجواء أن تكون استعداداتهم مطابقة لظروف العمل، فقد وضع الإسلام مثلاً قانون (الأرض لله ولمن عمرها)[2]، بينما نشاهد أغلب القوانين في البلاد الإسلامية المتّبعة لأثر الغرب على خلاف ذلك، فالقانون الإلهي ينفّذ في هذه الدول بصورة معكوسة، فلا حقّ لأحد في التصرّف بتلك الأرض إلاّ بإجازة الدولة مع شروط قاسية، ومعنى ذلك استحالة شراء الشباب بيوتاً لأنفسهم.

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٨٢ قصار الحكم، الحكمة ٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٢٣٧، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤١ القسم الأول ب١ الفصل الأول ح١٤، خصائص الأئمة: ص٩٥، بحار الأنوار: ج٧١ ص١٧٨ ب١١ ح١٩ ط. بيروت.

(٢) راجع الكافي (فروع): ج٥ ص٢٧٩ ح٢، الاستبصار: ج٣ ص١٠٨ ب٧٢ ح٣، تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٥٢ ب٢٢ ح٢١، وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٤١٤ ب٣ ح٣٢٢٤٥.

كذا قانون (من سبق إلى ما لا يسبق إليه مسلم فهو أحقّ به)[1]، فإنّ قوانين الدولة تمنع التصرّف في أيّ شيء من الأشياء التي خلقها الله ﷻ مثل ماء البحر وماء النهر وأخذ الأحجار من الجبال والأشجار من الغابات إلى غير ذلك.

وهذا ممّا يحول بين الشباب وبين الاستفادة من الخيرات التي أودعها الله ﷻ للإنسان من سائر ما يمكن الاستفادة منه كشراء الدار أو الدكان أو المطحنة أو ما شابه ذلك.

ونحن هنا لا ندعو إلى الفوضى في استغلال الأرض، إذ لابدّ من تكوين لجان تنظّم عملية التوزيع بين الطالبين، وهي تراقب عملية الإعطاء أيضاً.

وفي مجال العمل تمنع الدول الأفراد من العمل إلاّ برخصة وإجازة وتفرض على العاملين مقداراً من الضريبة وشروطاً قاسية بينما العمل متوفّر، ثمّ تجد أحد المسؤولين في أحد البلدان الإسلامية يشتكي البطالة ويقول: إنّ البطالة في بلادنا تصل إلى عشرة ملايين في حين أنّ نفوس تلك البلاد تناهز الستين مليوناً، ومشكلة تلك البلاد الإسلامية التي لا تطبّق القوانين الإسلامية أنّها محرومة من الحرّيات السياسية وحرّية الرأي، فمع عدم وجود الحرّية لا يمكن تحقيق أيّ تقدّم في تلك الدول فتبقى قوانينها قوانين مستوردة مخالفة للعقل والإنسانية.

٢ـ من الضروري تكليف الجامعات والحوزات العلمية ـ أمثال حوزة النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة وكذلك الحوزات العلمية في إيران في قم ومشهد وأصفهان وتبريز والحوزات العلمية في لبنان وسوريا وباكستان والهند

---

(١) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٨٠ باب إحياء الموات ح٤، مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب٥ ح٢٠٩٠٥.

وأفغانستان ـ بملاحظة الشباب بصورة خاصّة، وكذلك أساتذة الجامعات فيؤدوا الدعوة إلى الإسلام من خلال ممارساتهم في حياتهم اليومية وفي المساجد والمدارس الدينية والزمنية والأماكن المختلفة التي يرتادها الشباب كالحسينيات ومراكز الوعظ والإرشاد، إذ لابدّ من الإحاطة التامّة بالشباب فإذا أصلح كل فرد نفسه صلح المجتمع بأسره من الانحراف خاصة الشباب، وحافظنا عليهم من الانحراف والسقوط في أحضان الشرق والغرب وتحولوا إلى قوّة عظيمة في البناء والتقدم، كما أنّي أتصوّر أنّنا وبعد عقدين من الزمن إذا قمنا بهذه الخطوات مع ضمان الحرّيات الإسلامية لمكننا ذلك أن نسلك الطريق نحو التقدم والرّقي، وهذا الأمر وإن لم يكن خاصّاً بالشباب إلاّ أنّ الشباب هم الأهم في هذه التوجيهات والبرامج.

٣ـ من المفترض على طلاب العلوم الدينية وأساتذة الجامعات ومن أشبههم مواجهة مشكلة الفراغ الديني عند الشباب عبر الحوار الهادئ والمباشر، فإنّ الشباب وبسبب الإعلام الغربي والشرقي ملئت أدمغتهم بأمور منحرفة في العقيدة والأخلاق والسلوك والعمل، ولذا يجب على هؤلاء الموجّهين غسل أدمغتهم من الانحرافات وملؤها بالأشياء الصحيحة المستقيمة من غير فرق بين مستوى الجامعات أو مستوى المجتمعات كالمساجد والحسينيات، وكذا الحال بالنسبة إلى المدارس حتّى الابتدائية منها والمهنية ونحوها بلغة مفهومة وسهلة، يستوعبها الشباب في مراحلهم المختلفة، أمّا المؤسّسات الدينية التي لم يعيّن لها أئمّة ووعّاظ وموجّهون، فاللازم ألاّ تترك بلا أئمّة وخطباء وموجهين، فقد ذكرنا ذلك في بعض كتبنا مفصّلاً، كما أشرنا في هذا الكتاب أيضاً أنّ وضع الدين لا ينصلح إلاّ بمجلس يتشكّل من شورى الفقهاء المراجع من جهة الدين وبالتعدّدية الحزبية في الحكم، فـ «ما لا يدرك

كلّه لا يترك كلّه»[1] و«الميسور لا يسقط بالمعسور»[2]، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)[3].

٤ـ لزوم إعادة النظر في برامج تدريس المواد الدينية من مرحلة الحضانة إلى المراحل العليا، وكذا في وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفاز التي تلقي البرامج الدينية، فإنّ برامج الدين تحتاج بالإضافة إلى المعايير الدينية والإسلامية المذكورة في الكتاب والسنّة والقوالب المستفادة من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد في توجيه هذه الأمور إلى الناس عامّة والشباب بصورة خاصّة، وقد تقدّم نقل قصّة المعبّرين للخليفة حيث فاز أحدهما بجائزة سنية وأمر الخليفة بضرب الآخر وعقابه؛ إذ إنّ العبارة كانت مختلفة وإن كان المؤدّي واحداً، فاللازم أن تعطى الجرعات الدينية للشباب بصورة خاصّة بطريقة محببة وتدريجية وبلغة عصرية تتفق مع ظروف الحياة التي نعيشها في نهايات القرن العشرين من غير فرق بين أن تكون الجرعة مكتوبة في كتاب أو ملقاة من إذاعة أو مصوّرة في التلفاز.

٥ـ من الضروري الاستعانة في هذا الباب بالمتخصصين من الإعلاميين الدينيين في الكتابة والخطابة بمختلف المستويات، أمّا الأمّيون الذين لا يقرؤون ولا يكتبون فيجب على القائمين بالأمور الدينية وضع خطّة زمنية محدودة ورصد الاعتمادات المالية اللازمة للقضاء على الأميّة أولاً، وقبل ذلك صياغة الألفاظ والصور بصيغة يفهمها هؤلاء حتّى لا يلتبس عليهم الأمر في

---

(١) غوالي اللآلي: ج٤ ص٥٨ ح٢٠٧، بحار الأنوار: ج٥٦ ص٢٨٣ ب٢٥ بيان، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩ ص٧٥.

(٢) ورد في غوالي اللآلي: ج٤ ص٥٨ ح٢٠٥ (لايترك الميسور بالمعسور).

(٣) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣١ ب٣٧، منتهى المطلب: ج١ ص١٣٤، عوائد الأيام للنراقي: ص٨٨.

أمثال «اقطع لسانه»، بأن يعطى شيئاً لا أن تقطع لحمة اللسان التي في فمه بالسكين، وكذلك بالنسبة إلى «اقطع رجله» وكذلك بالنسبة إلى «دفّئوا» من الدفء و«أدفئوه» من الدفء أو «أدفوه» بمعنى الذبح، كما حدث أمثال ذلك في التواريخ كثيراً، ويتمكّن من التمييز بين قوله «لا ويرحمك الله» وقوله «لا يرحمك الله»؛ حيث يتوهّم اتّصال «لا» بـ «يرحمك الله»، وقد ذكر علماء البلاغة صوراً كثيرة من هذه الأمور، فإن المجتمع بين مثقف رفيع التثقيف، ومثقّف عادي متعلّم تعليماً متوسطاً أو تعليماً عالياً، أو أمّي لا يقرأ ولا يكتب، وكثيراً ما نشاهد أنّ ما يرافق الإذاعة أو يكتب في الكتاب لا يليق إلاّ بأرفع المستويات فلا تستفيد منه أكثرية الشعب، وكثيراً ما يكون الأمر مكرّراً، ومن الواضح أنّ المكرّر لا يستفاد منه وتمجّه الأسماع وتلفظه الأذواق.

٦ـ من الضروري لتوجيه الشباب بصورة خاصّة ولعامة الناس بصورة عامّة استخدام وسائل السمع والنظر، واستخدام اللمس عند العميان في خدمة الفكر الإسلامي وتوجيه الناس حتّى لا تُترك مجالات الإعلام لدعاة التخيّل والفساد والفكر الدخيل والهدم، فإنّ من لم يأخذه الحقّ أخذه الباطل، وهناك نور وظلام، فمن تجنّب النور وقع في الظلام، وكما أنّ الإنسان يحتاج إلى الطعام فإذا لم يعط من الطعام الطيّب الحلال ملأ بطنه من الخبيث الحرام، وكذلك الفكر.

٧ـ يلزم أن تُنشأ المؤسّسات التعليمية والإعلامية والتربوية وما أشبه ذلك لأجل استيعاب أكثر قدر من الشعب وخصوصاً الشباب حتّى يتذوّق الولاء الإسلامي عن وعي وإدراك وحسن فهم سواء بالمباشرة أو بالتسبّب، بمعنى أن تكون هناك مؤسّسات لتربية الخطباء والوعاظ والمذيعين والكُتّاب والمؤلّفين ومن أشبههم حتّى إذا جاء دور الإنتاج ينتجون إنتاجاً حسناً كما قال ﷺ:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾[1].

٨ـ اللازم للقادرين والمتحمسين إنشاء شركات ومؤسّسات للإنتاج الإذاعي والتلفازي والسينمائي وغيرها، كما يلزم توفير المواد الإسلامية والإعلامية والتربوية والتنفيذية المناسبة للمرحلة حتّى يكون الموجّهون هم الأمثولة ويتمكّنوا من إفراز حالة إسلامية صحيحة في الشباب، وفي العهد الشيوعي في العراق أعطي التعليم الديني بيد أساتذة من الشيوعيين، وقد ذهبنا برفقة بعض العلماء إلى وزير التعليم آنذاك عبد الحميد كاظم[2] لشرح خطورة هذا العمل، فقال لنا بكلّ صراحة وكانت فيه مسحة دينية: «إنّ الأمر خارج من يدي وإنّ الأمر يتعلّق بمجلس السيادة ورئيسه فهو المسؤول عن إصدار هذا القرار»، والذي كان عميلاً لبريطانيا، وجاؤوا به لهدم العراق نفسياً وجسدياً، وقد أدّى دوره بكلّ أمانة وعمالة[3].

٩ـ يلزم على القائمين بالأمر سواء كانوا حكّاماً أو أحزاباً أو مراجع تقليد أو من أشبههم جمع الطاقات الإسلامية فكراً وثقافة وعلماً واقتصاداً وسياسة وتربية وقوّة بشرية وحشدها جميعاً في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ومجابهة الأخطار التي يتعرّض لها المسلمون وبلاد الإسلام، خصوصاً الأخطار المتوجّهة للشباب، لأنّ الشباب أسرع شيء إلى كلّ جديد وطريف وما يرجى منه الخير، وهم لقلّة تجربتهم وكثرة اندفاعهم ينخرطون تارة في الشيوعية وطوراً في القومية ومرّة في البعثية وأخرى في الوجودية وأخيراً في شبكات

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٨.

(٢) أصبح وزيراً للمعارف في العهد الملكي لخمس دورات، في وزارة أرشد العمري الثانية، ووزارة علي جودت الأيوبي الثالثة، وفي وزارة عبد الوهاب مرجان، وفي وزارة نوري السعيد الرابعة عشرة، وفي وزارة أحمد مختار بابان.

(٣) للتفصيل عن هذا اللقاء راجع كتاب: «تلك الأيام: ص٨٩»، للمؤلف ﷺ.

الفساد الجنسي والخلقي وما أشبه ذلك.

١٠ـ اللازم على القائمين بالأعمال والمهتمين بالأمور سواء كانوا حكومة أو مرجعاً أو فئة متديّنة أن يولوا المساجد والحسينيات اهتماماً كبيراً في خلق مجتمع إسلامي يعتقد بالإسلام ويتخلّق بأخلاقه ويعمل بأعماله، فقد كتبت في كرّاس عنونته: «رسالة المساجد والحسينيات»[1] بعض بنود هذا الأمر ممّا لا يحتاج إلى التكرار.

١١ـ اهتمّ الاستعمار بإقصاء المناهج الدينية من المدارس فجاء بأساتذة منحرفين ووزارة منحرفة، وجعل مادّة الدين غير خاضعة للامتحان وغير مهتم بها، وجعل قصص الدين والأمور المرتبطة به شيئاً صغيراً من تاريخ الحروب الإسلامية، ولذا نسيت الأجيال المتعلّمة في بلادنا منذ نصف قرن أمور دينها وأصبحت فريسة للأفكار المستوردة فنشأت بينهم دعايات جاهلية وتعصّبات مغرضة، ودفع بشريحة الشباب إلى الإفراط والتفريط.

فالمفترض جعل الحصص الدينية حصصاً واقعية لها أهمّية الدروس الأخرى، كالرياضيات والهندسة والعلوم الأخرى مع السلامة في الكتابة مقترنة بنوع من الواقعيات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والعسكرية والخُلقية وغير ذلك. وقد ذكرت مرّة لمدير معارف مدينة كربلاء السيد كاظم القزويني عن أهمّية تدريس الدين في البلاد، فقال: «نحن قمنا بذلك»، ثمّ قال لي: «يتبين أنّكم لم تطالعوا كتب الدين في المدارس وحصصه». قلت: «إنّي طالعت كلّ ذلك ولكن لا أقصد الدين الذي ذكرتموه وإنّما أقصد الدين الذي أنزله الله ﷻ»، كما سألته: «هل تعرف ماذا يقول الدين في السياسة وما يقوله في الاجتماع وما يقوله في الاقتصاد»، إلى غير

---

(١) ويقع في ٤٠ صفحة من القطع الصغير وقد طبع في ايران سنة ١٤١٤هـ.

ذلك من الأسئلة، عندها أخذت أبيّن له جانباً من هذه الأمور، فقال بالحرف الواحد: «والله، إنّي وأنا مدير المعارف في هذا اللواء لم أسمع بهذه الأمور إلى اليوم»!!!.

ولي قصّة أخرى مع وزير المعارف واسمه منير القاضي[1] تشبه تلك، فالمفترض الإسراع في تنفيذ الإصلاح في المدارس من القاعدة إلى القمة ومن القمة إلى القاعدة كمّاً وكيفاً، وإنّي أذكر أنّه لمّا أرسل الروس قمرهم إلى الفضاء وتقدّموا على الأمريكان، جمع الرئيس الأمريكي كوادره الرفيعة وقرروا في جملة ما قرروه أن يغيّروا جميع مناهج التعليم من الروضة إلى أعلى الجامعات حتّى لا يتقدّمهم الروس، وكذلك فعلوا، وبعد فترة وجيزة سبقوا الروس حتّى أنّهم تمكنوا من الهبوط على سطح القمر، وقد قرأت في مجلّة العربي الكويتية قبل أشهر أنّ الغربيين قرروا بناء المدن في القمر، وهكذا فالتعليم هو أهمّ شيء يحتاجه المجتمع والفرد.

١٢ـ تجب زيادة الساعات الدينية التي تعرضها وسائل الإعلام زيادة كمية وكيفية، مثلاً في كلّ يوم ساعات متعدّدة بقدر ما يتحمّله المستمعون، وكذلك تكون الكيفية راقية سواء كانت زيادة في تلاوة القرآن الحكيم أو تفسيره أو تطبيقه على العصر الحاضر، فإنّ العصر الحاضر له تطبيقات غير التطبيقات

---

(١) منير خضير القاضي العاني، ولد في بغداد سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٢م) ومات سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩م) درس الفقه السني ثم دخل كلية الحقوق وزاول المحاماة مدة سنتين، أصبح مديراً للأوقاف سنة ١٩٢٩م وحاكماً مدنياً سنة ١٩٣٢م وأستاذاً في كلية الحقوق سنة ١٩٣٣م ثم عميداً لها سنة ١٩٤٠م، ترأس ديوان مجلس الوزراء سنة ١٩٥٤م ثم أصبح وزيراً للمعارف سنة ١٩٥٥م، لهُ عدّة مؤلفات منها: محاضرات في القانون المدني، شرح قانون أصول المرافعات المدنيّة والتجاريّة، المذكرة الإيضاحية لمشروع القانون المدني. راجع أعلام المجتمع العلمي العراقي: ص٢٨-٢٩ للمؤلف صباح ياسين الأعظمي.

السابقة خصوصاً بالنسبة إلى الشباب الذين يتطلّعون إلى ما يلائم دنياهم من الدين، مثلاً: أخذ الضرائب الجمركية حرام، وهذا صحيح مائة بالمائة وباقٍ إلى يوم القيامة، لأنّ (حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة)[1]، لكن السؤال هنا، إذا لم تفرض الجمارك على البضائع فإنّ معنى ذلك خروج البضائع من البلاد الإسلامية إلى البلاد الأجنبية مع احتياج البلاد الإسلامية إليها ودخول البضائع من البلدان غير الإسلامية إلى الدول الإسلامية مما يوجب تكدس البضائع المصنوعة في البلدان الإسلامية ومعنى ذلك خسارة الدول الإسلامية من جهتين، فكيف يمكن التوفيق بين حرمة الجمارك وبين العصر الحديث؟

والجواب: هناك قاعدة أساسية وضعها الإسلام وهي قاعدة «لا ضرر»، فإذا وجد في عدم فرض الجمارك ضرر واضح فلابدّ من فرض مقدار من المال يتناسب وهذا الضرر لا بحجم الجمارك المعهودة قديماً وحديثاً، إذ كانت هذه الجمارك توضع حسب رغبة الحكّام بينما «لا ضرر» يحدّد الشيء بقدر الضرر زيادة أو نقيصة، وقد ذكرت تفصيل ذلك في الكتب الاقتصادية[2]، ولما كان القصد الإشارة إلى ذلك لم نطل في البحث.

والخلاصة: فاللازم زيادة تلاوة القرآن وتفسيره وتعويد الناس عليه وذكر قصصه وخصوصياته فإنّه ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3]، فإنّ القرآن يهدي الناس إلى

---

(١) بصائر الدرجات: ج٣ ص١٤٨ ب١٢ ح٧، وكذلك راجع الكافي (أصول): ج١ ص٥٨ ح١٩. ففيه عن الإمام الصادق عليه السلام: (حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة).

(٢) للمزيد راجع كتاب الفقه . الاقتصاد وكتاب نريدها حكومة إسلامية وكتاب الاقتصاد بين المشاكل والحلول للمؤلف دام ظله.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

السبيل القويم والصراط المستقيم وهو رحمة وشفاء للأمراض الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، وكذا الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام والأخلاق والآداب والمسائل الفقهية والتواريخ والعبر وما شابه ذلك، فاللازم أن يكون المنهج الديني بمستوى الشباب على مختلف مستوياتهم من الابتدائية إلى الجامعة؛ حيث إنهم ليسوا الوحيدين في هذا الميدان، فالمفترض أن يكونوا مراعين لسائر الفئات العمرية كالشيوخ والعجزة والأطفال، وهذا الأمر يحتاج إلى مجموعة من المتخصّصين في علم النفس وعلم الاجتماع والتربية، وهذا من مسؤولية الحكومات والدول الإسلامية.

أمّا الإذاعة والتلفاز فإذا كانا بيد جماعة أو بيد إنسان واحد في العالم، فالمفترض أن يقدِّر هذا الأمر حقّ قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1].

١٣ـ يلزم أن يجد الشاب من يحاوره في الأمور الدينية على أساس العقل والعاطفة معاً بأن يضعوا حلاً لمشكلاتهم اليومية وفق الحلول الدينية عبر تناول العلماء والخطباء ضرورة النظافة والأمانة في التعامل اليومي ونشر الأخلاق الطيّبة والعمل الدؤوب لحلّ المشاكل العائلية والاهتمام بشؤون العامل والعمل والحقوق والواجبات. فالإذاعة والتلفاز لا يستطيعان تحمّل المسؤولية بصورة كاملة؛ إذ لا بدّ من التحاور مع الشباب عبر اللقاءات الشخصية والندوات المفتوحة فهي أقدر على حلّ مشكلات الشباب؛ لأنّ الشاب بحاجة إلى مزيد من الاهتمام.

١٤ـ يلزم تجنيب الشباب مفاهيم العنف لئلاً يصبح العنف منهجاً في حياتهم ويصبح ملكة من ملكاتهم، فالعنف يفسد كلّ أمرٍ صالح، وقد قال

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

رسول الله ﷺ: (أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بتبليغ الرسالة)[1]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [2] وقال ﷻ: ﴿ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾[3]، وقال عيسى عليه السلام: (وإن لطم أحد خدك الأيمن فأعطه الأيسر) [4]، إلى غير ذلك من الآيات والروايات الدالّة على اللاعنف.

أمّا السلاح والعنف؛ فهما لطائفتين فقط: الطائفة الأولى الذين يهاجمون بلاد الإسلام في حرب ونحوها؛ حيث يجب دفعهم بقدر محدد، فالضرورات تقدّر بقدرها كالعملية الجراحية حيث لا يبضعون من المريض أكثر من القدر الضروري.

الطائفة الثانية: الذين يعتدون على أرواح الناس وأعراضهم وممتلكاتهم داخل بلاد الإسلام، كاللصوص والقتلة والمتجاوزين على حقوق الآخرين.

أمّا إدخال العنف في التبليغ وغيره فلا ينتج إلاّ العكس.

١٥ـ تتحمّل المؤسّسات العلمية والتربوية والتعليمية مسؤولية تربية الجيل وتوجيهه الوجهة السليمة وخلق الإستعدادات لدى الشباب بصورة خاصّة، ويجب أن تكون الرعاية شاملة للناحية العقلية والجسمية والوجدانية والروحية والعاطفية، كما يجب على المؤسسات تنظيم شؤون المجتمع وتطهير البيئة والحياة من كل سوء، ولابدّ أن يكون التوجيه مناسباً فلا يتكلم الخطيب مثلاً حول مسائل المرأة في مجتمع الرجال أو بحث مسائل الرجال في مجتمع

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٥ ب١٠٤ ح١٠١٣٤. مشكاة الأنوار: ص١٧٧ ب٣ الفصل الثاني والعشرون.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.

(٤) الامالي للشيخ الصدوق: ص٣٦٦ المجلس الثامن والخمسون ح١٢، تحف العقول: ص٤٩٩، روضة الواعظين: ج٢ ص٤٧٠، مشكاة الأنوار: ص١٧٤.

النساء أو بحث مسائل الشباب في مجتمع الشيوخ أو العكس، فالبلاغة عبارة عن وضع الشيء في موضعه، ولابدّ من مراعاة ذكر الأدلّة والبراهين والأمثلة من حياة الإنسان ومجتمعه.

١٦ـ يلزم على المؤسسات أن تنسّق بين أنشطة الشباب حتّى يعرف الشاب كيف يقضي أوقاته بين المدرسة والجامعة والعمل، ويستفيد من أوقات فراغه؛ كما يقول الشاعر:

إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَة ... مَفسَدَةٌ للمَرءِ أيّ مَفسَدَة[1]

---

(١) قال أبو العتاهية:

علمتَ يا مجاشِعُ بنُ مسعَدَة

إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدة

مفسدةٌ للمرءِ أيّ مَفسدَة

وهما البيتان ٣٠-٣١ من قصيدة عدد أبياتها ٣٢٠ بيت من بحر الرجز، ومطلعها:

الحَمدُ لله على تقديره ... وحُسنِ ما صَرّفَ من أموره

راجع ديوان أبي العتاهية: ص٣٦٢ المطبعة الكاثوليكية لبنان ١٨٨٨م، محاضرات الأدباء: ج٢ ص٣١٩، الأمثال والحكم لمحمد بن أبي بكر الرازي: ص٥٧، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج١٦ ص١٢٦ ط. مصر ١٩٣٦م.

وأبو العتاهية، إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العَيني، العَنَزي بالولاء، ولد في منطقة عين التمر سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧م) ونشأ في الكوفة وسكن بغداد. يعدّ من الشعراء المتميزين، وهو أول من أخضع الشعر العربي للفلسفة، وسماه البعض شاعر العبرة والموعظة والزهد، كان مكثاراً في الشعر حتى قيل أنه كان ينظم مائة وخمسين بيتاً في اليوم. يقول الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب: «كان فريد زمانه ووحيد أوانه في طلاقة الطبع ورشاقة النظم وخصوصاً في الزهديات ومذمة الدنيا». ويحكى أنه قال لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت. سجنه الخليفة العباسي المهدي بسجن الجرائم لعدم قوله الشعر ثم هدده بالقتل إن لم ينظم الشعر في الغزل. مات سنة ٢١١ هـ (٨٢٦م) ودفن في بغداد. ترجمه: تاريخ بغداد: ج٦ ص٢٥٠، وفيات الأعيان: ج١ ص٢١٩، الكنى والألقاب: ج١ ص١٢١، تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري: ص٤١٦، تاريخ الأدب العربي

والمراد أنّه إذا لم توجّه هذه الطاقات تكون سبباً مؤدياً إلى الفساد، فالوقت والفراغ والشباب إذا لم تستثمر استثماراً جيّداً أدّت إلى الانحراف سواء الانحراف الفكري أو الديني أو الإجرامي أو ما أشبه ذلك.

ويجب أن يكون الهدف هو بناء الفرد ليصبح كادحاً حسب ما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً﴾[1]، والكدح أعلى درجات العمل، وهو العمل المضني الذي تظهر علاماته على وجه العامل المتصبّب بالعرق، وإنّما ذكرنا صنف الشباب لأنّهم أكثر خطراً من أصناف المجتمع الأخرى، وإلاّ فالعمل محبّبٌ شرعاً وعرفاً؛ إذ هو يوجب النشاط الجسمي والنشاط الروحي ويسبّب ابتعاد المرض عن الإنسان.

١٧ـ يحسّ الشاب في داخله بالاضطراب تجاه مجتمعه، لأنّ الشاب مستغلٌ لا يعرف خصوصيات الحياة، ولا يعرف طريقاً يسلكها بما يتّفق ومنافعه، ولهذا فأكثر الشباب تراهم يفرون من أعمالهم ويعتقدون بأنّ عمرهم يضيع في هذا العمل سواء كان العمر مصروفاً في الدراسة أو الكسب أو الزراعة أو ما أشبه ذلك. ولذا نرى الشباب يفرطون في الأعمال القاسية ذات اليمين وذات الشمال، فاللازم أن يفتح الكبار الطريق أمام هؤلاء الشباب عبر وسائل الإعلام الحديثة والمختلفة، وفتح قنوات الحوار معهم؛ لأنّه السبيل الوحيد نحو إقناعهم، فهم بحاجة إلى انتهاج الأسلوب الديمقراطي؛ لأنّه الأفضل في التعامل معهم.

والإعلام الجيّد هو الذي يسعى لاستثمار الطاقات الخلاقة لطبقة الشباب، إذ

لكارل بروكلمان: ج٢ ص٣٤، مرآة الجنان لليافعي: ج٢ ص٤٩، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٤٩٧.

(١) سورة الانشقاق: الآية ٦.

أن تعطيل هذه الطاقات هو علّة العلل في فساد المجتمعات والانحراف وتراكم الخصومات وما أشبه ذلك. فالفراغ يوجب القلق والانغلاق والخيالات الباطلة والأفكار المنحرفة. وكان أحد وزراء الغرب إبان الحرب العالمية الثانية ممن كانوا داخلين في قمّة الحرب إلى جانب رئيسهم، كان يعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم الواحد، وقد سئل في إحدى المرّات: هل تشعر بالقلق؟ فنفى ذلك قائلاً: «إنّني مشغولٌ أكثر الأوقات بكثرة الأعمال ولا مجال لي للقلق»، لذا لا نجد بين العلماء والمحقّقين والمتعبّدين من ينتابهم الانهيار العصبي؛ لأنّهم لا يشعرون بالقلق الذي يترادف دائماً مع الفراغ، ولذا يقول علماء النفس: «إنّ أفضل وسيلة للقضاء على القلق والأمراض العصبية هو الانشغال الدائم بالعمل الفكري والجسدي»، فالانشغال هو أفضل دواء لداء القلق، وينتاب القلق الإنسان في ساعات الاستراحة وليس في ساعات العمل ولو كانت هذه الساعات قليلة جداً. لذا فاللازم للإنسان أن يضع برنامجاً متكاملاً لأوقات فراغه ولو بقيامه بعد نصف الليل سواء كان هذا العمل مطالعة أو دراسة أو رياضة أو قراءة القرآن أو الدعاء أو مطالعة كتاب مفيد أو الانشغال في صلاة الليل أو ما أشبه ذلك، وفي الدعاء المروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (**واشغل قلوبنا بذكرك عن كلّ ذكر، وألسنتنا بشكرك عن كلّ شكر، وجوارحنا بطاعتك عن كلّ طاعة، فإن قدّرت لنا فراغاً عن شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة، ولا تلحقنا معه سيئة، حتّى ينصرف كتّاب السيئات عنا بصحف خالية من ذكر سيئاتنا، ويتولّى كتّاب الحسنات عنّا مسرورين**)[1]، وفي الرواية: إنّ كلّ ساعة من ساعات الإنسان يؤتى بها في يوم القيامة كصندوق مغلق فيفتح صندوق منها وإذا فيه أنوار وأزهار وأشياء جميلة هي ساعات صرفها في طاعة الله سبحانه لا في العبادة فقط وإنّما في الاكتساب، فالكاسب حبيب الله، ويفتح الصندوق ثانية، فإذا في الصندوق

---

(١) دعوات الراوندي: ص١٣٢ ح٣٢٩.

عقرب نتن وما أشبه ذلك وهو ساعة معصيته ـ والعياذ بالله ـ ويفتح صندوق ثالث ليس فيه نور وهو ساعة الفراغ. وهذا ليس خاصاً بالشباب بل أيضاً يأتي في الشيوخ وكبار السنّ وإنّما الشباب أولى في ملء ساعات فراغه؛ لأنّ اندفاعه وحيويته توجب تسابقه نحو الانحراف والباطل إذا لم يكن له شغل، وقد ذكر بعض العلماء أنّ من الممكن أن يملأ الشاب فراغه في الأمور التالية:

أ ـ الخدمات الإنسانية والاجتماعية، فإنّ خدمة الناس توجب بهجة في النفس وسروراً في الخاطر وصحة في الجسم، حيث إنّه كلّما ينشط الجسم يؤثّر أحدهما بالآخر، وراحة ضمير الإنسان تسبب طموحات أكبر لتحقيق أعمال أكثر وأوسع، لذا وجدنا جماعة من العلماء كانوا يشجعون الإنسان على أن يقضي النصف الثاني من نهاره بعد الفراغ في العمل الأساسي من الخدمات الإنسانية والاجتماعية، وإلى ذلك أشار الإمام علي عليه السلام: (أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم) [1]، أيّ في الصباح يعملون الأعمال الحسنة الصحيحة من الكسب والزراعة والتجارة والدرس وما أشبه ذلك، وفي الليل يتفقدون أحوال الناس خصوصاً الذين هم بحاجة إلى الآخرين، حيث عبّر عنهم الإمام عليه السلام بعبارة «من هو نائم»؛ كناية.

ب ـ العمل في البرامج التعليمية، فالعلم بتنوّعه وآفاقه الواسعة وكيفياته المختلفة ومستوياته المتعدّدة يقدر على استثمار وقت الإنسان، وأن يحقّق له فائدة كبيرة في دينه ودنياه حتّى إذا كان متقدماً في الدراسة ومتخرجاً من أرقى الجامعات، فالعلم لا حدّ له ولا منتهى، ولذا نرى أنّ الله سبحانه وتعالى مع انه يقول

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٥٤ ب٢٤ ح٢١٧٤٧، نهج البلاغة: ص٥١٣ قصار الحكم، الحكمة ٢٥٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩ ص٩٩.

لرسوله في البعد الاخلاقي بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [١]، يقول له بالنسبة الى البعد العلمي: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [٢]، وفي الآية الكريمة: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [٣]، وحتّى رسول الله ﷺ الذي هو في قمّة العلم إلاّ أن فوقه من له العلم المطلق وهو الله ﷻ الذي ليس لعلمه حدّ.

ج ـ يفترض أن تبرز أمام الشباب قدوات صالحة من العلماء العاملين حتّى يتحوّل العمل إلى منهج في حياة الشباب، ويكون وقته مصروفاً في العمل.

د ـ اللازم أن يشتغل الشاب بالهواية التي يحبها في فترة فراغه وفي فترة ضجره، إذ كثيراً ما يتحول العمل الكثير الى عدو ثقيل، خصوصاً لو قام بعمل لا يحقق رغباته وطموحاته، ففي هذه الحالة يستطيع أن يستثمر وقت فراغه في القيام بهواياته أو بأعمال تنسجم مع رغباته، مثل إدارة الصحيفة أو المؤسّسة الاجتماعية أو ما شابه ذلك، ويستطيع أن يوازن في وقته ويضع برنامجاً يومياً يتضمّن فصلاً من الرياضة وفصلاً من الترويح عن النفس والانشغال في سقي الحديقة أو تربية الدواجن أو ما شابه ذلك.

هـ ـ اتّخاذ الهوايات النافعة والمثمرة، فالهوايات الجيّدة يمكنها أن تنقذ الإنسان من قلق الفراغ وانحرافاته كلما دخل القلق والضجر إلى قلبه.

و ـ العبادة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاتّصال المستمر بالله ﷻ هي التي تنقل الإنسان إلى أجواء رحبة وإلى آفاق أوسع، فما أحوج الإنسان إلى كلمة واحدة تملأ روحه بالأمل وتنير حياته الجامدة بالبهجة والنضارة وإلاّ فالحياة الصعبة هي التي تدفع بالإنسان إلى القلق والاضطراب، أمّا إذا دعا

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة طه: الآية ١١٤.

(٣) سورة يوسف: الآية ٧٦.

الإنسان ربّه وقرأ القرآن وذكر اللـه فإنّه بالإضافة إلى ملء فراغه وتنشيط روحه، يكون لـه الثواب الكثير والأجر الجزيل وقضاء الحوائج في الدنيا والآخرة.

١٨ـ يجب على القائمين بنشر الكتب الإسلامية سواء الذين يكتبون أو الذين ينشرون الكتب تحمّل مسؤولية الكلمة الحرّة، الكلمة الهادفة والموجّهة، فإنّ الإنسان مسؤول عن ما يكتب من أفكار. ويفترض عدم رفع أسعار الكتب ليتمكّن أغلب الشباب من الحصول عليها، ففي بعض البلاد الإسلامية كان الخيّرون الوعاة يقومون بصرف أموالهم في شراء الكتب وتوزيعها بالمجان أو حتّى بيعها بأسعار مناسبة وذلك إحساساً منهم بالمسؤولية الثقافية، ويجب مراعاة الجوانب الفنّية في الكتاب من حيث الإخراج والاستفادة من الحروف الجيدة وتزيينه بالصور الجميلة الملوّنة، وإذا ما لاحظنا الكتب التي توزّعها المؤسّسات المنحرفة في بلادنا، فإنّنا سنجد هذه الكتب قد طبعت بصورة فاخرة وقد زيّنت بالصور الجميلة، وفي طيات هذه الصور كانت السموم ترمى في عقول الشباب المسلم، ولا يمكن مواجهة هذه الكتب إلاّ بكتُب تتحلّى بالصفات نفسها أو أفضل منها من حسن إخراج وحسن طباعة لئلاّ تضرّهم هذه السموم، فإنّ الكتب الضارة المضللة هي أسوأ من نشر المخدّرات والهيروئين وفتح المواخير، فتسميم الفكر أشدّ وقعاً وأكثر سوءاً من تسميم الجسم، لأنّ الجسم الذي يتعرّض للتسمّم يموت وينتهي أمره، أمّا الفكر الذي يتسّمم فإنه ينقل سمومه إلى الآخرين مسبّباً قتل العشرات والآلاف من الناس.

١٩ـ إنّ الشباب لا يعرفون التوقّف والملل، فهم في حالة حركة مستمرّة وخاصة في الجانب الفكري، وهناك أسئلة حائرة لدى الشباب، تبحث عن الإجابة سواء بالنسبة إلى الحياة وكيفيتها وخصائصها ومشاكلها وحلول هذه

المشاكل، والأجوبة لا تتحقّق إلاّ من خلال الكتب ومن خلال مربّين وعلماء، همّهم تثقيف الشباب عبر وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفزيون وفيديو وأشرطة وكتب وتنظيمات لتكون الحالة كما قال ﷻ بالنسبة إلى مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ [1].

٢٠ـ اللازم على القائمين بشؤون الشباب اختيار الطرق والوسائل التي تكفل غرس القيم الأخلاقية كالسلوك السويّ، وأن يتعرّف القائمون على القيم الشائعة التي يبحث عنها الشباب ويفتنون بها، فعلى القائم بشؤون الشباب اتّباع طريقين لمعرفة خصوصياتهم:

الطريق الأوّل: اللازم أن يتذكّر ما كانت أهدافه ووسائله وكيفية تفكيره وسلوكه حينما كان شاباً، وماذا تطلّب الأمر منه حينذاك.

الطريق الثاني: التعرّف على الشباب في الحال الحاضر، فإنه وإن كان شاباً ومتطلعاً إلى أشياء وللشباب طبيعة واحدة، لكن الزمان حينما يتغيّر يتغيّر الكثير من الأشياء، بالإضافة إلى أن الشيخ ينسى خصوصيات ما مرّ عليه في زمان شبابه، فاللازم أن يجمع بين الأمرين ليتمكّن من إدارة الشباب إدارة صحيحة حسب ميولهم واتجاهاتهم مع اجتناب ما يوجب الضغط عليهم، كما أنّ اللازم تنبيه المسؤولين من الشباب إلى العادات والاتجاهات والأنماط السلوكية غير الصحيحة كي يعملوا على تقويمها والقضاء عليها أو على القدر الممكن منها بالحدّ من سلطانها. فإنّ كلّ الأمور كالجنس والبيئة الجغرافية والزمان والدين والحالة الاجتماعية وغيرها مجتمعة تتصرّف في ميول الشباب واتجاهاتهم، فإذا أحسن المسؤولون التصرّف وربّوا الشباب تربية صالحة وكان

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

الجوّ العام من البيت والمدرسة والمقهى ومحل العمل وما أشبه ذلك صالحاً، كان الشاب آلة للبناء والتقدّم والعمران والرفعة، وبالعكس إذا كان أحد تلك الأمور فاسداً انحرف الشباب ذات اليمين وذات الشمال، وقد يصبح الشاب رجلاً هدّاماً كما نشاهد ذلك في القتلة واللصوص والمنحرفين.



الدعوة والداعية

مسألة: هناك دعوة وهناك داعية، وهما موجودان في كلّ مبدأ ودين وشريعة، فموسى وتوراته وعيسى وإنجيله ومن قبلهما نوح وإبراهيم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[1].

وعلى مدى التاريخ كان من مقتضيات الداعية النزاهة في الدعوة إذا كانت هذه الدعوة دينية مرتبطة بالله ﷻ، وأمّا إذا كانت هذه الدعوة مستندة إلى القوّة والسلاح وعدم الاهتمام بالناس، كما في دعوة لينين للشيوعية ودعوة ميشيل عفلق للبعثية، فلا تلازم بين الأمرين، والفرق بين الدعوة السماوية الصحيحة والمزيفة أنّ السماوية الصحيحة تبقى؛ كما نشاهد بقاء دين موسى ودين عيسى ولو محرّفاً، وبقاء القرآن غير محرّف لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، ولم يبق في الوجود دين مزيف ولا مذهب ولا طريقة للمبطلين المزيفين بل ذهبت أدراج الرياح، وما ذكرناه تنبيه لنا بالنسبة إلى الإسلام؛ حيث إنّ الدعاية إليه يجب أن تكون في غاية النزاهة والواقعية أولاً لما ذكرناه، وثانياً لأنهم مقتدون بالرسول الأعظم وآله الطاهرين ﷺ، وقد كانوا في غاية النزاهة من جميع الحيثيات، ولذا كانوا

---

(١) سورة الأعلى: الآيتان ١٨-١٩.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

على خُلقٍ عظيم، فقد قال ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [1]، وقال الرسول الأعظم ﷺ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) [2]، وكان ﷺ قد توفرت فيه كل مقومات الرسالة من جمال الخلقة والخلق والأدب واللياقة والعلم والحلم والفضل والتقوى والنزاهة والصبر والقناعة والزهد إلى كثير من الصفات التي لا نقصد الآن ذكرها، وقد كان منذ صغره معروفاً بالصادق الأمين، حتى إنه فصل بين العشائر المتنازعة عند وضع الحجر الأسود في دقّة وحكمة جذبت القبائل إلى نفسه، وبالحكمة استطاع أن يطفئ ناراً كادت أن تشتعل بين القبائل.

وكان رسول الله ﷺ يعيش من كدّ يده، أحياناً في الرعي وأحياناً في التجارة، وقد استطاع أن ينمّي تجارة زوجته خديجة ﷺ، كما كان يتّصف بالعفو عند المقدرة؛ فقد عفا عن خصمه الذي أراد قتله عندما أسقطه إلى الأرض وأخذ الرسول الأكرم بيده وعلى عليه، وكان بالإمكان أن يقتله في لحظة واحدة، فقال له الرسول ﷺ ـ في مقابل كلام الكافر سابقاً حيث قال للرسول من يعصمك مني ـ: والآن من يعصمك منّي؟ فقال الكافر المعتدي: حلمك يا محمّد[3]، وكان ﷺ يردّ على السيّئة بالحسنة ويكظم الغيظ؛ لذا قال لأهل مكّة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) [4]. مع أنّهم حاربوه محاربة لاهوادة فيها

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٨٢ ب٩٢ ح١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١ ص٢٣٣.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٧٤ ب١٥، مستدرك سفينة البحار: ج٧ ص٥٦٠، تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج٣ ص١٧٧. تفسير أبي حمزة الثمالي: ص١٤٨.

(٤) راجع الكافي (فروع): ج٣ ص٥١٢ ح٢، تهذيب الأحكام: ج٤ ص٣٨ ب١٠ ح٨ وص١١٨ ب٣٤ ح١، الاستبصار: ج٢ ص٢٥ ب١١ ح٤، أعلام الورى: ص١١٢، المناقب: ج١ ص٢٠٩، وسائل

بكلّ أقسام الحرب ووسائلها، كما عفا عن «الوحشي» قاتل عمّه حمزة عليه السلام، بعد أن أهدر دمه، وعفا عن «هبّار» الذي أسقط جنين ابنته زينب، الأمر الذي أدى إلى استشهادها، وعفا عن صفوان بن أميّة منذ فتح مكّة في قصّة طريفة، وكان دأبه العمل بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الليّنة المحببّة، وقد أدبّه ربّه فأحسن تأديبه حيث جاء في الحديث الشريف: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[1] وجاء أيضاً في القرآن الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، وكان صلى الله عليه وآله في جميع أدوار عمره يراعي العدل والفضل كما قال صلى الله عليه وآله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[3]، وقال صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى﴾[4]، ولم يشاهد منه طيلة حياته حتّى ارتكاب العمل المكروه[5].

أمّا قصّة اليهودي الذي قال للرسول صلى الله عليه وآله: (يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً ولاسبّاباً)[6]؛ فهي قصّة مختلقة لا سند صحيحاً لها، فقد كان صلى الله عليه وآله المثل الأعلى للداعية الكاملة الجهات، وقد التزم بالعلم والحلم والحكمة والصفح والدفع بالتي هي أحسن، فعندما يئس من أهل مكّة، ذهب إلى الطائف يبلّغهم الإسلام فآذوه أبلغ الأذى، وكان إذا أوذي قال: (اللهم اهد قومي فإنّهم

الشيعة: ج٩ ص١٨٢ ب٤ ح١١٧٩ وج١٥ ص١٥٨ ب٧٢ ح٢٠٢٠٣، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٦٠، قرب الإسناد: ج٣ ص١٧٠.

(١) تفسير مجمع البيان: ج١٠ ص٨٦، بحار الأنوار: ج١٦ ص٢١٠.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٤) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٥) تطرق الإمام المؤلف قدس سره إلى ذلك في كتبه التالية: ولأول مرة في تاريخ العالم، السبيل إلى إنهاض المسلمين، الفقه ـ السياسة.

(٦) الإرشاد: ج١ ص١١٠، كشف الغمة: ج١ ص٢٠٨، كشف اليقين: ص١٣٤، بحار الأنوار: ج٢٠ ص٢٦٢ ب١٧.

لا يعلمون)[١]، وفي حديث آخر: (إنّه لما اشتدّ أذى الكفّار له استجاب الله دعاءه فنزل جبرائيل من السماء وقال له يا محمّد إن شئت طبقت الجبال عليهم فعلت فقال النبي ﷺ: إنّي لأرجو أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله)[٢]، وقد انكشف له ما حدث في المستقبل، ولذا كان يبشّر المسلمين بأنّهم يملكون الأرض بالإضافة إلى أن لهم في الآخرة مقاماً رفيعاً جنّات عرضها السماوات والأرض، وقد اقتنع المسلمون بأهميّة دينهم وحاجة العالم إليه. إن الدين الإسلامي هو الذي سيغزو العالم إذا أخذت البشرية به عن حقيقة وصدق، وهذا أمرٌ عقلي قبل أن يكون شرعياً، أليس لصانع الطائرة الحقّ في أن يقول: إنّ الطائرة ستغزو العالم حيث لا يبقى أثرٌ للدواب من الخيل والبغال والحمير، أو أن يقول مخترع الكهرباء: إنّ الكهرباء ستغزو العالم وتحل محل الإنارة النفطية، فالمنطق والواقع يدلان على أمثال ذلك، كما وأنّ منطق الدين الإسلامي يدلّ على ما بشّر به الرسول ﷺ واقتنع به المسلمون قناعة تامة؛ لأنّ الدين

---

(١) قالها الرسول الأكرم ﷺ في مواطن كثيرة راجع المناقب: ج١ ص١٩١، الخرائج: ص١٦٤، قصص الأنبياء للجزائري: ص٧١ الفصل الثاني، أعلام الورى: ص٨٣، إيمان أبي طالب للفخار: ص١٥٥ الفصل الثاني. ونظير هذه العبارة كان يقول كلما آذاه الكفار: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) الطرائف: ج٢ ص٥٠٥، الإقبال: ص٢١٢ب٢٧

(٢) جاء في العمدة: ص٣٣٥ ح٥٦١: قالت عائشة للرسول ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟. فقال: ما لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلاّ بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني. فنظرت فإذا فيها جبرئيل ﷺ فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد إنّ الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. وقريب منه في البداية والنهاية لابن كثير: ج٤ ص٤٠٢، السيرة النبوية لابن كثير: ج٢ ص٦٦٦.

الإسلامي يمتلك الأساس السليم في العقيدة والأخلاق والشريعة، ولأجل ذلك يجب أن يكون الداعية قدوة طيّبة؛ لأنّه يقوم بتبليغ رسالة السماء إلى الناس، وهذا ينسجم مع أسرار الدعوة الإسلامية التي أدهشت المؤرّخين من غير المسلمين، ولذا يقول توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام: «فتصدعت أركان الإمبراطورية العظمى،وانبعثت قوة الإسلام السياسية وظلّت غزواته الروحية مستمرة دون انقطاع، وعندما خربت جماعة المغول بغداد وأغرقوها بالدماء والخراب، وطرد ملك ليون وقشتالة المسلمين من قرطبة، ودفعت غرناطة ـ آخر معقل للإسلام في إسبانيا ـ الجزية للملك المسيحي، في هذا الوقت بالذات كان الإسلام قد استقرت دعائمه وتوطدت أركانه في جزيرة سومطرة ـ أندونيسيا ـ، وكان على عهدته ـ أي الجيش الإسلامي ـ أن يحرز تقدّماً ناجحاً في الجزر الواقعة في بلاد الملايو، وفي هذه الفترة التي قوي فيها الإسلام، نرى أنّه حقق بعض غزواته الروحية الرائعة».

وهكذا نشاهد الآن في التاريخ الحديث بعد سيطرة الاستعمار العسكري والفكري والثقافي والاقتصادي على كافّة بلاد الإسلام، نرى دعائم الإسلام تنمو من جديد وتتفتح في كلّ بلاد الإسلام، وإن كان على بعض الحركات الإسلامية بعض الملاحظات إلاّ أنّ الملاحظات شيء وأصل التحرّك لأجل إعادة الإسلام شيء آخر، بل نشاهد أن كثيراً من المسيحيين وغيرهم يميلون للإسلام ويعتنقونه، وقبل أسابيع أعلنت جملة من الإذاعات العالمية أنّ الذين أسلموا في بريطانيا في الفترة الأخيرة زادوا على عشرين ألف إنسان، وفي الزمان القديم حالتان تاريخيتان تبرهنان على قوّة الإسلام واندفاعه وواقعيته، بالرغم من أنّ المحتلين جاؤوا بنية التخريب والهدم إلاّ أنّهم سرعان ما اعتنقوا الإسلام، فهؤلاء السلاجقة الذين جاؤوا في القرن الحادي عشر محتلين، والمغول الذين جاؤوا في القرن الثالث عشر غازين، استبدلوا دينهم الوثني

بالإسلام ثم أصبحوا من حملة الإسلام والمبشرين به، بينما كان الإسلام خالياً من أيّ مظهر من مظاهر القوّة والسلطة الزمنية، وقد حمل المسلمون عقيدتهم إلى إفريقيا والصين والهند الشرقية وغيرها[1]، فقد كان أولئك الدعاة في وقت ضعف المسلمين السياسي قد اتّخذوا من النبي مثلاً أعلى لهم، الأمر الذي يثير التعجّب كيف كان أولئك الدعاة في ذلك الزمان في قمّة فضائلهم وقمّة أخلاقهم وفي الزهد والاندفاع والدعوة في سبيل الله غير مبالين بالأخطار، ومن الظاهر أنّ القرآن الحكيم هو أكبر سند إعلامي وأعظم وسيلة إعلامية من يوم ظهور الإسلام وحتّى يومنا هذا، فالقرآن الكريم كتابٌ سماوي يتفرّد بطريقة خاصّة محيّرة للعقول من ذلك اليوم إلى يومنا هذا في عرض الوقائع وتقرير الأهداف وتبيين أحكام الله ﷻ، فهو كتابٌ لكلِ خيرٍ وفضيلة وتقدّم وليس كتاباً للتاريخ وحسب ـ وإن كان فيه شيء من التاريخ ـ، ولا كتاباً في علم الفقه أو أصول الفقه أو الحساب أو الهندسة أو الاجتماع أو علم النفس، بل هو كتاب هداية وبناء لشخصية الإنسان، وقد أخذ من كلّ علم عينة ومن كلّ بحر غرفة بما ينفع هذا الأسلوب الذي اختاره في هداية الناس، فالقرآن الكريم هو كتاب هداية أنزله الله ﷻ لتربية الإنسان وإيصاله إلى مستوى الكمال ووفّر فيه كلّ ما يحتاجه في هذا الجانب من تشريع وإعلام ومبادئ للسلوك السوي، وفي حال الامتثال لهذه الشرائع والمبادئ والتعليمات سيصل الإنسان إلى السعادة، وسيبقى القرآن الكريم دستوراً إلى يوم القيامة يصلح لكلّ زمان ومكان ولكلّ جيل ونسل، وهو بعد ذلك زخم روحي أمام الغزو

---

(١) وقد جمع الإمام المؤلف ﵀ شيئاً من ذلك في كتابه «كيف انتشر الإسلام» الذي طبع في ايران سنة ١٣٩٣هـ.

الاستعماري».

وقد اعتاد المسلمون أن يقرؤوا القرآن الكريم في وسائلهم الإعلامية من مذياع وتلفزيون، كما اعتادت العوائل الإسلامية على تعظيم القرآن وتلاوته ليل نهار داخل المنازل والمحلّات والأسواق العامّة وغير ذلك.

فالقرآن ليس ظاهرة تاريخية منفصلة عن العصر الحاضر أو المادّية أو الصناعة أو التكنولوجيا أو غير ذلك، إذ لم يتوقّف تأثيره على صنع الأفكار وتعيين العادات والتقاليد ورسم الشريعة التي يسلكها كلّ مسلم والتأثير في النفوس عند قرن معيّن من القرون الخالية، كما أراد أعداء الإسلام أن ينعتوه بذلك حتّى قال أتاتورك[1]: «يجب أن نضع القرآن على جمل ونخرجه من

---

(١) قول آغاسي مصطفى كمال أفندي المشهور بـ (أتاتورك)، ولد بسالونيك سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) هرب من المدرسة لفشله في الدراسة ولذا التحق بالعسكرية، حكم تركيا اثر انقلاب عسكري سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) واستمر في الحكم إلى أن أدركه الموت سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)، حكم بسمات عديدة أبرزها الفاشية والاستبداد وقتل المفكرين والعلماء، ففي سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) أصدر ثلاثة قرارات: أ. إلغاء الخلافة وطرد جميع أفراد آل عثمان خارج البلاد. ب. إلغاء وزارة الأوقاف والأمور الشرعية. ج. توحيد التعليم. وبموجب هذه القرارات ألغى التشريعات الدينية من الأنظمة الحقوقية والمحاكم وقلّص دور المؤسسات الدينية وجعلها تحت إشراف الدولة العلمانية لضبط حركة العلماء وأئمة الجمعة والجماعة والخطباء والمؤلفين، وضبط حركة التدريس لمنع المناهج الدينية في المدارس وكان يقول أن القرآن الذي جاء به محمد ووضعه على البعير وأرسله إلى تركيا يلزم أن نضعه على نفس البعير ونخرجه من تركيا، ومنع التمثيل في الجانب السياسي بإلغاء الأحزاب الدينية. وفي سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) أجبر الشعب التركي على تقليد الغرب في نمط الحياة كهوية لهم: فأصدر «قانون الملابس» بإبدال الطربوش مكان القبعة وبدأ تطبيقه بالتدريج على حرسه الخاص ثم على الجيش ثم على الشعب، كما ألغى الزي الديني والحجاب وجعل القانون المدني يقوم على أصول التشريعات الأوربية بدل التشريعات الاسلامية، ونصب محاكم عسكرية في المدن؛ لتحكم على مئات الناس من لم يقبلوا بقراره بالشنق والرمي بالرصاص والسجن. ولا يخفى أن الاستعمار البريطاني ولأجل تغيير عقول الناس بأفكارهم وعاداتهم وأزيائهم وأساليب حياتهم وبكل شيء يرتبط

تركيا» وعلى رغم جهود أتاتورك فلا زال القرآن محتفظاً بكلّ خصوصياته ومزاياه وقابلياته اللا محدودة، وقد انبرت جمعيات عديدة للدفاع عن القرآن الكريم وانتشرت هذه الجمعيات في شرق البلاد الإسلامية وغربها، ومن جنوبها إلى شمالها، وقامت هذه الجمعيات بنشر الثقافة القرآنية وبتحفيظ الأولاد الآيات والسور، وقامت مدارس لتحقيق هذه الغاية الكبرى، وكان لانتشار الثقافة القرآنية الأثر الكبير في مقاومة المدّ الشيوعي في العراق الذي غزانا من الاتّحاد السوفيتي ـ السابق ـ ومن قبله في مواجهة المدّ اللا ديني الألماني الذي غزانا في الفترات التي سبقت الحرب العالمية الثانية. واليوم نشاهد عشرات الملايين من المسلمين يدعون إلى تطبيق القرآن من جديد، وقد قام المؤلّفون بكتابة بحوث كثيرة تقارن بين القوانين الوضعية والإسلامية من وحي القرآن الكريم مبيّنين فضل القوانين القرآنية على تلك القوانين، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال الرسول ﷺ: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) [2]، فإذا تعلّم المسلمون من الإسلام مهمّة التبشير والإنذار وهما عمدة دعوة القرآن الكريم، لتمكنوا من إدخال

بنشأتهم الدينية الإسلامية وبماضيهم؛ نصب أربعة عملاء في الشرق الأوسط وفي فترة زمنية متقاربة وهم: أمان الله خان في أفغانستان، ورضا بهلوي في إيران، وياسين الهاشمي في العراق، وأتاتورك في تركيا. راجع «الذئب الأغبر» للمؤلف هـ. س. أرمسترونج، و«العثمانيون في التاريخ والحضارة» د. محمد حرب، و«الرجل الصنم» لضابط تركي، و«ذئب الأناضول» لمصطفى الزين، و«موسوعة السياسة»: ج١ ص٢٧.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

(٢) متشابه القرآن: ج٢ ص٢١٢، غوالي اللآلي: ج١ ص ٢٢٦ ح١١٨ وج٣ ص٤٩٦ ح١٥، من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٣٤ ب٢ ح٥٧١٩، نهج الحق: ص٥١٥ الفصل الحادي عشر، وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٣٢٣٨٣ وص١٢٥ ب١٥ ح٣٢٦٤٠، مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١٤٢ ب١ ح٢٠٩٨٥.

العالم في الإسلام بما ينفع دينهم ودنياهم.

فلننظر إلى هذه الآيات حتّى يتبيّن لنا ما ذكرناه في التبشير والإنذار: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (١)، وقال ﷻ: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (٢)، وقال ﷻ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُواً﴾ (٣)، وقال ﷻ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٤)، وقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً * وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً * مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً * فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ (٥)، وقال ﷻ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٦)، وقال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٤٨-٤٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٦.

(٤) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٥) سورة الكهف: الآيات ١-٦.

(٦) سورة طه: الآيتان ١٢٣-١٢٤.

الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾[5]، وقال ﷻ: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾[6]، وقال ﷻ: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾[7]، وقال ﷻ: ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾[8]، وقال ﷻ: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾[9]، وقال ﷻ: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[10]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، ولذا فمن

---

(١) سورة الحجر: الآيتان ٤٩-٥٠.
(٢) سورة غافر: الآية ٢٩.
(٣) سورة غافر: الآيتان ٣٠-٣١.
(٤) سورة غافر: الآيتان ٣٢-٣٣.
(٥) سورة غافر: الآية ٣٤.
(٦) سورة غافر: الآية ٣٨.
(٧) سورة غافر: الآية ٤٠.
(٨) سورة غافر: الآيتان ٤١-٤٢.
(٩) سورة آل عمران: الآية ١٣٨.
(١٠) سورة النحل: الآية ٨٩.

المتيّقن أنّ المسلمين والعالم أجمع لو ذكّروا بالقرآن كما أنزله الله وكان المذكّر سائراً على منهج رسول الله ﷺ في أخلاقه وآدابه وأعماله وتطبيقاته فإنهم سينجون من كل شر أصاب العالم، وإننا نقول هذا الكلام لا بسبب سقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية في العالم أو بسبب عدم تمكّن الغرب من توفير متطلبات البشرية وإدارتهم وإنما لأنه لا طريق آخر أمام العالم إلاّ الإسلام، فإذا وجدت هناك كثرة من المبلّغين الذين يطبقون الإسلام على أنفسهم أولاً ثمّ يعرفون كيف يطبّق الإسلام على العصر الحديث ونشروا ذلك بكلّ جدّ واهتمام لدخل العالم تحت لواء الإسلام، ونحن إذ نشرف على نهاية قرن جديد فليس من المستبعد أن يبعث الله ﷻ من يقوم بهذه المهمّة حسب الرواية المروية عن رسول الله ﷺ في (تجديد الدين على رأس كلّ قرن)[1]، ولا يلزم أن يكون المجدّد واحداً، إذ الرواية المروية عنه ﷺ تشمل الواحد والاثنين والأكثر، وحيث أنّا في سبيل بحث الإعلام لا نتوسّع في هذا المطلب أكثر ممّا ذكرناه وإلاّ فالبحث في هذه الأمور مفصّلاً يحتاج إلى مجلّدات، والله الموفّق المستعان.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: (يحمل هذا الدين في كل قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد) رجال الكشي: ج١ ص٤ ح٥، وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٥١ ب١١ ح٣٣٤٥٨.

الدبلوماسية والإعلام

مسألة: الدبلوماسية [(١)] والإعلام في زماننا الحاضر متلازمتان؛ حيث أنّ

---

(١) الدبلوماسية: لفظة مشتقة من الفعل اليوناني «diploma» بمعنى «طوى»، وكانت تطلق في العهد الروماني على الوثائق التي كانت تطوى «طيتين» كالوثائق والصكوك الصادرة عن الملوك والأمراء والمتضمّنة منح شخص ما توصية خاصة أو امتيازات استثنائية. ثم أصبحت هذه اللفظة تطلق على الأوراق والوثائق الرسمية أو تلك التي تتضمن نص الاتفاقات أو المعاهدات المعقودة. وعند ازدياد عدد الوثائق استخدم كتّاب معينون لتبويبها وفك رموزها وحفظها، فظهرت مهنة أمناء المحفوظات التي ظلّت فترة طويلة من الزمن يطلق عليها باللاتينية «ريس ـ دبلوماتيكا» ثم شاع استعمال كلمة الدبلوماسية بمعناها الحديث في أواخر القرن السابع عشر، بعد توقيع معاهدة ويستفاليا سنة ١٦٤٥م والتي أحدثت فكرة إحداث التمثيل الدائم بين الدول، وذلك لوصف البعثات التي تتولى الدول ايفادها لتمثيل مصالحها، والتفاوض باسمها، والتعبير عن إرادتها، والدفاع عن وجهة نظرها لدى حكومة أخرى.

وتعرّف الدبلوماسية: بأنها: مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي أي الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، مع بيان مدى حقوقهم وواجباتهم وامتيازاتهم وشروط ممارستهم مهامهم الرسمية والأصول التي يترتب عليهم اتباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة كما هي، وفق اجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الإتفاقات والمعاهدات.

وهناك أربعة أنواع من الدبلوماسيات، وهي: ١- دبلوماسية القمة، وهي أقدم دبلوماسية تاريخية ٢- الدبلوماسية المكشوفة التي وجدت بعد الحرب العالمية الأولى ٣- دبلوماسية المنظمات الدولية والقارية والإقليمية ٤- دبلوماسية المؤتمرات السياسية والفنية.

وتقوم الدبلوماسية بتعزيز العلاقات بين الدول وتطويرها في المجالات المختلفة، وبالدفاع عن مصالح وأشخاص رعاياها في الخارج، وتمثيل الحكومات في المناسبات والأحداث، إضافة إلى جمع المعلومات عن أحوال الدول والجماعات الخارجية، وتقييم مواقف

الدبلوماسي يقوم بدور التمثيل والدعوة لبلده عبر السفارة التي يتحرّك في أفقها، بينما لم يكن ذلك ليحصل في الزمن القديم. فعمل الدبلوماسي ـ في السابق ـ يقتضي منه المحافظة على مصالح رعايا بلده بالإضافة إلى الرسالة التي يوصلها من حكومته إلى الحكومة التي يسكن الدبلوماسي فيها أو العكس. وإنّما احتيج إلى الإعلام في الحال الحاضر لشدّة ترابط البلاد بعضها ببعض وكثرة المصالح المتبادلة، فالدبلوماسي الذي لا يعمل على تهيئة المناخ التبليغي والإعلامي لا يقوم بأداء عمله بصورة جيّدة، فالمفترض بالدبلوماسي أن يلقي البيانات وينشر الأخبار ويجري الاتّصالات لصالح دولته بالأخصّ مع أرباب القرار في الدولة التي يعمل فيها [1].

الحكومات والجماعات إزاء قضايا راهنة أو ردّات فعل محتملة إزاء سياسات أو مواقف مستقبلية.

للمزيد راجع موسوعة السياسة: ج٢ ص٦٥٨، الموسوعة السياسية: ج٤ ص١٦٦٣.

(١) إنّ وظيفة الدبلوماسي، هي:

١- تمثيل بلاده ومراقبة الأوضاع السياسية وتقديم تقارير دورية بشأنها، وإجراء أو متابعة المفاوضات في شتى الحقول، وتبادل المذكرات بشأن القضايا التي تهم البلدين، ومتابعة القضايا التي يعالجها وزراء الخارجية أو رؤساء الدول في اجتماعات القمة.

٢- التحضير لاجتماعات القمة سواء كانت برئاسة رئيس الدولة أو رئيس الوزراء أو وزير الخارجية، وذلك بتنظيم الزيارة وتحديد موعدها وتهيئة جدول أبحاثها والملفات اللازمة وترتيب برنامجها وبحث مختلف القضايا البروتوكولية والمراسيم المتعلّقة بها، وإجراء الاتصالات اللازمة بشأن كل هذه القضايا.

ويجب أن يتحلّى الدبلوماسي بالصدق والأمانة والاستقامة والحزم وقوة الإرادة والثقة بالنفس وطول الأناة وقوة الملاحظة ورجاحة العقل واللباقة في الحديث والمهارة في الحوار والخطابة، وأن يكون مفاوضاً بارعاً قادراً على تحقيق أهدافه دون إثارة حفيظة أحد أو نقمته، وأن يكون دقيقاً في عمله ومتّبعاً للطرق السلمية في حل الخلافات، وأن يكون ملماً بالثقافة الخاصة والمعلومات العامة، ومحترماً للتقاليد المحليّة، ولايتأثر بوسائل اللهو والعيش، وأن يكون ملماً بالتاريخ السياسي وأصول الدبلوماسية وقواعد البروتوكول والقانون والاقتصاد. يقول السفير جون كامبون: لا يكفي في الدبلوماسية أن يكون الإنسان

وقد سبق الإسلام الجميع في بعث الدبلوماسيين والموفدين إلى الدول الأخرى. فيذكر التاريخ لنا أنه وعندما ازداد ظلم وجور قريش بحقّ المسلمين بعث رسول الله ﷺ جمعاً من صحابته إلى الحبشة وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب [1] عليه السلام وكان نشطاً في القيام بالمهام الدبلوماسية، ولما رأت

على حق، بل يجب أن يكون موضع الاستحسان.

للمزيد من المعلومات راجع كتاب الدبلوماسية الحديثة: ص١٤٩-١٦٠ للدكتور سموحي فوق العادة، الموسوعة السياسية: ج٤ ص١٦٦٣.

(١) جعفر بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب الملقّب بالطيار والمكنى بأبي المساكين وبأبي عبد الله وهو ثالث الأخوة من ولد أبي طالب بعد طالب وعقيل ورابعهم علي وامهم فاطمة بنت أسد، ولد قبل البعثة بعشرين سنة على ما حققه المؤرخون. تلقى المصائب مع الرسول الأكرم ﷺ في شعب أبي طالب كما شهد يوم الدار، أرسله الرسول الأكرم ﷺ إلى الحبشة لتبليغ الرسالة وهو يرأس مجموعة من المسلمين، وكان عددهم ٨٣ رجلاً و١٤ امرأة، وقيل ١٨ امرأة بما فيهم أسماء بنت عميس وأم سلمة. وكان جعفر فقيهاً وراوياً وداعية متمرساً وعالماً ومحاوراً وقائداً فذاً وهذا ما يظهر من حواره مع النجاشي ملك الحبشة، قال الرسول الأكرم ﷺ في حقه: (أنت أشبه بخَلقي وخُلقي). قدم جعفر إلى المدينة عائداً من الحبشة التي بقي فيها سبعة عشر سنة والتقى بالرسول الأعظم ﷺ يوم الاستيلاء على خيبر سنة ٧هـ فضمه الرسول إلى صدره وقال: (ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر) وقيل (لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خيبر) ، وعندما قرر الرسول ﷺ أن يوجه حملة إلى حدود الروم في أرض الشام سنة ٨ هـ (٦٢٩م) جعل جعفر بن أبي طالب أميراً على الجيش، فإن قتل فزيد بن حارث، فان قتل فعبدالله بن رواحة. وفي معركة مُؤتة ـ بضم الميم وهي من قرى البلقاء بمشارف الشام ـ والتي مهدت الطريق لفتح بلاد الشام، التقى جيش المسلمين الذي قوامه ثلاثة آلاف فارس بجيش من الروم ومعهم المتنصّرة من العرب ويقدر عددهم بمائتين ألف شخص، واحتدم القتال وكان جعفر صائماً في ذلك اليوم ثم عرقب فرسه حتى لايستفاد منه الاعداء وقاتل قتال الأبطال، فقطعت يمناه، فحمل الراية بيسراه فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية في صدره وصبر حتى سقط شهيداً وفي جسمه تسع وتسعون طعنة ورمية، فعوضه الله عن يديه بجناحين في الجنة، ولذا سمي جعفر الطيار أو جعفر ذو الجناحين. وقد أبّن حسان بن ثابت جعفراً قائلاً:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

قريش ذلك خافت على نفسها من انتشار الإسلام في الحبشة، فإنّه إذا ما تهيّأ الظرف المناسب للرسول ﷺ في الحبشة، قد يذهب إلى هناك ويسدّ الطريق أمام تجارتهم ويفرض حصاراً عليهم، ولم تتمكّن قريش من القيام بأيّ عمل، فأرسلت وفداً[1] إلى النجاشي[2] ملك الحبشة طالبة منه تسليم المسلمين، لكن

وزيد وعبدالله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المنية تحظر

راجع الخرائج والجرائح: ج١ ص١٦٦، بحار الأنوار: ج٢١ ص٥٣ ب٢٤ ح٣، أنساب الأشراف: ج٢ ص٤٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب القسم الأول: ص٢٤٢، السيرة النبوية لابن هشام: ج٤ ص١، حلية الأولياء: ج١ ص١١٤، الأعلام للزركلي: ج٢ ص١١٨، ربيع الأبرار: ج٤ ص١٣٦ وص٢٥١.

(١) كان وفد المشركين يضم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد.

(٢) النجاشي الأول ـ بفتح النون وقيل بكسره وتخفيف الجيم وتشديد آخره ـ وهو لقب ملك الحبشة ـ إثيوبيا حالياً ـ، وكان اسمه أصحم بن أبجر على المشهور وقيل أصخم كما عن أعلام الورى وتاريخ الطبري، وقيل أصحمة بوزن أربعة كما عن ابن حجر العسقلاني، وقيل مصحمة بمعنى عطية.

كتب الرسول الأكرم ﷺ له كتاباً مع عمرو بن أمية الضمري جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم؛ ملك الحبشة.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، واشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له؛ والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بي؛ وبالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفر ومعه نفر من المسلمين؛ فإذا جاؤوك فأقرّهم ودع التجبّر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا، والسلام على من اتبع الهدى.

راجع أعلام الورى: ص٤٥، تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٩٤، البداية والنهاية: ج٣ ص٨٤ وص١٠٤، السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٨، أسد الغابة: ج١ ص٦٢، بحار الأنوار: ج١٨ ص٤١٨ ب٤ ح٥، اعلام الورى: ص٤٥ ب٣، قصص الراوندي: ص٣٢٤، إعجاز القرآن: ص١٣٤، مجموعة الوثائق السياسية: ص٤٣ رقم ٢١ عن القسطلاني وعبد المنعم خان عن البيهقي.

وقد أسلم النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب ولم يظهر إسلامه خوفاً من قومه، وكتب بإسلامه إلى الرسول ﷺ، وأكرم وفد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، شهد له الرسول

النجاشي كان أعقل من ذلك؛ فهو ملك رؤوف كما ورد في التاريخ، فرفض تسليم المسلمين إلى أعدائهم المبعوثين من قبل قريش حتّى يتحدّث مع المسلمين المهاجرين بخصوص ما يدور حول دينهم الجديد. فحدد موعداً، حضر فيه وفد قريش ووفد المسلمين ليرى أيّ الفريقين أقوى حجّة، فابتدأ جعفر بن أبي طالب بالكلام قائلاً: أيّها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف؛ فكنّا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلَع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لانشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فصدّقناه وآمنّا به، وتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، ولم نشرك به شيئا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا

الأكرم ﷺ بالصلاح، وتوفي ببلاده سنة ٩هـ (٦٣٠م) . وقد نعاه الرسول ﷺ قائلاً: (قد مات اليوم عبد صالح لله..). وصلّى عليه بالمدينة المنورة وقال للمسلمين: (استغفروا لأخيكم).

وقد راسله الرسول الأكرم ﷺ في خمسة كتب ذكرها علي الأحمدي في كتابه مكاتيب الرسول: ص١٢٧.

١- في الوصية لجعفر وأصحابه في السنة الخامسة أو السادسة. ٢- للدعوة إلى الإسلام في السنة السادسة أو السابعة. ٣- في جواب كتابه في السابعة أو الثامنة. ٤- في تزويج أم حبيبة في السابعة. ٥- في تجهيز المسلمين إلى المدينة في السابعة قبل خيبر.

وضيقّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَن سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاّ نُظلم عندك، أيّها الملك فقد أنزل الله على نبينا كتاباً نقرأه، وفيه من كل خير وفضيلة وتنفير من كل شر وإثم وظلم.

فقال النجاشي: هل معك ممّا جاء به رسولكم عن الله من شيء؟

قال: نعم، فقرأ عليه شطراً من سورة مريم، فبكى النجاشي وأساقفته، وقال: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا.

ثم التفت النجاشي إلى رسل قريش قائلاً لهم: والله لا أسلّمهم إليكما أبداً[1].

وبهذه الطريقة رجع الرسولان خائبين، وكان كلام جعفر أوّل خطاب سياسي يلقيه دبلوماسي إسلامي، وكان قد مهدّ الطريق أمام إيمان النجاشي بالإسلام مع جميع أعوانه وأنصاره.

وإذا تمعنّا في خطاب جعفر، نجد كيف استطاع أن يقارن بين وضع العرب قبل وبعد الإسلام، ثمّ كيف استثمر ذكر السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم ليبيّن مدى علاقة الإسلام بالدين المسيحي، والإعلام الدبلوماسي في يومنا هذا يقوم بنفس الأسلوب؛ حيث اللازم أن يقول الدبلوماسي قولاً يرضي الدولتين، ثمّ يبيّن الفرق بين ما يقول حالاً وبين ما يقوله الدبلوماسي السابق. مثلاً يقول الدبلوماسي للدولة المضيفة له: إنّا وأنتم نحترم حقوق الإنسان ونقول بالانتخابات الحرّة والمؤسّسات الدستورية والتعدّدية الحزبية وكفّ الظالم عن ظلمه سواء كان ظالماً لرعيته أو ظالماً لجيرانه وهذا ما نشترك فيه نحن وأنتم، كما أنا في ظلّ الحكومة السابقة لم نكن نحسن إلى جيراننا

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع السيرة النبوية لابن هشام: ج١ ص٣٢١-٣٤١ ط دار إحياء التراث العربي، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٣٠٩، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٨١.

ولا إلى شعبنا والآن في الحكومة الجديدة نحسن إلى الشعب ونحترم حسن الجوار وما أشبه ذلك.

كما أنّ الرسول الأكرم ﷺ في أواخر السنة السادسة للهجرة أرسل إلى عددٍ من الملوك والوزراء يدعوهم إلى الإسلام، وخرج ستة من المبعوثين في يومٍ واحد[١]، فبعث الكلبي[٢] إلى هرقل[٣] ملك الروم وجاء في رسالته: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد بن عبد الله، إلى هرقل عظيم الروم؛ سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فانّما عليك إثمُ الأريسيين[٤]»، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

---

(١) وقيل ذلك في شهر محرّم من السنة السابعة للهجرة.

(٢) دِحيَة بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي: كان تاجراً يتجر إلى بلاد الشام، أول ما شهد الخندق، وقيل أحد واليرموك وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وقيل كان جبرئيل يأتي الرسول الأكرم ﷺ على هيئة دحية لجماله، وعاش في أواخر حياته في مزة دمشق، وتوفى قرابة سنة ٤٥هـ (٦٦٥م). راجع: الإصابة في تمييز الصحابة: ج٢ ص٣٢١، الأعلام للزركلي: ج٣ ص١٣.

(٣) هرقل: بكسر أوله وفتح ثانيه، فبعث الرسول الأكرم ﷺ كتابه مع دحية بن خليفة الكلبي ثم أرسل الرسول ﷺ له كتاب ثانياً بعد غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة. وقد حكم هرقل إحدى وثلاثين سنة، وفي ملكه توفي الرسول الأكرم ﷺ.

(٤) وقد اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى، فروي «الأريسين» بوزن الكريمين، وروي «الأرّيسين» بوزن الشريبين، وروي «الأريسيين» بوزن العظيميين، وروي بإبدال الهمزة ياء مفتوحة في البخاري.

وأمّا معناها، فقال أبو عبيد: هم الخدم والخول يعني لصدّه إياهم عن الدين كما قال: «ربنا أطعنا سادتنا» أي عليك مثل إثمهم، وقال ابن الأعرابي: وهم الأكارون، وإنما قال ذلك لأن كارين كانوا عندهم من الفرس وهم عبدة النار فجعل عليه إثمهم، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: أصحاب الحديث يقولون «الأريسيين» منسوباً مجموعاً، والصحيح «الاريسين» يعني بغير نسب وردّه الطحاوي عليه، وقال بعضهم: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية فجاء على النسب إليهم. وقيل أنهم اتباع عبدالله بن أريس ـ رجل كان في الزمن الأول ـ قتلوا نبياً بعثه الله اليهم، وقيل: «الأرّيسون» الملوك واحدهم أرّيس. وقيل هم

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]». وبعث عبد الله بن حذافة السّهمي[2] إلى كسرى[3] ملك الفرس يدعوه إلى الإسلام ومعه كتاب، يقول السهمي: فرفعت إليه الكتاب فقرئ عليه ثم أخذه فمزّقه، لكن السهمي جمع الممزّق من الكتاب ورجع به إلى رسول الله ﷺ فلصق بعضه ببعض، وهو الآن موجود حسب المشهور في خزانة في تركيا، إلى غير ذلك من كتب الرسول المجموعة في كتاب «مكاتيب الرسول»[4]، وهكذا أرسل الرسول ﷺ مبعوثيه إلى مناطق مختلفة من جزيرة العرب وإلى نجران واليمن وغيرهما[5]، وكان يقول للمبعوث: «إنّك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فإذا

المشارون. راجع الأمثال النبوية: ج١ ص١٧٨ لمحمد الغروي.

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤، وقد ذكرت مصادر الرسالة في السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٢، كنز العمال: ج٤ ص٢٨٤ ح١١٠٣٥، الدر المنثور: ج٢ ص٤٠، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٧٧، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٨١، تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٩١، بحار الأنوار: ج٢٠ ص٣٨٦، الأغاني: ج٦ ص٩٥، مكاتيب الرسول: ص١٠٥.

(٢) هاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، أسره الروم في سنة تسع عشرة، وله قصة مشهورة ذكرت في كتاب أسد الغابة: ج٣ ص١٤٢.

(٣) كسرى: بكسر الكاف وتفتح، وهو لقب ملوك الفرس، قيل أنه معرّب خسرو ـ بمعنى واسع الملك ـ وكان آنذاك اسمه أبرويز بن هرمز على أحد الأقوال، وقيل أنوشيروان الذي قتله ابنه شيرويه، وهو الأصح، بعث الرسول ﷺ الكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمي، وجاء في الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله؛ وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأنّ محمداً عبده ورسوله؛ أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ لا نذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين؛ أسلم تسلم، فان أبيت فعليك إثم المجوس».

راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٧٧، البداية والنهاية: ج٤ ص٣٠٦، تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٩٥، بحار الأنوار: ج٢٠ ص٣٨٩ ب٢١، السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٦.

(٤) للمزيد راجع كتاب مكاتيب الرسول: تأليف علي بن حسين علي الأحمدي.

(٥) فقد بعث الرسول الأكرم ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى جريح بن ميني الملقب بالمقوقس،

جئتهم فادعوهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإنْ أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم فإنّه ليس بينه وبين الله حجاب»[1].

ولما بعث علياً إلى اليمن قال له: (لئن يهدي الله على يديك رجلاً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس) [2]، أي: إنّ الله ﷻ يعطيك أفضل من ذلك في الآخرة. والواضح أنّ الشمس تشرق على الكرة الأرضية وبقيّة الكواكب الموجودة في مجموعتنا الشمسية، وإذا أردنا أن نجمع مساحة الأماكن التي

ملك مصر والاسكندرية الذي كان تابعاً لقيصر الروم والمنصوب من قبله. وكذلك بعث شجاع بن وهب الأسدي، وقيل ابن أبي وهب الأسدي إلى كل من الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان الذي كان يملك تخوم الشام وبالتحديد بين الجولان واليرموك في غوطة دمشق، وهو عامل هرقل ملك الروم. وبعث سَليط بن عمرو إلى هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة. وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين. وبعث إلى مسروح ونعيم ابني عبد طلال، ملكي حمير. إلى جيفر الجلندي وأخوه عبد ملكي صاحبي عمان، وإلى أساقفة نجران. وقد أحصى بعض المحققين الكتب التي كتبها الرسول الأعظم ﷺ للحكام والملوك والأمراء والعمال وكتب العهود والأمانات والاقطاعات وما أشبه ذلك فبلغت أكثر من ٣١٦ كتاباً.

(١) جاء في صحيح ابن حبّان: ج١ ص٣٧٠ ح١٥٥ عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: إنك تُقدِم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم وإذا فعلوا فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فتردّ على فقرائهم فإذا أطاعوا بهذا فخذ منهم وتوقّ كرائم أموال الناس.

(٢) الكافي (فروع): ج٥ ص٢٨ ح٤ وص٣٦ ح٢، تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٤١ ب٦٢ ح٢، وسائل الشيعة: ج١٥ ص٤٣ ب١٠ ح١٩٩٥١، وقريب منه: مجموعة ورام: ج٢ ص٢٧٧، مشكاة الأنوار: ص١٠٧ ب٢، النوادر للراوندي: ص٢٠، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٤١ ب١٨ ح١٣٩٩٩.

تشرق عليها الشمس لعجزنا عن ذلك.

والمأساة أنّ السفارات الإسلامية في يومنا هذا لا تفعل مثل ذلك وانما تفعل عكس ذلك تماماً، يقول أحد الكتّاب الإسلاميين: «فاليوم الإعلام الإسلامي في حالة تدعو إلى النظر والأسف، فالسفارات الإسلامية في الخارج تتميّز بطابع التعقيد والتحرّر من قوانين الإسلام وتعمل على محاكاة الأجانب حتّى في الإتيان بالمحرمات».

أقول: ومعاملة سفارات بلاد الإسلام على الأغلب ترتبط بالسلبيات، وتعقيد الإجراءات والمسائل، وندرة ارتباط هذه السفارات وتطبعها بالطابع الإسلامي لا شكلاً ولا معنى، فترى السفارة الفلانية مثلاً تحتفل احتفالاً كبيراً بالعيد الوطني وما أشبه ذلك، والعيد الوطني ليس من الإسلام في شيء وإنّما الأعياد هي الأعياد التي قرّرها الإسلام، كما أنّ السفارات تُحضر في حفلها كلّ أنواع المحرّمات من الخمور والفجور ولحم الخنزير وما أشبه ذلك، هذا بالإضافة إلى أن السفراء[1] الإسلاميين في غالب البلاد الديكتاتورية لا خبرة لهم ولا علاقة لهم بالإسلام لا عملاً ولا قولاً، بل جاؤوا إلى السفارة بالمحسوبية والمنسوبية والولاءات للحزب الحاكم الذي جاء إلى الحكم عبر الدبّابة أو ولاء الجماعة المتسلّطة على الأمّة، فعوض أنْ يبشروا بالإسلام ويكون طابعهم الإسلام قولاً وعملاً تراهم منغمسين في اللهو واللعب وارتياد الأماكن المحرمة كمراكز الرقص والخلاعة والسفور ويشربون الخمور[2] وما أشبه ذلك.

---

(١) السفير: في اللغة العربية هو الرسول والمصلح بين القوم، وفي القران الكريم وردت العبارة ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ سورة عبس: الآيتان ١٥-١٦.

(٢) باعتبار أنّ الخمر تفضح شاربها وتطلّع على ما في نفسه من الأسرار، وإن للنساء حيلاً بارعة يستخرجن بها الأخبار، لذا كان من القديم أن الحكومات تلجأ إلى النساء للحصول على الأخبار.

فاللازم أن تكون السفارات الإسلامية سواء في البلاد الغربية أو الشرقية أو العالم الثالث بمستوى الرسالة الإسلامية فيكونوا أقوياء في إعلامهم.



مهام الإعلام الإسلامي

مسألة: يجب نشر الإيديولوجية الإسلامية ومبادئ الحرية والمساواة والشورى عبر وسائل الإعلام، كما يجب مواجهة الغزو الإعلامي الغربي بأكاذيبه وافتراءاته وتضليله عبر معرفة آلية التعامل مع الإعلام الغربي وخصوصياته، فالغرب يسعى دائماً إلى تكوين تصور ذهني سلبي عن تاريخ المسلمين وحضارتهم وسلوكهم وطموحهم [1]. فللإعلام الإسلامي دوران، الأول إيجابي: وهو عبارة عن إظهار محاسن الإسلام في العقيدة والأخلاق والشريعة وبيان أنّ هذه الأمور المرتبطة بالإسلام هي أفضل من الأمور التي تقابل الأمور المذكورة، لأنّ الإسلام أفضل، فعلى تعبير الرسول الأعظم ﷺ (الإسلام يعلو

---

(١) يركّز الإعلام الغربي على خصوصيات عدّة، منها: ١- تكوين تصور ذهني إيجابي عن الغرب، وتكوين تصور سلبي عن بلاد المسلمين، بمعنى أنهم قوم ينتشر فيهم العنف والإرهاب والفساد والكسل وفيهم أناس بعيدون عن التقدم والصناعة والتطور العلمي، ٢- يعبّر عن وجهة نظر الغرب للأحداث والوقائع. ٣- ينشر المعلومات بما يخدم مصالح الدول الغربية. ٤- توظيف الإعلام لصالح الدعاية الغربية على حساب المسلمين المتخلفين تقنياً وعلمياً عنهم، ٥- يشجع العقول الإسلامية المتخصصة على الهجرة إلى الغرب.

ولو أراد الإعلام الغربي أن يكون عادلاً ومنصفاً فعليه أن يكون: أ- إعلاماً تفاعلياً، بمعنى تبادليته بين الشعوب والثقافات عبر التلقي، والتلقي المضاد، وليس عبارة عن قناة أحادية الاتجاه تتوجه من المركز إلى الأطراف. ب - إعلاماً غير عنصري، بمعنى أن لا يمجّد أمة واحدة بين الأمم، ولا لوناً بين الألوان، ولا فكرة بين الأفكار. ج - إعلاماً متوازناً بين المادي والأخلاقي. د - يطرح نسبية الثقافة والقيم والأفكار ولا يقتصر على تخطئة ثقافة وقيم وأفكار الآخرين.

ولا يعلى عليه)[1]، وبتعبير القرآن الحكيم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[2]. فالناس ليسوا على استعداد لترك شيء من عقائدهم وأخلاقهم وشرائعهم إلى المساوي، فكيف بالأدنى؟.

والغربيون حاولوا أن يعتبروا الإسلام هو الدين الأدنى، فلهذا منعوا المسيحيين واليهود ومن أشبههم منعاً فكرياً عن الإقبال إلى الإسلام.

والثاني هو الدور السلبي: وهو دحض المزاعم التي تبيّن دنيوية الإسلام في الغرب.

إشكالات وردود

ونحن نذكر جملة من انتقادات الغرب للإسلام في الأصول والفروع، ثمّ نذكر ما يدحض هذه الانتقادات، لكن الأمر ليس بهذه البساطة التي نذكرها في الإشكال والدحض وإنّما نريد الإشارة فقط إلى أنّ المسلمين يجب عليهم أن يسدوا هذه الثغرات حتّى يتمكّنوا من القفز نحو الأمام حسب الموازين الإسلامية، فلا يحرم العالم من حكم الإسلام ومبادئه السامية وأخلاقياته الرفيعة:

١ـ إنّ الغربيين ينكرون دور الحضارة الإسلامية في انتشال البشرية من الحضيض إلى المراتب الرفيعة.

والجواب: إنّ للإسلام دوراً هاماً في الحضارة الإنسانية، كما ذكر ذلك

---

(١) متشابه القرآن: ج٢ ص٢١٢، غوالي اللآلي: ج١ ص٢٢٦ ح١١٨ وج ٣ ص٤٩٦ ح١٥، نهج الحق: ص٥١٥ الفصل الحادي عشر، من لايحضره الفقيه: ج٤ ص٣٣٤ ب٢ ح٥٧١٩، وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٣٢٣٨٣ وص١٢٥ ب١٥ ح٣٢٦٤٠، مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١٤٢ ب١ ح ٢٠٩٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

العديد من علماء الغرب؛ إذ يقول سيديو: «إنّ نفوذ الفكر الإسلامي كان واضحاً في مختلف أدوار التاريخ وإنّ الغرب مدين للمسلمين والعرب في المجال العلمي».

ويقول كوليري: «لو أزيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخّرت النهضة الأوربية إلى بضعة قرون؛ إذ أنه حتى أواخر القرن الثاني عشر كانت أفكار ابن سينا لا تزال تناقش في جامعة مونبيلية بفرنسا».

ويقول ماركس مايرقو: «لا شكّ أنّ المسلمين والعرب قاموا بدور كبير في بحوث الضوء ونظرياته، ولولا المسلمون لما كان علم المثلّثات علَى ما هو عليه الآن».

ويقول برنارد شو: «إنّ أوربا تحمل دَيناً مزدوجاً للمسلمين والعرب؛ إذ أنّهم حافظوا على التراث الفكري والعلمي الذي أتى به اليونانيون، ومن المسلمين العرب تعلّمت أوربا طرقاً جديدة في البحث العلمي ببحث العقل أولاً، ودور التجربة وما يعتدّ بها».

وكذلك قال الكلام نفسه غيرهم كغوستاف لوبون[1] وأمثاله، وهناك العديد من الكتب كتبها علماء الغرب في هذا المجال، حيث ذكرت تصريحات علماء الغرب والتي تبين ما للإسلام من فضل علمي على الغرب، أمثال كتاب «شمس

---

(١) غوستاف لوبون، طبيب وعالم اجتماعي ومفكر فرنسي، ولد في النورماندي سنة ١٨٤١م ومات في باريس سنة ١٩٣١م. يعدّ مؤسس علم نفسية الجماهير، دعا إلى تفسير السلوك الاجتماعي بالمقارنة بين نفسيات فردية، وكتب في مجالات علمية كثيرة، وبلغت مؤلفاته الخمسين منها: «سيكولوجية الجماهير١٨٩٥م»، «علم النفس في الأزمنة الجديدة»، «حضارة الهند ١٨٨٧م»، «الحضارة الأولى١٨٨٩م»، «الآراء والعقائد ١٩١١م»، «حياة الحقائق ١٩١٤م»، «الثورة الفرنسية وسيكولوجية الثورات»، «القوانين النفسية لتطور الشعوب ١٨٩٤م»، «حضارة العرب ١٨٨٤م»، وقد اختصره السيد الشيرازي باسم «موجز تاريخ الإسلام».

الإسلام تسطع على الغرب»[1].

---

(١) واسم الكتاب هو شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الألمانية الدكتورة زيغريد هو نكه، والكاتبة تناولت فيه الحضارة الإسلامية، وكيف أنها غيّرت وجه اوربا والعالم بأسره، وبينت أثر الدين الاسلامي في تقدم الحضارة، ولكن نسبت ذلك إلى العرب.
تقول الكاتبة في صفحة ١٢ ما نصه: إنّ هذا الكتاب يتناول العرب والحضارة العربية ولا أقول الحضارة الإسلامية. ذلك أنّ كثيراً من المسيحين واليهود والمزديين والصابئة قد حملوا هم مشاعلها أيضاً. وليس هذا فحسب، بل إنّ كثيراً من تحقيقاتها العظيمة الشأن كان مبعثها احتجاجاً على قواعد الإسلام القويمة. بل أضف إلى ذلك انّ كثيراً من صفات هذا العالم الروحي الخاصة كان موجوداً في صفات العرب قبل الإسلام. انتهى كلامها.
أقول: قيل أنّ العنوان الأصلي للكتاب هو شمس الإسلام تسطع على الغرب، ولكن الحكومة العراقية ولدوافع القومية أغرت الكاتبة بالمبالغ الطائلة على تغيير اسمه. هذا أولاً، وان الحق في التسمية مع الإمام المؤلف ﷺ حيث ذكر ان اسم الكتاب شمس الإسلام تسطع على الغرب، فإنّ المستشرقة الألمانية ذكرت ثلاثة أدلة على مطلبها. والجواب أجمالاً انها ذكرت آرائها وتصوراتها وفق الإرهاصات القومية التي انتشرت في أوربا وفي البلاد العربية في القرن الماضي، فإنّ هذه الإرهاصات أثرت على عقلية المؤلفة، كما أن أغلب العلماء الذين ذكرتهم في كتابها من المسلمين الذين تربوا في ظل الإسلام أمثال جابر بن حيان وابن البيطار وحنين بن إسحاق وابن زهر وأبي القاسم الزهراوي والرازي وابن سينا وابن النفيس والخواجه نصير الدين الطوسي وابن الهيثم وابي يوسف يعقوب والكندي وابن باجة وابن رشد والفارابي والغزالي. وذكر البعض ممن ليسوا بمسلمين لايؤثر على الصبغة العامة للحضارة الإسلامية، فإنّ الحضارة الاسلامية لها طابع أصيل ومميز عن غيرها.
وتفصيل الجواب عن دليلها الأول: أنّ العرب في الجاهلية سواء كانوا عبدة أوثان أو مسيحيين أو يهود أو صابئة أو من أشبه ذلك هم أبناء الصحراء والحروب والنزاعات، وأن القبائل العربية كانت مفككة متناحرة، فلم يكن لهم دور حضاري ولاسياسي، فكيف يصبحون سادة العالم قروناً متوالية لولا الدين الإسلامي الحنيف.
والجواب عن دليلها الثاني: أنّ الاسلام هو دين العلم والعلماء والتقدم والحضارة فكيف يكون التقدم العلمي احتجاجاً على قواعد الاسلام؟.
والجواب عن دليلها الثالث: أنه لو كان عند العرب القدماء شيء من الصفات الروحية، فإنهم أخذوها من الحضارات الدينية والأنبياء السابقين، فيكونوا وسطاءاً في النقل. وإن ما استعمله القدماء من علوم إنما يتبع لما تركه الأنبياء والرسل عبر التاريخ، فهي إشعاعات من تلك الروح المعنوية.

لقد أخذ الغرب من الإسلام كلّ شيء مفيد، وإذا ما تمعنّا في الصفات الضارة التي اتسمت بها الحضارة الغربية لوجدنا حتماً أنّ منبعها ليس هو الإسلام، فلو اعتمد الغرب اعتماداً كاملاً على الحضارة الإسلامية لما تعرّض إلى السلبيات.

٢ـ يقول بعض الغربيين: إنّ الفلسفة الإسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية.

والجواب: هناك فرقٌ كبير بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية، حيث أنّ الفلسفة الإسلامية تقوم على التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد، فهل هذه القيم موجودة في الفلسفة اليونانية؟، كما وأن الأخلاق هي من معالم الفلسفة الإسلامية، ونقصد بالأخلاق ذلك الجانب العملي كالصدق والأمانة والوفاء والحياء والمروءة والغيرة والتعاون والنشاط وألف صفة أخرى ليست لها وجود في الفلسفة اليونانية.

وقد انتشرت الفلسفة الإسلامية ودخلت أوربا من خلال إسبانيا وصقلية، أمّا الفكر الإسلامي فلم يتّصل بالفكر اليوناني إلاّ بعد قرنين من ظهور الإسلام على ما ذكره بعض علمائهم وعلمائنا، وللفكر الإسلامي مقوماته الخاصّة القائمة على الأصول التي كلّها عقلية، كما هي قائمة على الأخلاق ـ على ما ذكرناه ـ، ومن راجع الفلسفة اليونانية وراجع جامع السعادات للشيخ النراقي، يرى هناك بوناً شاسعاً بين الفلسفتين، كما أنّ الشريعة الإسلامية في باب العبادات والمعاملات على الأكثر ليست مرتبطة بالفلسفة اليونانية إلاّ في بعض أجزائها.

٣ـ البعض يستشكل على علماء الفكر الإسلامي ويقول: إنّهم ليسوا عرباً وإنّما كانوا فرساً أو تركاً أو من الهنود وما إلى ذلك، فليس للعرب فضلٌ

إطلاقاً في هذا المجال.

والجواب: إنّ الإسلام لا يميّز بين العرب وغير العرب، لأنّ هذه نزعة قومية يتبرأ منها الإسلام، وهل يمكن أن يقال: ليس للعرب علماء، فمن أيّ قومٍ كان السيد الرضي[1] والسيد

---

(١) أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي، الملقب بـ «ذي الحسبين»؛ ينتهي نسبه إلى الإمام علي عليه السلام، ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠م)، وتوفي سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٦م)، وعاش ٤٧ سنة، فقيه متبحر، وأديب بارع، وشاعر متميز بالفصاحة والشفافية والرّقة، ومتكلم حاذق، اعتقل أبوه من قبل عضد الدولة؛ وسجن سنة ٣٦٩هـ إلى ٣٧٦هـ أي سبعة أعوام؛ لأسباب سياسية، وكان عُمره عند اعتقال والده عشرة أعوام، لكن اهتمام والدته بالعلم هو الذي دفعها أن ترسله وأخاه السيد المرتضى إلى الشيخ المفيد ليعلمهما، كما تتلمذ عند أبي الفتح عثمان بن جني وأبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي والقاضي عبد الجبار المعتزلي وعلي بن عيسى الربعي، ومن طرائفه وهو صغير ذكر أبو الفتح أن السيد الرضي أحضر إلى أبي سعيد السيرافي النحوي وهو طفل لم يبلغ من عمره عشر سنين فلقنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقته، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم، فقال له: إذا قلنا «رأيت عمر» فما علامة النصب في عمر؟ فقال له الرضي: «بغض علي»؛ فعجبوا من حدة ذهنه، تولّى نقابة الطالبيين وإمارة الحج والنظر في المظالم في حياة أبيه وعمره لايتجاوز الحادية والعشرين، له مصنفات في التفسير والعقائد والأدب والحديث، وله ديوان شعري، وقد قيل في حقه: «أنّه أشعر الفقهاء»، وفي أخيه السيد المرتضى: «أفقه الشعراء»، وقد جمع بعض خطب ورسائل وحِكَمْ الإمام علي عليه السلام في كتاب سماه نهج البلاغة، وقد شرح هذا الكتاب ستة وسبعون شارحاً بينهم الأميني في كتابه «الغدير». من مؤلفاته: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، مجازات الآثار النبوية، تلخيص البيان عن مجازات القرآن، خصائص الأمة، أخبار قضاة بغداد، الزيادات في شعر الصابي وأبي تمام، الحَسَن من شعر الحسين، طيف الخيال، المتشابه في القرآن.

ترجمه: رجال النجاشي: ص٣٩٨ رقم١٠٦٥، رجال العلامة الحلي: ص١٦٤ رقم١٧٦، سير أعلام النبلاء: ج١٧ ص٢٨٥، مرآة الجنان: ج٣ ص١٨، البداية والنهاية: ج١٢ ص٤، أمل الآمل: ج٢ ص٢٦١، وفيات الأعيان: ج٤ ص٤١٤، رياض العلماء: ج٥ ص٧٩، روضات الجنات: ج٦ ص١٩٠، أعيان الشيعة: ج٩ ص٢١٦، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٥ ص٢٩٢، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٥ ص٢١٩٣، الذريعة: ج٩ ص٣٧٢، الأعلام للزركلي: ج٦ ص٣٢٩، معجم رجال الحديث: ج١٦ ص١٩، معجم المؤلفين: ج٩ ص٢٦١، شذرات

المرتضى [1] والشيخ المفيد [2].

الذهب: ج٣ ص١٨٢، سفينة البحار: ج٣ ص٣٧٠، النابس في القرن الخامس للطهراني: ص١٦٤، النجوم الزاهرة: ج٤ ص٢٤٠، تنقيح المقال: ج٣ ص١٠٧، مصفى المقال للطهراني: ص٤٠٥، كشكول البحراني: ج١ ص٣١٢، تاريخ بغداد: ج٢ ص٢٤٦.

(١) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى المشهور بالمرتضى أو علَم الهدى، ولد في بغداد سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م) كما عن معالم العلماء لابن شهر آشوب، وتوفي سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤م) وقيل ٤٣٣هـ كما عن أمل الآمل ورياض العلماء، ودفن قرب الروضة الكاظمية ثم نقل إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، من فقهاء الشيعة، عرف بالعلم والفضل والفقاهة والحديث والتفسير والأدب واللغة، وقد جمع العلوم النقلية والعقلية، تقلد نقابة الشرفاء وإمارة الحاج والحرمين والنظر في المظالم، وتقلد سدّة القضاء لمدة ثلاثين سنة. واهتم بتأسيس المكتبات في بغداد، وكانت مكتبته الشخصية تحتوي على ٨٠ ألف كتاب وقيل ١٤٠ ألف كتاب، وقد اهتم بتربية الطلاب والمفكرين بعد أن أسس مدرسة لهذا الغرض وبعد أن خصص لهم رواتب شهرية، ومن تلامذته: الشيخ الطوسي وسالار الديلمي وأبو صلاح الحلبي والشيخ الكراجكي، وقد بلغت مؤلفاته تسعة وثمانين، منها: إيقاظ البشر في القضاء والقدر، الشافي، الانتصار، الخلاف، المسائل المحمديات، المسائل السلارية، المسائل الدمشقية، المسائل الناصرية، الطيف والخيال، درر القلائد وغرر الفوائد والمشهور بـ«الأمالي»، تنزيه الأنبياء والأئمة. وله ديوان شعري فيه أكثر من عشرين ألف بيت شعري.

ترجمه: الكنى والألقاب: ج٢ ص٤٨٠، أعيان الشيعة: ج٨ ص٢١٣، الأعلام للزركلي: ج٥ ص٨٩، رجال النجاشي: ص٢٧٠ رقم٧٠٨، رجال العلامة الحلي: ص٩٤ رقم٢٢، رياض العلماء: ج٤ ص١٤، روضات الجنات: ج٤ ص٢٩٤، البداية والنهاية: ج١٢ ص٦٦، رجال الطوسي: ص٤٣٤ رقم٦٢٠٩، وفيات الأعيان: ج٣ ص٣١٣، أمل الآمل: ج٢ ص١٨٢، معجم رجال الحديث: ج١٢ ص٤٠٠ رقم ٨٠٧٧، معجم المؤلفين: ج٧ص٨١، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٥ ص٢٣٤، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٥ص٢١٩٤ وج٧ ص٣٢١٠، الذريعة: ج٩ ص٧٣٥، سفينة البحار: ج٢ ص٣٦٨، كشكول البحراني: ج١ ص٢٢٤، مرآة الجنان: ج٣ ص٥٥، فهرست الطوسي: ص٩٨، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص٣٩١، مستدركات أعيان الشيعة: ج٥ ص٢٧٦.

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، المشهور بالمعلم ثم المفيد، ولد في قرية تسمى سويقة ابن البصري في شمال بغداد سنة ٣٣٦هـ (٩٤٧م) كما عن النجاشي، وقيل ٣٣٨هـ (٩٤٩م) كما عن ابن النديم، توفي في بغداد سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) ودفن بمقابر قريش عند الإمام الجواد عليه السلام، وقد وجد على قبره مكتوباً بخط

ومَــــن هـــم بنـــو زهـــرة[1]،

الإمام الحجة عليه السلام:

لا صـوّت النـاعي بفقـدك إنـه	يـوم علـى آل الرسـول عظـيم
إن كـان قـد غيبـت في جـدث الثـرى	فالعـدل والتوحيـد فيـك مقـيم
والقـائم المهـدي يفـرح كلّمـا	تليـت عليـك مـن الـدروس علـوم

يعدّ قدس سره من الفقهاء المعروفين بالعلم والفقاهة والتقوى والزهد وله باع واسع في فن المناظرة والجدل وله معرفة عظيمة بالأخبار والآثار، وقد وصفه الإمام الحجة عليه السلام بـ «الأخ السديد» «الولي الرشيد» «الولي المخلص» «ناصر الحق» «الداعي إلى الحق».

تتلمذ عند ابن قولويه القمي والصدوق وابن الجنيد. آلت إليه الرئاسة الدينية في زمانه، وكان يحظى بمنزلة رفيعة في دولة آل بويه. تتلمذ عنده السيد الرضي والسيد المرتضى والشيخ الطوسي وأبو الفتح الكراجكي والنجاشي وابن سالار وابن عقيل. ألف أكثر من مائتي كتاب ورسالة، وقد طبعت أغلب كتبه في ايران بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته تحت عنوان «موسوعة الشيخ المفيد».

من مؤلفاته: المقنعة في الفقه، الأركان في دعائم الدين، الإيضاح في الإمامة، كشف الأسرار، إيمان أبي طالب، المزار، الاختصاص، العيون والمحاسن، الأمالي، نقض فضيلة المعتزلة، الجمل، أوائل المقالات، أحكام النساء، الفرائض الشرعية، وجوه إعجاز القرآن، الإرشاد، النقض على علي بن عيسى الرماني، الرد على ابن الأخشيد في الإمامة، الإفصاح، المسائل الصاغانية.

راجع: روضات الجنات: ج٦ ص١٥٣، أعيان الشيعة: ج٩ ص٤٢٠، أمل الآمل: ج٢ ص٣٠٤، الأعلام للزركلي: ج٧ ص٢٤٥، تاريخ بغداد: ج٣ ص٢٣١، تنقيح المقال: ج٣ ص١٠٨، شذرات الذهب: ج٣ ص١٩٩، الكنى والألقاب: ج٣ ص١٩٧، الكامل في التاريخ: ج٩ ص٣٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٤١، النابس في القرن الخامس للشيخ الطهراني: ص١٨٦، رجال النجاشي: ص٣٩٩، سير أعلام النبلاء: ج١٧ ص٣٤٤، ميزان الأعتدال: ج٤ ص٢٦، النجوم الزاهرة: ج٤ ص٢٥٨، معجم المؤلفين: ج١١ ص٣٠٦، مرآة الجنان: ج٣ ص٢٨، البداية والنهاية: ج١٢ ص١٩، الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص٤٩٦، رجال العلامة الحلي: ص١٤٧، مصفى المقال للطهراني: ص٤٢٣، مستدركات أعيان الشيعة: ج٧ ص٢٧٧، فهرست الطوسي: ص١٩٠، منتهى المقال للمازندراني: ج٦ ص١٨٥، رياض العلماء: ج٥ ص١٧٦.

(١) يقول الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب: ج١ ص٢٩٩ ما لفظه: وهم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي... وأبوه وجده واخوه أبو القاسم عبد الله بن علي صاحب

التجريد في الفقه وابنه محمد بن عبدالله، كلهم من أكابر فقهائنا وبيتهم بيت جليل بحلب، ترجمهم: أعيان الشيعة، طبقات أعلام الشيعة، معجم رجال الحديث، أمل الآمل، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تاج العروس المجلد الثالث.

وبتوضيح أكثر: ١- أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحلبي، ولد سنة ٥١١هـ (١١١٧م) وتوفي في حلب سنة ٥٨٥هـ (١١٨٩م) ، فقيه وأصولي متبحّر، برع في الفقه والكلام، بلغ الاجتهاد ولم يبلغ العشرين من عمره، وولي النقابة في حلب، وكان متضلعاً بفقه أهل السنّة.

من مؤلفاته: غنية النزوع إلى علميّ الأصول والفروع، مسألة في تحريم الفقاع، النكت، مسألة في الردّ على من قال في الدين بالقياس، جوامع الفقه، قبس الأنوار في نصرة العترة الأطهار، بلابل القلاقل.

ترجمه: بغية الطلب في تاريخ حلب: ج٦ ص٢٩٤٦، معجم رجال الحديث: ج٧ ص٢٨٧ رقم ٤٠٥٥، أمل الآمل: ج٢ ص١٠٥، رياض العلماء: ج٢ ص٢٠٢، أعيان الشيعة: ج٦ ص٢٤٩، تنقيح المقال: ج١ ص٢٧٦، الذريعة: ج٣ ص١٤٠، الثقات العيون في سادس القرون للطهراني: ص٨٧، معجم المؤلفين: ج٤ ص٧٩، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج١ ص٧٦، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٦ ص٩٥، تاج العروس: ج٣ ص٢٤٩، سفينة البحار: ج٢ ص٤٢٨ وج٣ ص٥٥٢، الأعلام للزركلي: ج٢ ص٣١٢.

٢- أبو القاسم، واسمه عبدالله بن علي بن زهرة، فقيه محقق وعالم مدقق، ولد سنة ٥٣١هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ، تتلمذ عند أخيه أبي المكارم.

من مؤلفاته: التجريد لفقه الغنية عن الحجج والأدلة، جواب المسائل البغدادية، تبيين الحجة في كون إجماع الإمامية حجة، جواب المسائل القاهرة.

ترجمه: أمل الآمل: ج٢ ص١٦٢، أعيان الشيعة: ج٨ ص٦٢، معجم رجال الحديث: ج١١ ص٢٨٣ رقم ٧٠٢٥، معجم المؤلفين: ج٦ ص٨٨، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٦ ص١٦٢، ثقات العيون في سادس القرون: ص١٦٥، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ص٩٢.

٣- السيد محي الدين أبو حامد محمد بن عبدالله بن علي بن زهرة وهو ابن أخ أبي المكارم، ولد بعد سنة ٥٦٤هـ وتوفي في حدود سنة ٦٣٨هـ. من مؤلفاته: كتاب الأربعين.

ترجمه: أمل الآمل: ج٢ ص٢٧٣، رياض العلماء: ج٥ ص١١٤، أعيان الشيعة: ج٩ ص٣٨٨، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٧ ص٢٢٨، الثقات العيون في سادس القرون للطهراني: ص١٥، مصفى المقال للطهراني: ص٤٠٨، الأنوار الساطعة في المائة السابعة للطهراني: ص١٦٠.

٤- أبو علي الحسيني الحسن بن الحسن بن زهرة، وهو من أبناء عم أبي المكارم حمزة بن علي، عالم وفقيه وأديب وكاتب، تولى نقابة الطالبيين في حلب، توفي سنة ٦٢٠هـ.

ترجمه: تاج العروس: ج٣ ص٢٤٩، أعيان الشيعة: ج٥ ص٧٣، البداية والنهاية: ج١٣ ص١٢١، الأنوار الساطعة في المائة السابعة للطهراني: ص٣٨.

والحلبيان[١]، ومن أين جاء الشيخ البهائي[٢] ووالده[٣]،

وإضافة إلى هؤلاء الأربعة السيد بدر الدين محمد بن إبراهيم بن زهرة والحسن بن محمد بن إبراهيم بن زهرة المتوفى سنة ٧٢٢هـ ومحمد بن الحسن بن علي بن زهرة المتوفى سنة ٧٣٩هـ وجمال الدين بن زهرة وشرف الدين بن زهرة وعلي بن حمزة بن زهرة وأبو الحسن علي بن محمد بن زهرة وأحمد بن محمد بن زهرة ومحمد بن علي بن زهرة. راجع: أمل الآمل: ج٢ ص٢٠٠ وص٢٣٣ وص٢٧٢، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ص١٦٢.

(١) بصيغة التثنية، وهما: أ- الشيخ تقي بن نجم المشهور أبو صلاح الحلبي، عالم وفقيه وكان معاصراً للشيخ الطوسي، ولد سنة ٣٧٤هـ (٩٨٤م) وتوفي سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م)، من مؤلفاته: البداية، تقريب المعارف، البرهان في ثبوت الايمان، العمدة، الكافي. ب - والشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي الحلبي ترجمه: أمل الآمل: ج٢ ص٢٥٩.

(٢) الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي العاملي، المشهور بالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي، ولد في بعلبك اللبنانية في شهر ذي الحجة من سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٧م) وتوفي في أصفهان في شهر شوال من سنة ١٠٣٠هـ (١٦٢١م) ودفن في مشهد الإمام الرضا ﷺ، عالم وشاعر ومفكر وفقيه وسياسي وفيلسوف ورياضي وفلكي. انتقل مع والده إلى إيران إثر مقتل الشهيد الثاني سنة ٩٦٥هـ، تتلمذ عند عبد الله بن حسين اليزدي والسيد الداماد والفيض الكاشاني والشيخ جواد الكاظمي، وقد كتب في الرياضيات والفلك وغيرها، وأضحت كتبه مرجعاً للعلماء والمحققين. وبلغت السبعين كتاب ورسالة، منها: خلاصة الحساب، كشكول البهائي، مشرق الشمسين، أكسير السعادتين، الحبل المتين في أحكام الدين، الوجيزة، زبدة الأصول، الفوائد الصمدية، تهذيب البيان، رسالة الهلالية، تشريح الأفلاك، توضيح المقاصد، مفتاح الفلاح، شرح الأربعين حديثاً، أسرار البلاغة، رسالة الجوهر الفرد، المخلاة، العروة الوثقى في تفسير القرآن، بحر الحساب، شرح الصحيفة السجادية.

ترجمه: الكنى والألقاب: ج٢ ص١٠٠، الموسوعة الإسلامية للسيد حسن الأمين: ج٥ ص٨٢، روضات الجنات: ج٧ ص٥٦، خلاصة الأثر: ج٣ ص٤٤٠، أمل الآمل: ج١ ص١٥٥، أعيان الشيعة: ج٩ ص٢٣٤، مستدركات أعيان الشيعة: ج١ ص١٥٠، الأعلام للزركلي: ج٦ ص٢٣٤، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٢ ص١٠٠١، الغدير: ج١١ ص٢٤٤-٢٨٤ دار الكتب الإسلامية: طهران ١٣٦٦هـ. ش

(٣) الشيخ عز الدين حسين بن عبدالصمد بن محمد الحارثي العاملي. عالم جليل وفقيه لامع ومحقق مدقق، تصدى لمشيخة الإسلام في عهد طهماسب الصفوي، وكان يرى وجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة، ولد في ١ محرم سنة ٩١٨هـ وتوفي في البحرين في ٨ ربيع

والمحقق الكركي[1]، ومن أين جاء العلاّمة الحلّي ووالده[2]،

الأول سنة ٩٨٤ هـ.
من مؤلفاته: الأربعين حديثاً، رسالة في الردّ على أهل الوسواس، حاشية الإرشاد، ديوان شعري.
ترجمه: الكنى والألقاب: ج٢ ص١٠٢.

(١) الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد العالي الميسي الكركي العاملي، المشهور بالمحقق الكركي أو المحقق الثاني، فقيه وأصولي متبحّر، ولد في بعلبك سنة ٨٦٨هـ وهاجر إلى مصر لدراسة المذاهب الأربعة ثم قصد النجف الأشرف للدراسة ثم هاجر إلى إيران في عهد السلطان إسماعيل الصفوي الذي ولاه منصب شيخ الإسلام، أسس في مدينة قزوين ومدينة أصفهان حوزة علمية، تتلمذ عنده الشيخ جمال الدين درويش محمد ابن حسن العاملي والشيخ أحمد بن أبي جامع والشيخ نعمة الله والشيخ عبد النبي الجزائري والشيخ حسن والد العلامة المجلسي والسيد شرف الدين الأسترابادي وعلي بن عبد العالي الميسي وولده ابراهيم. توفي مسموماً في النجف الأشرف في ذي الحجة سنة ٩٣٨هـ وقيل كما عن صاحب المستدرك سنة ٩٤٠هـ.
من مؤلفاته: جامع المقاصد في شرح القواعد للعلامة الحلي، حواشي الشرائع، حواشي النافع، حواشي المختلف، رسالة الجمعة، رسالة السجود على التربة الحسينية، رسالة أحكام السلام والتحية، نفحات اللاهوت في الجبت والطاغوت، رسالة في المنع عن تقليد الميت، رسالة في العدالة.
ترجمه: الكنى والالقاب: ج٣ ص١٦١، روضات الجنات: ج٤ ص٣٦٠، سفينة البحار: ج٦ ص٤٢٥، أعيان الشيعة: ج٨ ص٢٠٨، الذريعة: ج٥ ص٧٢، الأعلام للزركلي: ج٥ ص٩١، معجم المؤلفين: ج٧ ص٧٤، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١٠ ص١٦٣، مصفى المقال للطهراني: ص٢٧٧.

(٢) يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الأسدي: فقيه متميز، تتلمذ عند معمر بن هبة الله بن نافع الورّاق ومحمد بن جعفر بن هبة الله بن نما وابن طاووس، بقي إلى حدود سنة ٦٦٥هـ.
من مؤلفاته: إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، نهاية الإحكام في معرفة الأحكام، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، نهاية المرام في علم الكلام.
وذكر صاحب الأعيان: أنه أول من قسّم الحديث إلى أقسامه المشهورة، وقيل أخذ ذلك من أستاذه ابن طاووس.
ترجمه: أمل الآمل: ج ٢ص٣٥٠، رياض العلماء: ج٥ ص٣٩٥، تنقيح المقال: ج٣ ص٣٣٦، مستدركات أعيان الشيعة: ج١ ص٢٥٥، معجم رجال الحديث: ج٢١ ص١٨٤ رقم١٣٨٢٨،

والمحقّق الحلّي[1] وابن سعيد[2] وألوف من العلماء العرب الذين نرى ذكرهم في التواريخ الإسلامية وفي كتب الرجال؟.

ثمّ لنفرض جدلاً محالاً أنّه لم يكن للعرب عظماء فأيّ ربط بين هذا الأمر وعظمة الإسلام، فالإسلام عظيم بذاته ولا يخص كون علماء الإسلام من العرب أو غيرهم.

٤ـ يقولون: إذا أراد العالم الإسلامي النهوض فلابدّ له أن ينفصل عن الماضي لأنّه سبب تأخره.

موسوعة طبقات الفقهاء: ج٧ ص٢١٤، روضات الجنات: ج٨ ص٢٠٠، الانوار الساطعة في المائة السابعة للطهراني: ص٢٠٩.

(١) الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن الحلي، المشهور بالمحقق، ولد في الحلة سنة ٦٠٢هـ (١٢٠٥م) وتوفي سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) ودفن في الحلة، تتلمذ عند والده وابن نما والسيد فخار الموسوي ومحمد بن زهرة الحلبي وسالم بن وشاح. وتتلمذ عنده ابن أخيه العلامة الحلي وأخوه والسيد عبد الكريم ابن طاووس والخواجة نصير الدين الطوسي والشيخ صفي الدين الحلي وابن داود الحلي. من مؤلفاته: شرائع الإسلام، المختصر النافع في مختصر الشرائع، المعتبر في شرح المختصر، رسالة التياسر في القبلة، اللهنة في المنطق، نهج الوصول إلى معرفة الأصول، المسائل العربية، المسائل المصرية، المسلك في أصول الدين، المعارج في أصول الفقه.

ترجمه: روضات الجنات: ج٢ ص١٨٢، أمل الآمل: ج٢ ص٤٨، الكنى والألقاب: ج٢ص١٥٤، أعيان الشيعة: ج٤ ص٨٩، معجم رجال الحديث: ج٤ ص٦١، رياض العلماء: ج١ ص١٠٣، تنقيح المقال للمامقاني: ج١ ص٢١٤، منتهى المقال للمازندراني: ج٢ ص٢٣٧، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٧ ص٥٥، الأنوار الساطعة في المائة السابعة للطهراني: ص٣٠، كشكول البحراني: ج١ ص٣١٠، الأعلام للزركلي: ج٢ ص١١٧، سفينة البحار: ج١ ص٥٩٧.

(٢) يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي ابن عم المحقق الحلي. ولد سنة ٦٠١هـ وتوفي سنة ٦٨٩هـ وقيل سنة ٦٩٠هـ. وصفه العلامة الحلي بالزهد والورع. وقال آخرون أنه كان جامعاً لفنون العلوم الأدبية والفقهية والأصولية.

من مؤلفاته: الجامع للشرائع ـ وهو كتاب فقهي ـ، المدخل ـ وهو كتاب أصولي ـ. ترجمه: أعيان الشيعة: ج١٠ ص٢٨٧.

والجواب: إنّ ماضي المسلمين مفخرة ليس للمسلمين وحسب بل لغير المسلمين أيضاً؛ حيث جاء الإسلام بالعدل والمواساة والنظافة والنظام بل إنّ تأخّر المسلمين سببه هو انفصالهم عن ماضيهم الإسلامي، فلم يبق لهم سوى القومية الجاهلة الزائفة الغارقة في بحر التخلّف في كلّ أبعاد الحياة.

ونظرة واحدة لوضع البشرية قبل الإسلام وبعده تبيّن لنا الفارق الكبير في حياة الإنسان، فقد نقل الإسلام البشرية من حالة التخلّف والجاهلية إلى الحضارة، وقد كُتبت دراسات كثيرة في هذا المجال سواء من كتّاب غربيين أو إسلاميين.

يقول «جب» وهو أحد المستشرقين: «ليس في وسع العرب أن يتجرّدوا من ماضيهم الحافل وسيظلّ الإسلام أهمّ صفحة في هذا السجل الحافل، ومعنى ذلك أنّ الدعوة للانقطاع عن الجذور دعوة غريبة على المسلمين، فالحاضر هو امتداد للماضي، فإذا كان للمسلمين ثمة مفاخر ومآثر وعلوم وفنون وأخلاق، فهو حتماً إرثٌ جاءهم من الماضي العتيد».

٥ـ يقولون: إنّ الطريق الإسلامي مليء بالثغرات ويجب القضاء عليه حتّى تتجدّد حياة عصرية حضارية رفيعة.

والجواب: إذا كان القصد من الثغرات وجود بعض الحكام الظلمة وبعض الخلفاء الفجرة، وهذا أمرٌ يكاد يكون طبيعياً في تاريخ كلّ أمّة، فإن التاريخ الإسلامي يمتاز بأنّه يمتلك صفحات بيضاء أكثر من الصفحات السوداء، والدنيا ذات وجهين وجهٌ قاتم ووجه مشرق. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الدنيا: إن: (الدنيا دارٌ بالبلاء محفوفة وبالغدر موصوفة لا تدوم أحوالها ولا يسلم نزّالها) [1]، وقال عليه السلام: (الدنيا تغر وتضرّ

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٤٨، الخطبة ٢٢٦، إرشاد القلوب: ج١ ص٣٠ ب٤، شرح نهج البلاغة لابن

وثمر)[1].

وقال عليه السلام: (إنّ الدنيا تخلق الأبدان، وتجدّد الآمال، وتقرّب المنية، وتباعد الأمنية، كلما اطمأن صاحبها منها إلى سرور أشخصته منها إلى محذور)[2].

وقد وعدنا الله سبحانه ورسوله والأئمة الطاهرون عليهم السلام، بأنّه سوف يأتي على الدنيا النور المطلق والضياء العام حيث لا يكون هناك شرٌ إطلاقاً في زمان الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً[3].

٦ـ ويقولون: المهمّ جداً للعالم الإسلامي الأخذ بالمدنية الغربية بشكلٍ كلّي وليس بشكلٍ جزئي، وفي ذلك تكون الحرّية والسعادة والخير.

والجواب: كيف يُوخذ بالفكرة الغربية والحضارة الغربية على نحو الكلية والشمول وهؤلاء هم الغربيون الذين ملؤوا الدنيا ضجيجاً بأنّ حضارتهم ناقصة وواهية، كما لا يخفى على من يراجع الكتب المعنيّة بهذا الشأن.

٧ـ يقولون: إنّه لا يمكن للإسلام أن يعطي للعالم سوى النفحات الروحية فقط ولا ارتباط بين الإسلام والمادية التي تحتاجها البشرية.

والجواب: الأمر يبدو عكسياً، فالإسلام يعطي الإنسان الفكر المتكامل في مجاليّ الروح والمادّة، فهو دين روحي ومادّي؛ كما قال سبحانه: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي

أبي الحديد: ج١١ ص٢٥٧، بحار الأنوار: ج٧٠ ص٨٢ ب١٢٢ ح٤٥ ط بيروت.

(١) نهج البلاغة: ص٥٤٨ باب الحكم، الحكمة ٤١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠ ص٥١، روضة الواعظين: ج٢ ص٤٤١، غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٣٥ القسم الأول ب٦ الفصل الأول ح٢٣٤٧، مشكاة الأنوار: ص٢٦٨ ب٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٣٧ القسم الأول ب٦ الفصل الأول ح٢٣٩٥.

(٣) وقد فصل الإمام المؤلف قدس سره الحديث عن ذلك في موسوعة الفقه كتاب المستقبل.

الدّنيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النّارِ * أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمّا كَسَبُوا﴾ [١].

وقال الإمام عليه السلام: (واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً) [٢]. وقال عليه السلام: (ليس منّا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه) [٣].

٨ـ يقولون: إنّه لم يتنبه المسلمون للحياة بسبب الإسلام بينما كانت المسيحية سبب تأخّر الغربيين؛ ولذا لمّا تركوها وجعلوا المادّية رائدهم تقدّموا أشواطاً إلى الأمام، فتقدّموا في الصناعة والزراعة، ويقولون كذلك: إنّ الإسلام نسخة منقّحة من اليهودية والمسيحية. وقال بعضهم: إنّ الإسلام نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية.

والجواب: إنّه أثبت الكتّاب المسيحيون المحايدون قوّة الإسلام في القرآن الكريم وأنّه كتاب صحيح لا يمسُّه الخطأ ولا التحريف، بينما اتصفت بقيّة الكتب بالعجز والتخبط والتناقض، وبالتالي فالإسلام صورة صحيحة وكاملة تترابط أجزاؤه بمنطقية، بينما المسيحية واليهودية بكتابهما صورة مشوهة مشوّشة، ألم يقل شاعرهم:

إنّي وإن أكُ قد كفرت بدينهم ... لا أكفرت بمحكم الآيات [٤]

٩ـ يقولون: ليس القرآن وحياً من الله بل هو أساطير وكلمات جمعها محمد بن عبد الله، كما حكى القرآن الكريم على لسان الذين عاصروا

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٢٠٠-٢٠٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ ح٣٥٦٩، وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٦ ب٢٨ ح٢٢٠٢٦، مستدرك الوسائل: ج١ ص١٤٦ ب٢٥ ح٢٢٠، بحار الأنوار: ج٤٤ ص١٣٩ ب٢٢ ح٦، وفي كفاية الأثر: ص٢٢٧ ومجموعة ورام: ج٢ ص٢٣٤ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ ب٢ ح٣٥٦٨، وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٦ ب٢٨ ح٢٢٠٢٥.

(٤) من البحر الكامل.

الرسول من المشركين[1].

والجواب: إنّ القرآن وحي من عند الله ﷻ ومعجزة خالدة للرسول ﷺ كما كتبه علماء التفسير في كتب كثيرة متنوّعة، أمّا الكتب الأخرى؛ فقد عبث بها البشر، وكما نقل القرآن الحكيم ﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّا ممّا ذكّروا به﴾[2]، ونصوص هذه الكتب كالتوراة والإنجيل وأوستا ـ كتاب المجوس ـ تدلّ على الانحراف الغريب فيها وما يخالف العقل والفطرة، بل والتاريخ أيضاً؛ كما أثبت ذلك العلامة البلاغي في كتابه «الرحلة المدرّسية» وكتابه «الهدى إلى دين المصطفى» وكتابه «التوحيد والتثليث»، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة المؤلّفة في هذا المجال.

١٠ـ زعم البعض أنّ الإسلام مثل سائر الأديان قام بدور رجعي في حياة البشرية، إذ أصبح أداة في أيدي الطبقة المستغلّة من الرأسماليين لاستغلال جهود الطبقة العاملة روحياً، ونشأ الإسلام نتيجة لمجتمع طبقي بين العرب، وعندما جاءت الاشتراكية زال الإسلام من جذوره كما زالت بقيّة الأديان في الاتّحاد السوفيتي ـ السابق ـ، ولم يعد الإسلام إلاّ مجرّد أثر تاريخي كما يزعم الشيوعيون.

والجواب: إنّ الإسلام على عكس ما قيل عنه؛ فقد ذمّ المترفين وأصحاب رؤوس الأموال المستغلين، وناصر الفقراء والمساكين، وساوى بين الجميع،

---

(١) إشارة إلى الآيات التالية: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ سورة الفرقان الآية ٥، ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ سورة الأنعام الآية ٢٥، وسورة الأنفال الآية ٣١، وسورة المؤمنون الآية ٨٣، وسورة النمل الآية ٦٨، ﴿ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ سورة النحل الآية ٢٤، ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ سورة الأحقاف الآية ١٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٣.

فأصبح الحاكم ورعاياه أمام القانون على حدّ سواء، فالمجتمع الذي يبنيه الإسلام هو مجتمع المساواة بين الغني والفقير. فالإسلام يأخذ بيد الفقير ليجعله غنياً بينما الشيوعية ساوت بين الفقير والغني لكنها أخذت من يد الغني وجعلته فقيراً مساوياً في فقره الآخرين. من هنا فالمجتمع الإسلامي هو مجتمع الأغنياء بينما المجتمع الشيوعي هو مجتمع الفقراء، وقد انهارت الشيوعية قبل سنين وظلّ الإسلام صامداً شامخاً كالجبل.

١١ـ زعم البعض أنّ رسول الله ﷺ مبشّر ديني أخلاقي، ولا يرتبط بالدنيا وإنّما هو كبوذا وكنفوشيوس ومن أشبه ذلك من الرجال الروحانيين.

والجواب: إنّ الرسول ﷺ هو الذي نزل عليه القرآن الذي جمع بين الدنيا والآخرة؛ حيث قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]، وقد تقدّمت الإشارة إلى مثل ذلك في نقاط سابقة.

١٢ـ زعم البعض أنّ القرآن كتاب ديني فيه مجموعة من الأساطير الغابرة والقوانين المنحرفة، وأنّه كتبه بعض الكتّاب في زمان محمد، بينما كتبت أجزاؤه الأخرى في زمان متأخّر، وقد قام المسلمون بجمع هذا الكتاب، كجمعهم التوراة والتلمود، وبالتالي فهو ليس كتاباً سماوياً.

والجواب: إنّ القرآن معجزة إلهية؛ حيث أنه منزّه عن الباطل: قال ﷻ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[2]، نزّله الله وهو الحافظ له كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، وهذا ليس موجوداً في الكتب الأخرى

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ٢٠١-٢٠٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

إطلاقاً، ولهذا إذا ترجمت الكتب الأخرى إلى لغات أصحابها تنفّروا عن هذا الدين المزيّف وأقبلوا على المادية، وبذلك فصلوا أنفسهم عن الديكتاتورية والجهل والمرض والتخلّف وألف شيء وشيء من النقائص والنواقص.

١٣ـ قولهم: إنّ الإسلام دينٌ ملفّق من اليهودية والمسيحية والوطنية والقومية العربية وليس القرآن كتاباً منزلاً من قبل الله ﷻ.

والجواب: إنّ الإسلام رسالة إلهيّة وهي الصيغة الأخيرة التي أنزلتها السماء إلى الأرض؛ لتقود الناس إلى الحقّ والنور والسلامة والغنى والنظام والتقدّم كما أثبت القرآن الحكيم كلّ ذلك في آيات كثيرة، قال ﷻ في وصف القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

١٤ـ قال بعضهم: طالما أنّ الدين الإسلامي معادٍ للمسيحية فلا يمكن أن يكون فيه خير؛ لأنّ الخير كلّ الخير في المسيحية.

والجواب: إنّ الدين الإسلامي يوالي المسيح والمسيحية الصحيحة، والإسلام يعترف بالأديان السماوية السابقة، كما أنّه يؤيّد تلك الأديان في أوقاتها، وإنّما الإسلام يعارض الانحرافات التي أوجدها اليهود والمسيحيون في دينهم كما قال ﷻ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾[3].

١٥ـ يقولون: إنّ رسول الإسلام شخصية غامضة لا يعرف رغبته من عدمها ولا يعرف ارتفاعه من انخفاضه ولا يعرف رأفته من خصومته إلى غير ذلك من

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٣.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٧.

الأشياء الغامضة المحيطة به.

والجواب: إنّه على العكس من ذلك، فشخصية الرسول ﷺ شخصية ظاهرة الجوانب متصفّة بالأخلاق، وصفاته مذكورة في كلّ أبعادها، وقد سجّل لنا التاريخ جانباً كبيراً من تلك الصفات، وقد أشرت إلى بعض هذه الصفات الرفيعة والأخلاق الحميدة والأفعال الحسنة في كتابَيَّ «ولأوّل مرّة في تاريخ العالم»[1] و«باقة عطرة»[2].

١٦ـ قال بعض الغربيين: إنّ معلوماتنا تؤكّد أنّ الإسلام والقرآن ضدّنا، ومعلومات المسلمين إنّما هي معلومات محبّ لا يميز الحقّ من الباطل ولا يكون واقعياً في تقييمه للأشياء، ولذا فلا يمكن الاعتماد على معلومات المسلمين.

والجواب: إنّ المصادر الاستشراقية والصليبية وما أشبه ذلك هي التي شوهّت حقيقة الإسلام والقرآن ورسول الإسلام ﷺ وإلاّ فالإسلام كما وصفه المسلمون بكلّ دقّة، فهل يؤخذ دين أو مبدأ من غير أهله؟! وهل المعادي يصوّر الشيء المعادي له بصورة عقلية صحيحة؟! فإذا كانت كذلك قيل له فلماذا تعاديه؟ نعم لا إشكال أنّ بعض كتب التاريخ عند المسلمين وبعض أحاديثهم الموضوعة شوهّت بعض جوانب الإسلام واتخذها الأعداء وسيلة للنيل من الإسلام والقرآن والرسول ﷺ، أمّا المثقّفون من المسلمين فقد صوّروا الإسلام تصويراً صحيحاً وكذّبوا رواة السوء من فقهاء الخلفاء الذين

---

(١) ولأول مرة في تاريخ العالم يقع الكتاب في مجلدين من القطع الكبير طبع في الكويت سنة ١٤١٨هـ.

(٢) باقة عطرة في أحوال خاتم النبيين ﷺ، يقع في ٢١٤ صفحة من القطع الكبير وطبع في لبنان سنة ١٤١٥هـ.

أرادوا تشويه صورة الرسول ليبرروا أعمالهم؛ كما يشاهد ذلك في كتاب «ميزان الاعتدال» للذهبي وغيره، وقد أشرنا سابقاً إلى كتب الشيخ البلاغي في بيان هذه الحقيقة.

١٧ـ يقولون: إنّ اللهجات العامية في البلاد العربية وغير العربية تطغى على اللغة الفصحى؛ ممّا يدلّ على أن الإسلام هو الذي شوّه لغة العرب وإلاّ لكانت اللغة واحدة عند جميع المسلمين.

والجواب: إنّ اللهجات العامية ليس لها حدود كاللغة الفصحى، ولغة القرآن هي اللغة الفصحى، وهي التي حفظت اللغة العربية الصحيحة إلى اليوم وإلاّ فاللهجات العامية كانت قد أودت باللغة الفصحى منذ زمان.

١٨ـ تصوير الإسلام في صورة الدين الجامد الذي لا يصلح للتطوّر والتجديد ولا يصلح لاستيعاب معطيات العصر، فلذا تركه المسلمون إلى التطوّر والتجديد واتخذوا الغرب أسوة لهم في العلم والعمل.

والجواب: إنّ الدين الإسلامي دين متطوّر بحسب الزمان والمكان، فإنّ علماء المسلمين أخذوا يطبّقون كلّ زمان ومكان على كلّيات الإسلام، لأنّ الإسلام فيه كليات وفيه فروع، ومن الكليات مثلاً: «كلّ شيء لك حلال»[1]، و«كلّ شيء لك طاهر»[2]، و«دع ما يريبك إلى ما لا

---

(١) أصالة الحلّية: من القواعد الفقهية المصطيدة من الروايات، ومعناها كل شيء مشكوك الحلية والحرمة فهو حلال. ويدل عليها الرواية الشريفة: (كل ما كان فيه حلال وحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه) الكافي (فروع)؛ ج٦ ص٣٣٩ ح١، وسائل الشيعة: ج٢٥ ص١١٧ ب٦١ ح٣١٣٧٦، المحاسن: ج٢ ص٤٩٥ ب٧٧ ح٥٩٦. و(كل شيء يكون فيه حلال وحرام فهو لك حلال أبداً حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٦٥ ح٦.

(٢) أصالة الطهارة: من القواعد الفقهية المصطيدة من الروايات، ومعناها كل شيء مشكوك الطهارة والنجاسة فهو محكوم بالطهارة. ويدل عليها موثقة عمّار: (كل شيء نظيف حتى

يريبك»[1]، وبهذه القواعد الكلية أصبح الإسلام صالحاً للتطبيق في كلّ زمان ومكان.

وقد قمت بجمع جملة من هذه القواعد في كتاب مستقل ضمن موسوعة الفقه أسميته «القواعد الفقهية»، كما قارنت بين القانون الإسلامي والحقوق الإسلامية وقوانين وحقوق سائر المذاهب والأديان المعاصرة وغير المعاصرة في كتابين من كتب الفقه اسمهما «الفقه ـ القانون»[2] و«الفقه ـ الحقوق»[3]، وبمراجعتهما يعلم ما يمتلكه الإسلام من الصلاحية الكاملة للتطبيق في كلّ زمان ومكان، وكلّما ارتفع الإنسان في جانب من جوانب الحياة فإنّه سيجد أنّ الإسلام قد حقّق هذا الارتفاع في يوم من الأيّام سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو الحقوق أو القانون أو التربية.

١٩ـ إلصاق تهمة تأخر المسلمين حضارياً بالإسلام، وأنّ تأخّرهم إنّما هو بسبب اعتناقهم لهذا الدين، فإذا ما تخلوا عن الإسلام وابتعدوا عن أحكامه أصبحوا متحضّرين كما فعل المسيحيون ذلك؛ حيث تحضروا بسبب عدم اعتناقهم الإسلام.

تعلم أنه قذر فإذا علمت فقد قذر وما لم تعلم فليس عليك) تهذيب الأحكام: ج١ ص٢٨٥ ب١١ ح١١٩، وسائل الشيعة: ج٣ ص٤٦٧ ب٣٧ ح٤١٩٥. و(كل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٥٨٣ ب٢٠ ح٢٧٤٩٤.

(١) راجع غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٧١ القسم الأول ب١ الفصل الخامس ح١٠٤٠، كنز الفوائد: ج١ ص٣٥١، غوالي اللآلي: ج١ ص٣٩٤ ح٤٠ وج٣ ص٣٣٠ ح٢١٤، وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٦٧ ب١٢ ح٣٣٥٠٦ وص١٧٠ ب١٢ ح٣٣٥١٧، المعجم الكبير: ج٢٢ ص١٤٧ ح٣٩٩، مجموعة ورام: ج١ ص٥٢، متشابه القران: ج٢ ص١٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ص٣٧٤، إرشاد القلوب: ج١ ص١٢، بحار الأنوار: ج٢ ص٢٥٩ ب٣١ ح٧.

(٢) راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون طبع الكتاب في الكويت سنة ١٤١٧هـ.

(٣) راجع موسوعة الفقه: المجلد ١٠٠ طبع الكتاب في لبنان سنة ١٤١٠هـ.

والجواب: إنّ التقدّم الحضاري في الغرب جاء بعد رفض الدين المسيحي من قبل المسيحيين، أمّا التخلّف الحضاري في عالمنا الإسلامي فقد جاء نتيجة تخليّهم عن الإسلام، بدليل أنّهم يوم أخذوا بالإسلام تقدّموا ذلك التقدّم الكبير والمشهور حتّى أضحوا آباء العلم للغرب وغيره.

٢٠ـ الغربيون يشجعون المسلمين الذين يأخذون بالتغريب، ومن هنا كان تشجيعهم لمسلك تركيا العلماني، وقد قرأت في كتاب مترجم صادر من لبنان: أنّ الغرب أشاد بكمال أتاتورك في عشرة آلاف كتّاب، قالوا فيها أنّ أتاتورك أجدر من كلّ الإسلاميين في إدارة دفة الحياة والدولة.

والجواب: في الواقع، إنّ أتاتورك سبّب تأخّر تركيا إلى عشرات العقود بعد أن كانت تركيا إمبراطورية واسعة النطاق وكان الشعب التركي يمتلك أغلب الحريات، وقد لمست بعض هذه الحريات بنفسي في العراق بعد سقوط الحكم العثماني، وكما ذكرت ذلك في كتاب «بقايا حضارة الإسلام كما رأيت»[1]، وفي كتاب «حياتنا قبل نصف قرن»[2]، فبعد أن كانت تركيا دولة كبيرة أصبحت دولة صغيرة ليس فيها شيء من الحقوق السياسية والحقوق الثقافية، لقد تحوّلت تركيا بسبب العلمانية إلى مستعمرة خاضعة للولايات المتّحدة بعد أن كانت سيّدة على الكرة الأرضية.

---

(١) يقع الكتاب في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، وطبع في ايران سنة ١٤٠٥هـ وقد ترجم الى اللغة الفارسية.

(٢) يقع الكتاب في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط، وقد طبع في إيران سنة ١٤١٥هـ. ولايخفى أن مقصود الإمام المؤلف تَدُّرِّ هو الإشادة بجزء من الحريات في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية من حيث ما غرسه الدين الإسلامي الحنيف وما غرسه الأجداد والآباء في نفوس الأبناء والذي انعكس على السلوك والعادات والتقاليد، وهذا لايعني أنّ الحريات كانت قائمة على قدم وساق.

٢١ـ هناك زعم يقول أنّ العربي رجل جبان ضعيف لا يفكر إلاّ بالمرأة وقتل الأبرياء وسلب الحريات وانتهاك الأعراض، وأنّ العرب لا قابلية لهم في صنع الحضارة ولا قدرة لهم على الصراع بخلاف المسيحيين الذين حاربوا المسلمين لقرنين من الزمن حتى استطاعوا أن يحققوا أهدافهم.

والجواب: بالعكس ممّا ذكر، فالمسلمون اتّصفوا بالشجاعة والتقدّم والقوّة ونكران الذات حتّى أنّهم قدّموا أنفسهم شهداء في سبيل الله، والشيء العجيب الذي لم يحدث على طول التاريخ أنّهم وعلى قلّتهم فتحوا في سنواتٍ قلائل كلاً من مصر وسوريا والعراق وإيران، وبعد ذلك فتحوا تركيا والهند والسند ووصلوا إلى الصين وما أشبه ذلك، وكانوا يتّسمون بالتسامح والتعاون، وهم الذين نقلوا الأمم من حالة التخلّف إلى ركب الحضارة، وبسبب ترك بعض الحكام المسلمين قوانين الإسلام أدّى ذلك إلى تأخّرهم بعض الوقت، فلا ذنب للإسلام وإنما الذنب يتحمله المسلمون لتركهم الإسلام؛ كما دلّت على ذلك الحروب الصليبية وغيرها.

٢٢ـ يقولون: إنّ العقلية الإسلامية عقلية تقليدية وليست عقلية إبداعية، فالإسلام يمثل خطراً خاصاً بوجه الغرب، وإنّ العمل الإسلامي يتّسم بالبربرية.

والجواب: على عكس ما ذكر، فإنّ الحرّية الإسلامية متطوّرة ويعتمد عليها الإسلام، وليس هو خطراً على أحد، والعمل الإسلامي عمل أخلاقي يتّسم بالصّحة والواقعية والتسامح والعطف واللطف والرأفة، أمّا انحراف بعض الحكّام المسلمين عن الإسلام فليس ذلك من مسؤولية الإسلام، بل من مسؤوليتهم أنفسهم.

٢٣ـ يقولون: إنّ الإسلام دينٌ يختصّ بالشرقيين ويمثل تحدياً للحضارة العالمية ولا يرتبط بالغرب.

والجواب: قد تقدّم الحديث في أنّ الإسلام هو دينٌ عالمي وليس خاصاً بجماعة أو فئة من البشر، بل هو دين للبشرية جمعاء بمختلف ألوانهم وأقوامهم وقومياتهم وجغرافياتهم ومستوياتهم.

والإسلام هو دين الإنقاذ، إذ أنقذ البشرية من التخلّف وأحياها من الموت الحضاري، قال ﷻ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، وقد ذكرنا في بعض كتبنا جملة من هذه الخصوصيات[2].

٢٤ـ تشويه صورة الرسول ووصفه بما لا يليق به فقد أوغل الشيوعيون في تشويه صورة الرسول، إذ وصفوه بصفات غير لائقة إطلاقاً.

والجواب: إنّ الرسول ﷺ هو الإنسان المتكامل، أمّا الزيف والنفاق وأعمال الشيطان وما أشبه ذلك من الاتّهامات، فنقول عنها كما قال القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[3]، فالذين يقولون هذه الاتهامات إنّما يكرّرون أقوال السابقين الذين كانوا يقولون حين نزول القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾[4] وكانوا يقولون ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[5]، وكانوا يقولون ﴿كَاهِنٍ﴾[6] وما أشبه ذلك من الصفات التي كانت تليق بهم، فقد تقدّم الرسول ﷺ بشخصيته المشرقة على طول الخط وتأخّروا هم بصورتهم القبيحة على طول الخطّ، وأمامنا ما لحق بالاتّحاد السوفيتي السابق؛ إذ أنّه تحطّم رغم ممارساته الإرهابية ضدّ الشعب السوفيتي، فقد خرج الناس وألقوا بتماثيل لينين

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٢) راجع كتاب الصياغة الجديدة وكتاب السبيل إلى إنهاض المسلمين للامام المؤلف ﷺ.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤٣.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٥.

(٥) سورة القمر: الآية ٢٥.

(٦) سورة الحاقة: الآية ٤٢.

وماركس في المزابل، وادنوا ستالين وسلطته الاستبدادية بعد موته، والذين قاموا بهذه الأعمال هم الذين هتفوا في السابق للشيوعية، وصفّقوا للجيش الأحمر، واعتبروا الاتّحاد السوفيتي القوّة العظمى الأولى.

٢٥ـ هناك من يزعم أنّ الإسلام دينٌ قد انتهى مفعوله وأنّه غير قابل للعودة مجدّداً، حيث كان اليهود ينشدون بعد هزيمة حزيران الأناشيد التي فيها تثبيط لمعنويات المسلمين[١].

والجواب: لم تكن ادّعاءات اليهود إلاّ تكراراً لأقوال المشركين في الجاهلية: «اعلُ هبل، اعلُ هبل»، وكانوا يقولون: «لنا العزى، ولا عزى لكم»، فأجابهم رسول الله ﷺ بقوله: (الله أعلى وأجل)، وبقوله: (الله مولانا ولا مولى لكم).

٢٦ـ قول بعضهم: إنّ الإسلام خليط من تصوف الفرس وحكمة الهند وفلسفة اليونان.

والجواب: أثبت الإسلام أنّ أصوله وفروعه وقواعده كلّها صحيحة مائة بالمائة وليست مرتبطة بهذه الأمور التي ذكرها هذا القائل، نعم لا شكّ في أنّ الإسلام كسائر الأديان الإلهية كلّها مبنية على الحقّ وعلى الأدلّة العقلية، وأحياناً تتلاقى أجزاء من الإسلام بالتوراة والإنجيل كما قال ﷻ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢]، كما وأن الإسلام دين العقل والفطرة فكثيراً ما يتلاقى مع كبار

---

(١) مثلاً كانوا يهتفون مع وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت موشي دايان: هذا يوم بيوم خيبر. حطوا المشمش على التفاح دين محمد ولى وراح. محمد مات خلّف بنات.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

العقلاء والمفكرين، وإن لم يدينوا بدينٍ معين.

٢٧ـ يقولـون: إنّ الأديـان ومنهـا الإسـلام تعـدّ عقبـة تعتـرض الإصـلاح الاجتمـاعي والاقتـصادي، فهـذه الأديـان تأخـذ بالروحانيـات وتتخلّـى عـن الماديات، وتطلب من الناس أن يتركوا الدنيا، وما تقدّم الغرب إلاّ بعـدما أخـذ بتلابيب الدنيا. وعندما يصرف الإنسان طاقاته بين الماديـات والروحانيـات فإنّـه سيفقد الاثنين معاً فلا يكسب الدنيا ولا يحصل على الروحانيات.

والجواب: الإنسان تركيب ثنائي من الـروح والجسد، فـإذا لـم يعـط الـروح حقّها كانت حياته خبالاً وفساداً كما نلاحظ ذلـك فـي حيـاة الغـربيين، أمّـا أنّ الوقت يقسّم بين الماديات والروحانيات فلا بأس في ذلك، فلا ضير أن يصرف الإنسان نصف وقته في الماديات، وقد لاحظنا أنّ المسلمين الأوائل وعلى رغم أنّهم صرفوا أكثر وقتهم في الروحانيات ولم يصرفوا في المادّيات سوى الشيء القليل منها إلاّ أنّهم مع ذلك تقدّموا إلى الأمام كثيراً حتّى أصبحوا آبـاء للعلـم الحديث، ولولا المسلمون لكان ظلام الجاهلية يطبق على رؤوس البشرية إلـى يومنا هذا.

٢٨ـ ويقولون: إنّ بلاد الإسلام هي بلاد العجائب والغرائب، فهي بلاد ألف ليلة وليلة ورباعيات الخيّام والسندباد البحري، وفي هذه البلاد تجـد التعـصّب والعادات الغريبة كالتصوّف وما شابه ذلك.

والجواب: أمّا الأعاجيب المرتبطـة بـالمنحرفين كقـصص ألـف ليلـة وليلـة أو الأعمال الغريبة التي تـصدر مـن بعـض الـصوفيين المتطـرفين فليـست مـن الإسلام في شيء ولا يؤيّدها الإسلام إطلاقاً، ثم إنّ جميع بـلاد الـدنيا مـشتملة على مثل ذلك، بل إنّ انتشار المفاسد في الغرب أشدّ وأقوى إذ أباحـوا الـزواج مـن الجـنس المماثـل، وشـرّعوا بيـوت الـدعارة، وأبـاحوا المفاسـد الخُلقيـة

المتنوّعة، أمّا «رباعيات الخيّام»[1] ففيها من الحكمة بقدر ما فيها من المفاسد، فإذا أخطأ الشخص الذي وضع هذه الرباعيات فهذا لا يحمّل الأمّة الإسلامية ذلك الخطأ.

٢٩ـ زعموا أنّ العرب يبيحون تعدّد الزوجات حتّى أنّ بعضهم تزوّج بأكثر من ثلاثين زوجة وله ما لا يحصى من البنات والبنين. ويقولون عن خلفاء المسلمين بأنّهم منغمسون في الملذات والأهواء والشهوات.

والجواب: أولاً الشاذ لا يقاس على الكلّ، بالإضافة إلى أنّ ظاهرة تعدّد النساء قائمة في بلاد الغرب، فالخليلات غير الشرعيات والأولاد غير الشرعيين في تزايد مستمر في بلاد الغرب، وأنّ مفاسد حكّام الغرب كمفاسد حكّام المسلمين حتّى أولئك الذين يطلق عليهم لفظة الخليفة[2].

٣٠ـ وصفوا المسلمين بأنّهم شجعوا على ظاهرة النخاسة التي تكرّس حالة العبودية والطبقية في المجتمع البشري.

والجواب: النخاسة التي تعامل بها الإسلام ليست عبودية بل هي ظاهرة طبيعية، وقد نظر الإسلام إلى هذه الظاهرة نظرة إنسانية، وقد فصلّنا ذلك في كتاب «العتق»؛ هذا ما في بلاد الإسلام، أمّا الذي في بلاد الغرب؛ فإنّ ظاهرة النخاسة تحوّلت إلى ظاهرة عميقة من العنصرية خصوصاً في الولايات المتّحدة، ويكفي للإنسان أن يطالع كتاب «تشريح جثة الاستعمار» ليتأكّد

---

(١) وهو كتاب شعري باللغة الفارسية، وترجم إلى عدّة لغات، منها العربية، وقد ترجمه وديع البستاني سنة ١٩٣٢م ومن بعده ترجمه آخرون. وهذه الرباعيات للرياضي والشاعر الفارسي عمر الخيام المولود سنة ١٠٣٨م، عاش في عهد السلاجقة ودرس عند ابن سينا وشارك في تطوير علم الجبر، توفي سنة ١١٣٢م. من مؤلفاته: المصادرات، مشكلات الحساب.

(٢) ولعل في قصّة مونيكا وما آلت إليه العلاقة غير المشروعة بين الرئيس الأمريكي والموظّفة المتدرّبة في البيت الأبيض خير دليل على تفشي ظاهرة الفساد في بلاد الغرب.

بنفسه من وجود هذه الظاهرة الاستعمارية، نعم لاشك أن بعض المسلمين أساؤوا كثيراً استعمال هذه الظاهرة، لكن البعض لا يقاس على الكل.

٣١ـ ويقولون بأنّ الرسول الأكرم ﷺ لم ينوِ طرح الإسلام بشكل عالمي، ولم يكن يريد لدينه الانتشار خارج نطاق العرب، فكان يرى أنّ من الواجب عليه أنّ يمهّد لأبناء الأمّة أسباب الإيمان بدينه؛ كما يقول القرآن في ذلك: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1].

والجواب: إنّ الإسلام ومنذ بدايته كان ديناً عالمياً، وقد دعا الرسول الأكرم ﷺ إلى مثل هذا الدين؛ حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[3]، وما أشبه ذلك من الآيات.

أمّا تفسير قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[4]، فهو يعني أنّ هذا الدين تسبّب في انتشار ذكرهم في العالم؛ لأنّ القوم إذا أخذوا بهذا الدين فإنّهم سيصيبون ويكون لهم ذكراً محموداً.

٣٢ـ وزعم بعضهم أنّ الإسلام دينٌ معقّد جداً لا يناسب الجميع كما يُرى ذلك في كتب الفلسفة والحكمة وما شابه.

والجواب: إنّ الأمر معكوس، فالإسلام دين اليسر والواقعية، ولذا كلّ شيء في الإسلام يقوم على قاعدة اليسر سواء كان ذلك في العقيدة أو الأخلاق أو الأعمال العبادية أو المعاملات.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

أمّا الدين المعقّد؛ فهو المسيحية القائلة بالثالوث الذي لا يستطيع أحد إدراك معناه حتى كبار الفلاسفة. كذلك اليهودية في غاية التعقيد، سواء في عقائدها أو معاملاتها أو عباداتها، كما لا يخفى على من راجع قوانينها فإنه سيحسّ بهذا التعقيد.

٣٣ـ زعم البعض أنّ الإسلام هو دين التكالب على الدنيا في قِبال المسيحية. وقد نشأ من هذه النظرة نزوع المسلمين للاستيلاء على أموال الناس ومصادرة ممتلكاتهم.

والجواب: الإسلام هو دين ودنيا، وهو يجمع بين الدنيا والآخرة، وقد صرّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة قائلاً: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (1)، حيث جعل الدنيا في طريق الآخرة، فنصيبه من الدنيا نصيب صغير، على عكس عقيدة الغرب في الدنيا؛ حيث جعلوا الدنيا كلّ همهم، كما لاحظنا ذلك في القرنين الأخيرين، إذ تجلّت هذه العقيدة في ظاهرة الاستعمار، ثمّ ظاهرة الرأسمالية.

٣٤ـ ويقولون: إنّ الإسلام بطبيعته دينٌ قاسٍ وعنيف وغير متسامح في جوهره بخلاف المسيحية التي هي دين الرحمة، والدليل على ذلك الفتوحات الإسلامية التي فُتحت عنوةً بالسيف وبإراقة الدماء.

والجواب: الإسلام دين الرحمة وليس دين القسوة، وكان شعار المسلم قول رسول الله ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(2)، وقول الرسول ﷺ أيضاً: (الراحمون هم

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٢) غوالي اللآلي: ج١ ص٣٦١ ح٤٢، مستدرك الوسائل: ج٩ ص٥٦ ب١٠٧ ح١٠١٨٧ وج١٢ ص٢٨٥ ب١٩ ح١٤٣٦١ وقريب منه في بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٦٩ ب٧ ح٤ ط بيروت

المرحومون) [١]، وقوله ﷺ (ارحم ترحم) [٢]، وكان الغربيون يسمون المسلمين العرب الرحماء، ولو كان الإسلام عنيفاً لما استطاع أن يبني حضارة متميزة ولما استمر مئات السنوات رغم الهجمة الشرسة التي يتعرض لها، ولما بلغ المسلمون ملياري شخص في العالم. أمّا المسيحية واليهودية فنراهما على أشدّ قسوة حتّى أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك قائلاً: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [٣]، وهذه القسوة التي نشاهدها في الغرب [٤]، وتلك المظالم التي شاهدناها في المستعمرين والصربيين هي الدليل على ذلك.

---

(١) ورد عن هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: (في الإنجيل طوبى للمتراحمين أولئك هم المرحومون يوم القيامة . إلى أن قال . طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة). تحف العقول: ص٣٩٢، مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٩ ب٢٨ ح١٣٠٨٨.

(٢) للمزيد راجع الإقبال: ص٥٠٦، وفي الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢٠٩ المجلس السابع والثلاثون ح٩، مجموعة ورام: ج٢ ص١٦٤، روضة الواعظين: ج٢ ص٢٧٠، أعلام الدين: ص١٨٧ عن علي عليه السلام.

(٣) سورة البقرة: الآية ٧٤.

(٤) حيث أنهم سببوا الحروب في العالم، ودليل ذلك: أ – الحرب التي شنت قبل خمسة قرون ضد هنود أمريكا، والتي ذهب ضحيتها قرابة ستين مليون شخص من أصل ثمانين مليون. ب – الحرب ضد الزنوج في إفريقيا والتي ذهب ضحيتها بين مائة مليون ومائتين مليون على اعتبار أن النخاسين كانوا يحصلون على عبد واحد مقابل عشرة قتلى في معركة الأسر. جـ – الحربان العالميتان الأولى والثانية، فالأولى التي ذهب ضحيتها تسعة ملايين عسكري وعشرة ملايين مدني، والثانية التي ذهب ضحيتها قرابة خمسين مليون بما فيهم عشرين مليون سوفيتي و٥ مليون ألماني كما ذكر ذلك في المنجد في الأعلام: ص٢١٦.

أن هذه القسوة في احتلال دول العالم الثالث والشعوب الإسلامية والنهب المبرمج لثروات المسلمين، واحتكار الغرب لموارد العالم الثالث الطبيعية وتكلف هذه الشعوب من الخسائر البشرية كل يومين ما يعادل خسائر هيروشيما جراء سوء التغذية والفاقة والمرض والمجاعة إلاّ حقائق جلية تثبت ما يقوله المؤلف دام ظله. وكذلك هذا الإنتاج الهائل من الأفلام والمسلسلات وبرامج الكارتون العنيفة للأطفال ما هو إلاّ نتاج من عقلية صهيونية ومسيحية داعية إلى العنف.

٣٥ـ ويقولون: إنّ الإسلام يستهين بالمرأة، ويعطي للرجل حقّ السلطة عليها، بينما كلاهما بشر ويجب أن يتساويا في الإنسانية.

والجواب: لم يحترم المرأة أحد كالإسلام، فلا الفرس ولا الروم ولا العرب قبل الإسلام احترموا المرأة كما احترمها الإسلام، إذ كانت المرأة مهانة، تدفن وهي حية، وتورث كما تورث البضاعة، وعندما جاء الإسلام رفع شأنها ووضعها في مصافّ الرجل، فساوى بينها وبين الرجل في التكليف والأجر، وساوى بينهما أمام القانون، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)[1]، وهذا خلاف ما حصل معها في مرحلة الحضارة الغربية؛ حيث تحوّلت إلى سلعة أو إلى جارية، تستدرّ شهوة الرجال، وأدخلوها في الأعمال الخشنة التي لا تنسجم مع أنوثتها، وفي أحسن الحالات تحوّلت إلى وسيلة للدعاية التجارية، وكانت حصيلة هذه المعاملة السيّئة أن يتحوّل قطاع كبير من النساء إلى مجتمع من العوانس، وأن تكون مهدّدة دائماً بالطلاق، ولقد جئنا على ذكر هذه القضايا في كتبنا الأخرى، فمن أراد المزيد فليراجع تلك الكتب[2].

(١) راجع نهج البلاغة: ص٤٠٥ الكتاب ٣١، من وصيته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام، الكافي (فروع): ج٥ ص٥١٠ ح٣، وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٨ ب٨٧ ح٢٥٣٢٧، مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٥١ ب٦٧ ح١٦٦٢٣، غوالي اللآلي: ج٣ ص٣١١ ح١٣٩، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٠٨ القسم السادس ب١ الفصل الأول ح٩٢٨٠.

(٢) ومن تلك الكتب الغرب يتغيّر، ولا بأس هنا من الإشارة إلى ثوابت سياسة الاعلام الغربي: ١- لا يتطرق إلى العلاقات الاستعمارية ومصالح الدول الغربية. ٢- لا يتحدث عن تاريخ الإسلام المشرق. ٣- لا يسمح للآراء الحرة والمستقلة أن تبث عبر شبكاته وقضية قناة المنار خير شاهد على ذلك. ٤- استخدام التشويش الالكتروني على الخصوم أو بثّ ما يسترعي انتباه الشباب كالأغاني في أوقات بث بعض القنوات الأخرى البرامج التوعوية لتحويل أنظار الشباب عن البرامج التوعوية بأسلوب لا يسترعي الريبة.

الاستعمار والحرب النفسية

وفي نهاية هذه الإشكالات والدعايات المضلّلة، يجب القول أنّ هذه الدعايات هي كذب وافتراء إمّا من صنع الغرب الاستعماري، أو من المنحرفين من المسلمين حكاماً أو بعض محكومين، وهي جزء من الحرب النفسية التي يشنها الغرب الاستعماري ضدّ الإسلام والمسلمين.

وقد استطاع الإسلام أن يتجاوز كلّ هذا الركام بقليل من الدعايات، لأنّه دين الفطرة: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا﴾ [1] ودين المنطق والعقل والعاطفة والعرف والإنسانية، وقد ذكر صاحب كتاب «الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق» هذه الجملة قائلاً: «وإذا رجع البشر إلى الكتابات المنصفة لوجدوا جوانب الحياة في الإسلام وجوانب الضعف في الديانات الأخرى، فهذا هو موريس بوكاي الطبيب الفرنسي المشهور الذي اهتمّ بالدراسات العلمية ومن قبلها بالكتب المقدّسة، قد نشر دراسة بالفرنسية عن القرآن والتوراة والإنجيل، وقام بدراسة الكتب المقدّسة على ضوء المعارف الحديثة، وصدر الكتاب عام ١٩٧٨م في طبعة إنجليزية وطبعة صربكرواتية وطبعة أندلسية، وبعد ذلك صدرت طبعة عربية، وتوصل الكاتب إلى عدّة نتائج، أهمّها:

أولاً: إنّ العهد القديم يتكون من مجموعة من المؤلّفات الأدبية أنتجت على مدى تسعة قرون تقريباً، وهو يشكل مجموعة متنافرة من النصوص عَدلَ البشر عنها على مرّ السنين، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى، مما يجعل التعرّف على مصادر هذه النصوص عسيراً جداً في بعض الأحيان.

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

ثانياً: كان هدف الأناجيل هو تعريف البشر عبر سرد أفعال وأقوال المسيح في التعاليم التي أراد تركها عند اكتمال رسالته على الأرض، والسبب هو أنّ الأناجيل لم تكتب بأقلام الذين شاهدوا الأمور التي أخبروا عنها، إنّها ببساطة كتعبير المتحدثين باسم الطوائف اليهودية المسيحية المختلفة عمّا احتفظت به هذه الطوائف من معلومات عن حياة المسيح العامّة، وذلك في شكل أقوال متوارثة شفهية أو مكتوبة اختفت اليوم بعد أن احتلت دوراً وسطاً بين التراث الشفهي في النصوص النهائية.

ثالثاً: إنّ التناقضات والأمور غير المعقولة والتعارضات مع معطيات العلم الحديث، تتّضح في الأناجيل، فهناك تناقض في نسب السيد المسيح في الإنجيل، وهذا الشيء مرفوض تأريخياً ومنطقياً وعلمياً، ولقد لفت إنجيل يوحنّا الانتباه بوجه خاصّ في اختلافاته العامّة جداً عن الأناجيل الأخرى.

رابعاً: هناك تاريخ لتنزيل القرآن يختلف تماماً عن تاريخ العهد القديم والأناجيل، فتنزيله يمتدّ على مدى عشرين عاماً تقريباً، وبمجرّد تنزّل جبرائيل بالوحي على النبي كان المؤمنون يحفظونه عن ظهر قلب، وكُتبت الآيات في حياة الرسول، وإنّ جمع المصاحف الذي تمّ في عهد عثمان حدث بمراجعة أولئك الحفظة الذين حفظوا القرآن الكريم. فالنصّ القرآني قد بقي محفوظاً بشكل دقيق وبالتالي فصحّة القرآن مؤكّدة، أمّا التوراة والأناجيل فصحتها مشكوك فيها بشدّة.

خامساً: يخلو القرآن الكريم من أيّ تناقض في الرواية، أمّا الإنجيل فليس إنجيلاً واحداً بل أناجيل بروايات مختلفة وقد تكون متناقضة، كما أنّ القرآن الكريم يتّصف بالتوافق التامّ مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك، وكما أثبتنا، يكتشف القارئ مقولات ذات طابع علمي من المستحيل التصوّر أنّ

إنساناً في عصر محمّد، يتمكن من تأليفه، وعلى هذا؛ فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتّى الآن.

سادساً: إنّ المقارنة بين روايات التوراة وروايات الموضوع نفسه في القرآن تضع أمامنا الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً والمعطيات الحديثة، ومن الأدلّة على ذلك رواية الخلق والطوفان، كما أنّ البحث العلمي أثبت كذب الادّعاء القائل بأنّ هناك أجزاءً من القرآن نقلت من التوراة.

سابعاً: القرآن الكريم كتابٌ منزل من قبل الله، وصحّته أمرٌ لا يمكن الشكّ فيه، وإنّ احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو وكأنّها تتحدّى أيّ تفسير وضعي.

ثامناً: أثبتت هذه الدراسة الموضوعية أنّ الدين الإسلامي دينٌ لا ريب فيه وأنّ القرآن هو كتاب الله وأنّ الأدلّة العلمية تثبت صحة ذلك، بينما نجد أنّ صحّة التوراة والأناجيل أمرٌ مشكوك فيه، ورغم ذلك لازالت صورة الإسلام مشوّهة في العالم». إلى آخر ما ذكر هذا المؤلّف الفرنسي المسيحي.

أقول: ولا يخفى أنّا قد أثبتنا في بعض كتبنا حول القرآن الكريم أنّه قد جُمع كاملاً في عهد رسول الله ﷺ وأنّ الرسول بنفسه قام بجمعه وترتيبه[1]، وليست ثمة قيمة لمن يقول بجمع عثمان أو غيره. وهذا ما ذهب إليه المحقّقون من المسلمين وغيرهم، كما فصّل ذلك الشيخ البلاغي[2] في كتابه القيم «آلاء

---

(١) راجع كتاب متى جمع القرآن وكتاب الفقه ـ القرآن الكريم، وكتاب ولأول مرة في تاريخ العالم: ج٢ ص٢٤٤-٢٤٩ حيث ذكر المؤلف ﷺ الأدلة على ذلك من الروايات والصحابة الأوائل والمؤيدات الأخرى التي تقرب العشرة.

(٢) الشيخ محمد جواد بن حسن البلاغي، ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)،

الرحمن» ممّا لا تخفى صحّته على المراجع[1].

أمّا قول هذا العالم الفرنسي: «إنّ الصورة مشوّهة» صحيح مائة بالمائة؛ فإنّ المصالح الصليبية والصهيونية والشيوعية سبّبت هذا التشويه ولم يقم المسلمون بردّ الاعتداء، نسأل الله ﷻ أن يقيّض لهذا العمل الأثرياء والمفكّرين من المسلمين لأن يلتقيا على طريق الدفاع عن الإسلام، الأوّل بإعطاء المال والثاني بالفكر، وما ذلك على الله بعزيز.

ويضيف المؤلّف آنف الذكر: «فوسائل الإعلام الغربية تصوِّر العرب والمسلمين على أنّهم أناسٌ متوحّشون وجبناء ومنحطون، فيقدمون البدوي على شكل غير واقعي، وأنّهم متعطشون للدماء وللجنس، ويتحدّثون عن شيوخ النفط الذين يمتلكون الجمال وسيّارات الكاديلاك وإلى جانبهم شقراوات أمريكيات، وفي إحدى المسلسلات الأمريكية يظهر أحد العرب المسلمين على صورة مشوّهة، لقد اشترى خمس طائرات نفاثة، أربع طائرات بيضاء بعدد زوجاته، وجعلها ملكاً لهنّ، أمّا الخامسة فزرقاء وهي ملك لأخيه، وسرعان ما يقدم الأخ على قتل أخيه طمعاً في ماله وزوجاته. وفي إحدى

عالم وأديب وشاعر، اهتم بنشر الشعائر الحسينية وقاوم التحريف والبدع التي تجلّت في زمانه في البهائية، تتلمذ عند الشيخ محمد طه نجف والشيخ محمد رضا الهمداني والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد الهندي والشيخ محمد تقي الشيرازي، شارك في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني للعراق، توفي بمرض ذات الجنب في الثاني من شعبان سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣/١٢/٩م).

من مؤلفاته: آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الهدى إلى دين المصطفى، الرحلة المدرسية، التوحيد والتثليث، المسيح والأنجيل، داروين وأصحابه، نور الهدى، الردّ على الوهابية، أعاجيب وأكاذيب، العقود المفصلة في حل المسائل المشكلة وتضم ١٤ رسالة.

ترجمه: نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ج١ ص٣٢٣-٣٢٦.

(١) راجع كتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن: ج١ ص١٧ لمحمد جواد البلاغي.

الأفلام أظهروا الإنسان العربي إنساناً متوحّشاً يهدّد الحضارة الغربية، ويهدد البشرية بالقتل والدمار. وقد استنتج المعهد الأمريكي للإعلام السياسي في دراسة له، أنّ معلقاً واحداً من أصل ثمانية عشر معلقاً يكتبون من واشنطن أعطى صورة واضحة عن أهداف العرب ومشاكلهم، وقد جاء في كتاب مدرسي يدرس في المرحلة الابتدائية في الولايات المتّحدة عام ١٩٧٠م أنّ الذباب ينتشر في كلّ مكان تزوره من الشرق الأوسط. والعرب ـ أي هؤلاء المسلمون الذين يتكلّمون اللغة العربية ـ يتمسّكون بمشاعر قويّة لجنسهم ويرغبون في إبقاء الشرق الأوسط منطقة عربية، الأمر الذي أدّى إلى قيام المشاكل. وهكذا نجد أنّ العلم يشوّه تحت شعار ما يسمى بالموضوعية، وذلك للنيل من الصورة النمطية العربية الإسلامية»، انتهى كلام المؤلّف آنف الذكر.

أقول: عندما كنت في العراق جاء عدد من المصوّرين الألمان، وقاموا بتصوير بعض مواقع مدينة كربلاء المقدسة، وقد نقل لي البعض، أنّهم صوّروا سوق الصفّارين ومحل بيع الكلى والأكباد المطبوخة على الجمر وصوّروا أماكن النفايات خارج المدينة، وفيه رتل من الذباب، وصوّروا بعض الشوارع الضيّقة المملوءة بالوحل؛ لأنّ الفصل كان شتاءً ممطراً، ثم بعد فترة من الزمن تمّ نشر تلك الصور في التلفاز الألماني، ونقل لي بعض الطلاب الذين كانوا يدرسون في ألمانيا أنّ علامات الاشمئزاز بدت واضحة على وجوه الألمان وهم ينظرون إلى هذا الفلم الوثائقي، وقد برز أحد المتفرجّين ليقول: «إذا كان هذا هو حال مدينتهم المقدّسة، فما حال بقيّة مدنهم غير المقدّسة، وما حال قراهم وأريافهم؟»، وكان من الواجب على المصوّرين أن يعرضوا المعالم الاقتصادية الحيوية والآثار التاريخية والإنشاءات العلمية والحضارية لهذه المدينة، لكن

الهدف كان هو تشوية سمعة هذه المدينة المقدّسة. ثم إنّ الذين قصدوا من هذه الصور تشويه هذه المدينة المقدّسة نسوا أنّ بلادهم تحفل بصور أكثر تشوّهاً وأشدّ فظاعة كصور بيوت الدعارة وصور الأزواج الشاذين وهي تملأ الحدائق وحتّى الشوارع الألمانية وصور الجماعات النازية وهي تسطو على بيوت الناس الآمنين فيقتلون ثم ينهبون وبعد ذلك يحرقون بيوت الأبرياء، وهذه صور تكاد تكون عادية جداً في الدول الغربية.

ثم يضيف المؤلف قائلاً: والسؤال الآن: ما هي أسباب تحامل الغرب على العرب وعلى الإسلام؟.

والجواب: تعود الأسباب إلى عدّة عوامل، من أبرزها الحروب الصليبية التي بدأت في مطلع القرن الحادي عشر الهجري، بالإضافة إلى تدهور الأحوال، والخضوع للاستعمار الغربي ممّا جعله ينظر إلى العرب والمسلمين بشكل مهين، وكان من مصلحة أرباب هذه الحروب أن يظهروا المسلمين بمظهر مشوه حتّى يستطيعوا أن يعبئوا الأوربيين ضدّهم، كما كان لتدفق الطاقة البترولية أثرٌ كبير في إطلاق الدعايات، لأنّ البترول ساهم مساهمة كبيرة في تركيز الانتباه على العالم الإسلامي والذي يشمل العالم العربي.

وعلى سبيل المثال: تحدّثت الصنداي تايمز في ١٩٧٦/٧/٢٥م عن قوافل السيّارات من طراز رولز رايز خارج مخازن هارولدز، وعلّقت تحت الصورة أنّ هذه السيارات تنتظر أولئك الذين كانوا بالأمس يركبون الجمال في بلدانهم، كنايةً عن عدد من الحجازيين الذين جاؤوا إلى بريطانيا للتسوق من محلاّت هارولدز.

كما وتتّهم الصحافة البريطانية العرب بكثرة النوم على الأبواب وإساءة استخدام المرافق العامّة والتجوّل غير المجدي في المحلاّت التجارية،

والإزعاج الكبير برفع صوت التلفاز ثمّ إنّهم يربطون كلّ هذا السلوك الشاذ بأسعار النفط.

ونحن نضيف: هل هناك علاقة للبترول ببناء المساجد في الدول البترولية؟!. وما ذلك إلاّ محاولة للنيل من الإسلام، وإذا ما رجعنا إلى كتابات الخبراء عن البترول فإنّنا نجد من يقول في مقابل كلّ دولار يحصل عليه العرب من أسعار النفط فإنّ الشركات الأجنبية ستحصل على خمسة دولارات نتيجة أعمال التسويق والنقل والتكرير والتصنيع، كما وأن العوائد التي تصل إلى العرب تعود في معظمها إلى العالم الغربي في إطار الأرصدة والحسابات في المصارف[1] أو في شراء الأسلحة التي تتحوّل إلى أكوام من حديد فيما بعد.

وبهذه الطريقة يحاول الغربيون أن يصدّروا أزماتهم الاقتصادية إلى بلداننا، وأن يربطوا بين هذه الأزمات وأسعار البترول بالرغم من علمهم الجازم واليقين بأنّ هذا أمرٌ مبالغ فيه جداً.

---

(١) ذكرت الإحصاءات أنّ الودائع العربية في البنوك الأجنبية تتراوح ما بين ٦٠٠-٧٠٠ مليار دولار.


الفصل الثالث
الشائعة



الشائعة

مسألة: الشائعة عبارة عن وسيلة لتخويف الشعب[1]، ومصدرها إمّا

---

(١) إن المؤلف ﴿ﷺ﴾ أراد بهذا التعريف بيان أنّ الشائعة لا تمت إلى الإسلام بصلة باعتبار أن الإسلام دين الحقيقة والواقعية والصدق ودين القيم والضوابط. وهناك عدة تعاريف للشائعة، ذكرها العلماء نذكر بعضها على نحو الإجمال من دون التعرض لما فيها من ملاحظات ونقد وإشكال.

١- المعلومات أو الأفكار التي يتناقلها الناس دون أن تكون مستندة إلى مصدر موثوق به يشهد على صحتها.

٢- نظرية مرتبطة بالأحداث اليومية، موجهة لكي تصدق، تروج من شخص لآخر عادة من الفم إلى الأذن بدون أن تتمكن من تثبيت صحتها. وهذا التعريف للعالمين الأمريكيين جوردون ألبورت ويوسمان في كتابهما «سيكولوجية الإشاعة»، وهما أول من قدّم دراسة للإشاعة خلال الحرب العالمية الثانية.

٣- إعلان أو بيان موجّه لكي يصدّق، مرتبط بالأحداث ومروج بدون أي تأكيد رسمي، وهذا ما عرّفه العالم الأمريكي كناب.

٤- بيان أو توضيح غير محقق ينتشر من شخص لآخر، عندما يتعلق الأمر بالمصلحة العامة أو بحادث أو بشخص أو بقضية ما. على حدّ تعريف العالمين الأمريكيين بترسون وجيست.

٥- أخبار مرتجلة، ناتجة عن سلسلة نقاشات جماعية. وهذا تعريف تشيبوتاني.

٦- الخبر الذي ينتقل من فم إلى أذن خارج أي إطار إعلامي منظم. على حدّ تعريف ادغار موغان العالم الاجتماعي الفرنسي.

٧- طريقة التعبير عن تفكير الناس.

٨- بروز وانتقال خبر في مجتمع، وهذا الخبر إما مؤكد علانية من طرف جهة رسمية أو مكذب من طرفها.

٩- عبارة عن أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها ويتناقلها الناس بحسن نية دون التأكد من صحتها ودون التحقق من صدقها. على حدّ تعبير الدكتور زيدان عبد الباقي.

١٠- خبر مبني على حدث حقيقي أو خيالي ينتقل إلى عدد كبير من الناس. وهذا تعريف

الحكومات وإما الأعداء[1]، والشائعة تنقسم إلى: لفظية بصرية، مثل شائعات الخوف والتي منشؤها خوف الناس من شيء سواء أرادوا بذلك شيئاً من السلطة مثل إشاعة تمركز العدو قرب المدينة لتحريض السلطة على التصدي لذلك. أو شائعة مجرّدة كما لو انتشر الوباء في مدينة ما، فإنّ الناس يضخّمون عدد الضحايا مع أنّهم لا يريدون شيئاً من السلطة، وقابلية الإنسان الخائف والقَلِق للإشاعة أكبر، وأحياناً تكون الشائعة مخفّفة للألم النفسي الذي أصاب الإنسان بسبب الخوف، كما أنّ الشائعة قد تفسّر الحوادث العادية تفسيرات خاطئة من

الدكتور عبد المنعم سامي في كتابه الرأي العام والإشاعة.

١١- ظاهرة كونية تتغير من بلد إلى آخر وهدفها واحد وهو خلق تواصل بين الناس، يكون الخبر المتداول فيه صحيحاً أو باطلاً.

١٢- مجموعة من التصرفات والتكهنات والشروحات للوقائع المفتعلة، والمنتقلة بطريق الفم والأذن والتي لم تتلقَّ أي تأكيد من مصادر رسمية.

١٣- ظاهرة اجتماعية ذات ملامح محددة تجد جذورها في طليعة الرأي العام وفي مشاغله في فترة معينة من التاريخ.

١٤- نبأ غير مراقب، ينتقل مشافهة، وهذا ما ذكر في المعجم الموسوعي في علم النفس: ج٣ ص١٣٩٥ للمؤلف نوربير سيلامي.

١٥- سلاح من أسلحة الحرب النفسية، يتمثّل في خبر مدسوس كلياً أو جزئياً، وينتقل شفهياً أو عبر وسائل الإعلام دون أن يرافقه أي دليل أو برهان، ويقصد به تحطيم المعنويات. راجع موسوعة السياسة: ج٣ ص٤٢٣.

١٦- الأحاديث والأقوال والأخبار والروايات التي يتبادلها الناس ويتناقلونها دون التثبّت من صحتها أو التحقق من صدقها. راجع كتاب العلاقات العامة والإعلام من منظور علم النفس: ص٢٣٦ للدكتور حسين عبد الحميد.

١٧- شكل من أشكال الدعاية والحرب النفسية لتحقيق أهداف معيّنة.

(١) الإشاعات إما تصدر من الحكومات، لأنها تبث الشائعات إما للتغطية على بحث مهم أو أمر مهم يحصل في مرافق الدولة وخلف الكواليس أو لإسقاط أو تلويث سمعة شخص ما وما أشبه ذلك. أو من جهة الأعداء، لأنّ هناك قاعدة لمواجهة العدو هي إشاعة أخبار داخل المجتمع تجعله في قفص الاتهام للتقليل من شعبيته.

جهة توهّم ذلك حقيقة أو من جهة حب الثرثرة والتكلّم وإظهار الاطّلاع[1]، وغالباً ما تنتشر الشائعات في الأزمات والحروب والمشاكل السياسية[2] والاقتصادية[3]، وأحياناً تصل الشائعات لتعبّر عن المشاعر الجارية كالبغض ودوافع العدوان؛ حيث إنّ النفس في هذه الأحوال تميل إلى الشائعة، وهي تنتقل كالنار في الهشيم من إنسان إلى إنسان آخر سواء كانت الإشاعة بسبب الفكاهة والنكتة أو حبّ الظهور أو ملء العاطفة.

شواهد من التاريخ

وقد حفّ التاريخ الإسلامي بشائعات كثيرة، منها: حرب الأعصاب التي مارسها المشركون في معركة أُحد حيث أشيع قتل النبي ﷺ، وقد ساهم ضعاف المسلمين في نشر هذه الإشاعة.

وكذلك في قصّة «الإفك»[4]؛ حيث أشيع بين الناس اتّهام زوجة الرسول

---

(١) أي حب الظهور الإعلامي وحب الظهور الشخصي ـ الناشئ من التسلية أو التهكم من بعض الأحداث أو ضرورة إثبات الذات ومحاولة فرض حرية التعبير ـ أو حالة نفسية غير مستقرة.

(٢) كالمجتمعات التي تعاني الكبت والتضليل السياسي أو التي تعاني من الحرمان من حقوقها الأساسية في أن يكون لها رأي محترم.

(٣) كالتنافس الاقتصادي بين الشركات، وربما يدخل فيه الصراع القائم بين شركة (كوكا كولا) وشركة (بيبسي كولا) من أجل الفوز بالأسواق العربية حيث تتهم شركة (كوكا كولا) شركة (بيبسي كولا) بأنها شركة يهودية هدفها جمع المال للدولة الإسرائيلية واسمها يدلّ على ذلك باعتبار أن اسمها بالانجليزية ما ترجمته: لتشجيع الشعب الصهيوني الإسرائيلي ضد منظمة الجامعة العربية.

(٤) اشارة الى سورة النور: الآية ١١. وان لفظة الأفك التي استخدمها القرآن هي اللفظة الوحيدة التي تستوعب شناعة الكثير من التجاوزات الخطابية وقد حدثت في السنة الخامسة للهجرة.

الأكرم ﷺ مارية القبطية [١]، وقد عرفت الجيوش من قديم الزمان هذا اللون من الشائعات، وكان قوّاد جنكيز خان قد استخدموا الشائعة لإظهار قواهم وإرهاب أعدائهم، وكانوا يبعثون بالجواسيس للعمل في مراكز حسّاسة في قوّات العدو، حيث كانوا يشيعون بأنّ جيش جنكيز خان كالجراد لا يمكن إحصاء عدد قوّاته [٢].

---

(١) مارية بنت شمعون القبطية من قرية حفن في مصر، من أبٍ قبطي وأمٍ مسيحية. بعث بها المقوقس إلى الرسول الأعظم ﷺ سنة ٧ هـ وأختها سيرين بالإضافة إلى ألف مثقال ذهب وهدايا أخرى مع حاطب بن أبي بلتعة مبعوث الرسول إلى المقوقس. وعرض حاطب الإسلام على مارية فأسلمت مع أختها. فوطئها الرسول الأعظم بملك اليمين. وفي ذي الحجة سنة ٨ هـ ولدت له إبراهيم، وعندما ولدت قال الرسول الأكرم ﷺ: (أعتقها ولدها). وبما أنّ مارية الوحيدة بين نساء الرسول التي حملت وأنجبت، فقد تعرّضت للتهمة بشرفها من قبل البعض وعلى الخصوص عائشة بنت أبي بكر، وقذفتها بأن ولدها ليس من الرسول، وإنما من ابن عمها القبطي الذي كان يخدمها. فغضب الرسول من كلام عائشة وقال لعلي ﷺ: خذ سيفك يا علي وامض إلى بيت مارية، فإن وجدت القبطي فاضرب عنقه. فقال علي ﷺ: إن تأمرني يا رسول الله بالأمر فأكون فيه كالسبيكة في ذات الوبر، فأمضي لأمرك في القبطي أو يرى الشاهد ما لا يرى الغائب؟ فقال له الرسول ﷺ: بل يرى الشاهد ما لا يرى الغائب. فمضى علي ﷺ إلى بيت مارية فوجد القبطي فيها. فلّما رأى السيف بيد علي صعد إلى نخلة الدار، فهبّت ريح كشفت عن ثوبه فاذا هو ممسوح ليس له ما للرجال. فتركه علي وعاد إلى الرسول فأخبره، ففرح الرسول وقال: الحمدلله الذي نزهنا أهل البيت مما رمتنا به أشرار الناس من السوء. توفيت مارية في محرم سنة ١٦هـ ودفنت في البقيع. وقد أشار القران الكريم إلى حادثة الإفك في سورة النور الآيات ١١-١٧.

(٢) إنّ الشائعات لعبت دوراً في التاريخ، فادت مثلاً إلى قتل سقراط من قبل السفسطائيين بتهمة تحريض الشباب في أثينا على التمرد والعصيان. وقامت الحروب في القرون الوسطى نتيجة للمغالاة في رواية قصص المعجزات والجرائم. وكان لها دور في التعبئة النفسية في أوربا إبان الحروب الصليبية. كما أن عبيد الله بن زياد عندما دخل الكوفة متخفياً استخدم أسلوب إشاعة مجيء قوات من الشام لغزو العراق، وعلى أهل الكوفة ان لاينصروا سفير الإمام الحسين مسلم بن عقيل. وكان لهذه الإشاعة صدى مؤثراً في أهل الكوفة.

وفي الحرب العالمية الثانية انتشرت في الولايات المتّحدة شائعات قويّة بأنّ خسائر الولايات المتّحدة في قضية «بيرل هاربر»[١] أعظم بكثير ممّا اعترفت به السلطات. فزعمت بعض الشائعات أنّ الأسطول الأمريكي قد غرق بكامله وزعمت شائعات أخرى أنّ ألف طائرة تمّ تدميرها على الأرض في اليوم نفسه، وحيث أنّ الناس لم يقفوا على حقائق ما حدث وما أخفته السلطات الأمريكية لذلك أطلقوا لخيالهم تصور الهزيمة، وقد حاولت السلطات الأمريكية بكلّ ما تملك من القوى والأنصار والجواسيس والإذاعات والتلفزة تخفيف تلك الصدمة، ولكن دون جدوى، إذ لم تكن الخسائر بتلك الضخامة التي صورتها الإشاعات، ولم تكن بتلك القلّة التي أعلنت عنها السلطات الأمريكية.

وفي العصر الحاضر استخدمت إسرائيل الأساليب نفسها، فكانت تشيع بأنّها تمتلك أسلحة فتاكة وأنّ خط بارليف خطّ منيع لا يستطيع أحد مقاومته[٢].

كما ساعدت الإشاعة على اندلاع الثورة الهندية ضد بريطانيا سنة ١٨٥٧م، فقد كان الجنود العاملون في جيش الهند البريطاني يستخدمون بنادق تملأ من فوهة السبطانة، وكان عليهم خلال الرمي أن ينزعوا بأسنانهم الورق المشحّم من طرف كل خرطوشة، حتى يسقط البارود في سبطانة البندقية قبل وضع المقذوف في مكانه، واعتمدت الشائعة التحريضية على هذا الأمر، إذ انتشرت بين الجنود المسلمين شائعة تقول بأن الشحم المستخدم هو شحم خنزير، وخيّل للهندوس بأنه شحم بقر، وقد حاول الإنجليز وقتذاك إقناع الجنود بالقيام بأنفسهم بتشحيم ورق الخرطوش بالسمن النباتي. راجع موسوعة السياسة: ج٢ ص٤٢٣-٤٢٤.

(١) حدثت سنة ١٩٤٢م، وفي عهد الرئيس الأمريكي روزفلت، فانتشرت أكثر من ألف اشاعة في أمريكا سواء كانت تلك الإشاعات نابعة من العداء للطرف الآخر أو الخوف أو الرغبة أو غير المصنّفة، ومن ضمن الإشاعات أنّ هاواي سقطت بيد اليابانيين.

(٢) كما استخدمت بعض الحوادث في فرنسا وضخّمت لأجل انتصار مرشح معين للرئاسة ضد مرشح آخر.

وكان الشيوعيون ينشرون الإشاعات إبان حرب الأمريكيين مع الفيتناميين، واستطاعت هذه الإشاعات من إلحاق الهزيمة بالأمريكيين ودفعتهم إلى الاستسلام للهزيمة.

والغالب أنّ الشائعات إنّما تنتشر بصورة مكثّفة ومضخّمة إذا لم تكن هناك أنباء صحيحة ـ لعدم وجود إعلام نزيه وصادق ـ ولم تكن الجماهير تثق بقادتها وإلاّ فالإشاعة تكون خفيفة وتضمحل بسرعة، والطابور الخامس غالباً ما يقوم بهذا الأمر[1].



(١) يرى بعض العلماء المتخصصين أنّ انتشار الشائعات يخضع لقانون فيبر . فخنر: الانتشار (آ) ، اي عدد الأشخاص الذين تبلغهم رسالة، يتغير تغيّراً متناسباً مع لوغاريتم عدد السكان (س) الذين كانت الرسالة قد انتشرت بينهم، بالنظر إلى أن تنبيه الفرد ثابت (ج): آ = ج لوغاريتم س. ويتغيّر الانتشار (آ) أيضاً مع لوغاريتم شدة التنبيه (ت) ، الذي يقاس بعدد التنبيهات للساكن الواحد (زيارات، نشرات... الخ) $\frac{\Delta}{آ}$= ب لوغاريتم س. راجع المعجم الموسوعي في علم النفس: ج٣ ص١٣٩٦.

الإشاعة وعلاقتها بالكذب

مسألة: يغلب استعمال الإشاعة في الأخبار الكاذبة، وإن كان لفظ الإشاعة لغةً يستعمل في الأخبار الصادقة؛ حيث إنها من «شاع»، والمادّة لا تدلّ إلاّ على التوسيع والتكثير من دون نظر إلى مطابقته للواقع أو عدم مطابقته.

وتستخدم الإشاعة غالباً كوسيلة لتحطيم مصادر الأخبار الحقيقية ولاصطياد الحقائق؛ حيث تشاع أنواع كاذبة عن موضوع معيّن بقصد الحصول على الأنباء الصحيحة عنه، وكستار للحقائق، أو كوسيلة لتحطيم معنويات الطرف المقابل، ولتهدئة الناس من أسباب الثورة التي سببها المشاكل كالنزاعات والحروب والسيول والزلازل والمجاعة والأمراض العامّة وما أشبه ذلك.

من هنا، فالإشاعة وسيلة من وسائل إفساد الرأي العام، ووسيلة لتهدئة الناس الذين يعانون من مشكلات وتعقيدات في حياتهم.

الدين والشائعة

مسألة: اللازم في الدعاية الهجومية أو الدعاية الدفاعية أن توضع تحت نظر علماء الاجتماع وعلماء النفس ومن أشبه حتّى تكون مؤثّرة ذلك الأثر الذي يريده رجل الدعاية، سواء كان هدفه حرباً نفسية أو سياسية أو دبلوماسية أو اقتصادية أو اجتماعية وما أشبه ذلك.

ثمّ إن الدعاية قد تكون دينية، بمعنى أنّها تستهدف الروح والاعتقاد والعقل وما أشبه ذلك. وقد تكون دنيوية، بمعنى أنها تستهدف أمور الدنيا ممّا يرتبط بالجسم من المآكل والمشارب والمناكح والمراكب والمساكن ونحوها. وأقوى الدعايتين هي الدعاية الدينية؛ لأنّ الدين يتعلّق بالقلوب، وتنطلق الإشاعة الدينية ضدّ الحكّام الذين يتظاهرون بالدين ـ والدين منهم براء ـ، أو لا يتظاهرون بالدين؛ إذ طبع أتاتورك عشرة آلاف قسم من الكتب ضد الخلافة العثمانية ممّا أثّرت أثرها الكبير إلى اليوم.

ولاشكّ في أنّ الحق مع بعض الكتب المضادة للخلافة العثمانية؛ حيث أنّ الخلفاء العثمانيين انغمسوا في الملذات والشهوات وحاربوا الناس في كلّ جانب من جوانب الحياة، لكن الدعايات كانت أكبر من ذلك بكثير وسبّبت تلك الدعايات سقوط الخلافة العثمانية وجعلت تركيا الإمبراطورية الواسعة بلداً صغيراً نسبة إلى ما كانت عليه في السابق، وهي اليوم تعاني من مشاكل اقتصادية وسياسية جمّة، وقد تحولت بعد أن كانت تسيطر على مساحات واسعة من العالم إلى مستعمرة أمريكية أو بريطانية، هذا بالنسبة إلى الشائعة

اللادينية التي تهدف إلى نشر اللادين، وأمّا بالنسبة إلى الشائعة الدينية، فالإسلام لا يعرف الشائعة ولا يجنّد أنصاره لاستخدامها، فالإسلام دين الحقيقة والواقعية، ولذا كان رسول الله ﷺ يصارح الناس بالحقيقة كما هي، فقد كان رسول الله ﷺ يقول الحقيقة للمشركين إذ كان يقول لهم: (إذا أسلمتم تكون لكم جنّات عرضها السماوات والأرض في الآخرة وتملكون ثروات الدنيا ويطيعكم العرب والعجم) [1].

وهذه هي حقائق لا ينالها شيء من الدعاية الوهمية أو الشائعة المشوبة بالكذب في الوقت الحاضر، فالدعاية الدينية دعاية سليمة قائمة على الصدق والواقع، أمّا الدعاية المضادة للدين فهي دعاية مضلّلة هدفها محاربة الدين، وقد استخدم الشيوعيون الإشاعات ضدّ الأديان كثيراً، وكانت الإشاعات غالباً مقترنة بالشهوات الجنسية والملذّات البدنية وما هو من شأن كل مبطل، كما رأينا مثل ذلك في البابيين في إيران والوجوديين [2] من أتباع

---

(١) ونظير ذلك: قال الرسول الأكرم ﷺ للمسلمين في حرب الخندق. راجع بحار الأنوار: ج١٧ ص١٧٠ ب١ وج٢٠ ص١٩٠ ب١٧.

(٢) نسبة إلى الوجودية، وهو مذهب فلسفي يُضفي الامتياز على الوقائع الإنسانية فردية أو غيرها بالقياس إلى معاني مجردة ويبتني على رفض الفلسفة العقلائية المنهجية التي تسهب في قولها على الكينونة. وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في ألمانيا وبعدها في فرنسا. وبعد الحرب العالمية الثانية انتشرت كرد فعل إزاء المذهب العقلاني لعصر التنوير والفلسفة الكلاسيكية للألمان.

الوجودية مصطلح أدخله الفيلسوف الكانطي: ف هاينمان سنة ١٩٢٩م. والوجودية الإلحادية قادها هيدغر، وسارتر، وكامو.

ويذهب الوجوديون إلى أن العيب الجوهري في الفكر العقلاني هو أنه انطلق من مبدأ التناقض بين الذات والموضوع، وأن الفلسفة الأصلية ينبغي أن تنطلق من وحدة الذات والموضوع. وهذه الوحدة تتقمص الوجود ـ أي تتقمص واقعاً لاعقلياً معيناً. وعندهم على الانسان أن يكون واعياً بذاته باعتباره وجوداً، ووسيلة للمعرفة المتغلغل في عالم الوجود

سارتر[1]، وغيره في بعض البلاد العربية[2].

أنواع الإشاعات

ثم إنّ الإشاعة قد تكون وقتية من جهة خاصّة، وقد تكون في خطّ متسلسل منظّم من جهة سياسية، وفي الصورة الثانية يجب على الطرف أن ينظّم جهاز إشاعته كي تقابل الإشاعة بالإشاعة، فكما أنّ السيف يقابل السيف والمدفعية تقابل بمثلها، فكذلك الإشاعة تُقابل بالإشاعة المضادة[3]، وقد تلجأ

وهي الحدس أو التفهم أو تبين الوجود. ويعرّفون الحرية بأنها اختيار الفرد الممكن واحداً من بين عدد لا نهائي من الممكنات. ويحاولون تحويل مشكلة الحرية الفردية إلى مشكلة أخلاقية بحتة واعتبارها منفصلة عن حرية المجتمع. للتفصيل راجع الموسوعة الفلسفية الروسية، المذاهب الوجودية للمؤلف ريجيس جوليفيه ترجمة فؤاد كامل.

(١) جان بول سارتر: مفكر وأديب وفيلسوف فرنسي، ولد في باريس سنة ١٩٠٥م، مارس التدريس في باريس ثم تركه سنة ١٩٤٤م ليصبح مدير مجلة الأزمنة الحديثة التي تتضمن أبحاثاً وجودية في الأدب والسياسة. ويعدّ رائد التيار الوجودي ـ وقد انتشرت الوجودية في فرنسا سنة ١٩٣٨م ـ. منح جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٦٤م. مات سنة ١٩٨٠م. من أقواله: إن الإنسان يخلق قدره الخاص، بصورة حرة، وهو يكتشف شروط توازنه ويختار أسلوبه في الوجود والتصرّف. من مؤلفاته: مقدمة لنظرية الانفعالات ١٩٣٩م، الوجودية هي مذهب إنساني، نقد العقل الديالكتيكي، الموت في النفس والغثيان ١٩٣٨م، الوجود والعدم ١٩٤٣م، يوميات عن مهازل الحرب١٩٨٣-١٩٩٥. وقد ناقش المؤلف ﷺ نظريات سارتر في كتابه «وقفة مع الوجوديين».

(٢) ولا يخفى أنه يمكن تحديد محيط الإشاعة عبر النقاط التالية: ١- ما بين التقليد والتفوق أو التحدي: أي التعظيم أو التقديس. ٢- ما بين التحدي والتواطؤ: أي الغرابة. ٣- ما بين التواطؤ والرحلة: أي الإثارة. ٤- ما بين الرحلة والاقتداء: أي المحيّز. للتفصيل راجع كتاب الرأي العام والإشاعة: ص٩٦ للمؤلف عبد المنعم سامي.

وقد ذكر بعض العلماء عدة توصيات للحدّ من الإشاعة، منها على سبيل المثال: ١- إعادة الثقة للناس في وسائل الإعلام التقليدية. ٢- إعادة الثقة بين الحكومة والشعب عبر الاهتمام بالناس. ٣- نشر الخبر كاملاً بدون تحيّز أو نقصان أو إضافة. ٤- نشر الخبر بصدق وبدقة لجميع الناس. ٥- القيام بحملات ضد الإشاعات.

(٣) هناك أقسام أخرى للشائعة، منها: الشائعة التي تنتقل ببطء من شخص إلى آخر،

الحكومات في مقابلة الإشاعات إلى أمور مثل قوانين الرقابة التي تأخذ صوراً متعدّدة، مثل الإجراءات الخاصة بتنظيم إصدار أو عمل وسائل الاتصال الجماهيري مثل: فرض عقوبة ضخمة على المخالف أو مصادرة مطبعته أو إذاعته أو تلفازه وما أشبه ذلك، أو حظر تداول بعض المطبوعات والمواد الإعلامية التي تصدر في الداخل أو المطبوعات والمواد الإعلامية الأجنبية، كحظر كتب أو برامج أو أفلام معيّنة أو حذف أجزاء منها أو نحو ذلك، أو تعطيل إجازة بعض الصحف أو مصادرتها أو بفرض الغرامات على أصحابها، أو إنذار الصحف أو وقفها أو تعويق إصدارها عبر القوانين الإدارية، أو منع نشر المداولات القضائية أو بعضها وحماية حرّية القضاء وعدم التأثير على عمله، أو سنّ القوانين ولو الوقتية لحماية الأخلاق العامّة والأسرة والعلاقات الاجتماعية ممّا تسميه الدوائر القضائية بحريم الآداب وحسن الأخلاق، كتزيين القتل والسلب والتحريض على ارتكاب الجرائم والعنف أو ما أشبه ذلك، أو تزويد الأخبار الكاذبة والإشاعات التي تزعزع الروح المعنوية للناس وتسبّب توتر أعصابهم، أو فرض قيود على النشر أو الإعلان عمّا يمسّ أمن الدولة أو إذاعة أسرارها، أو بعض القضايا القانونية الخاصّة بالاتّصال كقوانين التي تنظم حقوق الناس والتأليف وحقّ الأداء العلني

ومنها الشائعة التي تنطلق بضجة فتصل إلى أسماع عدد كبير من الناس خلال فترة زمنية قصيرة، ومنها الشائعة التي تروج في البداية ثم تختفي لتظهر ثانية عندما تتاح لها فرصة للظهور.

ذكر بعض العلماء ضوابط لمواجهة الإشاعة منها: ١- التوقف في نقل الإشاعة وعدم قبولها إذا لم تصل إلى حدّ العلم واليقين بها، فيجب عدم الاعتناء بالخبر المظنون فضلاً عن المشكوك ٢- التحقيق بما يصل إلينا من معلومات قبل نقلها ٣- الرجوع إلى المعنيين بالخبر وعرضه عليهم ٤- الاطمئنان للقيادة والحكومة وما تقوله وتصرّح به.

والتشريعات العمالية والجرائد والتزامات الاتّصال بمبادئ القانون الدولي، أو حرمان بعض الذين يشيعون الإشاعات من حقوقهم المدنية والاجتماعية والاقتصادية كمنعهم من السفر أو الاشتراك في الانتخابات أو نيل جوائز الدولة أو بطاقات التأميم أو ما أشبه ذلك[1]. وقد رأيت في الحرب العالمية الثانية في العراق بعض هذه الأمور من قبل الدولة، لكن لا يخفى أنّ مفهوم هذه الأمور يختلف في الدولة الديكتاتورية عنه في الدولة الديمقراطية التي نصطلح عليها بالدولة الاستشارية، فإنّ مثل ذلك مثل البندقية إذا استعملت لقهر العدو أو للصيد كان مباحاً، وإذا استعملت لقتل بريء كان محرّماً، فالوسيلة وإن كانت واحدة إلاّ أنّ الهدف قد يكون بالشكل الأوّل وقد يكون بالشكل الثاني.

بين الصدق والكذب

ثمّ إنّ الإشاعة قد تكون بنحو الصدق الضار؛ حينها تمُنع الإشاعة الصادقة لأنّها ضارة بالروح المعنوية، كما قد تكون بنحو الكذب، وفي الآية الكريمة منع لكلتا الإشاعتين سواء كانت إشاعة صادقة ضارّة أو إشاعة كاذبة؛

(١) يرى بعض العلماء أنه لمواجهة الشائعة: يجب تحليلها لتحديد أهدافها، ومدى مصداقيتها، ونقاط الضعف التي يمكن دحضها بشكل ملموس، والميول الكامنة وراءها، والعوامل النفسية التي تؤدي إلى ترددها وتجعلها مقبولة لدى المستمع، والطريق الذي سارت فيه منذ بدء انطلاقها، والتحريف الذي أصابها.

وتأخذ مقاومة الإشاعة ثلاثة أساليب، الأول: الخفي، ويعبّر عنه عيادة؟ الشائعات عبر تفنيد الشائعة ومناقشتها وإثبات بطلانها. الثاني: الظاهر، عبر التركيز على تحسين النشرات الإخبارية، وزيادة مصداقيتها حتى يتم خنق الشائعات بالحقائق، بدلاً من تفنيد كل شائعة لإثبات كذبها، لأنّ التفنيد بحدّ ذاته يساعد على انتشار الشائعة. الثالث: البحث عن مصادر القلق التي تنمو فيها الشائعات بغية إزالة سبب الشائعة للقضاء عليها بشكل غير مباشر، ويتحقق ذلك عبر توعية الناس بمخاطر الشائعات وتحسين قدرات الأفراد على التعامل مع الأفراد بفكر نقاد يرفض القبول السطحي لأيّ خبر.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

وقال ﷻ عن الإشاعة الكاذبة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ثمّ بيّن الله ﷻ كيفية مواجهة الإشاعة فقال ﷻ: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وفي هذه الآيات دستور عظيم لمواجهة الإشاعات[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٢) سورة النور: الآية ١١.

(٣) سورة النور: الآيات ١٢-١٦.

(٤) ومن نافلة القول ننوه إلى أنه ذكر بعض المتخصصين مرشداً للاستعانة في تحليل الإشاعة يتضمن ٤٨ سؤالاً، اقتبسناها من كتاب الرأي العام والإشاعة: ص١١٣ للمؤلف عبد المنعم سامي، ومصدره المعتمد عليه: سيكولوجية الإشاعة للمؤلفين الأمريكيين جوردون ألبورت وبولستمان:

١- هل الإشاعة عبارة عن مقدمة للتصديق تتعلق بموضوع معين؟

٢- هل يفتقر الراوي والسامع إلى المعايير الدقيقة للتثبت من صحتها؟

٣- هل يتوافر الغموض وتتوافر الأهمية، وأي العاملين أكثر وضوحاً؟

٤- على أي منحى تنطوي الإشاعة؟

٥- هل تقدم الإشاعة تفسيراً اقتصادياً مبسطاً لموقف بيئي انفصالي أو مربك؟
٦- هل تعبّر الإشاعة عن توتر داخلي بالنسبة للسامع؟
٧- هل يعد هذا التوتر في صميمه انفعالياً أم غير انفعالي؟
٨- هل التوتر قوامه القلق أم الرغبة أم الإثم أم الاستطلاع أم غير ذلك من الحالات العقلية؟
٩- هل تعد الإشاعة تبريراً لانفعال عند الراوي لا يستطيع أن يتقبَّله بصورة واضحة؟
١٠- ما الذي يجعل الإشاعة تتسم بالأهمية عند الراوي؟
١١- من أي وجهة يتيح ترديد الإشاعة تحقيق التنفيس الانفعالي؟
١٢- ما هي عناصر التوتر العقلي التي تنطوي عليها الإشاعة؟
١٣- هل تشبه الإشاعة حلم يقظة؟ وإن كان الأمر كذلك فكيف؟
١٤- هل تضطلع الإشاعة بوظيفة الإفلات من مشاعر الألم؟
١٥- هل تنطوي الإشاعة على عدائية مزاج قائلها؟
١٦- هل تكسب الإشاعة قائلها أثناء ترديده لها منزلة ممتازة؟
١٧- هل يحتمل أن يكون قولها من أجل إدخال السرور على صديق أو مجاملته؟
١٨- هل يحتمل أن تكون الإشاعة من قبيل الدردشة؟
١٩- هل يمكن الكشف عن نواة الحقيقة التي يحتمل أن تكون الإشاعة قد نبعت منها؟
٢٠- هل هي إشاعة من إشاعات مركز التطلّع؟
٢١- هل يحتمل أن يكون هناك خطأ في الإدراك؟
٢٢- هل يحتمل أن تنطوي الإشاعة على عملية تطوير تشكيلي، وإن كان الأمر كذلك فمن أي نوع؟
٢٣- هل تحتفظ الإشاعة في تطورها بنفس اللافتة أو الحوار المسرحي؟
٢٤- هل يرجح أن يكون قد حدث انحراف تام لموضوع الإشاعة؟
٢٥- هل تكشف الإشاعة عن عملية مسايرة العرف والوعظ الأخلاقي؟
٢٦- هل تحمل الإشاعة الطابع الأسطوري؟
٢٧- هل يمكن أن تتضمن الإشاعة قلباً للحقائق؟
٢٨- هل تنطوي الإشاعة على نزعة إلى التندر والملحة أو الفكاهة؟
٢٩- هل في خطورة سريان الإشاعة ما يفسر خصوبتها؟
٣٠- هل هناك إبراز التكثير؟
٣١- هل لعبت الحركة أو الحجم أو الرموز المألوفة دوراً في عملية الإبراز؟
٣٢- هل هنالك عملية تجسيد أو عملية تشخيص؟
٣٣- هل تتعلق الإشاعة بالأحداث الجارية؟

٣٤- هل تضطلع الإشاعة بأقلمة زمنية للأحداث الماضية؟

٣٥- هل حدث تكثيف للعناصر؟

٣٦- هل هناك في الإشاعات ما يدل على الاسترسال الحسن؟

٣٧- على أي نحو تتجلى الإشاعة بالنسبة للتوقع؟

٣٨- هل هنالك إشاعة بالنسبة إلى المصلحة الذاتية أو الطبقية أو المتعلقة بالأجناس والفئات أو ما إلى ذلك؟

٣٩- هل هناك إشاعة بالنسبة للعادات اللغوية؟

٤٠- هل من المحتمل أن يستند أي جزء من الإشاعة إلى سوء فهم لفظي؟

٤١- ما هي الدلالة التعبيرية المجازة للإشاعة؟

٤٢- هل يحتمل أن تمثل الإشاعة اضطهاداً للوجدانات الانفعالية ومشاعر النفوذ؟

٤٣- هل يمكن تصنيف الإشاعات الخاطئة إلى فئة الإشاعات المروعة أو الإشاعات الحالمة أم من زاوية أخرى؟

٤٤- من المحتمل أن تكون الإشاعة جزءاً من حملة همس؟

٤٥- ما علاقة الإشاعة إن كانت لها علاقة بالأخبار أو الصحافة؟

٤٦- هل تحمل الأقصوصة لافتة الإشاعات أم تنسب إلى مصدر مسؤول وما هو الأثر المترتب على ذلك؟

٤٧- ما هي خير طريقة لدحضها؟

٤٨- هل يحتمل أن تمثل الإشاعة مرحلة من المراحل الأربع في انتشار إشاعة الأزمة؟


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الفصل الرابع

الدعاية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهمية الدعاية

مسألة: ينبغي التوجّه للدعاية، فإن لها الأثر الفعال في التأثير على الراي والسلوك وفي تهيئة مقدمات النهوض وفي ترويج الأفكار والبضائع وما شابه ذلك؛ حتّى أنّ أحد التجّار كان يقول: «لو ملكت ألف دينار لصرفت ديناراً واحداً في التجارة والبقيّة في الدعاية». وكلّما كانت الدعاية قويّة كان تأثيرها قوياً.

والدعاية عبارة عن ترويج عقيدة أو رأي أو خُلق أو مشروع أو برنامج أو بضاعة، سواء كانت الدعاية حقاً أو باطلا[1].



(١) فعبر الدعاية استطاع لينين أن يقيم النظام الشيوعي، كما يرجع الفضل الى الدعاية في انتصار هتلر منذ أن استولى على السلطة حتى غزو اوربا سنة ١٩٤٠م. وعبر الدعاية تحولت الصين الى الشيوعية. والاسرى اليابانيين العائدين من الاتحاد السوفيتي ـ السابق ـ سنة ١٩٤٠، تحولوا الى الشيوعية. وقصة الاسرى الامريكيين الذين تحولوا الى الشيوعية في المعسكرات السياسية خلال الحرب الكورية.

وتعرّف الدعاية بعدّة تعريفات، نذكر بعضها: ١- فن إقناع الأخرين بأن يسلكوا في حياتهم سلوكاً معيّناً ما كانوا ليسلكوه بدونه. راجع كتاب: الرأي والعام وتأثره بالإعلام والدعاية الكتاب الثاني: ص١٤٠ للدكتور محمد عبد القادر حاتم. ٢- عمل هدفه نشر فكرة، أو مذهب، بقصد مفاده تعديل آراء الشخص الذي يتلقاها، أو الجماعة، وعواطفه واتجاهاته. المعجم الموسوعي في علم النفس: ج٣ ص١٠٦٨. ٣- عملية مخاطبة الغرائز عند الإنسان. ٤- فن التأثير على الجماهير لاستمالتهم نحو هدف ما غير التجارة وإلاّ فيكون إعلاناً. ٥- عمل مبرمج موجّة إلى الرأي العام لجعله يتقبّل بعض الأفكار أو المذاهب، خصوصاً في المجال السياسي والاجتماعي. ملحق موسوعة السياسة: ص٤٤. ٦- العمليات التي تحاول تكوين رأي عام عن طرق التأثير في شخصيات الأفراد من خلال دوافعهم

والغالب أن تستعمل الدعاية فيما ليس له واقع وان كانت كلمة الدعاية بمعناها اللغوي أعم من ذلك، بينما لفظ التبليغ وهو لفظ إسلامي مأخوذ من الجذر «بلغ» أكثر شمولية من الدعاية إذ هو إيصال المعلومات أو الحقائق أو الرسائل إلى طرف آخر سواء بالنسبة إلى الحكومة أو الدين أو الرأي أو ما أشبه ذلك مما يريد المبلّغ إبلاغه إلى الجانب الآخر، وإن كانت الدعاية مشتقّة من قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[1]، فبالجملة يستعمل اللفظ غالباً في بلاغ شيء واقعي.

وعلى أيّ حال: فهما[2] من الناحية اللغوية بمعنى واحد، وإن كانا من الناحية العرفية الانصرافية على طرفي نقيض[3].

أقسام الدعاية

الدعاية على قسمين الدعاية الإيجابية، وهي التي تروّج لشيء معيّن، مثل الدعاية لذكر محاسن دين أو عقيدة أو نظام أو ما أشبه ذلك. والدعاية السلبية ـ وتسمى بالدعاية المضادة ـ وهي التي تروّج ضدّ شيء معيّن، وذلك بأن

وانفعالاتهم ومفاجآتهم بالأخبار، والتهويل فيها، وتقديم الوعود الكاذبة. العلاقات العامة والإعلام: ص ٢٣٥. ٧- محاولة لصياغة رأي وشعور وتصرفات الناس دون النظر إلى الأسباب والبواعث.

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) الدعاية والتبليغ.

(٣) حيث إنّ الإعلام إذا كان لأجل الهداية إلى الحق والرشاد يسمى تبليغاً باعتبار انه يقوم على المناقشة والحوار والاقناع، وإن كان لأجل التحريف والضلال يسمى دعاية باعتبار انه يقوم بالاستمالة والإغراء والسيطرة على النفس البشرية عن طريق تزيين ما تريد أن تزينه أو تشويه ما تريد ان تشوهه وباعتبار انها تستغل سذاجة الجماهير وتؤثر في غرائزها وانفعالاتها بأساليب الايحاء والاستهواء المختلفة.

يذكر الداعي نواقص الطرف المقابل، وبذلك يوجب التفاف الناس حول طرف الداعية. قال بعضهم: «لعلّ الثورة البلشفية مدينة لفريق من الكتّاب الذين ألهبوا خواطر الناس بكتاباتهم التي تضمّنت الغمز واللمز حيناً وهجوماً سافراً أحياناً ضدّ النظام الإقطاعي والقيصري والظلم الاجتماعي»، الأمر الذي تسبّب في التفاف الناس حول الشيوعيين الذين كانوا يدّعون أنّهم محرّرون للناس من هذه المظالم فيوجبون توزيع الثروة توزيعاً عادلاً، ولما وصلوا إلى الحكم قلبوا ظهر المجن بأن قتلوا الملايين من الناس، وقد بنى ستالين لنفسه قصراً، قبته من ذهب وكذلك بنيانه وأساسه ومراسيه كلّها من الذهب، بينما كان يموت عشرات الألوف من الناس جوعاً كما يجده الإنسان في كتاب «الوصية الأخيرة» لخروشوف، وهؤلاء الحكام هم الذين ألهبوا الأفكار بالدعايات المضلّلة التي أفضت إلى الثورة البلشفية، ولذلك عندما استشعرت الحكومة الشيوعية خطر الثقافة لم تجد مناصاً من فرض الرقابة عليها ثمّ حصرها في الحزب ولا حقّ لأحد في التثقيف غير الحزبي.

الدعاية من حيث المخاطب

الدعاية من حيث المخاطب تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

١ـ الدعاية الموجّهة لمخاطبة العقل: وهي الدعاية القائمة على الاستدلال العقلي.

٢ـ الدعاية الموجّهة لمخاطبة العاطفة: وهي التي تستخدم الأساليب العاطفية لإثارة العاطفة.

٣ـ الدعاية الموجهة لمخاطبة النفس: وهي التي تستخدم الإثارة النفسية في تحقيق ما تصبو له. وقد تقدّم الفرق بين العقل والعاطفة والنفس.

والدعاية في الأقسام الثلاثة تستخدم الأساليب الظاهرة أو المقنّعة سواء كانت أهدافها أهدافاً حقّةً أو أهدافاً باطلة. فمثلاً عندما نقول: الخمر شراب مرّ مهوّع يزيل العقل؛ كانت هذه دعاية حقيقية، لكن عندما نقول: إنّ الخمر ينفع الكلية ويقوّي المعدة ويزيد من تيقظ الفرد؛ كانت هذه الدعاية باطلة.

وفي الأغلب أن الدعاية توجّه خطابها إلى العقل والعاطفة والنفس معاً أو أنّها تُوجّه إلى جزأي العقل والعاطفة. أما أن توجّه إلى جزء واحد فقط هو العقل أو العاطفة أو النفس؛ حتى تكون دعاية عقلية محضة أو دعاية نفسية محضة أو دعاية عاطفية محضة فذلك شيء نادر جداً.

ولا يخفى أنّ الدعايات العاطفية لها تأثير أسرع من الدعايات العقلية، لأنّ الدعايات العقلية بحاجة إلى جهد وتفكير كبيرين، ولأنّها خاصّة بطبقة معيّنة من الناس. بينما الدعايات العاطفية تثير العواطف بشكل سريع ولا تقتصر على طبقة معينة. وقد برع «غوبلز»، وزير الإعلام في حكومة هتلر، في هذا النوع من الدعاية؛ حيث تعلم منه الديكتاتوريون الذين أخذوا بالدعايات المضللة لتثبيت كراسيهم؛ إذ وجدوا لهذا النوع أثراً كبيراً في إركاع الخصوم.

شروط الدعاية الصحيحة

والدعاية الصحيحة متوقّفة على أمرين:

الأوّل: أن يكون الهدف هدفاً سليماً وصحيحاً.

الثاني: أن يكون رجل الدعاية شريفاً نزيهاً، فإذا لم يكن رجل الدعاية شريفاً نزيهاً أمكن أن يستخدم الباطل في تنفيذ مآربه. فكلاً من الحقّ والباطل يمكن أن يصبحا هدفاً ويمكن أن يصبحا وسيلة.

ومن بين الأقسام الأربعة واحد منها صحيح، وهو أن يكون الحقّ هدفاً

ووسيلة، بينما الأقسام الثلاثة تختلف في مواقع الحقّ والباطل، فقسم يكون فيه الهدف حقاً والوسيلة باطلاً، والقسم الآخر يكون فيه الهدف باطلاً والوسيلة حقاً، والقسم الرابع وهو الأسوأ يكون فيه الهدف والوسيلة باطلين.

والمثال على القسم الأول: كاستخدام دعاية متمحورة على الصحة والأمن كإظهار التبغ أنه مُضر وأن استخدام السرعة في قيادة السيارات يؤدي إلى الموت.

والمثال على القسم الثاني: بعض الأحزاب الإسلامية التي تهدف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنّها تستخدم وسائل باطلة وغير إسلامية في الوصول إلى هذا الهدف كاستخدام الكذب مثلاً.

والمثال على القسم الثالث: ماقام به الخوارج عندما رفعوا المصاحف للتحكيم، فقال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: (كلمة حق يراد بها باطل) [1].

أمّا القسم الرابع: فمثاله إعلام الدول الاستعمارية وأعداء الدين.

---

(١) راجع نهج البلاغة: ص٨٢ باب الخطب: الخطبة ٤ وص٥٠٤ قصار الحكم، الحكمة ١٩٨، دعائم الإسلام: ج١ ص٣٩٣، بحار الأنوار: ج٣٢ ص٥٣٢ ب١٢ ح٤٤٩، فقه القرآن: ج١ ص٣٧٥ باب الزيارات، وقعة صفين: ص٤٨٩، خصائص الأئمة: ص١١٣.

الدعاية بحسب الحواس

مسألة: تنقسم الدعاية على حسب الحاسة التي تتلقفها، فهناك الدعاية التي تثير الأذن وهي الدعاية اللفظية، وهناك دعاية ترتبط بحاسة العين مثل الدعاية التي تستخدم الصور المثيرة، وهناك الدعاية التي ترتبط بحاسة الأنف وهي الدعاية الشمية مثل العطور، وهكذا بقيّة الدعايات التي تستخدم الحواس الخمس.

وكما أنّ الدعاية اللفظية قد تكون صحيحة وقد تكون باطلة، كذلك سائر أقسام الدعاية في الحواس الأخرى، كما لو استعمل عطر الموز على بعض الأشربة فيخيّل للشارب أنّه عصير الموز، ويقوم الغشّاشون باستخدام هذا النمط من الدعاية للترويج عن بضائعهم. وقد يجمع رجل الدعاية بأقسامها الثلاثة مثل دعاية الصوت والصورة في الدعايات النيونية ـ الكهربائية ـ التي تستخدم ليلاً، والجامع في هذه الدعايات إبلاغ شيء إلى شخص آخر يريد جذبه أو دفعه إلى شيء معيّن.

حصاد العاصفة

مسألة: ينبغي معرفة الحقيقة التالية: إنّ قلوب الناس مثل الأرض فإذا زرع فيها الخير أثمر الخير، وإذا زرع فيها الشرّ أثمر الشرّ، فالأرض إذا زرع فيها بذر الحنظل أعطت مراً، وإذا زرع فيها بذر الفاكهة الحلوة أعطت حلواً، فالدعاية تفعل بالناس كما تفعل الأشجار، والدعاية مأخوذة من الدعوة، ويمكن للدعوة أن تكون في الخير كما قال ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، ويمكن أن تكون في الشرّ والتمويه كما يفعل الأعداء بأعدائهم.

ومن فوائد الدعاية أنها تزرع الثقة لدى الشعب كما تزرع الثقة لدى القادة، وتسبّب القيام بحملات لإبطال الإشاعات التي تأتي من الأعداء الداخليين والأعداء الخارجيين. ثمّ إنّ الدعاية والدعوة قد تكون بيد الأعداء سواء كان ديكتاتوراً مسلطاً على الشعب أو أجنبياً محتلاً للبلاد، فهنا لا يخلص الشعب منهما إلاّ بالدعاية المنظّمة بين الناس عبر شبكات وخلايا سرّية تتمكّن من المقاومة، وحيث أنّ طبيعة الناس هي الوقوف ضدّ الديكتاتور وضد الأجنبي المحتل، فإن الدعاية الواقعية المقاومة لهما تنتشر بسرعة كبيرة، وهذا ما يجب أن تفعله النخبة حيث تلقي تعليماتها المفصّلة عمّا يجب وعمّا لا يجب أن تفعله الجماهير صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم لأجل دفع الناس إلى

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

الحق أو الدين، ليبقوا على ولائهم لمبادئهم وتماسكهم في إنقاذ البلاد، كما يؤكد أرسطو في كتابه البلاغة: «إنّ البلاغة وإن كانت على أسلوب ذلك اليوم خاصّة بقاعات المحاكم؛ حيث يقوم بدور الاتّهام أو الدفاع إلاّ أنّ مهمتها الرئيسية هي في المجال الأوسع للسياسات، حيث تهدف إلى إغناء المستمعين لقبول وجهة نظر المحدّث وثنيهم عن قبول وجهة نظر الخصم».

أقول: والشعراء وأرباب البلاغة في العصور الجاهلية كانوا من أهم أعمدة الدعاية والتبليغ سواء كانت في أصنامهم أو لترويج بضائعهم أو لبطولات أقربائهم وأصدقائهم أو من أشبه ذلك، وكانت الدعاية والدعوة لهما أكبر الأثر في نشر الأديان وتعميقها وإدخال الناس فيها، كما وأنّ الحروب كانت تهتم بالدعاية اهتماماً كبيراً سواء الحروب السابقة أو الحروب في القرون الوسطى والحروب في زماننا. وكانت مهمّة الدعاية أولاً إغناء الشعب بالعدالة، وثانياً جعل المحاربين يعتقدون بأنّ الذين بيدهم الدعاية هم على حقّ، وأنّهم سينتصرون في النهاية، وثالثاً إضعاف همم الأعداء لمواصلة الحرب. وإنّي إبّان الحرب العالمية الثانية كنت أشاهد في طريقي إلى النجف وسامراء حيث كان مسيرنا للزيارة أو الدراسة عبارة معلّقة على الجدران وفوق المقاهي والفنادق، مكتوباً عليها هذه الكلمات: «نصر الحلفاء يحقّق انهزام الديكتاتوريين»، وكنت في بعض المرات أشاهد هذا الشعار كتب على مساحات صغيرة، وكنّا نسمع أيّام الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة أنّ الألمان قتلوا ستة ملايين من اليهود بأساليب فظيعة، ولكن الحقيقة التي أراد اليهود تغطيتها أنّ عدد القتلى في مجازر هتلر لا يتجاوز ١٠٪، ومع ذلك فإنّ هذا العدد كبيرٌ أيضاً ويمثل إساءةً كبيرةً للبشر مع اعتقادنا الجازم أنّ اليهود هم السبب المباشر لكلّ فساد في المال والأخلاق والدين، لكن هذا لا يعني القضاء عليهم وإبادتهم،

بـل أفـضل تعامـل هـو مـا ذكـره القـرآن الكـريم بحقّهـم ومـا طبّقـه الرسـول الأكرم ﷺ، أمّا ما ذكر أنّه ﷺ قتل منهم سبعمائة في واقعة واحدة؛ فهذا كذبٌ وافتراء لا أصل له، بل هو من الدعايات اليهودية المضللة. وعند العودة إلى كتب التاريخ يتبيّن أن عدد القتلى يتراوح بين ٤٠ ـ ٧٠٠ قتيل، وأنّ اليهود اختاروا الرقم الذي يناسبهم وهو سبعمائة، لكن كم هي الفاصلة بين ٤٠ و٧٠٠، وهذا دليل قاطع على كذبهم وافترائهم على الرسول الأكرم ﷺ لإظهاره بمظهر القاتل، إضافةً إلى أنّ هذا التفاوت في الأرقام يدل على كذب أصل القضية[1]، إضافة إلى ذلك نجد في التاريخ أنّ كلّ الذين قتلوا على أيدي المسلمين في جميع الغزوات والحروب الإسلامية من المعادين لا يتجاوزون في الحدّ الأعلى الألف والأربعمائة على قول المكثرين، ولم يتجاوزوا الألف والثمانية في الحدّ الأدنى على رأي المقلّين.

---

(١) كان تعامل الرسول مع اليهود في المعارك كالآتي: في معركة المسلمين مع بني قينقاع أمر النبي ﷺ بإجلائهم وغنّم الله رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أراضٍ إنّما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ منهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم.

واختلق الحزب القرشي والمنافقون رواية إجبار ابن أبي للرسول ﷺ على تحرير أسرى بني قينقاع. في حين كانت نظرية النبي ﷺ في الأسرى قائمة على إطلاق سراح الكفار منهم وأصحاب الكتاب. وفي معركة بني النضير كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أراضيهم وأوطانهم، وأن يسيّرهم إلى خيبر وفدك وأذرعات الشام، على أنّ لهم ما حملت الإبل دون الذهب والفضة والسلاح،

وفي معركة خيبر فتح رسول الله ﷺ بعض الحصون عنوة، وبعضها جنح أهلها إلى الصلح أي الوطيح والسلالم، فصالح رسول الله ﷺ اليهود على أن تحقن دماؤهم ولهم ما حملت ركابهم وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والسلاح ويخرجهم، وشرطوا أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا فلا ذمّة لهم ولا عهد، فلمّا وجد الرسول ﷺ المال الذي غيّب الكنز فبدّله الله ﷺ عليه، وبقي الرجال اليهود يعملون في الأرض على نصف الحاصل، راجع من سيرة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: ج١ ص٢٦٣ لنجاح الطائي،

أثر الانفعال في الدعاية

مسألة: يلزم التوجه الى الانفعال الشعبي باعتباره أحد أركان الدعاية التي يمكن استثمارها ضدّ الدولة الأجنبية المحاربة، وإنّ نشر القصص الفظيعة يوجب الانفعال الشعبي وهو بالتالي يقف في قِبال سياسة الممارسين للجريمة بحقّ الشعوب. وقد حاول اليهود استخدام هذا الأسلوب ضدّ هتلر، لكنهم لم يفلحوا في ذلك؛ لأنّهم كانوا يكذبون في تقدير عدد قتلاهم.

ومن نافلة القول: عندما ضربت طائرة بريطانية مسجد الكوفة في الحرب العالمية الثانية حدث انفعال شعبي، وأصبح هذا الحادث حديث المجالس في كلّ مكان حتّى اضطرت بريطانيا أن تقدّم اعتذاراً رسمياً وأخذت توزع المناشير في طول البلاد وعرضها، وقررت محاكمة الطيار الذي ضرب المسجد بالقنبلة، وعندما انتشر خبر تعذيبهم وتمثيلهم بجثّة أحد المواطنين من أهالي طويريج قامت الدنيا ضدّهم.

ثمّ اللازم على من يمارس الدعاية سواء في زمن الحرب أو في زمن السلم ألاّ يذكر دعايات الطرف الآخر وإلاّ فهو الذي ينشر دعايات الطرف الآخر أو المناوئ، بينما يضرّ ذلك بسمعته، وقد قالوا في علم الأخلاق وعلم النفس: إنّه يجب على الإنسان ألاّ يذكر نقائص نفسه؛ لأنّه يطلع العدو والصديق على نقائصه، وهذا ما يعتاده كثيرٌ من الناس، كأن يقول: إنّي كثير النسيان أو كثير السهو أو إنّي منفعل أو جبان أو مثل ذلك، فإنّ أكثرية الناس لا يعرفون هذه الأمور، فإذا ذكرها شخصٌ ما عرفوا هذا النقص في القائل سواء كان واقعاً

هكذا أو كان يذكر ذلك لاستدرار عطف الناس، ونذكر بهذا الصدد ما ذكره بعض العلماء في دعايات الألمان والحلفاء في الحرب العالمية:

قال هذا العالم: «إنّ الألمان أولاً التزموا موقف الدفاع منذ البداية حتى النهاية في دعايتهم الموجّهة إلى العالم الخارجي. فقد كرّسوا جهودهم لنفي الدعايات التي كان يوجهها الحلفاء ضدّهم، وكان الزعماء الألمان يشجعون الأفراد الذين كانوا على اتّصال بالخارج على إرسال الخطابات عن طريق الدول المحايدة، كلما أمكن ذلك، فأخذوا على عاتقهم أن يثبتوا أنّ ألمانيا ليست شريرة بالدرجة التي صوّرها الحلفاء، وقد كانت هذه الدعاية سيئة؛ إذ كانت هذه الخطابات على الأقل تذكر أهداف دعاية الحلفاء لمن تصلهم، تذكر لهم أنّ دعاية الحلفاء مخطئة وغير عادلة مع أنّها في الواقع كانت تريد أن تقنعهم بسوء دعاية الحلفاء. ولكنهم أغرقوا لأمريكا ثمانية سفن محمّلة بالبضائع، ولهذا كانت دعايات الحلفاء يقبلها الأمريكيون سواء كانت صحيحة أم فاسدة، ومن ناحية أخرى كانت هذه الخطابات تستدرّ الشفقة والترحم، ولاشكّ أنّ هذه هي أسوأ فكرة يمكن أن توحي بها دولة محاربة حتّى للدول المحايدة التي تعطف عليها، فعلى رجال الدعاية في زمن الحرب أن يدركوا أنّ الدول المحايدة لم تتأثّر أو بالأحرى قد تتأثّر بشكل عكسي بأيّة فكرة يراد منها إثارة عواطفهم أو شفقتهم، وأنّه كلما ازدادت محنتهم سواء اضطروا إلى التظاهر بالثقة وعدم الاكتراث بالأخطار التي تهددهم. وثانياً إنّ الدعاية الألمانية بصرف النظر عمّا تنطوي عليه من أخطاء كانت تفتقر إلى الأساس الفني البحت الذي كان يعتبر ميزة تنعم بها الدعاية عند الحلفاء».

ومن أبرز القصص التي شاعت بين الحلفاء عن قضايا الألمان، ما نقل «أنّهم أنشؤوا مصنعاً لاستخلاص الجلسرين من جثث جنود الحلفاء، ولاشكّ أنّ هذه

القصّة مختلقة أو أنّها جاءت نتيجة سوء الترجمة الألمانية، غير أنّ الناس لم ينظروا إليها نظرة جدّية، أمّا الحلفاء فقد حرصوا على إذاعة هذا الخبر في جميع أنحاء العالم وعلى الأخصّ في دول الشرق التي تنظر إلى جثث الموتى بشيء من الاحترام والتبجيل والتي ترى أنّ التمثيل بها بهذا الشكل يعتبر من الجرائم الوحشية[1].

أقول: ربّما كان الأمر يحمل مقداراً من الصحّة على ما عرفناه من المسلمين الصينيين الذين جاؤوا إلينا والتقينا بهم، فذكروا لنا أن «ماو تسي تونغ»[2] قتل أعداداً كبيرة من الناس حتّى أنّ إذاعة موسكو ذكرت أنّ قتلى «ماو تسي تونغ» بلغوا قرابة الأربعين مليون، وهذا ما لا نستبعده، وقد ذكر أنّه كان يصنع من جلود القتلى الحقائب لجنوده، كما ذكر أيضاً بأنّه كان يستفاد من أكوام الجثث كأسمدة للأشجار. وقد شاهدنا بأم أعيننا ما فعله أنصار السّلام في زمن عبد الكريم قاسم بجثث المعارضين للشيوعية عندما سحلوا هذه الجثث ومثلوا بها وعلقوها فوق أعمدة الكهرباء وفوق الدكاكين. وكانوا يربطون قدمي المعارض لهم بحبلين منفصلين ومن ثمّ بسيارتين تتمركزان باتجاهين

---

(١) راجع كتاب الراي العام وتأثره بالاعلام والدعاية: الكتاب الثاني: ص٨٤ للدكتور محمد عبد القادر حاتم «بتصرف».

(٢) زعيم صيني، ولد في شادشان سنة ١٨٩٣م، ومات سنة ١٩٧٦م، التحق بالجيش الثوري سنة ١٩١١م ثم بدار المعلمين سنة ١٩١٣م وفي سنة ١٩١٩ سافر إلى شنغهاي وتعرّف إلى بعض الماركسيين، تأثر بكتابات ماركس وكاوتسكي ولكيركوب. انتخب أميناً عاماً للمؤتمر الشيوعي الصيني سنة ١٩٢١م، قاد ثورة على الحكم سنة ١٩٢٧م وقاد مسيرة سنة ١٩٣٤م ثم تراجع أمام الجيش، أسس الحزب الشيوعي الصيني، وأصبح رئيساً للصين الشعبية سنة ١٩٥٤م، واستمر في الحكم إلى سنة ١٩٥٩م، نادى بالثورة الثقافية سنة ١٩٦٦م، ومن جرائمه أنه هدّم سبعة آلاف مسجد في الصين. من مؤلفاته: «الكتاب الأحمر» جمع فيه آرائه ومواقفه، والذي ترجم إلى أربعمائة لغة. راجع الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: ج٧ ص٣١٢٤، موسوعة السياسة: ج٥ ص٦٩٨.

مختلفين، وتكون النتيجة تقطيع المعارض إلى قطعتين وهو حيّ، وكانوا في بعض الأحيان يأخذون الأحياء أو جثث الموتى ويضعونها على قنارة القصابين ويقطعونها كما يقطعون الشياه، وكان من وسائل التعذيب وضع السجناء على الأرض وربطهم من اليدين والرجلين ثمّ فتح قنان مليئة بالأفاعي والعقارب وإفراغها على أجساد هؤلاء المساكين فيتلوون من الآلام المبرحة حتّى يموتوا نتيجة لدغ العقارب ولسع الأفاعي. وهذا شيء قليل من القصص والجرائم الفظيعة التي كنّا نسمع عنها أو نشاهدها في العراق، وقد مارسوا هذه الأساليب مع الإخوان المسلمين في مصر وقد قرأنا وسمعنا عنها، كما مورست في عهد لينين وستالين وشاه إيران وصدام التكريتي وغيرهم من المجرمين المنحرفين.



مكونات الدعاية

مسألة: يلزم أن تتوفر في الدعاية عدة أمور حتى تحقق أهدافها:

الأول: اتصاف الدعاية بالحكمة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، ومعنى الحكمة وضع الشيء في موضعه. ومنه قيل: «الرجل المناسب في المكان المناسب».

وكثيراً ما تكون الدعاية بغير اللسان أبلغ من اللسان، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم)[2]. والموعظة الحسنة عبارة عن الوعظ والتنبيه والإرشاد بكلام حسن جميل لين؛ كما قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3].

فإذا كان الطرف مجادلاً لا يريد قبول الحق فلابدّ من إسكاته؛ إذ اللازم الجدال بالتي هي أحسن، أي أحسن الطرق؛ لأنّ المقصود إمّا سماع الطرف كلامك والعمل به، وإمّا إسكاته وتنزيله من برجه العاجيّ.

الثاني: أن تكون الدعاية بسيطةً محدودة المعالم ممكنة التكرار[4] ـ مهما

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٤٦ ب١ الفصل ١٢، بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٠٩ ب٥٧ ح٣٨، وفي الكافي (أصول): ج٢ ص٧٨ ح١٤، وسائل الشيعة: ج١ ص٧٦ ب١٦ ح١٧١ (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير...)

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) إن استخدام أسلوب التكرار وعرض الموضوع أكثر من مرة له فوائد جمة منها للتأكد من

أمكن ـ، شرط أن لا يكون التكرار موجباً للملل؛ فالدعاية: للحب المضاد للكراهية، واللين المضاد للعنف، والعدالة المضادة للظلم، والصدق المضاد للكذب، والشجاعة المضادة للجبن، وما أشبه ذلك من أفضل الدعايات.

بالطبع إنّ الدعاية الكاذبة المخادعة إذا ما روعي فيها ما ذكرناه من البساطة وتقنيات الكذب والحيلة بشكل متقن وبشكل يحرك مشاعر الناس تكون نافذة في القلوب، لكن اللازم على الإنسان أن يدعو إلى الخير والحقّ والجمال، وأمّا الدعوة إلى ما ليس بصحيح، فلابد أن تنقلب إلى الداعي بالسوء ولو بعد حين، فقد قال لينين ومن قبله غوبلز: «اكذب ثمّ اكذب ثمّ اكذب حتّى يصدّقك الناس»، والحال أنّ كلامه باطل مائة بالمائة، فالكذب مهما كان فهو لا يصدّق إلاّ في ظلّ بريق السيف أو بريق الذهب، ولذا نجد أن لينين كان مكروهاً من قبل الشيوعيين أنفسهم، الذين كانوا ملتفين حوله أمثال ستالين وبيريا ومن أشبههم، وقد قَتَلَ لينين بسبب أكاذيبه وأعماله الملايين من الشعب الروسي. ولم يمر في التاريخ أن ذلّ رئيس بعد موته كما ذلّ لينين؛ حيث كانت تماثيله مرمية في المزابل تبول عليها الكلاب؛ كما ذكر ذلك من جاء من تلك البلاد بعد سقوط الشيوعية.

الثالث: يجب أن تكون الدعاية مصاحبة لإظهار القوّة وتحقيق النجاح والنصر وذلك باستخدام الألفاظ الجذابة القادرة على صنع صورة القوّة، ولذا قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، وقال ﷻ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2]. وقال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

وصوله إلى أكبر شريحة من الناس ولتحقيق أكبر قدر ممكن من التأثير المطلوب بشرط مراعاة الوقت الملائم والظروف المؤاتية والوسائل الناجعة للتكرار.

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.

(٢) سورة الملك: الآية ١.

جَمِيعاً﴾ [1]، وقال ﷻ: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [2]، وقال ﷻ: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [3].

الرابع: من المفترض استخدام كافة التسهيلات الممكنة في الدعاية، وأن يسعى الداعي لاكتساب الطرف الآخر والتأثير عليه بكلّ ما أوتي من لباقة وبلاغة.

الخامس: من المفترض أن تكون الدعاية متطوّرة مع تطوّر الزمن والأحداث، وملائمة للغة العصر ومفاهيمه؛ فالدعاية الجامدة هي جسدٌ بلا روح، فهي تضرّ أكثر ممّا تنفع.

السادس: يجب أن تكون الدعاية متسقة، لا أن تدعو جهة إلى شيء، وجهة أخرى تدعو إلى شيء آخر مضاد. لذا فمهما كانت الحكومة ديمقراطية يجب أن تكون دعايتها مركزية حتّى يسمعها الناس باتّفاق وعلى وجهة واحدة.

السابع: يجب أن تكون الدعاية متوجّهة إلى الموضوعات الحسّاسة القديمة في الأذهان والأفكار وإن أريد تبديل صيغتها إلى صيغة أخرى، لكن يجب أن تكون في جوهرها معروفة لدى الناس جميعاً. ولذا نجد أنّ الإسلام عندما يريد الدعاية لنفسه، يقول للمسلمين: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [4]، ذلك لأنّ الناس يرتاحون لما اعتادوا عليه ولما ألِفَه آباؤهم وأسلافهم، وهذا لا ينافي أن تأتي الدعاية بصيغة ملائمة للزمان والمكان والظروف الخاصّة، فمن يريد الدعوة إلى أفكاره محاولاً استلام السلطة ــ مثلاً ــ، يجب أن يدعو المجتمع إلى أنه يريد إلغاء الفقر والمرض والجهل والبطالة والفوضى وما أشبه ذلك.

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.

الثامن: اللازم في الدعاية أن تكون مستندة إلى معلومات دقيقة محدودة ذات قيمة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو تربوية أو عسكرية، ويجب أن تكون قادرة على تحريك العقل والعاطفة والنفس حتّى تأتي ناجحة وإلاّ فإنّها تبوء بالفشل، وأن تكون بلغة رفيعة وصحيحة، فربّ خطأ لفظي سبّب انصراف الناس عن كلّ دعاية، ويجب أن تكون العبارات واضحة تجنباً للالتباس في المعاني والتفاسير، ويجب أن تكون الدعاية صادقة ومعقولة ولا تحتوي على تنقيص الآخرين ولا تشتمل على الأنانية وما أشبه ذلك.

التاسع: من الضروري أن تكون الدعاية موجّهة إلى الأفراد بما هم أفراد وإلى الأفكار المفردة لا إلى المجموع من حيث كونهم مجموعاً ولا الى الافكار المركبة، فإنّ إسقاط إنسان واحد وإبطال مفردة فكرية أسهل بكثير من إسقاط المجموع وإبطال الأفكار المركّبة، فكما أنّ الأفراد يصنعون الحكومات والأحزاب وما أشبه ذلك، كذلك الأفراد هم الذين ينفر عنهم ويهدّمون في الاجتماع، ولذا نجد في القرآن الكريم أنّ الله ﷻ يركّز على تحطيم الأصنام والآلهة الباطلة، كما كان المشركون يركّزون على الأصنام مثل اللاّت ومناة وهبل والعزى، كما أنّه ﷻ يركّز في الجهة الإيجابية إلى ألوهية الله الواحد، وفي القرآن الكريم: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[1].

العاشر: اللازم أن تكون الدعاية مخفية وإلاّ فإذا ظهر للناس أنّها دعاية انفضّوا من حولها؛ لأنّ الناس يكرهون الدعاية وإن كانت على حقّ، ونجد في القرآن الحكيم أنّه ﷻ يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

حيث لا يقول: إني على الحقّ وأنتم على الباطل لكي يقولوا: إنّه يدعو لنفسه، بل يظهر الكلام بمظهر المنصف العادل، وهذا هو أسلوب الحوار العلمي.

وعند مناقشة إبراهيم عليه السلام لنمرود ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[1]. هذا بالنسبة إلى الدعاية الحقّة، أمّا بالنسبة إلى الدعاية الباطلة فأحوج ما تكون إلى الإخفاء وإلاّ انفضّ الناس من حولها. وكلامنا في هذا الصدد يجري حول الدعاية بشقّيها الحقّة والباطلة، وإلاّ فالدعاية يجب أن توافق الحقّ لتعطي أثرها الكبير[2].



(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٢) وهناك نقاط أخرى ذكرها الدكتور صابر فلحوط والدكتور محمد البخاري في كتابهما العولمة والتبادل الإعلامي الدولي: ص٩٧ ونحن ننقل بعضها بتصرف: ١- استخدام أسلوب يراعي اهتمام الناس وميولهم الثقافية والعادات والتقاليد ٢- استخدام أسلوب التلميح والغمز عند توجيه الاتهام لشخص ما أو لجماعة معينة أو دولة بحدّ ذاتها كون تأثير هذا الأسلوب أكبر من تأثير الاتهام المباشر ٣- استخدام أسلوب عرض المواضيع بقالب يوحي بأنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل لمنع تسرّب الشك إلى أذهان الناس ٤- استخدام أشخاص وعلماء نفس يعرفون ثقافة وميول ورغبات واستعداد الناس ليعرضوا المادة الدعائية بالصورة واللغة التي يفهمها الناس إضافة لمحاولة تقمصّ شخصية القارئ والمستمع والمشاهد أثناء تنفيذ الحملات الدعائية ٥- الاعتماد على المصادر الموثوقة عند إعداد وصياغة الدعاية بهدف زيادة الثقة وتدعيم حالة التقبل، أو التجاهل المتعمّد لأحداث معينة ٦- استخدام أسلوب المبالغة بشكل يصعب معه اكتشاف الدعاية ـ من قِبل القارئ أو المستمع أو المشاهد ـ لأجل التأثير عليه.

كما ذكر غيرهما في كتاب الاعلام والراي العام: ص٢٥٢-٢٦٧ بحث أهداف الدعاية السياسية شروطاً أخرى ٧- أن تكون الدعاية تخاطب أكبر قدر من الناس ٨- أن تدفع الناس الى التجانس خلف الراي والعمل ٩- أن تدخل حقل التربية والتعليم ١٠- أن تصب جلّ اهتمامها على الشباب.

مرتكزات الدعاية

مسألة: يجب أن تعتمد الدعاية على مرتكزات ثابتة وواضحة وهي كالتالي:

أولاً: ملاحظة الحالة النفسية للمخاطب، فمعرفة الداعية باتجاهات وميول وأفكار المخاطب تساعده مساعدة كبيرة في ابتكار الصيغة الدعائية المطلوبة.

ثانياً: الاهتمام بالدوافع الفردية، لأنّ هذه الدوافع تشكّل الأساس النفسي للأفراد، والدعاية التي تهتم بالدوافع هي الدعاية المؤثّرة في الناس، ودوافع الناس هي حبّ التملّك وحبّ الثروة والجمال والرغبة في النظافة والصحّة والأمن والاستقرار والزواج والأولاد وما أشبه ذلك، فإذا استطاع الداعية أن يثير هذه الدوافع في المادّة الدعائية فإنّه سيكون قادراً على التأثير الجيّد.

ثالثاً: اتّباع قوانين البيع والشراء، فكما أنّ البائع يعطي للمشتري ما يطلبه كذلك الداعية يعطي للجماهير ما يتشوقون إليه.

ويذكر أنّ هتلر استخدم لإقناع الألمان جميع الأساطير الجرمانية القديمة التي كانوا قد اعتادوا على سماعها وحكايتها ويستأنسون بها ويستريحون إليها، كما كان يستعمل جميع الأحقاد التي أوجدتها الهزيمة السابقة واستغلّها في دعايته، وكذلك حاول أن يبعث في فرنسا العداوة القديمة ضدّ الإنجليز، وفي إنجلترا حاول تأجيج العداوة ضدّ فرنسا.

ومثل ذلك: نقل أنّ سُديف[1] الشاعر دخل على

---

(١) سديف بن إسماعيل بن ميمون من أهل مكة، وأحد الشعراء المرموقين ومن المخضرمين في

السفاح[1] في مجلسه والأمويون من حوله جالسون على الكراسي، فقال للسفاح: أين علي وأين الحسن وأين الحسين وأين زيد بن علي بن الحسين وأين يحيى، فأخذ يعدّد كبار السادة العلويين الذين قتلهم الأمويون بأبشع قتلة، وهنا هاج السفاح وأمر بقتل الأمويين، فقتلهم عن آخرهم في قصّة مشهورة[2].

الدولتين الأموية والعباسية، وكان شديد الولاء لأهل البيت ﷺ مظهراً ذلك في أيام بني أمية، وهو راوي الحديث الوارد عن الرسول ﷺ: (يا معشر المسلمين من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً) ، قتله عبد الصمد عامل المنصور العباسي على مكة سنة ١٤٦هـ. راجع: الأعلام للزركلي: ج٣ ص١٢٦، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٠ ص١٤٨، معجم رجال الحديث: ج٩ ص٤١، ميزان الاعتدال: ج٢ ص١١٥، لسان الميزان: ج٣ ص٩، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٥٩.

(١) أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أول خلفاء بني العباس، ولد سنة ١٠٤هـ (٧٢٢م) ومات بمرض الجدري في مدينة الأنبار ـ الهاشمية ـ التي أسسها سنة ١٣٦هـ (٧٥٤م) وحكم أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م) وإلى ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ (٧٥٤م) وعاش ٣٢سنة، عرف بالبطش والقتل وأطلق على نفسه لقب السفاح في أول خطبة ألقاها في مسجد الكوفة بعد استلامه للحكم، وقتل وزيره أبا سلمة الخلال الذي لُقب وزير آل محمد لمحاولته إرجاع الدعوة إلى العلويين. راجع تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٦٨ وج٦ ص٨٢ و١٠٣ و١٢٠، الكامل في التاريخ: ج٥ ص٤٠٨، الكنى والألقاب: ج٢ ص٣١٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٠٧، العقد الفريد: ج٥ ص١١٣، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٤٩، الأعلام للزركلي: ج٤ ص٢٥٧.

(٢) جاء في كتاب الكنى والألقاب: ج٢ ص٣١٥ ما يلي: إنّ السفاح كان جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هاشم بن عبد الملك وقد أكرمه السفاح، فدخل عليه سديف الشاعر فأنشده:

لا يغرّنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داءً دويّا

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لاترى فوق ظهرها أمويا

فالتفت سليمان فقال: قتلتني ياشيخ، ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل، ودخل عليه شاعر آخر وقد قدّم الطعام وعنده نحو سبعين رجلاً من بني أمية فأنشده:

أصبح المُلك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس

رابعاً: مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وقد قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ (١). وقال رسول الله ﷺ: (إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم) (٢)، من هنا فمن الضروري أن يخاطب الداعية النساء في الأمور المرتبطة بهن، والفلاحين في الأمور المرتبطة بهم، والعمال في الأمور المرتبطة بالعمال، والمثقّفين في الأمور المرتبطة بالمثقّفين، والأطباء في الشؤون المرتبطة بالأطّباء، والمهندسين والمحامين في الأمور المرتبطة بهم.

خامساً: مخاطبة الناس وفق لغتهم، سواء كانت لغة فصيحة أو لغة دارجة، أمّا أن يتكلّم بلغة أخرى أو يتكلّم مع من يتكلّم الفصحى باللغة الدارجة، فإنّ ذلك يعتبر ضعفاً إعلامياً وبعداً عن التأثير المطلوب.

سادساً: اتّخاذ أسلوب تحويل الأنظار، وكما في المثل الغربي: «كلّ يوم

لاتقيلن عبد شمس عثاراً	وقطعن كل رقلة وغراس
انزلوها بحيث أنزلها الله	بدار الهوان والأنعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد	وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى	ثاوياً بين غربة وتناس

فالتفت أحدهم إلى مَن بجانبه وقال: قتلنا العبد، ثم أمر بهم السفاح فضربوا بالسيوف حتى قتلوا، وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فأكل الطعام وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) الكافي (أصول): ج١ ص٢٣ ح١٥، المحاسن: ج١ ص١٩٥ ب١ ح١٧، غوالي اللآلي: ج٢ ص١٠٣ ح٢٨٤ وج٤ ص١٢٥ ح٢١٢، تحف العقول: ص٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص١٨٦، مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٨ ب٨ ح١٢٧٥٩، بحار الأنوار: ج١ ص٨٥ ب١ ح٧، الأمالي للصدوق: ص٤١٩ المجلس الخامس والستون ح٦، مشكاة الأنوار: ص٢٥١ الباب السادس الفصل الثاني.

يخرج من حقيبته لوناً خاصاً من ألوان الأرانب»، ولذلك يشتغل الناس بالنظر إلى هذا اللون الجديد، فالخطيب يجب أن يلتجئ إلى خلق الموضوعات الجديدة حتّى يحوّل أنظار الناس إليه.

سابعاً: اتخاذ أسلوب الكلام والصمت حسب موارد الاقتضاء، فإن الأسلوب الدعائي قد يكون إيجابياً بمعنى أن يقدم الإنسان الداعية على الكلام، وقد يكون أسلوباً سلبياً وهو سكوت الداعية، فالسكوت في بعض الموارد أبلغ من الكلام، وقد أحصى بعض الباحثين عدد الأوامر التي أصدرها «غوبلز» للصحف فكانت خمسين ألف توجيه إعلامي، ربع هذه التوجيهات كانت على صيغة أوامر باتخاذ حالة الصمت. والشيء بالشيء يذكر: أنّ الأصوليين ذكروا أنّ فعل المعصوم وتقريره وقوله حجة، والمراد بالتقرير هو السكوت في قبال فعل أو قول صدر من طرف آخر.

ثامناً: اتّباع الأسلوب السّرّي، فالدعاية قد تكون علنية وقد تكون سرّية، كما في كثير من الحكومات حيث تعمد إلى إلقاء موضوع ما إلى جهازهم السرّي لكي ينشروه في الوسط الاجتماعي، حينما يكون الأسلوب العلني مثيراً للرأي العام، وقد تستخدم الأسلوب السري عند الرغبة في عدم إثارة الرأي العام، أو الحيلولة دون إسقاط الروح المعنوية العامة، أو عدم إثارة انتباه العدو للموضوع.

تاسعاً: اتّباع عامل التجديد، فالناس يبغضون التكرار الكثير، ويحبّون التجديد، لذا من المفترض على الداعية أن يخلق موضوعاً جديداً معنىً وصورة حتّى يلتفّ حوله الناس ويستمعوا إليه، لذا نرى رجال الدعاية سواء في الصناعة أو الزراعة أو الاجتماع أو غير ذلك يبتكرون كلّ يومٍ صورة أو معنى جديداً في مجال الإعلام.

عاشراً: أن يكون الداعية خفيف الروح ذا دعابة ولطائف ونكتاً، فإنّ الدعاية وخفّة الروح من المتكلّم تؤثّر في السامع أكبر الأثر، ولذا نجد أنّ المعارضين السياسيين يمتازون بخفّة الدم فهم يختلقون النكات واللطائف ضدّ الدولة التي يعارضونها سواء كانت النكتة لفظية أو معنوية[1]، وكان اليهود على طول التاريخ إذا لقوا المسيحيين مالوا برؤوسهم إلى جانب أكتافهم كناية بأنّا قتلنا نبيكم عيسى عليه السلام، إشارة إلى المصلوب الذي يميل رأسه على كتفه.

حادي عشر: الأخذ بالتكرار الجميل في الدعاية، فالتكرار يؤثّر في كلّ شيء حتّى في القلب، فالداعية يكرّر مطلبه في عبارات وشعارات وإشارات وما أشبه ذلك، ولذا نجد في القرآن الكريم أثناء الحديث حول موسى عليه السلام هذا التكرار الجميل، فمرةً يقصّر الحديث حول موسى وطوراً يطوّل الحديث، وتارةً يكون الحديث حول بعد واحد من أبعاد القصّة وهكذا. فلو أردنا أن نجمع كلّ المواقف المتعلّقة بموسى عليه السلام في القرآن الكريم لوجدنا أنّها بإجماعها تشكّل لوحة جميلة عن شخصية هذا النبي المرسل[2].

ثاني عشر: استمرارية الدعاية من الأوّل إلى الأخير، وهذا ما يصطلح عليه من الباب إلى الباب، وذلك وفق ما يفعله الديكتاتوريون، وكذلك الأحزاب في العالم الحرّ فيلصقون صورة الزعيم أو رئيس الحزب، في البيت والمكتب والشارع والمستشفى والمستوصف وما أشبه ذلك.

ثالث عشر: استخدام البساطة، فالمطلب البسيط هو القابل للنفوذ إلى السمع فالقلب بسرعة وبدون تحفّظ، ولذا كان شعار الإسلام إعلان

---

(١) أي عبر الإشارة.

(٢) وقد تحدث الباري عز وجل عن النبي موسى عليه السلام في احد عشر سورة من سور القرآن الكريم.

الشهادتين، وكان من شعار المصلّين الأذان، ومن هذا الباب استخدام الرموز مثل استخدام الصليب للدلالة على المسيحية، والصليب المعقوف للدلالة على النازية، والمطرقة والسندان للدلالة على الشيوعية، والهلال للدلالة على الإسلام.

رابع عشر: عدم خلط الأوراق وجمع الأشباه؛ لأنّ ذلك يصعب الوصول إليها بل يبدأ بالأول فالأول، ولذا قال القرآن الحكيم: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾[1] وكان هتلر يقول: «إنّني لا أحارب الطبقة العمالية الماركسية بل بعض اليهود الماركسيين الذين يحركونهم»، وكان يقول أيضاً: «إنّه لا يحارب الكنيسة بل جماعة القساوسة المناهضين للدولة»، مع أنّه كان يحارب الجميع ولا يفرّق بين هذا وذاك في عدائه.

والفرق بين ما ذكرناه من القرآن الحكيم وبين هتلر، أنّ القرآن لم يكن ينفي محاربة الذين عاداهم وإنّما يأتي بالإثبات، بينما هتلر يكذب حيث يأتي بالإثبات والنفي معاً، فهو يريد أن يحاربهم جميعاً.

خامس عشر: حصر العدو في السبب الحقيقي، فالإنسان يجب أن يفرّق بين العدو الأساسي والأعداء الهامشيين، والمهم هو مواجهة العدو الأساسي، وهذا منهج أمير المؤمنين عليه السلام مع معاوية، ففي معركة صفّين نادى أمير المؤمنين عليه السلام: يا معاوية ـ كرّرها عدّة مرّات ـ فقال معاوية: سلوه ما شأنه؟ قال عليه السلام: أحبّ أن يظهر لي فأكلمه بكلمة واحدة، فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو، وقال لمعاوية: ويحك علام يُقتل الناس بيني وبينك ويقتل بعضهم بعضاً؟، ابرز إليّ فأينا قتل فالأمر إلى

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

صاحبه، فالتفت معاوية إلى عمرو، فقال: ما ترى يا أبا عبد الله؟ قال: قد أنصفك الرجل، وأعلم أنك إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي على ظهر الأرض عربي. فقال معاوية: يا ابن العاص، ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله، ما بارز ابن أبي طالب شجاع قط إلاّ وسقى الأرض بدمه، ثمّ انصرف معاوية راجعاً حتّى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه، فلما رأى علي عليه السلام ذلك، ضحك وعاد إلى موقفه[1]، وهكذا يجب أن يتصدّى الداعية للنقطة الأساسية في الهدف ليلقى نجاحاً منقطع النظير.



(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٤٧٧ ب١٢ ح٤١٥، شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد: ج٥ ص٢١٧.

العامل الديني في الدعاية

مسألة: من الأساليب الناجحة في التبليغ والدعاية استخدام العامل الديني، فالدين مرتبط بقلوب الناس وعواطفهم، وإذا استطاع الداعية أن يستخدم العامل الديني كان له تأثير كبير في النفوس، والإسلام استخدم الدعاية للتبليغ لأركانه. فالأذان دعاية للصلاة ومناسك الحج فيها نوع من الدعاية. وكذا استخدم تلاوة القرآن والأدعية قبل حلول وقت الأذان وبعده في ليالي شهر رمضان ودعاء كميل ودعاء الصباح ودعاء السمات وما أشبه، وأمامنا نظام صدام التكريتي ـ الذي لا يشك أحد في عدائه للدين ـ حيث استخدم العامل الديني، فتظاهر صدام بمظهر المتدين ونعت نفسه بالعبد المؤمن، والعبد الصالح وما شابه ذلك من النعوت.

والغريب حقاً أنّ روسيا الملحدة المشهورة في إلحادها هي أيضاً استخدمت العامل الديني، فقد تضمّنت الإذاعة الروسية قبل سقوط الماركسية على آيات من القرآن الكريم والإنجيل والتوراة واستخدمت الصور الدينية والشعارات الدينية في مجلاّتها لترد على منتقديها وأعدائها.

كما استخدم بنو أميّة وبنو العباس وبنو عثمان العامل الديني للوصول إلى أهدافهم، وحتّى أعمالهم القذرة استدلوا بها بالعامل الديني، فعندما كان أحد الخلفاء العثمانيين يريد أن يفعل المحرّم مع الصبيان كان يستدل بالآية الكريمة: ﴿تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [1]، فارتكب العمل المحرّم في قبال مقدار

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٩.

من المال، وكان الحاكم الأموي الوليد يدخل حوض الخمر مع جماعة من الولدان والبنات يفعل بعضهم ببعض في الحوض نفسه وفي خارجه وهم عراة، وقد استدلّ بحديث موضوعٍ عن رسول الله، قد وضعه هو بنفسه واستشهد عليه بأربعين من الشيوخ الكبار بأنّه ﷺ قال: (لا حساب ولا عذاب على الخلفاء)[1]. وهنا لا فرق في استغلال الدين سواء كان ذلك الدين ديناً حقيقياً أو ديناً مزيفاً.



(١) جاء في كتاب أولاد الإمام محمد الباقر عليه السلام للسيد الزرباطي: ص٣٨: قال: سيروا بسيرة عمربن عبد العزيز فأتوه بأربعين شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب.

عامل التحريف

مسألة: يجب التوجه إلى النصوص والعهود والمواثيق في حال صياغتها، فإنه كثيراً ما يحرف لفظ إلى لفظ آخر بزيادة أو نقيصة أو نحو ذلك، وهذا العامل يعتبر من أهمّ عوامل الدعاية والإعلام؛ حيث يحاول الأعداء استغلال أساليب التحريف ليطلقوا دعاياتهم المضلّلة. وعلى سبيل المثال فقد استغلت إسرائيل اللفظ المحرّف لعبارة الأراضي العربية في قرار مجلس الأمن لتقول إنّ المطالبة بخروج إسرائيل من بعض الأراضي وليس كلّ الأراضي مستدلّة بعبارة «أراضٍ عربية» في النسخة الفرنسية دون النسخة الإنجليزية.

ويجب التوجه إلى عامل الزيادة والنقيصة؛ إذ كثيراً ما تحذف أخبار زعيم بارز أو عالمٍ ديني ليتناسى الناس ذلك الزعيم وذلك العالم.

وقد قال الشاعر:

ما ليس في العين قد يمحى عن الأثر ... فلا تجد لمحياه بمذكر[1]

وأوّل ما فعله ابن الزبير أنّه حاول أن يتغافل عن اسم الرسول الأكرم ﷺ في خطبه، فحذف اسم رسول الله ﷺ في خطب الجمعة والأذان، ولما قيل له في ذلك، قال: «إنّ له أهل بيت سوء إذا ذكرته اشرأبّت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر أعينهم بذلك»[2]؛ يريد بذلك محو اسم الرسول ﷺ، كما أنّ معاوية

---

(١) من البحر البسيط.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٨ ص١٨٣ ب٧ ح٣٦، الكنى والألقاب: ج١ص٢٩٤جاء في التاريخ أنه خطب اكثر من عشرين خطبة.

كان يريد أيضاً دفن اسم رسول الله ﷺ كما قال بنفسه: «إلاّ دفناً دفناً»(١) في قصّة مشهورة، وقد ذهب ابن الزبير، وولّى معاوية وبقي اسم رسول الله ﷺ؛ لأنّه كان يُحمل في قلوب المسلمين في كلّ مكان. ولولا هذا الحبّ والود الذي يكنّه المسلمون لنُسي رسول الله ﷺ ولنُسي أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً مثلما نُسي الكثير، فمن المعروف أنّ عدد الأنبياء هو مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ونحن لا نعرف من أسمائهم إلاّ زهاء سبعين نبياً.



(١) يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج٥ ص١٢٩-١٣٠ ح١٠ ما لفظه: قال المطرّف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، وكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وماذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فو الله ماعندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات، هيهات، أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملَكَ أخو تيم فعَدَل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلَكَ حتى هلَكَ ذكره إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملَك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلَكَ حتى هلَكَ ذكره، إلاّ أن يقول قائل عمر، وإن ابن أبي كبشة ليُصاح به كل يوم خمس مرات: «أشهد أنّ محمداً رسول الله»، فاي عمل يبقى؟ وأيّ ذِكرٍ يدوم بعد هذا، لا أبا لك!؟ لا والله إلاّ دفناً دفناً. وكذلك راجع كشف الغمة: ج١ ص٤١٩، كشف اليقين: ص٤٧٤ المبحث السادس والثلاثون.

النصوص الدعائية

مسألة: يجب الاتعاظ من طرق وأساليب الدعاية التي حدثت في الماضي أو التي تحدث في الحال الحاضر؛ فإنّ التاريخ يعيد نفسه. ويجب النظر إلى الحالة النفسية للشعوب في تأثير الدعاية وعدم تأثيرها.

يقول أحد الكتاب في هذا الصدد في كتابه مهاجماً الشيوعية والشعوب التي صدّقت الشيوعية: «لقد سلك المستعمرون في تخدير ضحاياهم بالوعود الكاذبة وتغريرهم بزخارف الأباطيل ومحرجات الإيمان على نية الحنث بها منذ اللحظة الأولى، ففي أوائل الانقلاب الشيوعي أصدروا بياناً وجهوا فيه الخطاب إلى شعوب العصبة الإسلامية بصفة خاصة، ورد فيه: لكلّ شعب منها أنه آمن بعد اليوم على حريته الكاملة في معتقداته وشعائره وعاداته ومقومات اللغة والعرف بين عشيرته وأهله، وآذنوه بزوال الحكم القيصري، وزوال الحجز والطغيان بزواله إلى غير رجعة، وما هو إلاّ أن هدأت الثائرة واستقرت الدولة الجديدة في مراكزها حتّى عادت القيصرية في أبشع صورها، وحلّ الخوف محل كلّ شيء».

أقول: على هذا الحال وجدنا الشيوعيين أيّام عبد الكريم قاسم في العراق، والشعب العراقي على الأغلب شعبٌ طيب، ومن الواضح أنّ الشعب الطيّب يصدّق الناس جميعاً باعتبار أنّهم طيّبون مثله، فلمّا استولى عبد الكريم قاسم على الحكم وهو شيوعي بريطاني[1] أظهر الشيوعيون وجههم القبيح فنشروا

---

(١) للتفصيل راجع كتاب مذكرات وأسرار هروب نوري السعيد للدكتور صالح البصّام.

الإعدام والسحل والتعذيب وألف شيء وشيء ممّا كان خلافاً لتلك الوعود المعسولة.

وفي الحديث أنّه جاء رجلٌ من بلد ما إلى رسول الله ﷺ فسأله الرسول عن أهل البلد. فقال: كلّهم طيّبون. فسكت الرسول ﷺ ولم يقل شيئاً. ثمّ ذهب الرجل وبعد لحظة جاء رجلٌ آخر من البلد نفسه. فسأله الرسول ﷺ عن أهل ذلك البلد فانتقدهم، وقال عنهم: إنّهم ليسوا بطيّبين فسكت الرسول ﷺ أيضاً. ولما ذهب سأله الأصحاب: يا رسول الله، لماذا سكت في المرة الأولى والمرة الثانية؟ فأجابهم رسول الله ﷺ بأنّ كلّ واحد يحكي عن داخل نفسه. فمن الواضح أنّ الإنسان الشرير يرى الناس أشراراً، والإنسان الخيّر يرى الناس خيّرين. وهذه ليست قاعدة على نحو الكلية وإنّما هي قاعدة في الجملة، بينما الرسول ﷺ بهذه العبارة الموجزة لخصّ كلّ شيء.

وقد رأينا في الحال الحاضر أنّ الصرب في يوغسلافيا كانوا يستثيرون الجميع ضدّ المسلمين حتّى أنّ السوّاح الذين كانوا يزورون بلاد الصرب كانوا يتبرعون بشراء البندقية لقتل المسلم بها، وكان قتل المسلمين جزءاً من أعمال الترفيه عن النفس، وجاءت هذه النزعة العدوانية على خلفية زرعها الاستعمار البريطاني حول وحشية المسلمين وتعطشهم للدماء[1]، وقد ورد في الحديث بخصوص قتلة الإمام الحسين عليه السلام هذه اللفظة الغريبة: (كل يتقرّب إلى الله

---

(١) وقد قتل الصرب في الحرب التي قادوها ضد المسلمين الأبرياء العزّل سنة ١٩٩٨-١٩٩٩ أكثر من مائة وأربعين ألف رجل وامرأة وطفل، وما زالت المقابر الجماعية تكتشف بين الحين والآخر، واغتصبوا الآلاف من النساء المسلمات، وهدموا أكثر من أربعمائة منطقة سكنية وبلدة، ناهيك عن المعوقين والمشردين ومن فقدوا أموالهم وأعمالهم وصنائعهم ونحو ذلك، وقد هجرو أهلها المسلمين على أسس عرقية ـ دينية ومارسوا معهم سياسة التطهير العرقي.

بسفك دمه)[1]. حيث أنّ بني أمّية قد عبؤوا أجهزتهم الإعلامية ضدّ أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر بعض العلماء أنّ أكثر من سبعين ألف منبر صوّر علياً والحسن والحسين وفاطمة الزهراء عليهم السلام على أبشع صورة [2]. فقد صوّر بنو أميّة أمير المؤمنين عليه السلام شخصاً لا يصلّي ولا يصوم ولا يغتسل من الجنابة. حتّى إنّه حينما قتل علي عليه السلام في مسجد الكوفة تعجب كثير من أتباع معاوية من الذين يسمّون بمسلمين، وكان سبب تعجبهم أنّهم كانوا قد سمعوا في الدعاية الأموية عن علي بأنّه لا يصلّي، فكيف وقد قتل في المسجد؟

وكان من أساليب الإعلام الخبيثة عند بني أمية أن يأتي رجل إلى الأطفال ويهدي إليهم الخريط[3] باسم معاوية وبمجرّد أن يقوم الأطفال بتناول الخريط كان يأتي شخص يحمل اسم علي بن أبي طالب فيأخذ الخريط من أيديهم، حتّى أصبح علي بن أبي طالب عدواً بنظر الأطفال، وقد أثّرت هذه

---

(١) جاء في الحديث: إن الإمام علي بن الحسين عليه السلام نظر إلى عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام أزدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرّب إلى الله عز وجل بدمه وهو بالله يذكّرهم فلا يتعضون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً...) راجع: الأمالي للصدوق: ص٤٦٢ المجلس السبعون ح١٠، مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم: ص٢٧١.

(٢) قال الزمخشري في ربيع الأبرار على ما يعلق بالخاطر، والحافظ السيوطي: أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها علي بن أبي طالب لما سنّه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

سبعون ألف منبر، وعشرة ... من فوقهن يلعنون حيدرة

راجع الغدير: ج٢ ص١٠٢.

(٣) وهو نوع من الحلوى ذات اللون الأصفر كان يستخدم في السابق ومازال يستخدم في بعض مناطق بلاد الشام والعراق.

الدعاية بالبسطاء من الناس الذين لا يعرفون من الدين شيئاً.

وقد سمعت من أحد أساتذتي وهو رجلٌ مطّلع ومتتبّع هو السيد حسن القزويني[1]، صاحب التأليفات الكثيرة، حيث كان يقول: «إنّ معاوية استخدم كل الأساليب لحرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن هذه الأساليب الادّعاء الكاذب بأنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان يبغضه؛ بالادعاء أنّ علياً كان يتسلّط ويتجسّس على نساء الرسول وينظر إليهنّ بشهوة، وقد وضع مرتزقة معاوية مائة ألف حديث ضدّ الإمام علي عليه السلام لكن ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾[2]». ويقول الشاعر:

لمولى الكون فضلٌ ليس يخفى ... على المخلوق طراً أن يعمه

أراد الجاحدون ليطفئوه ... ويأبى الله إلا أن يتمه[3]

ومن أساليب الدعاية، يذكر أنّ حاكماً سلّ سيفه أمام رعيته، ثمّ قال: هذا حسبي، ثمّ نثر على رؤوسهم الذهب وقال: هذا نسبي.

أقول: هل بقي ذلك الحاكم؟!، الجواب: لا.

أمّا الرسول الأعظم والأئمّة الطاهرون عليهم السلام: والمصلحون فقد بقوا وإن لم يكن لهم سيف ولا ذهب. صحيح أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله استخدم السيف لكن استخدمه دفاعاً لا هجوماً، كما أنّه كان يستعمل المال لإغناء الفقراء والمعوزين، على عكس معاوية الذي كان يوزّع المال على الأغنياء لكسبهم إلى جانبه، أو كان يصرفه على المعارضة لإسكاتهم، أي لإحقاق الباطل وإبطال الحقّ.

---

(١) صاحب كتاب الإمامة الكبرى، وكتاب البراهين الجلية في الردّ على الوهابية.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٣) والشعر من البحر الوافر.

التضخيم والتهويل

مسألة: من متطلبات الدعاية التهويل والتضخيم، فإنّك إن قلت للناس: «أعطُوا مائة»، أعطَوا عشرة، فإذا قلت لهم: «أعطُوا ألفاً»، أعطَوا خمسمائة، وهكذا فإذا كان هناك جيش يريد الزحف نحو المدينة، وقلت للناس إنّ الجيش مزوّد بألف دبابة. فاستعدُّوا للدفاع، أمّا إذا قلت إنّ الجيش مزوّد بعشر دبّابات لم يستعدّوا الاستعداد المطلوب مع ملاحظة الحالة المعنوية.

وقال بعض الفقهاء: إنّ هذا ليس من الكذب؛ لأنّ الهدف لا يتأتى إلاّ بالتهويل والتضخيم، وكذلك العكس فإذا حقّرت شيئاً أو قللت عدداً أو قوّةً كان ذلك تهويناً، أمّا إذا لم تفعل ذلك كان سبباً لمضرة أو منقصة، وفي الحرب العالمية الثانية قتل جمع كبير من الجيش البريطاني، فقال تشرشل[1]:

---

(١) ونستون تشرشل، أحد القيادات السياسية البريطانية، أنقذ بلاده من الهزيمة إلى النصر في الحرب العالمية الثانية التي عبّر عنها: «الحرب التي لا ضرورة لها» ويعدّ من الصهاينة المتطرفين، حيث لعب دوراً خطيراً في دعم مشروع إقامة دولة صهيونية على حساب الشعب الفلسطيني. ولد في مدينة أكسفورد في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٧٤م، تخرج ضابطاً في الجيش برتبة ملازم سنة ١٨٩٥م، أسر في حرب البوير في جنوب إفريقيا، عين وزيراً للتجارة سنة ١٩٠٨م، تولّى وزارة البحرية سنة ١٩١١م-١٩١٥م، وتولّى وزارة التموين سنة ١٩١٧م والحربية سنة ١٩١٨م ثم وزارة المستعمرات والمالية ١٩٢٥م والحربية مرّة ثالثة سنة ١٩٣٩م، أصبح رئيساً للوزراء بين سنة ١٩٤٠- ١٩٤٥م وسنة ١٩٥١- ١٩٥٥م كما ترأس حزب المحافظين، حصل على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٥٣م، عارض استقلال المستعمرات البريطانية، ترك العمل السياسي سنة ١٩٦٤م، مات في ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٥ عن عمر يناهز ٩١سنة، له أكثر من ثلاثين مؤلفاً، منها: «مذكرات تشرشل»، «رحلتي لإفريقيا»، «الأزمة العالمية»، «أفكار ومغامرات»، «خطوة خطوة»، «الحرب الكونية الثانية»، «تاريخ

«إنّهم كانوا خمسة آلاف»، وبعد انتهاء الحرب تبيّن أنّهم كانوا خمسين ألفاً، فبرّر تشرشل كلامه ذلك بأنّه لو قلنا الحقيقة لأضعفنا من الروح المعنوية للجيش البريطاني، بينما تقليل العدد كان سبباً لتماسك الجيش والشعب، ولا فرق في هذه الأمور إن كان الخطر هو الحرب أو الزلازل أو الصاعقة أو السيول أو الحرائق أو ما أشبه ذلك.



الشعوب الناطقة بالإنجليزية، راجع موسوعة السياسة: ج١ ص٧٤١.

تقليل الألفاظ

مسألة: من الضروري في الدعاية التقليل من الألفاظ التي يراد إذاعتها على الناس حتّى يحفظوها ويتمكّنوا من تكرارها وتبليغ غيرهم بها وإلاّ فالألفاظ الكثيرة والجمل الطويلة لا تؤدّي إلى المقصود الذي هو تعميم الفكرة إلى أكبر عدد ممكن من الناس.

وقد فُسّر قوله ﷺ: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [1] أنّه كان يقول لفظاً قليلاً ذا معانٍ كبيرة مثل (لا رضاع بعد فطام)[2] و(لا يُتم بعد احتلام)[3] وما أشبه ذلك، وكلمات الرسول والإمام علي عليه السلام، وكذلك جملة من الحكم الصغيرة اللفظ الكبيرة المعنى موجودة في كلام المعصومين عليهم السلام

---

(١) سورة ص: الآية ٢٠.

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه: ج٣ص٣٥٩ ب٢ ح٤٢٧٣ وج٤ ص٣٥٨ ب٢ ح٥٧٦٢، تهذيب الأحكام: ج٧ ص٣١٧ ب٢٧ ح١٩، الاستبصار: ج٣ص١٩٧ ب١٢٥ ح١٩، الكافي (فروع): ج٥ ص٤٤٣ ح١ وح٣ وح٥، مكارم الأخلاق: ص٤٣٧ الفصل الثالث، الأمالي للصدوق: ص٣٧٨ المجلس الستون ح٤، الأمالي للطوسي: ص٤٢٣ المجلس الخامس عشر ح٩٤٦، تحف العقول: ص٢٨١، نوادر الراوندي: ص٥١، نوادر الأشعري: ص٢٦ ب٣ ح١٧، وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٢٨٥ ب٥ ح٢٥٨٩١، غوالي اللآلي: ج١ ص٧٢ ح١٣٦ وج٢ ص١٢٨ ح٣٥٣.

(٣) راجع الكافي (فروع): ج٥ ص٤٤٣ ح٥، من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٦٠ ح٤٢٧٣ وج٤ ص٣٥٨ ح٥٧٦٢، نوادر الأشعري: ص٢٦ ب٣ ح١٧، مكارم الأخلاق: ص٤٣٧ ب١٢ الفصل الثالث، المقنعة: ص٥٠٣ ب٦، فقه الرضا: ص٢٣٢ ب٨٥، غوالي اللآلي: ج٢ ص١١٥ ح١٠، الأمالي للصدوق: ص٣٧٨ المجلس الستون ح٤، الأمالي للطوسي: ص٤٢٣ المجلس الخامس عشر ح٩٤٦، وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٢٨٤ ب٥ ح٢٥٨٩٠.

وفي الكتب المقدّسة النازلة من السماء مثل (كما تَدِين تُدان)[1] و﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾[2].



(١) راجع الكافي (أصول): ج٢ ص١٢٨ ح٤، من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٢١ ح٤٩٨١ وص٢١ ح٤٩٨٦، وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٩ ب٢١ ح١٥٥٨٤، غوالي اللآلي: ج٣ ص٥٤٦ ح٥، المحاسن: ج٢ ص٦٠١ ب٣ ح١٦، قصص الراوندي: ص١٦٢ ب٨ ح١٨٢. ومعنى كما تدين تدان، أي كما تجازي تجازى. وعن هذا المثل راجع مجمع الأمثال للميداني: ج٢ ص١٥٥ رقم ٣٠٩٢، تمثال الأمثال للعَبدَري: ج٢ ص٥٢٨، الأمثال النبوية للغروي: ج٢ ص٥٣، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: ج٢ص١٦٨ الرقم ١٤٦٠، التوحيد: ص٢١٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧.

انتهاز الفرص

مسألة: يجب انتهاز الفرص الدعائية، ويجب أن تكون الدعاية سريعة الانتشار. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (انتهزوا الفرص فإنّها تمر مرّ السحاب)[1]، وقال في كلمة أخرى: (إضاعة الفرصة غصّة)[2]، ومثال ذلك: عندما يأتي السيل أو عاصفة شديدة لابدّ من مخاطبة الناس سريعاً وتحذيرهم من مجيء السيل والعاصفة والقول إنّ الموت قادمٌ إليكم فأسرعوا للتخلّص منه. وإذا انتشر الوباء فالمفترض توجيه النداء إلى الناس بأنّ المرض قادمٌ إليكم فأسرعوا للتخلّص منه.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٢٨٣. وفي غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٣ القسم السادس ب٦ الفصل الثاني ح١٠٨١٠:
(انتهزوا فرص الخير فانها تمر مرّ السحاب) وفي نهج البلاغة: ص٤٧١ باب الحكم، الحكمة رقم ٢١: (قُرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمر مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير).

(٢) نهج البلاغة: ص٤٨٩ باب الحكم، الحكمة رقم ١١٨، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٤ القسم السادس ب٦ الفصل الثاني ح١٠٨٣١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٢٨٣، وسائل الشيعة: ج١٦ ص٨٤ ب٩١ ح٢١٠٤٥.

غرفة عمليات إعلامية

مسألة، لا بدّ أن تصدر الدعاية من مركز خاصّ ثم تنتشر في الأرجاء بسرعة لكي لا يتمكن الخصم من ملاحقة الدعاية، إذا اقتنع الرأي العام قبل ذلك بالإعلام الموجّه إليه. وقد حدث هذا بالنسبة إليّ في العراق، فقد كان يتصدى لمسؤولية الأمن العام في الأيّام الأولى من حكم أحمد حسن البكر شخص اسمه ناظم كزار[1] وكان له معاونون كثيرون، وحيث أنّ الأوامر كانت تترى من مدير الأمن العام بالدعاية ضدّي وبملاحقتي إعلامياً ودعائياً، فكان الأسلوب الذي اكتشفته بعد ذلك أنّ ناظم كزار كان يجمع معاونيه كلّ يوم ويلقي عليهم بالتعليمات والدعايات ضدي والتي سرعان ما يوصلونها إلى أرجاء المحافظات الأخرى.

وفي إحدى الزيارات جاء الزوّار من البصرة وبغداد والحلّة والنجف والعمارة وغيرها، وكلٌّ منهم يهنئني بالزواج الجديد بينما أنّي لم أتزوّج إطلاقاً وإنّما كان يريد بذلك تشويه سمعتي بأنّي قد تزوّجت مرّة ثانية.

وفي مرّة أخرى انهالت عليّ الأخبار من مختلف أنحاء المحافظات بأنّ

---

(١) ناظم كزار: قائد فرق التعذيب في سجن قصر النهاية، وقد قتل في فترة إدارته للسجن ألفي شخص دون محاكمة، عين بعد الانقلاب العسكري للبعثيين سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ضابطاً برتبة لواء، وكان آنذاك يحمل شهادة معهد متوسط صناعي، ثم عين مديراً للأمن العام والمخابرات ثم رئيساً للتنظيم العسكري الخاص في بغداد. قتله صدام التكريتي في جمادى الأولى سنة ١٣٩٣هـ (حزيران ١٩٧٣م) إثر محاولة انقلابية فاشلة قام بها ضد أحمد حسن البكر.

سيّارة صدمتني وأصبت بكسرٍ في رجلي، بينما لم يكن الخبر سوى هراء، كان الهدف منه هو تلويث سمعتي بمثل هذه الأخبار، وخلال العقود الأخيرة واجهت دعايات كثيرة كان مصدرها إذاعات وأجهزة مرتبطة بالولايات المتّحدة وبريطانيا وإسرائيل، ومنها أنني مرتبط بهؤلاء[1].



(١) أسهب الإمام المؤلف ﷺ في الحديث عن هذه الأمور وأمثالها في كتابه لكيلا تتنازعوا.

أبعاد الدعاية

مسألة: يلزم ملاحظة أبعاد الدعاية، فإن لكلّ طرف دعايته، فالدعاية تكون نافعة ومؤثّرة في الرأي العام في بلد ما دون بلد آخرٍ، أو في زمان خاص أو في حالة خاصة، كالزلازل والسيول والصّواعق تبعاً للظروف، ولذا فاللازم لرجل الدعاية مراعاة ذلك لكي تنجح دعايته، فالمحكي في التاريخ أنّ جماعة من اللصوص كانوا إذا اختاروا مدينة ليسرقوا منها ذهبوا إلى الحمّامات العامة، وفي الخزانة كان يقول أحدهم إنّي أشمّ رائحة السجائر، فإذا صدقهم الناس بقوا في تلك المدينة حيث استيقنوا بأنّ أهل المدينة بسطاء وبلهاء، وإذا كذّبوهم في ادّعائهم غادروا المدينة إلى مدينة أخرى. فالمدن التي أهلها بسطاء تنطلي عليهم الدعاية المكذوبة، بينما المدن التي ليست كذلك فلا تنطلي عليهم الدعاية المكذوبة.

وفي ذلك عبرة

مسألة: يجب فهم الحيل التي يفعلها البعض لتكريس نفوذه واستقطاب البسطاء والمغفلين حتى يتسنى إنقاذهم، فإنّ شريك اللص صديق القافلة، وهذا المثل معناه أن يتظاهر الشخص الكاذب بأنّه أحد أفراد القافلة لكنه في الواقع لصٌ يغتنم الفرصة ليضرب ضربته وليسرق من القافلة.

واستناداً لهذه الفكرة تلجأ الدول إلى صديق لها سواء كان صاحب جريدة أو مجلّة في بلد آخر، فيمتدح الحكومة، والناس يظنّون أنّه محايد فيأخذون منه القول بينما هو شريك اللّص، وكثيراً ما تتظاهر بعض الصحف بمعاداتها للدولة المعينة بينما هي في الواقع صديقة لتلك الدولة فتنخدع بعض الأطراف فتظن أنّها معادية حقاً فتأخذ بأخبارها وتحليلاتها بغض النظر عن كون هذه التحليلات صادقة أم كاذبة، ومثال على الأخبار الصادقة: ما قام به رسول الله في معركة الأحزاب عندما جاءه غلام بعد أن أسلم ولكن المشركين لا يعرفون بإسلامه فطلب منه أن يفرّق عنهم الأحزاب فجاء إلى اليهود وحذّرهم من المشركين ثم جاء إلى المشركين وحذّرهم من اليهود فتفرق الطرفان وتخلص رسول الله من شرّهم جميعاً [1].

---

(١) للتفصيل راجع كتاب: ولأول مرة في تاريخ العالم للإمام المؤلف ﷺ.

أسلوب الاختبار

مسألة: يلزم جسّ النبض العام، وذلك بإلقاء خبر على الجماهير لجسّ نبضهم، هل يريدون الحرب أم يريدون السلام؟، أو هل يتحمّلون أعباء الغلاء أم لا يتحمّلون؟ أو هل يريدون تخصيص ميزانية الدولة على الجانب العسكري أم الجانب الاقتصادي والإنمائي.

وربّما سمّي هذا النوع من الدعاية بأسلوب الاختبار، ومثال ذلك قصّة الإخوة الأربعة الذين أرادوا لقاء الملك ليقولوا له أنّ رئيس الوزراء ضدّهم، ولهذا فهو يحرّض الملك ضدّهم، وكان لهم عبد قال: خذوني معكم، ولما سألوا حكيماً: هل يأخذونه معهم أم لا؟، قال لهم الحكيم: إذا رأيتم العبد يفكّر دائماً ولا ينام الليل ويتمشى ذهاباً وإياباً في صحن الدار فخذوه معكم فإنّه ينفعكم لأنه يهيئ نفسه للقاء الملك وإلاّ فلا تأخذوه معكم، وهكذا أخذوه معهم لما رأوه من تحرّكه الدائم وفكره في تلك الليلة وإذا به يرى الملك يأكل مع ذلك الرئيس فأنشد فوراً:

مَهلاً أبيتَ[1] اللّعنَ لا تأكل معَه
إنّ استَهُ من بَرَصٍ مُلَمَّعه
وإنّه يُدخلُ فيها إصبَعَهُ
يُدخلها حتى يُواري أشجَعه

---

(١) أبيت اللعن: دعاء في الجاهلية وتحية للملوك، ومعناه أبيت أن تفعل ما تلعن به.

كأنّمــا يطلُــبُ شــيئاً ضــيَّعَه [1]

ممّا سبب الفرقة بين الملك ورئيس وزرائه واستراح بذلك الإخوة الأربعة من معاداة رئيس الوزراء لهم بإقصاء الملك إيّاه من منصبه، والأمر الذي يأتي في الفرد يأتي في الجماعة أيضاً وفي الرأي العام أيضاً.

---

(١) وهما الأبيات ١٦-٢٠ من قصيدة عدد أبياتها ٢٠ بيتاً، من البحر الرجز، ومطلع القصيدة: «لا تزجر الفتيان عن سوء الرِعة». للشاعر أبي عقيل لُبيد بن ربيعة بن مالك العامري ينتهي نسبه بسعد بن عدنان، عم حزام بن خالد بن ربيعة والد أم البنين زوجة أمير المؤمنين ﷺ. ويعدّ من شعراء الجاهلية وأصحاب المعلّقات المخضرمين والفرسان المعمرين، حيث عمّر مائة وأربعين سنة، ولد سنة ٤٥ ق. هـ (٥٦٠م). أدرك الإسلام، وأسلم عندما وفد على الرسول الأكرم ﷺ مع جماعة من قبيلته وحسن إسلامه. برع في الهجاء والرثاء ووصف حيوانات الصحراء. استوطن الكوفة أيام عمر بن الخطاب وأقام فيها. وفي يوم طلب عمر بن الخطاب من لُبيد أن ينشده شعراً فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول شعراً بعد أن علمني الله سورة البقرة. توفي في الكوفة سنة ٤١هـ (٦٦١م) ، وله ديوان شعري مطبوع، وقد ذكرت هذه الأبيات في ديوانه ص٩٢، ولم يقل في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً.

الحمــد لله إذ لم يــأتني أجلــي ... حتــى كساني مــن الإســلام ســربالاً

وقيل في سفينة البحار: ج٧ ص٥٦٣ مادة لُبد:

الحمــد لله لمـــا ينتهـــي أجلـــي ... حتــى لبســت مــن الإســلام ســربالاً

وقيل في الاستيعاب القسم الثالث: ص١٣٣٥:

الحمــد لله إذ لم يـــأتني أجلـــي ... حتــى اكتسيتُ مــن الإســلام ســربالاً

ومن شعر له:

ألا كــل شــيء مــا خــلا الله باطــلُ ... وكــل نعــيم لا محالــة زائــلُ

قال رسول الله ﷺ حول هذا البيت: (أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لُبيد). للمزيد راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب القسم الثالث: ص١٣٣٥، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص١٤٨، الأغاني: ج١٦ ص٥٧١٨، تاريخ الأدب العربي لحنّا فاخوري: ص١٨١، أدباء العرب: ج١ ص١٤٤، شرح المعلقات السبع: ص٨٥، معلقات العشر وأخبار شعرائها للشيخ أحمد الشنقيطي.

التغيير المستمر

مسألة: يجب اتخاذ أسلوب التغيير المستمر، لأنّ الناس يملّون من الأسلوب الواحد وهم بحاجة إلى التجديد المتواصل، ويرغبون في التغيير؛ لأنّ الله ﷻ خلق الكون متغيّراً في أصول مختلفة وألوان مختلفة من العطر والملبس والمسكن والمنكح والمركب وغير ذلك، ولذا يجب أن تكون الدعاية أيضاً في تغيير مستمر، يقول في هذا الصدد بعض علماء الغرب[1]: «لقد طبع الناس على تقبّل فكرة التغيير والانسياق وراء مختلف سجاياها. وقد وجد الرجال العاديون منذ عصور عديدة غير مقيدين بأرض بلادهم ومن ثمّ وجدوا أنفسهم أحراراً في الحركة ومنذ أن انتقلوا زرافات من القرى إلى المدن ومن الحقول إلى المصانع أصبحوا شغوفين بحكم خبرتهم المباشرة بفكرة التغيير».

أقول: وإذا غيّر الداعية الكلام أو الفكرة وتقبّلها الناس استمر على تلك الفكرة وإذا لم يتقبّلها الناس غيّرها إلى لباس آخر، وفي القرآن الحكيم نقرأ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[2]، فالتغير والاختلاف هما سنّة الحياة، فإذا كان ردّ فعل الداعية في فطرته الملقاة بسبب وسائل الإلقاء السمعية والبصرية مرضياً للجماهير، استمرّ الداعية في النشر وإذا لم يكن مرضياً فعليه أن يغيّر الأسلوب أو الفكرة.

---

(١) وهو دانيل ليرنر.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٢.

طريقة الاستهلاك

مسألة: يلزم معرفة الاستهلاك المحلّي والاستهلاك الخارجي، فمن عادة الإنسان أن يتكلّم مع الآخرين وفق آرائهم ونظرياتهم وأفكارهم كدعاية للاستهلاك المحلّي ودعاية للاستهلاك الخارجي، هذا فيما إذا لم تكن الدعاية مناسبة لكلا الطرفين وإلاّ فيعطي الدعاية المناسبة لكلا الطرفين، وحتّى الاستهلاك المحلّي والاستهلاك الخارجي يمكن أن يكون متعدّداً أيضاً، مثلاً في بلاد العرب وبلاد الفرس، حيث أنّ المتعارف عند العرب شيء وعند الفرس شيء آخر، وكذلك الاستهلاك العالمي؛ إذ قد يكون هناك لونان من الحياة في الخارج وإن كانا مؤطّرين بإطار واحد كالإيرلنديين والبريطانيين حيث الحكومة واحدة، لكن أسلوب الدعاية فيهما على شكلين حتّى تؤثّر الدعاية في هذا وذاك.

تشخيص نقاط الضعف

مسألة: يلزم معرفة نقاط ضعف العدو، لأنّ مهاجمة العدو في الدعاية تكمن في معرفة نقاط ضعفه، فالنفس كالقلعة، فكما اللازم على العدو المهاجم للقلعة أن يطّلع على نقاط الضعف في القلعة لاقتحامها أو هدمها، كذلك المهاجم الإعلامي عليه أن يبحث عن نقاط الضعف لدى العدو وأن يكون الهجوم من هذه النقاط.



الهجوم أثناء الضعف

مسألة: من الضروري أن لايتمّ الهجوم على العدو في حال قوته بل يجب أن يهاجم أثناء ضعفه، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك عندما وقّت زمان عدم مهاجمة الحكومات في حال شبابها وقوّتها، وإنّما تهاجم إذا نفذ إليها الضعف، فإنّ الضعيف لا يتحمّل من الهجوم ما لا يتمكّن من ردّه بخلاف القوي فإنّه ربّما ردّ الصاع بصاعين.

ثمّ لا يخفى أنّه لا يجب أن تكون الدعاية صريحة، بل كثيراً ما تكون الدعاية ذات ستار فلا يعرفها إلاّ الخبراء والمثقّفون وأصحاب الامتياز، مثلاً يأخذ التبشير في كثير من مناطق العالم دعاية لنفسه بسبب التعليم والثقافة، فيفتح أرباب التبشير المدارس والمستشفيات والمستوصفات وما أشبه ذلك ويتخذونها ستاراً للتبشير بالدين المسيحي، وقد حدّثني بعض الأصدقاء بأنّه في بعض مناطق باكستان مستشفيات، مستشفى مجاني تبشيري ومستشفى مالي، فالمستشفى المالي يأخذ المال لأجل التطبيب والتمريض، أمّا المستشفى المجاني فهو معدّ للتبشير الاستعماري ويكثر عدد روّاد المستشفى المجاني؛ لأنّ غالبية الناس من الفقراء فيتعرّضون لحملات التبشير، والشيء نفسه بالنسبة إلى المدارس، فهناك مدارس مجانية تتضمّن التبشير بالإضافة إلى التعليم، وهناك مدارس بالأجور بدون التبشير، وظهر فيما بعد أنّ المدارس والمستشفيات ما هي إلاّ غطاء وستار للدعاية التبشيرية، والدعاية التبشيرية مقدمة للاستعمار.

وقد فصّل كثيراً في هذا الأمر خريجان من الجامعة الأمريكية ببيروت حيث كتبا كتاباً مهماً هو «التبشير والاستعمار»، وصفا فيه كلّ ما يتعلّق بعمليّة التبشير وعلاقته بالاستعمار، وينطبق الأمر على المسارح ودور السينما وما أشبه ذلـك. وقد وضعت إحدى الحكومات الغربية أجهزة مذياع مجانية فـي بلـد إفريقـي، وكانت هذه الأجهزة ذات موجة واحدة هي موجة الدولة الاستعمارية.



تعميم الدعاية

مسألة: يجب تعميم الدعاية، وذلك بأن تتكلّم الدعاية عن الفكرة أو الصورة في كلّ مكان في الطائرة والسيّارة والقطار والمقهى والمطعم والبيت والشارع والمدرسة والمستشفى وغيرها، فالكلمة بمنزلة القطرة فإذا اجتمعت القطرات أحدثت سيلاً يجرف المدن، فإذا كان هناك مثلاً عشرة أشخاص يتبنون نشر الفكرة أو الصورة ثم يقول كلّ واحد منهم لألف شخص، فقد يتأثّر الرأي العام بذلك، وقد شاهدت ذلك في كربلاء المقدّسة في اليوم الأخير من شهر رمضان؛ حيث أعلنت الدولة عيد الفطر، ولم تثبت رؤية الهلال عند العلماء في النجف الأشرف ولا في كربلاء المقدسة، وإذا بشاهد يأتي ليشهد بشهادته ثم تلاه شاهد ثانٍ وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر، وقد سألت عنهم من حولي فلم يعرفوهم، وأخيراً اكتشف أنّ مدير الأمن في مدينة كربلاء جمع أربعين شخصاً من عناصر مخابراته حين إعلان الحكومة العيد وقال لهم: تفرّقوا في مدينة كربلاء في المقاهي والصحنين الشريفين المقدّسين والمساجد والحسينيات والأسواق وما أشبه ذلك من تجمّعات الناس وأعلنوا أنّكم شاهدتم الهلال بأنفسكم وإذا بكربلاء تموج بضجّة حول هلال شهر رمضان، وكلّ واحد يقول: إنّي سمعت إنساناً رآه بنفسه، وحينما سألناه: هل تعرف ذلك الإنسان؟ يقول: لا، وإنّما ذلك شياع رأوه في منطقة المخيم وباب العلوة وباب الخان وباب بغداد وباب الطاق وباب طويريج والعباسية الشرقية والعباسية الغربية، وبعد التحقيق والفحص عن حالة هؤلاء اكتشفنا

ارتباط الأمر بالمخابرات، فأعلمنا الجميع أنّ اليوم هو اليوم الأخير من شهر رمضان المبارك وليس يوم العيد، وكذا الأمر لم يثبت عند علماء النجف الأشرف أيضاً، والمدن العراقية الأخرى تبع لهاتين المدينتين المقدستين[1].



(١) وقد ذكر المؤلف ﷺ في كتاب فقه الاجتماع المجلد الأول أساليب الدعاية المزيفة والتي منها: ١- استغلال مواضع الضعف عند الانسان كالمرض والفقر وبناء مدارس لمكفوفي البصر والبكم لتربيتهم تربية منحرفة. ٢- استغلال ضعاف الشخصية كالنساء والأطفال والمعوقين. ٣- تسخير الألسنة المقبولة مثل إرشاء الخطيب. ٤- التأثير في المجتمع بسبب الأقلام المأجورة والشعراء. ٥- التوسل بوسائل الإغراءات أمثال صور النساء العاريات. ٦- تحري الجماعات لأجل نشر دعايتهم مثل الجمعيات الخيرية أو جمعيات الرفق بالحيوان. ٧- اللّيّ في اللسان. ٨- تكرار الكلام لأجل التلقين والإيماء بالتكرار. ٩- تحري الحق النصفي. ١٠- تأويل الحق باطلاً وبالعكس. ١١- الاستناد إلى أقوال العظماء ليوهم أن ما يقوله مأخوذ عنهم. ١٢- استعمال الأساليب المنفردة عن الشيء الصحيح مثل: الاستهزاء بكلام صحيح وبالعكس. ١٣- خلط الباطل بالصحيح حتى ينخدع السامع والقارئ.

الدّعاية ضدّ العدو

مسألة، يلزم في الدعاية المضادة للعدو الغازي والمحتل والاستعمار المتلصص والاستعمار الصريح رعاية الأمور التالية:

أولاً: تحليل الدعاية المضادة وذلك بأن تقوم أجهزة البلاد الإسلامية أو غير الإسلامية بتحليل الدعاية المضادة مرتين كلّ يوم، مرّة في الصباح ومرّة في المساء وذلك لإعلانها على الجماهير حتّى لا تتأثّر بدعاية العدو أو الإشاعات الباعثة على القنوط واليأس أو ما أشبه ذلك من عوامل الانهزام.

ثانياً: ملاحظة الاستهلاك المحلّي والاستهلاك الخارجي، فمن الواضح أنّ الاستهلاك المحلّي يقبل شيئاً والاستهلاك الخارجي يقبل شيئاً آخر، مثلاً: الحماس إحدى خصائص الشعوب المسلحة، فاللازم أن تتضمّن الدعاية عند المسلمين الحماس والإثارة وما أشبه ذلك، فإنّ مثل هذا الموضوع هو الذي اعتاد عليه المسلمون خصوصاً في العهد الاستعماري، أمّا في زمن الحرّية فإنّ الإسلام الصحيح المقبول يعتمد على الأرقام والإحصاءات بعيداً عن الأسلوب الحماسي.

ثالثاً: نشر الدعاية المعادية، كما قال أحد علماء الغرب في هذا الصدد: «إنّ إلصاق النقائص بالعدو وادانته بالافعال التي يرتكبها هي من الضرورة بمكان، خصوصاً في مقابل العدو الذي يعمل وفق قاعدة رمتني بدائها وانسلت».

رابعاً: محاربة الإشاعات، فمن الضروري أن يحارب الإنسان الإشاعات بمختلف وسائل المحاربة، فاللازم أن نقضي على سلاح الإشاعات فوراً بما

يناسب كلّ ظرف وزمان وفئة.

خامساً: التمسّك بالدين في مقابل العدو، فإنّ الدين من الوسائل المهمّة النافذة إلى أعماق القلوب مثل قراءة آيات القتال في قبال العدو المقاتل وقراءة آية التجسّس في قبال العدو المتجسّس وهكذا، ويمكن تعبئة الناس والتفافهم حول كلمة «الله أكبر» ونحو ذلك.

سادساً: الإيحاء بكوننا أناساً أقوياء، فللإيحاء دور كبير في تنمية الشجاعة والقوة وتحفيز المنعة لدى الإنسان؛ ولهذا نجد أنّ القائد الشجاع يشجع كلّ أفراد جيشه، بينما القائد الجبان يجبّن أفراد جيشه، فقصّة طارق بن زياد في فتح الأندلس قصّة مشهورة، وكذلك قصّة الذين تقدّموا نحو فتح خيبر ثمّ رجعوا خائبين؛ حيث كان القائد العسكري يجبّنهم وهم يجبّنونه[1]، وهذه قصّة مشهورة أيضاً.

سابعاً: استخدام النكت السياسية كسلاح خاصّ ضد العدو، فالاستهزاء بالعدو يزيل من النفس الخوف ويوجد روح المقاومة سواء كان عدوّاً بالسلاح البارد أو السلاح الحار.

ثامناً: اتّخاذ أسلوب العقل الجماعي في العمل، فالمحارب قد يكون له رأي خاصّ وعندما ينضم إلى جماعة قد يكون له رأيٌ آخر موافق لرأي الجماعة؛ ولذا قال رسول الله: (يد الله مع الجماعة)[2]، ففي أثناء الحرب العسكرية أو الحرب الباردة يكون المفترض أن نجعل الناس جماعات جماعات حتّى

---

(١) للتفصيل راجع بحار الانوار: ج٣٩ ص٩ ب٧١، ط بيروت.

(٢) راجع: نهج البلاغة: ص١٨٤ الخطبة ١٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠ ص٢٨٠، وفيه عن علي عليه السلام. وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الفصول المختارة: ج٢ ص٢٣٧ وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٧٢ ب٢٣ ح٦٠٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨ ص١١٢ وص١٢٣: (يد الله على الجماعة).

تكون بينهم المجاراة في مهاجمة العدو، هذا بالإضافة إلى أنّ العدو جماعات جماعات، فاللازم أن نقابلهم بمثلهم جماعات جماعات، فقد قال ﷻ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1]، ومن الواضح أنّ الجماعة يتحدّاها أشجعها وأقواها ولو بدون الانتخاب، والأشجع والأقوى يشجّع الجماعة ويقوّي الجميع، فلذا نشاهد أنّ الجماعة ينطق فيها الأقوى قائلاً: نحن الجماعة الفلانية، أو نحن الشعب الفلاني، أو نحن الأمّة الفلانية أو ما أشبه ذلك.

تاسعاً: اتخاذ المظاهرات وسيلة لمواجهة العدو، فالمظاهرات قوّة هائلة إيجابية وسلبية؛ حيث إنّ المظاهرات تجعل من الجبناء شجعاناً ومن الضعاف أقوياء، فالجماهير تنجذب إلى المظاهرة وتبعث في نفوسها النشوة حتّى عند المتفرّجين سواء كانوا حياديين أو أعداء، وقد رأينا في الانتفاضة الشعبانية في العراق كيف أنّ المظاهرات سببت مشاركة جميع العراقيين في الجبهة ضدّ صدام وعصابته، إلاّ أنّ الأمريكيين هم الذين أفشلوا هذه الانتفاضة في قصّة مشهورة[2].

عاشراً: الكتابات المؤثّرة للكتّاب المشهورين؛ لأنّ في الكتابة أثراً سحرياً في نفوس الجماهير حيث إنّ الكتابة تثير حماس الجماهير وتحرّك مشاعرهم

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٢) عن الانتفاضة الشعبانية التي تفجّرت في الخامس عشر من شعبان سنة ١٤١١هـ (آذار ١٩٩١م) ضد النظام الديكتاتوري في العراق بعد هزيمة الجيش العراقي في حرب الخليج الثانية، التي سقط فيها ١٤ محافظة بيد الشعب ولكن الأمريكان سمحوا للنظام البعثي الصدامي من استخدام الطائرات العسكرية لقمع الانتفاضة وقتل الشعب العراقي فقد قتل ما يقارب نصف مليون إنسان. راجع كتاب العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل لمؤسسة الدراسات الإسلامية.

وعواطفهم.

حادي عشر: اتخاذ أسلوب الإقناع للذين يرون عدم صحّة ما نفعله أو عدم صحّة الطريقة التي نتبعها لأجل نيل حقوقنا، فالجماهير إذا عارضت شيئاً، على المرء ألاّ يقف في وجهها، وإنّما يلتجئ إلى إقناعها، والإقناع أفضل السبل لانسحابها من الميدان، فالغالب أنّ أفكار الناس حتّى المعادين في داخلهم متضاربة، لذا يلزم على الداعية الناجح أن يتّخذ الفكرة السليمة للوصول إلى هدفه، والمفروض أنّنا لا نريد الباطل وإنّما نريد الحقّ والحقيقة.

ثاني عشر: يجب الالتزام بنزاهة الكلام لفظاً وكناية أو ما أشبه ذلك، فإنّ النزيه يجذب الناس حوله أكثر ممّا ينجذبون نحو الذين اعتادوا على السبّ والتهريج وكيل التهم للآخرين؛ ولذا جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [1]. وقال الإمام علي عليه السلام: (إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين) [2]، إلى غير ذلك من النصوص الواردة بهذا الشأن.

وفي أعقاب العدوان الثلاثي [3] على مصر سنة ١٩٥٦م، قال المعلّق الإذاعي في إذاعة لندن هذه العبارة: «لقد لجأ ديكتاتور مصر إلى كذا وكذا». فردّ عليه المذيع المصري مباشرةً، وكان الحديث عبر الهواء بهذا اللفظ: «أرجو أن تلاحظ أنّني حينما أتحدّث عن ملكة بريطانيا فإنّي أضع قبل اسمها كلمة صاحبة الجلالة احتراماً منّي للحقيقة المتمثّلة في أنّها رئيسة لدولتكم، كذلك فإنّ عبد الناصر اسمه الرئيس جمال عبد الناصر»، وحينما أذيعت هذه الكلمة

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٢٣ باب الخطب، الخطبة ٢٠٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١ ص٢١.

(٣) الذي قام به الإنجليز والفرنسيون والإسرائيليون إثر تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦م، وقد انتهى هذا العدوان بانسحاب القوات المعتدية من الأراضي المصرية المحتلة.

من إذاعة القاهرة اضطر المذيع البريطاني أن يعدّل مقولته على الفور فاعتذر أمام الجميع وأخذ يلصق بعبد الناصر لفظ الاحترام، وفي أحاديثنا أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: (وإنْ عيّرك أحد بما ليس فيك فلا تعيّره بما فيه)[1]، فإنّ هذا الأسلوب هو الذي يأخذ بإصلاح الخصم، ولذا سمعنا أنّ إذاعة العراق البعثية عندما كانت تسبّ بعض الشخصيات في الغرب كانت إذاعات الغرب تأتي بالمطالب بكلّ سلامة ونزاهة، وذات مرّة سبّ أحد رؤساء بلاد الإسلام رئيساً آخر لبلد آخر فأجابت الإذاعة أنّ رئيسنا مهما كان أمره فهو ليس بسبّاب، فخجل الرّئيس الساب ولم يسب بعد ذلك أبداً.

وذهب القرآن الكريم في وصف رسول الله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2]، ومع العلم أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنّه في هداية مائة في المائة وأنّ أعداءه في ضلالة مائة في المائة، وهذا ليس أسلوباً نزيهاً فحسب وإنّما هو أسلوب اكتساب للأعداء أو للتخفيف من عدائهم، وكما في القول يكون في الفعل، مثلاً رغم محاربة الكفار والمشركين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في مكّة ومصادرة أموالهم فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعطى لهم الماء في بدر[3]، أمّا قصّة قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لليهود: «يا أخوة القردة والخنازير»، فذلك ليس إلاّ أكذوبة إسرائيلية، وهي قصّة من نسج الخيال لفقّها اليهود فتلقاها بعض المسلمين من غير تحقيق عن مصدر الخبر، ولذا لا نجد مصدراً صحيحاً لهذه القصّة في أيّ كتاب معتبر كما أسلفنا سابقاً.

---

(١) وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (أن عيرّك أخوك المسلم بما يعلم فيك فلا تعيرّه بما تعلم فيه يكون لك أجراً وعليه أثم. إسمع الخبر تؤجر) مجموعة ورام: ج٢ ص١٥٥. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (إذا وقع بينك وبين أخيك هنّة فلا تعيرّه بذنب) الاختصاص: ص٢٢٩.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤ ص١٢٢.

ثالث عشر: معرفة أسلوب تحليل التشويه والتغليط من جانب العدو، فإنّ العدو كثيراً ما يتهم هذا الجانب بأنّه سارق وديكتاتور ومنافق وجاهل وما أشبه ذلك كما هو شأن الذين لا يلاحظون آداب الإنسانية وكما هو شأن السجّانين في الدول الديكتاتورية، فيجب أن يقوم بالتحليل بكلّ هدوء واتّزان ويثبت أنّه ليس بسارق وأنّه ليس بديكتاتور وما أشبه ذلك، فإنّ هذا الأسلوب هو الأسلوب الذي ينفذ إلى أعماق العقلاء بينما تمج نفوسهم أسلوب التشويه والتغليط ونحو ذلك.

رابع عشر: اتخاذ أسلوب اللغة المتناسبة مع لغة الإعلام، فإنّ في العراق مثلاً لغة فصحى ولغة عامية دارجة وهكذا لغة عربية ولغة كردية ولغة تركمانية، فإذا هوجم العراق من قبل الأعداء وكان العراق بيد أمناء من الديمقراطيين الاستشاريين، فاللازم أن تتكلم إذاعتها بكلّ هذه اللغات هذا بالنسبة إلى العراقيين، أمّا بالنسبة إلى غيرهم كالأتراك والفرس والهنود والباكستانيين ومن أشبههم فاللازم اتباع لغاتهم، وقد قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[1]. واللسان يشمل أصل اللغة واللهجات المختلفة، لكن اللازم أن يكون الشخص الذي يتصدّي للغة أو لهجة خبيراً بكلّ دقّة بهذه اللغة وتلك اللهجة وإلاّ فربما قال لفظاً أورث الضحك والسخرية، وإذا سخر من الإنسان في لفظ، لا يقبل كلامه في سائر ألفاظه.

خامس عشر: اتخاذ أسلوب الدعاية الواقعية لا أن تكون الدعاية هواءً في شبك. فبعض الأجهزة الإعلامية ـ كما شاهدنا في بلاد الانقلابات العسكرية ـ لا تقوم على أسس واقعية وسليمة، ومن الواضح أنّ الدعاية التي لا تقوم على

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

أسس منطقية لا تمتلك أسباب التأثير، فالكذب بضاعة كاسدة لا رواج لها إطلاقاً وإن زعم الكاذب أنّ له رواجاً، وإنْ كسب بعض الرواج فإنّه سيكون مؤقّتاً، وسرعان ما ينقلب على نفسه كما في المثل الرائج: «انقلب السحر على الساحر».

مثلاً: ادّعت إذاعة بغداد في عهد صدام أنّ الشعب العراقي في أتمّ الرفاه والحرّية والأمن والاستقرار، لكن الذين كانوا في داخل العراق يعرفون جيداً أن ما تقوله الإذاعة ليس إلاّ كذب فاضح، وبعض من ينخدع بهذه الدعاية سرعان ما يصحو على نفسه ويعلن عن كشفه لخدعة النظام البعثي، وذلك بمجرّد أن يلتقي بمسافر قادم من العراق؛ حيث سيطّلع على ما يعانيه الشعب من مآسٍ ومصائب، والتي لا يستطيع النظام البعثي ـ مهما مارس من كذب ودجل ـ من طمس هذه الحقيقة النيّرة.

سادس عشر: لابدّ من التركيز في المقولة التي يراد التأكيد عليها وتكرارها في كلّ مكان وزمان وظرف وجماعة، فاللازم في الدعاية الذكية أن يقوم رجال الدعاية بالدعاية للموضوع الذي يريدونه في السيارة والطيارة والباخرة والقطار والدار والمستوصف والمستشفى والشارع والمدرسة والمسجد وغير ذلك، فإنّه يدخل في تكوين الجوّ العام، وإذا صار شيء له جوّ عام انجذب إليه أكثر الأفراد.

سابع عشر: اتخاذ أسلوب الصمت، ففي المثل: «إنّ جواب الجاهل السكوت»[1]، والمقصود بالجاهل هنا ليس الجاهل البسيط اصطلاحاً المقابل

---

(١) في الأمثال العربية: رُبّما كان السُّكوتُ جَوَاباً. راجع مجمع الأمثال للميداني: ج١ ص٢٠٢ رقم ١٦٠١. وفي المنجد في اللغة والأعلام: ص٩٧٥ حرف التاء: تَرْكُ الجواب على الجاهل جواب. وفي الأمثال والحِكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا عليه السلام: ص٢٦٨ رقم ٨٩

للجاهل المركب وإنّما الجاهل الذي يريد أن يحاربك في فكرة ما أو عمل معين أو ما أشبه ذلك، وكثيراً ما تقع الحكومات أو الأفراد في أخطاء، فإذا هوجموا من تلك الجهة فالجواب هو السكوت، لأنك إذا كرّرت الخطأ إيجاباً أو سلباً أثبتّ الخطأ على نفسك، أمّا إذا سكتّ فإنّ سكوتك مثله مثل الخطأ، إذ يكون في جانب واحد. وكان والدي رحمه الله ينصحني بأن لا أردّ على سباب السابّين قائلاً: «إذا سبّك شخصٌ فهو سبٌّ واحد فإذا سببته صار سبّين، والسبّ الواحد أقلّ ضرراً من سبّين».

وهذه المقولة نافعة في الإعلام بالرغم من أنّها أطلقت في مقام النصيحة، كما وأنّها لا تعتبر قانوناً عاماً في كلّ مكان وزمان، ففي بعض الأماكن لابدّ من السكوت وبعض الأماكن لابدّ من الردّ، وذلك مرتبطٌ ببلاغة رجل الدعاية الخبير.

ثامن عشر: الاستفادة من المناسبات الدينية والأماكن المقدّسة كالمساجد والحسينيات والمدارس العلمية الدينية سواء كانت الاستفادة عبر المنبر أو بنشر الدعاية بصورة الاتّصال المباشر الذي يحدث على مستوى التنظيمات السياسية.

تاسع عشر: انتهاج الأسلوب الشفاهي، حيث إنّ الشعوب في الدول

لمحمد الغروي. جاء ما يلي: «ربما كان السّكوت عن الجواب جواباً».

وفي البيت الشعري المنسوب لمنصور بن محمد الهروي من البحر الطويل في معجم الأبيات الشهيرة ص٢٧:

إذا كنتَ ذا علمٍ وما رآك جاهلٌ ... فأعرض ففي تركِ الجوابِ جوابُ

وفي البيت الشعري المنسوب لعلي بن عبد الله من البحر الكامل كما في وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٧٠

أوليته مني السكوتَ وربما ... كان السكوتُ عن الجواب جواباً

الديكتاتورية غالباً ما تكون مغلوبة على أمرها ولا يتمكّنون من الإفصاح عن آرائهم؛ لأنّ الموانع كثيرة وهي تحول دون تحقّق ذلك، فالأفضل في مثل هذه الظروف الاستعانة بالأسلوب الشفوي، مثلاً قيام عشرة أشخاص بالاتّصال المباشر بمائة شخص ونقل الأخبار والتحليلات إليهم، وعندما يقوم كلّ واحد من هؤلاء المائة بالدور نفسه فإنّ الدعاية ستصل إلى عشرة آلاف شخص خلال فترة وجيزة.

عشرين: تنفيذ الخطط الإعلامية في الأماكن العامّة كالمساجد والحسينيات في الاحتفالات والتجمّعات أو في الأعراس والأحزان. والفرق بين هذا وما ذكرناه من المساجد في النقطة الثامنة عشرة أنّ هذا الأمر أعم من المساجد، فإنّه كثيراً ما لا يستطيع الإنسان من التبليغ في المساجد والدعاية لأجل قضيته؛ لأنّ المساجد تحت نظر الحكومات، بينما يتمكّن في سائر الاجتماعات القيام بهذا الأمر.

واحداً وعشرين: كتابة الإعلانات على الجدران بالمناشير الملصقة، فالمفترض في الإعلانات الجدارية أن تكون مختصرة وأن تكون بليغة وجميلة وبخطٍ كبير وواضح ملفت للنظر، فقد رأيت في أسبوع النظافة في إحدى البلدان أنّهم كتبوا هذه العبارات بصورة مكثفة ووضعوها على الجدران «النظافة من الإيمان»، «النظافة صحّة»، «النظافة جمال» وما أشبه ذلك، كما أنّه في أسبوع القيادة للسيارات كتبوا هذه العبارات على لوحات جدارية: «لا تسرع فالموت أسرع منك»، «لا تسرع فأولادك بانتظارك»، «بابا لا تسرع فنحن بانتظارك» «لا تسرع فالسرعة خطر عليك»، ومثلاً في أسبوع الإسلام يجب كتابة لوحات وملصقات تشير إلى أنه « لاحدود جغرافية في الإسلام »،

«إنما المسلمون إخوة»، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١].

وهكذا في مختلف المناسبات لابدّ من استخدام الملصقات الدعائية وتثبيتها على الجدران وعلى الأبواب في الأماكن العامّة.

ثانياً وعشرين: استخدام الصور بكثرة؛ فللصور تأثير كبير على الرأي العام، فقد كان لصور الأطفال اليتامى والنساء المغتصبات في البوسنة والهرسك الأثر الكبير في تحريك الرأي العام العالمي، كذلك كان لصورة امرأة فلسطينية أو لبنانية أو كشميرية مدهوشة نتيجة مقتل عائلتها أثرٌ حاسم في الرأي العام العالمي أيضاً. فالصورة تعطي معنىً كبيراً، واستناداً للمثل الصيني: «صورة واحدة خيرٌ من ألف كتاب»، وفي المثل العربي: «لا رائي كمن سمعا»، ومن الممكن أن يستخدم الإنسان أسلوب الصور على شكل البومات يطبعها على ورق ثمّ يبعثها إلى الجهات المعنية سواء كانت تلك الجهات من الأعداء أو الأصدقاء، أمّا الصديق فتزيد من مؤازرته، وأمّا العدو فلتحريك الروح العاطفية الإنسانية فيه.

ثالثاً وعشرين: استخدام الأشرطة الصوتية ـ الكاسيت ـ[٢]، أو الصوتية والصورية؛ فإنّ الأشرطة أيضاً لها دورٌ كبير في الإعلام؛ لأنّها تنقل ما يراد نقله إلى عدد كبير من الناس.

رابعاً وعشرين: استخدام أجهزة الفاكس؛ حيث باستطاعة هذه الأجهزة إيصال الخطابات والمنشورات إلى أكبر عددٍ من الناس ممّن يمتلكون هذه الأجهزة[٣].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) وكان لأشرطة الكاسيت الدور المميّز في إسقاط حكومة شاه إيران سنة ١٩٧٩م.

(٣) يقول الرئيس الروسي غورباتشوف، في اليوم الأول للانقلاب العسكري بل في الساعات

خامساً وعشرين: اتّخاذ الشعارات والرموز مثل رسم ذراع اليد ليمثّل القوّة، أو رسم إصبعين منفرجين دليلاً على النصر.

سادساً وعشرين: استخدام المذياع[1] فإنه وسيلة مهمة وذات قيمة رئيسية في الدعاية والدعاية المضادة، ولهذا يجب على رجل الدعاية أن تكون له إذاعة أو إذاعات أو ينسق مع إحدى الإذاعات حتّى يتمكّن من الدعاية المرغوبة، فالحكومات لها إذاعات أمّا غير الحكومات فاللازم أن يحصلوا على الإذاعة لتحقيق أهدافهم التي لا يكتب لها النشر الجيّد إلاّ عبر الإذاعة.

سابعاً وعشرين: استخدام التلفاز وهو أمر مفيد للأمور الدعائية والدعاية المضادة باعتباره تخطى الحدود والأيديولوجيات، وأصبح ذا أثر بليغ على الإنسان. فاللازم أن تكون مثل الإذاعة بل أكثر؛ لأنّها تساهم في الصوت

الأولى، كانت وسيلة بوريس يلتسين الوحيدة هي جهاز فاكس استعمله مساعدوه في الحصول على تأييد عالمي لمقاومتهم للانقلاب، ولإسماع صوتهم إلى روسيا وبقية العالم. ففي صباح ذلك اليوم وعبر جهاز الفاكس أخبر يلتسين صديقه آلن وينستين أحد المهتمين بقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان في واشنطن بما يجري في موسكو، وفي إحدى رسائله عبر الفاكس قال يلتسين «هل علّق السيد بوش على الحوادث التي تجري في بلادنا. إن يكن فعل فالرجاء أن تعلنوها بكل الوسائل المتوفرة لديكم كي تسمعها شعوبنا.. حكومة روسيا ليس لديها وسيلة لمخاطبة شعبها، كل محطات الإذاعة والتلفزيون تحت سيطرة الانقلابيين، نرسل لكم صورة من خطاب بوريس يلتسين للجيش الأحمر، الرجاء أن تذيعوه في المحطات الموجّهة إلى روسيا، افعلوا ذلك بأقصى سرعة»، وهكذا بدأ العدّ العكسي لسقوط الانقلاب.

(١) الإذاعة: نقل صوت من كلام لا سلكياً، ويتم عبر تحويل أصوات البرنامج الإذاعي إلى موجات كهربية تمثّل هذه الأصوات تمثيلاً دقيقاً ونقلها من الاستوديو إلى محوّل اذاعي وفرضها على موجات إذاعية، فيذهب في الفضاء جزء من هذه الموجات، ثم يأتي التقاط الموجات وزيادة قوة التيارات الدقيقة التي تنتجها، وفصل موجات البرنامج الأصلي عن هذه التيارات، ونقلها إلى مكبّر ليعيدها إلى أصلها. ثم إن الوظيفة الرئيسية للناقل في المذياع هي أن ينشر عن طريق السلك الهوائي مجالاً مغناطيسياً يستطيع التأثير في أي جهاز استقبال في منطقة إشعاعه.

والصورة معاً مما يزيد من أهمّيته[1].

ثامناً وعشرين: استخدام الإذاعة السلكية وهي الإذاعة التي تبث موضوعاتها عبر المكروفونات المنتشرة في الشوارع والأماكن الحسّاسة. وكنّا قد طلبنا من السلطات العراقية أيّام عبد السّلام عارف السماح بجلب إذاعة إلى مدينة كربلاء المقدّسة إلاّ أنّ الحكومة لم تسمح لنا بذلك فاضطررنا لنشر مكروفونات في الشوارع، فكنا نذيع منها الموضوعات الإسلامية المختلفة صباحاً وظهراً وقريب المغرب، وكان الناس يستمعون إلى ما تذيعه هذه المكروفونات من قضايا تاريخية أو مسائل شرعية أو موضوعات أخلاقية أو أخبار إسلامية، إلاّ أنّ الحكومة منعت هذه الوسيلة بعد أن اتّضحت أهمّيتها واهتمام الناس بها؛ لأنّها حكومة لا تريد غير صوتها، ولا تريد أن تسمع صوت الآخرين.

تاسعاً وعشرين: استخدام السينما وفن التمثيل، وهي من أفضل وسائل الإعلام في الدعاية والدعاية المضادة، حيث يتّجه الناس بصورة قويّة نحو هذا

---

(١) وكشاهد على تأثير التلفزيون، ففي حملة الانتخابات سنة ١٩٥٢م لعب التلفزيون دوراً هاماً في انتخاب ايزنهاور، وكشاهد ثاني حينما سأل ليخ فاليسا أحد أقطاب المعارضة في بولندا. ماهي الأسباب التي أدت إلى التغيرات المتسارعة في بولندا؟. أشار فاليسا إلى جهاز التلفزيون أمامه، وقال: هذا أهم الأسباب. وكذلك عندما سئل بيتر ارنيت الذي غطى حرب تحرير الكويت من بغداد لصالح شبكة سي إن إن كيف تصف مدى القوة التي حققها الإعلام الحديث، وخاصة إبان حرب الخليج ؟ فأجاب ارنيت: إنّ الرئيس الأمريكي بوش علم بالقصف من سي إن إن قبل ثلاثين دقيقة من الموعد المحدد، فالرادارات العراقية التقطت الطائرات القاذفة وهو مانبه قوات الدفاع الجوية العراقية، فأخذت تطلق نيران مدفعيتها بكثافة شديدة. لقد كان الرئيس بوش مع هيئة الأركان يعرف أن الطائرات في طريقها إلى قصف بغداد. لكنها كما اعتقد، وصلت في وقت أبكر مما كانت قد حددته الخطة.

يذكر أنّ محطة MTV تطال ثلاثمائة مليون منزل في القارات الخمس. وأنّ شبكة سي إن إن تعرض في مائة وخمسين بلداً. وأنّ هيئة الاذاعة البريطانية يستقبلها أكثر من مائة وعشرين مليون انسان وتبث بثمان وثلاثين لغة.

النوع من الوسائل، ولأجل أهمية هذه الوسيلة، قامت الشركات اليهودية بالسيطرة على مراكز الإنتاج السينمائي في العالم ومركزها هوليوود[1].

ثلاثون: استخدام أجهزة الفيديو[2]، وهي من الوسائل الإعلامية الشعبية المنتشرة في كلّ الأرجاء، ويحظى بأهمّية خاصّة؛ لأنّه ينقل المواد الإعلامية بصورة سهلة.

واحد وثلاثون: استخدام الإنترنت وهي شبكة من الحواسيب[3] تترابط فيما بينها وتتبادل بالمعلومات، وهي أفضل وأبسط وأكثر وسيلة تطوّراً في نقل

---

(١) وأهم الشركات لصناعة الأفلام السينمائية هي: بارامونت، مترغولدين ماير، سونتوري فوكس، وارنر.

(٢) وقد لعبت شرائط الفيديو دوراً حيوياً في الانتفاضة الشعبية ضد نظام الحكم في رومانيا.

(٣) إنترنت مختصر للمصطلح الانجليزي ـ الأمريكي International Network ـ شبكة عالمية. والإنترنت هي شبكة معلوماتية عالمية، ناجمة عن الشبكة العسكرية الأمريكية ARPANET المصممة سنة ١٩٦٩م، ومتحصلة من الاقتران الداخلي بين ألوف الشبكات التي تستعمل بروتوكول اتصال / تواصل مشترك www او web، وهذه الشبكة تصل بين شبكات الكمبيوتر المحلية، وتسمح لأي شخصين أو أكثر متصلين على الشبكة بالتحدث أو تبادل المعلومات عن طريق أجهزة الكمبيوتر عن طريق برامج معينة مثل البريد الإلكتروني أو هاتف الإنترنت أو ناقل الصور أو وضع موقع معلومات على الشبكة يمكن لأي مستخدم الاطلاع عليه. راجع كتاب «الاعلام والاتصال في مجتمعاتنا»: ص٢٩، وقد أوجدت شركة نيتسكب الإنترنت لأجل بناء البلاد بعد الحرب ويعود بدايات العمل فيها وتطويرها إلى سنة ١٩٤٥م. للتفصيل عن هذا الموضوع راجع كتاب «رؤى مستقبلية»: ص٦٦-٦٧ تأليف ميتشيو كاكو من سلسلة عالم المعرفة.

وكنموذج على تأثير الشبكة، فقد استغل الهنود مقاطعة شياباس المكسيكية الإنترنت في التسعينيات من القرن الماضي عن طريق منظمات غير حكومية لبث معلومات أكثر دقة عن طبيعة تمردهم وأهدافه مقابل اقتصار الدولة على استعمال أجهزة الاذاعة الحكومية لنشر وجهة النظر الرسمية حول الأحداث. كما أن الطلاب الأندونيسيين الذين لعبوا دوراً مهماً في إسقاط حكومة سوهارتو في جاكرتا نسقوا انشطتهم عن طريق الإنترنت، راجع كتاب «الإعلام والاتصال في مجتمعاتنا»: ص١٩-٢٠.

الإعلام والدعاية بكلا قسميها، وقد قامت شركات عديدة باستخدام الإنترنت في محاولة تشويه الرسالة الإسلامية وبالأخصّ القرآن الكريم.

إنّ المسلمين عاشوا عهوداً مظلمة من تاريخهم السياسي تحت ظلّ الديكتاتوريات السوداء؛ فقد تأخروا عن ركب الحضارة فلم يستطيعوا استخدام هذه الوسائل بصورة فعّالة، لذا فإذا أراد المسلمون أن يواكبوا التطوّر العالمي فعليهم أولاً وقبل كلّ شيء الأخذ بالنظام السياسي القائم على الشورى والتعدّدية، فهذا النظام من شأنه أن يفجّر طاقات الأمّة، ويصنع من أمّة خاملة أمّة مبدعة قادرة على ملاحقة ركب التقدّم العالمي.

والشورى والتعدّدية لا تنتفع بها إلاّ الحكومات الصالحة فقط، أمّا الحكومات المنحرفة فلا تستفيد من الشورى والتعدّدية ولا حتّى الديمقراطية كما قال ﷻ بالنسبة إلى القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٤.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كلمة الختام

لا شكّ أنّنا مقصّرون في داخلنا وخارجنا، أمّا في الداخل فإنّنا صبرنا على الديكتاتوريات التي انتشرت في بلاد الإسلام، والديكتاتوريات في عالمنا الإسلامي هي مصدر كلّ الرذائل وهي منبع التخلّف والتأخّر والبدائية وألف شيء وشيء، وقد جمعت بعض ذلك في كتاب «ممارسة التغيير» وأشرت إلى بعض ذلك في كتب أخرى[1].

أمّا في خارج العالم الإسلامي؛ حيث يتواجد في أمريكا وأوربا ما يقرب من ثلاثين مليون مسلم، فعلى الرغم من هذه الكثرة إلاّ أنّهم لم يؤسّسوا منظّمات قوية تتبنّى الدفاع عن الإسلام، وتقوم بنشر الصورة الحقيقة للإسلام ومبادئه الصحيحة في بلاد الغرب، ولم يقوموا بتعريف الإسلام الواقعي وتعاليمه السمحة عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وبين هذا وذاك حدثت المأساة، لكن بالرغم من حدوثها، فهذا لا يعني مطلقاً بقاءها إلى الأبد، وقد قال الشاعر:

أيّتها النفسُ أجمِلي جزعاً ... إنّ الذي تحذَرِين قَدْ وَقَعَا[2]

---

(١) أمثال كتاب «لماذا تأخر المسلمون؟» و«سقوط بعد سقوط»، و«الصياغة الجديدة»، و«الفقه ـ السياسة» و«السبيل الى انهاض المسلمين».

(٢) وهذا البيت للشاعر الجاهلي أوس بن حَجَر بن عتاب الأسَيدي من نمير من تميم الذي طاف بشعره ومدائحه في نجد والعراق، حيث نادم ملوك الحيرة. مات قبل الهجرة النبوية بسنتين. من قصيدة تتألف من ١٣ بيت، وهي من المنسرح، ومطلعها:

يُرثي فَضالةَ بن كلَدَة ... أحد بني أسَدِبن خزيمة

فالمفترض أن نبدأ الطريق، وبداية الطريق إلى التقدّم هو نبذ الديكتاتورية واستبدالها بالأنظمة القائمة على الشورى، حين ذلك يبدأ المسلمون مرحلة النهوض الحقيقي لا الصوري، ومن ثمّ لا بدّ للمسلمين الغربيين من العمل على نشر الإسلام، ذلك الإسلام الذي أراده القرآن الكريم والمعصومون عليهم السلام في مختلف مناطق الغرب، وحينذاك فقط يتحقّق ما كنّا نتصوّره مستحيلاً. سيتحقّق ذلك بشرط أن يتحلّى القائمون على التبليغ والإعلام الإسلامي بآداب الإسلام وأن يكونوا متخلّقين بأخلاقه الحميدة وأن يبعدوا العنف من حياتهم إطلاقاً بل يتّخذوا من سيرة الرسول والمعصومين عليهم السلام أسوة حسنة لأعمالهم، وما ذلك على الله بعزيز.

وهذا آخر ما أردناه في هذا الكتاب المسمّى بالفقه «الرأي العام والإعلام»، والله من وراء القصد، وهو الموفق المستعان، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

٢٦ جمادى الأولى ١٤١٦ هجرية

قم المقدّسة

محمّد الشيرازي

راجع ديوان اوس الأسيدي: ص٥٣، تمثال الأمثال: ج١ ص٢٦٨، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: ج١ ص١١٢، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٩٩، الأعلام للزركلي: ج١ ص٣٧٤.

(١) سورة الصافات: الآيات ١٨٠-١٨٢.

المصادر

١ـ القرآن الكريم، كلام الله ﷻ.

٢ـ نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب ، في جزء واحد، إصدار دار الهجرة للنشر قم المقدسة.

٣ـ الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين ، في جزء واحد، إصدار الهادي قم المقدسة ، سنة ١٣٧٦ هـ.

٤ـ ابن خلدون، تأليف تيسير شيخ الأرض، في جزء واحد، إصدار دار الأنوار بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م.

٥ـ الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار المرتضى مشهد المقدسة، سنة ١٤٠٣ هـ.

٦ـ احمد شوقي حياته وشعره، إعداد ضحى عبد العزيز ، في جزء واحد، إصدار دار كرم دمشق، الطبعة الأولى.

٧ـ الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، في جزء واحد، إصدار الشريف الرضي قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ.

٨ـ الإختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، في جزء واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة، سنة ١٤١٣ هـ.

٩ـ أخلاقيات الصحافة، تأليف جون ل. هاتلنج، ترجمة كمال عبد الرؤوف، في جزء واحد، إصدار الدار العربية للنشر والتوزيع بيروت ، الطبعة الأولى.

١٠ـ أدباء العرب، بطرس البستاني، في جزء واحد، إصدار دار الجيل بيروت، سنة ١٩٧٩م.

١١ـ الإرشاد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، جزاءن في مجلد واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة ، سنة ١٤١٣هـ.

١٢ـ إرشاد القلوب، الشيخ الحسن بن محمد أبي الحسن الديلمي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار الشريف الرضي قم المقدسة، سنة ١٤١٢هـ.

١٣ـ الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية، المؤلف روجيه غارودي، ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهيّم، في جزء واحد، إصدار دار عطية بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٧م.

١٤ـ الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين، المؤلف أ .ن. كالوسنيك، ترجمة سميح شيا ، في جزء واحد، إصدار دار علاء الدين دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م.

١٥ـ الإستبصار فيما اختلف من الأخبار، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، في أربعة أجزاء، إصدار دار الكتب الإسلامية طهران، سنة ١٣٩٠ هـ.

١٦ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله، تحقيق علي محمد البجاوي، في أربعة أجزاء، إصدار نهضة مصر القاهرة.

١٧ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن الأثير، في خمسة أجزاء، إصدار إسماعيليان طهران.

١٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر المشهور بابن حجر العسقلاني، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، في ثمانية أجزاء، إصدار دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩ـ إعجاز القرآن، أبي بكر محمد بن الطيب البقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، في جزء واحد، إصدار دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة.

٢٠ـ الأعلام (قاموس التراجم)، خير الدين الزركلي، في عشرة أجزاء، الطبعة الثالثة.

٢١ـ الإعلام الإسرائيلي وسبل مواجهته، تأليف تقي الدين التنير ومحمد عطوي.

٢٢ـ أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قم المقدسة ، سنة ١٤٠٨ هـ.

٢٣ـ الإعلام العربي وتحديات العولمة، الدكتور تركي صقر، في جزء واحد، إصدار وزارة الثقافة السورية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

٢٤ـ أعلام المجتمع العلمي العراقي، المؤلف صباح ياسين الأعظمي ، في جزء واحد، الطبعة الأولى.

٢٥ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي، في جزء واحد، إصدار دارالكتب الإسلامية طهران، الطبعة الثالثة.

٢٦ـ الإعلام والاتصال في مجتمعاتنا، مجموعة باحثات لبنانيات، الكتاب السادس، في جزء واحد، صادر عن تجمع الباحثات اللبنانيات، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

٢٧ـ الإعلام والرأي العام، تحرير دانييل كاتز، دوروين كارترايت، صمويل إلدرزفيلد، ألفريد ماكلنج لي، ترجمة الدكتور محمود كامل المحامي، في جزء واحد، إصدار دار نهضة مصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م.

٢٨ـ الإعلام، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، في جزء واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة ، سنة ١٤١٣ هـ.

٢٩ـ أعيان الشيعة، المؤلف محسن الأمين، في عشرة أجزاء، إصدار دار التعارف للمطبوعات بيروت، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٠ـ الأغاني، علي بن الحسين بن محمد المشهور بأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق ابراهيم الأبياري، في واحد وثلاثين جزءاً، إصدار دار الشعب عن طبعة دار الكتب بمصر ، سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٩٦م.

٣١ـ الإفصاح في الإمامة، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، في جزء واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة ، سنة ١٤١٣ هـ.

٣٢ـ إقبال الأعمال، السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، في جزء واحد، إصدار دار الكتب الإسلامية طهران، سنة ١٣٦٧هـ ش.

٣٣ـ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد جواد البلاغي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٤ـ أمالي الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، في جزء واحد، إصدارالمكتبة الإسلامية، سنة ١٤٠٤هـ

٣٥ـ أمالي الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، في جزء واحد، إصدار دار الثقافة للنشر قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ

٣٦ـ الأمالي، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، في جزء واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة ، سنة ١٤١٣ هـ

٣٧ـ الإمام جعفر الصادق ﷺ، المستشار عبد الحليم الجندي، في جزء واحد، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٣٨ـ الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار المعرفة بيروت.

٣٩ـ الأمثال النبوية، محمد الغروي ، في جزئين، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ .

٤٠ـ الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا ﷺ، محمد الغروي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة، سنة ١٤٠٩هـ.

٤١ـ الأمثال والحكم، تأليف محمد عبد القادر الرازي صاحب كتاب مختار الصحاح، تصحيح وتعليق الدكتور فيروز حريرجي، في جزء واحد، إصدار المستشارية الإيرانية بدمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٢ـ أمل الآمل، الشيخ محمد بن الحسن بن علي المشهور بالحر العاملي، تحقيق السيد أحمد الحسيني، في جزئين، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٣ـ الأمم المتحدة في نصف قرن، الدكتور حسن نافعة، في جزء واحد، إصدار عالم المعرفة الكويت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م.

٤٤ـ الانتصار (أهم مناظرات الشيعة في شبكات الإنترنيت)، العاملي، في جزء واحد، إصدار دار السيرة بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٥ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الأعلمي

بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٤٦ـ إنهم يقتلون البيئة، الدكتور ممدوح حامد عطية، في جزء واحد.

٤٧ـ الأنوار الساطعة في المائة السابعة، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، تحقيق علي نقي منزوي، إصدار دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م.

٤٨ـ إيمان أبي طالب، السيد فخار بن معد الموسوي، في جزء واحد، إصدار دار سيد الشهداء للنشر قم المقدسة ، سنة ١٤١٠ هـ.

٤٩ـ بحار الأنوار، العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، في مائة وعشرة أجزاء، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٠ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق وتعليق علي شيري، في أربعة عشر جزءاً، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥١ـ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، في أربعة أجزاء، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٢ـ بشارة المصطفى ﷺ لشيعة المرتضى، محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبري، في جزء واحد، إصدارالمكتبة الحيدرية النجف الأشرف، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م.

٥٣ـ بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار القمي، عشرة أجزاء في مجلد واحد، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ.

٥٤ـ بغداد ذلك الزمان، عزيز الحاج، في جزء واحد، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

٥٥ـ بغية الحائر في أحوال أولاد الإمام الباقر ، السيد حسين الحسيني الزرباطي، إصدار إسماعيليان قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ .

٥٦ـ بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن أبي جرادة المشهور بابن العديم، تحقيق الدكتور سهيل زكار، في أحد عشرة جزءاً، إصدار مؤسسة البلاغ بيروت، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٧ـ بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر المشهور ابن طيفور، تحقيق الدكتور يوسف البقاعي، في جزء واحد، إصدار دار الأضواء بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٨ـ البلد الأمين، الشيخ ابراهيم بن علي الكفعمي، في جزء واحد، النسخة حجرية.

٥٩ـ تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، في عشرة أجزاء، إصدار مكتبة الحياة بيروت.

٦٠ـ تاريخ الأدب العربي، حنّا الفاخوري، في جزء واحد، إصدار المكتبة البولسيّة بيروت، الطبعة الحادية عشرة، سنة ١٩٨٣م.

٦١ـ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور السيد يعقوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب، في ستة أجزاء، إصدار دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧م.

٦٢ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، في جزء واحد، إصدار دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٣ـ التاريخ الدبلوماسي، المؤلف لويس دوللو، ترجمة الدكتور سموحي فوق العادة، في جزء واحد، إصدار عويدات بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢م.

٦٤ـ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء، في ثمانية أجزاء، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت.

٦٥ـ تاريخ الكتاب، الدكتور ألكسندر ستيبشفيتش، ترجمة محمد الأرناؤوط، في جزئين، إصدار عالم المعرفة الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

٦٦ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، في جزئين، إصدار دار صادر بيروت.

٦٧ـ تاريخ بغداد (مدينة السلام)، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، في أربعة عشر جزءاً، إصدار دار الفكر بيروت.

٦٨ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المشهور بابن عساكر، تحقيق علي شيري، في سبعين جزءاً، إصدار دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٩ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الأعلمي طهران، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٧٠ـ التحصين، أحمد بن محمد بن فهد الحلي، في جزء واحد، إصدار مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة، سنة ١٤٠٦ هـ.

٧١ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي الحرّاني المشهور بابن شعبة الحرّاني، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ هـ.

٧٢ـ تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة أهل البيت ﷺ لإحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧٣ـ تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الهندي الفتني، في جزء واحد.
٧٤ـ تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة والشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، في خمسة أجزاء، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ.
٧٥ـ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، في جزئين، إصدار المطبعة العلمية طهران، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠ هـ.
٧٦ـ تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي، ثابت بن دينار الثمالي، جمع عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، في جزء واحد، إصدار مكتب الهادي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ.
٧٧ـ تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، في جزئين، إصدار دار الكتاب قم المقدسة ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ.
٧٨ـ تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، في تسعة وعشرين جزءاً، إصدار مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ.
٧٩ـ تمثال الأمثال، محمد بن علي العَبدَري الشيبي، تحقيق الدكتور أسعد

ذبيان ، في جزئين، إصدار دار المسيرة بيروت، الطبعة الاولى سنة ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.

٨٠ـ تنقيح المقال في علم الرجال، العلامة عبد الله بن محمد حسن المامقاني، في ثلاثة أجزاء، إصدار الطبعة المرتضوية في النجف الأشرف، الطبعة الثالثة طبعة حجرية سنة ١٣٥٢هـ.

٨١ـ تهذيب الأحكام، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، في عشرة أجزاء، إصدار دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٥هـ.ش.

٨٢ـ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، في اثني عشر جزءاً، إصدار دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٨٣ـ التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، تحقيق هاشم الحسيني الطهراني، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ.

٨٤ـ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية، تأليف اللواء محمد مختار باشا، تحقيق الدكتور محمد عمارة، في جزئين، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ ـ١٩٨٠م .

٨٥ـ ثقات العيون في سادس القرون، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، تحقيق علي نقي منزوي، إصدار دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٨٦ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، في جزء واحد، إصدار دار الرضي قم

المقدسة، سنة ١٤٠٦هـ.

٨٧ـ جابر بن حيان، زكي نجيب محمود، في جزء واحد، إصدار مؤسسة البلاغ بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.

٨٨ـ جامع الأخبار، الشيخ تاج الدين محمد بن محمد الشعيري السبزواري، في جزء واحد، إصدار دار الرضي للنشر قم المقدسة ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ.

٨٩ـ جامع الرواة وإزاحة الإشتباهات عن الطرق والإسناد، محمد بن علي الأردبيلي الحائري، في جزئين، إصدار دار الأضواء بيروت، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٩٠ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، في جزئين، إصدار دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٩١ـ الجرح والتعديل ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، في تسعة أجزاء، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت عن المطبعة العثمانية الهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

٩٢ـ جريدة العالم، رئيس تحريرها سيلفان هوفمان وجيرار كاية، ترجمة سمير شيخاني، في خمسة أجزاء، إصدار دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٨٩م.

٩٣ـ جزاء أعداء وقتلة سيد الشهداء، السيد هاشم الناجي الموسوي الجزائري، في جزء واحد، إصدار دار الحوراء بيروت ، الطبعة الأولى.

٩٤ـ الجعفريات (الأشعثيات)، محمد بن محمد الأشعث الكوفي، في جزء

واحد، إصدار مكتبة نينوى الحديثة طهران.

٩٥ـ جمل من أنساب الأشراف، تصنيف أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، في ثلاثة عشر جزءاً، إصدار دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٦ـ جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، في جزئين، إصدار دار الجيل ودار الفكر بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م .

٩٧ـ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن بن باقر النجفي الجواهري، في ثلاثة وأربعين جزءاً، إصدار دار الكتب الإسلامية طهران، سنة ١٣٦٧هـ .ش.

٩٨ـ الحرية الإسلامية، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، في جزء واحد، إصدار دار الفردوس بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٩٩ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، في عشرة أجزاء، إصدار دار الكتب العلمية بيروت.

١٠٠ـ الخرائج و الجرائح، سعيد بن هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي، في ثلاثة أجزاء، إصدار مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ.

١٠١ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، في أربعة أجزاء، إصدار دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٢ـ خصائص الأئمة عليهم السلام، محمد بن الحسين بن موسى المشهور بالسيد الرضي، في جزء واحد، إصدار مجمع البحوث الإسلامية مشهد المقدسة، سنة ١٤٠٦ هـ.

١٠٣ـ الخصال، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ.

١٠٤ـ خفايا المعجزة اليابانية، مجموعة من الكتاب اليابانيين، ترجمة عبد مكي القروص، في جزء واحد، إصدار الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٥ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد الأمين بن فضل الله المحبي، في أربعة أجزاء.

١٠٦ـ الخلاف، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق سيد علي الخراساني، سيد جواد شهرستاني، شيخ محمد مهدي نجف، في ستة أجزاء، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.

١٠٧ـ الدبلوماسية الحديثة، الدكتور سموحي فوق العادة، في جزء واحد، إصدار دار اليقظة العربية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م.

١٠٨ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، في ستة أجزاء، إصدار دار المعرفة، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٥هـ.

١٠٩ـ دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان عبد الهادي آل طعمة، في جزء واحد، إصدار دار البيان العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٠ـ الدعاء والزيارة، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة البلاغ بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١١١ـ دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، نعمان بن محمد التميمي المغربي، في جزئين، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٥ هـ.

١١٢ـ الدعوات، فضل الله بن علي الحسيني المشهور بقطب الدين الراوندي، في جزء واحد، إصدار مدرسة الإمام المهدي ﷺ قم المقدسة، سنة ١٤٠٧ هـ.

١١٣ـ دليل الصحفي إلى استطلاعات الرأي العام، المؤلف شيلدون آرحاوايزر والمؤلف جي ايفانزويت، ترجمة هشام عبد الله، في جزء واحد، إصدار الأهلية للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

١١٤ـ الديباج على صحيح مسلم، للحافظ عبد الرحمن السيوطي، تحقيق وتعليق أبو إسحاق الحويني الأثري، في ستة أجزاء، إصدار دار ابن عفان السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٥ـ ديوان أبي نواس، الحسن بن هاني، في جزء واحد، إصدار دار صادر بيروت.

١١٦ـ ديوان الأزري الكبير، الشيخ كاظم بن الحاج محمد التميمي البغدادي، تحقيق شاكر هادي شكر، في جزء واحد، إصدار دار التوجيه الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١١٧ـ ديوان الزهاوي، جميل صدقي الزهاوي، في جزء واحد، إصدار المطبعة العربية بمصر، سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م.

١١٨ـ ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني، في جزء واحد، إصدار دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

١١٩ـ ديوان دعبل الخزاعي، شرح ضياء حسين الأعلمي، في جزء واحد،

إصدار مؤسسة النور للمطبوعات، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٠ـ ديوان دعبل، دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي ، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب اللبناني ببيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م.

١٢١ـ ديوان زهير بن أبي سُلمى، زهير بن أبي سُلمى، في جزء واحد، إصدار دار صادر بيروت.

١٢٢ـ ديوان صالح بن عبد القدّوس، صالح بن عبد القدوس، تحقيق عبد الله الخطيب، في جزء واحد، إصدار دار المنشورات البصري بغداد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م.

١٢٣ـ ديوان طرفة بن العبد، طرفة بن العبد، في جزء واحد، إصدار بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٢٤ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة العامري، في جزء واحد، إصدار دار صادر بيروت.

١٢٥ـ ذئب الأناضول، مصطفى الزين، في جزء واحد، إصدار رياض الريس لندن، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.

١٢٦ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، في خمسة وعشرين جزءاً، إصدار مؤسسة إسماعيليان قم المقدسة، الطبعة الثانية.

١٢٧ـ رؤى مستقبلية، ميتشيو كاكو، ترجمة الدكتور سعد الدين خرفان، في جزء واحد، إصدار عالم المعرفة الكويت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م.

١٢٨ـ الرأي العام والإشاعة، المؤلف عبد المنعم سامي، في جزء واحد، إصدار

أفريقيا للمشرق بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م.

١٢٩ـ الرأي العام وتأثّره بالإعلام والدعاية الكتاب الأول والثاني، تأليف الدكتور محمد عبد القادر حاتم، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مكتبة لبنان سنة ١٩٧٣م.

١٣٠ـ الرأي العام، استطلاعات الرأي والديمقراطية، تأليف ايرفنغ كرسبي، ترجمة صادق إبراهيم، في جزء واحد، إصدار دار سندباد عمان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

١٣١ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الأمير مهنا، في خمسة أجزاء، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٣٢ـ رجال الشيخ الطوسي (الأبواب)، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، سنة ١٤١٥ هـ.

١٣٣ـ رجال العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المشهور بالعلامة الحلي، في جزء واحد، إصدار دار الذخائر قم المقدسة ، الطبعة الثانية سنة ١٤١١ هـ.

١٣٤ـ رجال العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي المشهور بالعلامة الحلي، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، إصدار مكتبة الرضي قم المقدسة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ.

١٣٥ـ رجال الكشّي، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر في جامعة مشهد المقدسة، سنة ١٣٤٨ هـ ش.

١٣٦ـ رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي الكوفي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٧ هـ.

١٣٧ـ الرسالة السعدية، جمال الدين الحسن بن يوسف المشهور بالعلامة الحلي ، تحقيق وتعليق عبد الحسين محمد علي بقال، في جزء واحد، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.

١٣٨ـ رسالة حول حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، في جزء واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة ، سنة ١٤١٣ هـ.

١٣٩ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، العلامة الميرزا محمد باقر الخوانساري، في ثمانية أجزاء، إصدار مكتبة إسماعيليان قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠هـ.

١٤٠ـ روضة الواعظين، محمد بن الحسن الفتّال النيسابوري، في جزء واحد، إصدار دار الرضي قم المقدسة.

١٤١ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، تحقيق السيد أحمد الحسيني، في ستة أجزاء، إصدار مطبعة الخيام قم المقدسة، سنة ١٤٠١هـ.

١٤٢ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الشيخ عباس محمد رضا القمي، في ثمانية أجزاء، إصدار دار الأسوة التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

١٤٣ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد

اللطيف، في خمسة أجزاء، إصدار دار الفكر بيروت، سنة ١٤٠٣هـ.

١٤٤ـ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، في عشرة أجزاء، إصدار دار الفكر بيروت.

١٤٥ـ سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، في ثمانية أجزاء، إصدار دار الفكر بيروت، سنة ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م.

١٤٦ـ سوسيولوجيا الإعلان، المؤلف جيرار لانيو، ترجمة الدكتور خليل أحمد خليل، في جزء واحد، إصدار عويدات بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

١٤٧ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الارناؤوط وحسين الأسد، في ثلاثة وعشرين جزءاً، إصدار مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٨ـ سيرة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، نجاح الطائي، في ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى.

١٤٩ـ السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، وبهامشها السيرة النبوية والآثار لمحمد أحمد زيني دحلان، في ثلاثة أجزاء، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٥٠ـ السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، في أربعة أجزاء، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م.

١٥١ـ سيكولوجية الإشاعة، جوردون ألبورت وبولستمان، ترجمة الدكتور صلاح مخيمر عبده وميخائيل رزق، في جزء واحد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م.

١٥٢ـ سيكولوجية الجماهير، المؤلف غوستاف لوبون، ترجمة هشام صالح ،

في جزء واحد، إصدار دار الساقي بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧م.
١٥٣ـ شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، في جزئين، إصدار المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٥هـ.
١٥٤ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات، إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٥٥ـ شرائع الإسلام، الشيخ جعفر بن الحسن بن يحيى المشهور بالمحقق الحلي، تعليق السيد صادق الشيرازي، في جزئين، إصدار استقلال طهران، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩هـ .
١٥٦ـ شرح المعلّقات السبع، الحسين بن أحمد بن الحسين الزَوزَني، تحقيق الدكتور فايز الترحيني، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٥٧ـ شرح ديوان المتنبي، أحمد بن حسين بن حسن المشهور بالمتنبي، شرح عبد الرحمن أبوقوتي، في جزء واحد، إصدار مصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠م.
١٥٨ـ شرح قصيدة دعبل التائية، الميرزا محمد كمال الدين بن محمد، تحقيق عبد الله الحمر، في جزء واحد، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
١٥٩ـ شرح منظومة السبزواري، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.
١٦٠ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله المشهور بابن أبي الحديد المعتزلي، عشرون جزءاً في عشرة مجلدات، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٤هـ.

١٦١ـ الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، الدكتور جلال الخياط، في جزء واحد، إصدار دار الرائد العربي بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٦٢ـ الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، في جزء واحد، إصدار دار صادر بيروت.

١٦٣ـ شمس العرب تسطع على الغرب، الدكتورة زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال سوقي، في جزء واحد، إصدار المكتب التجاري بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م.

١٦٤ـ الشوقيات المجهولة، الدكتور محمد صبري، في جزئين، إصدار دار المسيرة بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٦٥ـ الشيعة والدولة العراقية الحديثة، الدكتور عدنان عليان، في جزء واحد، إصدار بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م.

١٦٦ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط، في ستة عشر جزءاً، إصدار مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٧ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، في ثمانية أجزاء، إصدار دار الفكر بيروت عن دار الطباعة العامرة إسطنبول، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٦٨ـ الصراط المستقيم، علي بن يونس النباطي البياضي، ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، إصدار المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، سنة ١٣٨٤ هـ.

١٦٩ـ صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والصليبيين والفاطميين، السيد حسن الأمين، في جزء واحد، إصدار دار الجديد بيروت ، سنة ١٩٩٥م.

١٧٠ـ صناعة الخبر في كواليس الصحف الأمريكية، المؤلفان جون ماكسويل

هاملتون وجورج أكريمسكي، ترجمة أحمد محمود، في جزء واحد، إصدار دار الشروق بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧١ـ الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، القاضي نور الله الشوشتري، في جزء واحد، إصدار مطبعة النهضة طهران، سنة ١٣٦٧ هـ.

١٧٢ـ الصياغة الجديدة لعالم الحرية والرفاه والسلام، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، في جزء واحد، إصدار دار الفكر بيروت.

١٧٣ـ طب النبي، جعفر المستغفري، في جزء واحد، إصدار مؤسسة أهل البيت عليهم السلام بيروت، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٧٤ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري المشهور بابن سعد، في ثمانية أجزاء، إصدار دار صادر بيروت، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٧٥ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد علي بن طاووس الحلي، في جزء واحد، إصدار مطبعة الخيام قم المقدسة، سنة ١٤٠٠ هـ.

١٧٦ـ عدّة الداعي ونجاح الساعي، الشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلي، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ.

١٧٧ـ العدد القوية، رضي الدين الحلي، في جزء واحد، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٨ هـ.

١٧٨ـ العراق بين الحاضر والماضي والمستقبل، مؤسسة الدراسات الإسلامية، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الفكر بيروت، الطبعة الأولى.

١٧٩ـ العراق صفحات من التاريخ السياسي، الدكتور كاظم الموسوي، في جزء واحد.

١٨٠ـ العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، نجدة فتحي صفوة، في جزء

واحد، إصدار المكتبة العصرية بيروت.

١٨١ـ عظماء ومشاهير معاقون غيَّروا مجرى التاريخ، أحمد الشنواني، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب العربي دمشق، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م.

١٨٢ـ العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأنباري، في سبعة أجزاء، إصدار لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

١٨٣ـ العلاقات العامة والإعلام من منظور علم النفس، الدكتور حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، في جزء واحد، إصدار المكتب الجامعي الحديث القاهرة، الطبعة الرابعة سنة ٢٠٠٣م.

١٨٤ـ علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مكتبة الداوري قم المقدسة.

١٨٥ـ عمدة عيون صحاح الأخبار، يحيى بن الحسن بن الحسين الأسدي الحلي المعروف بابن البطريق الحلي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٧ هـ.

١٨٦ـ عوائد الأيام، المولى أحمد بن محمد مهدي النراقي، في جزء واحد، إصدار مكتبة بصيرتي قم المقدسة، الطبعة حجرية الثالثة، سنة ١٤٠٨هـ.

١٨٧ـ عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، المحدّث الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، إصدار مدرسة الإمام المهدي قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .

١٨٨ـ العولمة والتبادل الإعلامي الدولي،المؤلفان الدكتور صابر فلحوط

والدكتور محمد البخاري، في جزء واحد، الطبعة الأولى.
١٨٩ـ عيون أخبار الرضا ، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار العالم (جهان) للنشر طهران، سنة ١٣٧٨ هـ.
١٩٠ـ الغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب الإسلامي قم المقدسة، سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.
١٩١ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني، في أحد عشر جزءاً، إصدار دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧هـ ـ١٩٧٧م.
١٩٢ـ غرر الحكم و درر الكلم، عبدالواحد بن محمد الآمدي التميمي، في جزء واحد، إصدار مكتب الإعلام الإسلامي قم المقدسة، سنة ١٣٦٦ هـ ش.
١٩٣ـ غوالي اللآلي، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم المشهور بابن أبي جمهور الأحسائي، أربعة أجزاء، إصدار دار سيد الشهداء قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.
١٩٤ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، في ثلاثة عشر جزءاً، إصدار دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.
١٩٥ـ الفصول العشرة في الغيبة، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالمفيد، تحقيق الشيخ فارس الحسون، في جزء واحد، إصدار دار المفيد بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٩٦ـ فضائل الصحابة، محمد بن شعيب المشهور بالنسائي، في جزء واحد،

إصدار دار الكتب العلمية بيروت.

١٩٧ـ الفقه الاجتماع، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار العلوم بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩٨ـ فقه القرآن، قطب الدين الراوندي، في جزئين، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٥ هـ.

١٩٩ـ فكر الهند كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مرّ العصور، ألبير شو يستزر، ترجمة يوسف شلب الشام، في جزء واحد، إصدار دار طلاس دمشق، الطبعة الأولى.

٢٠٠ـ فلاح السائل، السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، في جزء واحد، إصدار مكتب الإعلام الإسلامي قم المقدسة.

٢٠١ـ الفهرست، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٠٢ـ القانون الدولي العام، الدكتور علي صادق أبو هيف، في جزء واحد، إصدار المعارف بالاسكندرية، الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٧٥م.

٢٠٣ـ قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري القمي، في جزء واحد، إصدار مكتبة نينوى الحديثة طهران.

٢٠٤ـ قصص الأنبياء ﷺ، السيد نعمة الله الجزائري، في جزء واحد، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٤ هـ.

٢٠٥ـ قصص الأنبياء ﷺ، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي، في جزء واحد، إصدار مجمع البحوث الإسلامية مشهد المقدسة، سنة ١٤٠٩ هـ.

٢٠٦ـ الكافي، ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني،في ثمانية أجزاء، إصدار دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٥ هـ.ش.

٢٠٧ـ الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، في اثني عشر جزءاً، إصدار دار صادر بيروت، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٠٨ـ الكتاب الاستراتيجي السنوي لسنة ١٩٩٩م، اصدار سوريا دليل سياسي واقتصادي، في جزئين.

٢٠٩ـ كتاب التاريخ الكبير، إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، في تسعة أجزاء، إصدار المكتبة الإسلامية ديار بكر.

٢١٠ـ كتاب العين، خليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي، في ثمانية أجزاء.

٢١١ـ كتاب الفتوح، أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي، في ثمانية أجزاء، إصدار دار الندوة الجديدة بيروت، الطبعة الأولى.

٢١٢ـ الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، في جزئين، إصدار دار المرتضى للنشر مشهد المقدسة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

٢١٣ـ كربلاء في الذاكرة، سلمان عبد هادي آل طعمة، في جزء واحد، إصدار مطبعة العاني بغداد، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م.

٢١٤ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي،في جزئين، إصدار دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ.

٢١٥ـ كشف الريبة عن أحكام الغيبة، الشيخ زين الدين بن علي العاملي

المعروف بالشهيد الثاني، في جزء واحد، إصدار دار المرتضوي للنشر، سنة ١٣٩٠ هـ.

٢١٦ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، في جزئين، إصدار مكتبة بني هاشمي تبريز، سنة ١٣٨١ هـ.

٢١٧ـ كشف اللثام (ط.ق)، بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد الأصفهاني المشهور بالفاضل الهندي، في جزئين، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم المقدسة، سنة ١٤٠٥هـ.

٢١٨ـ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، جمال الدين الحسن بن يوسف المشهور بالعلامة الحلي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الطبع والنشر، سنة ١٤١١ هـ.

٢١٩ـ الكشكول، السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، في جزئين، إصدار مؤسسة البلاغ بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٨م.

٢٢٠ـ الكشكول، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي المشهور بالشيخ البهائي، في ثلاثة أجزاء، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢١ـ الكشكول، الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني، في ثلاثة أجزاء، إصدار الشريف الرضي قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣هـ.

٢٢٢ـ كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، الدكتور العقيقي البخشايشي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الاولى سنة ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.

٢٢٣ـ كفاية الأثر، علي بن محمد الخزاز القمي، في جزء واحد، إصدار دار

بيدار للنشر قم المقدسة ، سنة ١٤٠١ هـ.

٢٢٤ـ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار الكتب الإسلامية طهران، سنة ١٣٩٥ هـ.

٢٢٥ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق وتصحيح الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السفا، في ستة عشر جزءاً، إصدار مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٢٦ـ كنز الفوائد، الشيخ محمد بن علي بن عثمان المشهور بأبي الفتح الكراجكي، في جزئين، إصدار دار الذخائر قم المقدسة ، سنة ١٤١٠ هـ.

٢٢٧ـ الكنى والألقاب، الشيخ عباس محمد رضا القمي، في ثلاثة أجزاء، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢٨ـ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن منظور المصري الأفريقي، في خمسة عشر جزءاً، إصدار أدب الحوزة عن دار إحياء التراث قم المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ.

٢٢٩ـ لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، في سبعة أجزاء، إصدار الأعلمي بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

٢٣٠ـ اللغة المنسية، إريك فروم، ترجمة محمود المنقذ الهاشمي، في جزء واحد، إصدار اتحاد الكتاب العرب.

٢٣١ـ اللغة والتفسير والتواصل، الدكتور مصطفى ناصف، في جزء واحد، إصدار عالم المعرفة الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٣٢ـ للحيطان آذان وللشوارع ألسنة، ناصر الدين النشاشيبي، في جزء

واحد، إصدار رياض الريس لندن، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م.

٢٣٣ـ اللهوف في قتلى الطفوف، السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، في جزء واحد، إصدار دار العالم طهران، سنة ١٣٤٨ هـ.

٢٣٤ـ مبادئ في العلاقات العامة، المؤلف حسن الحلبي، في جزء واحد، إصدار عويدات بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م.

٢٣٥ـ المبسوط في فقه الإمامية، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح محمد تقي الكشفي ، في ثمانية أجزاء، إصدار المكتبة المرتضوية سنة ١٣٨٧هـ.

٢٣٦ـ متشابه القرآن، محمد بن علي المازندراني المشهور بابن شهر آشوب المازندراني، جزءآن في مجلد واحد، إصدار دار بيدار للنشر قم المقدسة، سنة ١٣٦٩ هـ.

٢٣٧ـ المجازات النبوية (مجازات الآثار النبوية)، السيد محمد بن الحسين بن أحمد المشهور بالشريف الرضي ، في جزء واحد، إصدار مصر، سنة ١٣٥٦هـ.

٢٣٨ـ مجالس المؤمنين، القاضي نور الله التستري، في جزء واحد، الطبعة حجرية.

٢٣٩ـ مجمع الأمثال، تأليف أحمد بن محمد النيسابوري المشهور بالميداني، في جزئين، إصدار دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م.

٢٤٠ـ مجمع البحرين ومطلع النيرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق أحمد الحسيني، في ستة أجزاء، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٤١ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام الشيخ الفضل بن الحسن

الطبرسي، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، في عشرة أجزاء، إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٤٢ـ مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش، في جزء واحد، إصدار دار الرشيد دمشق، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٤٣ـ مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مكتبة الفقيه قم المقدسة.

٢٤٤ـ المحاسن، الشيخ أحمد بن محمد بن خالد البرقي، في جزء واحد، إصدار دار الكتب الإسلامية قم المقدسة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧١ هـ.

٢٤٥ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، في جزئين، إصدار دار مكتبة الحياة بيروت.

٢٤٦ـ محاكمات الخلفاء وأتباعهم، الدكتور جواد جعفر الخليلي، في جزء واحد، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.

٢٤٧ـ مدخل إلى الصحافة، ليونارد راي تسيل ورون تيلور، ترجمة حمدي عباس، في جزء واحد، إصدار الدولية للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

٢٤٨ـ مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، تأليف بيير يتوفان ، في جزء واحد، إصدار عويدات بيروت، الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣م.

٢٤٩ـ مذكرات وأسرار هروب نوري السعيد، الدكتور صالح البصّام، في جزء واحد، إصدار الانتشار العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م.

٢٥٠ـ مذكراتي، الشاعر محمد مهدي الجواهري،في جزئين، إصدار دار

المنتظر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.
٢٥١ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني، في أربعة أجزاء، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
٢٥٢ـمروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسن بن علي المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، في أربعة أجزاء، إصدار المكتبة الإسلامية بيروت.
٢٥٣ـ مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ، الشيخ زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، في خمسة عشر جزءاً، إصدار مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .
٢٥٤ـمستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الشيخ حسين بن محمد المحدّث النوري الطبرسي، في ثمانية عشر جزءاً، إصدار مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ
٢٥٥ـمستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي، في عشرة أجزاء، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، سنة ١٤١٩هـ .
٢٥٦ـ مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، في تسعة أجزاء، إصدار دار التعارف للمطبوعات بيروت، الطبعة الأولى بين السنوات ١٤٠٨هـ ـ ١٤١٩هـ
٢٥٧ـ مستطرفات السرائر، محمد بن أحمد بن إدريس الحلي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة ، الطبعة الثانية سنة ١٤١١ هـ

٢٥٨ـ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الشيخ علي بن الحسن بن الفضل الطبرسي، في جزء واحد، إصدار المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ.

٢٥٩ـ مصباح المتهجد، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة فقه الشيعة بيروت، سنة ١٤١١ هـ.

٢٦٠ـ المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات والأحراز والعوذات، الشيخ إبراهيم بن علي بن الحسين الكفعمي، في جزء واحد، إصدار دار الشريف الرضي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٥ هـ.

٢٦١ـ مصفى المقال في تصنيفي علم الرجال، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، في جزء واحد، إصدار دار العلوم بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٦٢ـمعاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، في جزء واحد، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٣ هـ.

٢٦٣ـ معجم الأبيات الشهيرة، حسن نمر دندشي، في جزء واحد، إصدار جروس برس طرابلس.

٢٦٤ـ معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، في عشرين جزءاً، إصدار دار المأمون، الطبعة الأخيرة.

٢٦٥ـ معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، الدكتور عمر رضا كحالة، في ثلاثة عشر جزءاً، إصدار مكتبة المثنى بيروت.

٢٦٦ـ المعجم الموسوعي في علم النفس، المؤلف نوربر سيلامي بمشاركة

مائة وثلاثة وثلاثين اختصاصياً، ترجمة وجيه أسعد، في ستة أجزاء، إصدار وزارة الثقافة السورية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م.

٢٦٧ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، تحقيق لجنة التحقيق، في أربعة وعشرين جزءاً، الطبعة الخامسة سنة ١٤١٣هـ.

٢٦٨ـ معدن الجواهر، محمد بن علي بن عثمان المشهور بأبي الفتح الكراجكي، في جزء واحد، إصدار المكتبة المرتضوية طهران، سنة ١٣٩٤ هـ.

٢٦٩ـ مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، في جزئين، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة، سنة ١٤٠٤هـ.

٢٧٠ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس محمد رضا القمي.

٢٧١ـ مفتاح الفلاح، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي المشهور بالشيخ البهائي، في جزء واحد، إصدار دار الأضواء بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ.

٢٧٢ـ مقتل الحسين عليه السلام (واقعة الطف)، السيد محمد تقي آل بحر العلوم، تعليق واضافات السيد حسين بن تقي، في جزء واحد، إصدار دار الزهراء بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٧٣ـ مقتل الحسين عليه السلام ،عبد الرزاق الموسوي المقرّم ، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب الإسلامي بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٧٤ـ مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المشهور بالخوارزمي، تحقيق وتعليق الشيخ محمد السماوي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مكتبة المفيد قم المقدسة.

٢٧٥ـ مقتل الحسين ، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي، تعليق حسن الغفاري، في جزء واحد، إصدار دار العلمية قم المقدسة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٣هـ ش .

٢٧٦ـ المقنعة، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، في جزء واحد، إصدار المؤتمر العالمي للشيخ المفيد قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ

٢٧٧ـ مكاتيب الرسول ، تأليف علي بن حسين علي الأحمدي، في جزء واحد، إصدار دار يٰس قم المقدسة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٣ هـ.ش.

٢٧٨ـ مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي، في جزء واحد، إصدار دار الشريف الرضي قم المقدسة ، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٢ هـ

٢٧٩ـ ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، في جزء واحد، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.

٢٨٠ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، في أربعة أجزاء، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة ، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ

٢٨١ـ من هنّ زوجات الرسول المصطفى في الآخرة، محمد رضى الأنصاري، في جزء واحد، إصدار دار الأثر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٨٢ـ مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي المازندراني المشهور بابن شهرآشوب المازندراني، في أربعة أجزاء، إصدار مؤسسة العلامة للنشر قم المقدسة ، سنة ١٣٧٩ هـ

٢٨٣ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، محمد بن سليمان

الكوفي القاضي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، في جزئين، إصدار مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٢٨٤ـ منتهى الآمال، الشيخ عباس محمد رضا القمي، في جزئين، إصدار مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، الطبعة الرابعة سنة ١٤٢١هـ.

٢٨٥ـ منتهى المطلب في تحقيق المذهب، جمال الدين الحسن بن يوسف المشهور بالعلامة الحلي، في جزئين، إصدار الحاج أحمد تبريز، سنة ١٣٣٣هـ.

٢٨٦ـ منتهى المقال في أحوال الرجال، الشيخ محمد بن اسماعيل المازندراني، في سبعة أجزاء، إصدار مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بيروت، سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٨٧ـ المنجد في الأعلام، في جزء واحد، إصدار دار الفقه للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة والعشرون ايران سنة ١٤٢٢هـ.

٢٨٨ـ المنجد في اللغة والأعلام، لويس علوف ، في جزء واحد، إصدار دار المشرق ببيروت، الطبعة الثالثة والثلاثون سنة ١٩٩٢م.

٢٨٩ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، في أحد وعشرين جزءاً، إصدار مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٩٠ـ منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، الشيخ زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، في جزء واحد، إصدار مكتب الإعلام الإسلامي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٩ هـ.

٢٩١ـ مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد علي بن موسى بن طاووس

الحلي، في جزء واحد، إصدار دار الذخائر قم المقدسة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ.

٢٩٢ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، في جزئين، إصدار دار صادر بيروت.

٢٩٣ـ موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، في جزء واحد.

٢٩٤ـ الموسوعة الإسلامية، السيد حسن الأمين، في ستة أجزاء، إصدار دار التعارف للمطبوعات بيروت، بين سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٤٠٠هـ.

٢٩٥ـ الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، تأليف الدكتور عارف تامر، في عشرة أجزاء، إصدار دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٩٦ـ موسوعة السياسة، الدكتور عبد الوهاب الكيالي، في سبعة أجزاء، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م.

٢٩٧ـ موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، في اثني عشر جزءاً، إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩٨ـ الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، الدكتور ياسين صلواتي، في تسعة إجزاء، إصدار مؤسسة التاريخ العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

٢٩٩ـ موسوعة الفقه ج٧٢ كتاب الإيلاء واللعان والعتق، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، إصدار دار العلوم بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠٠ـ موسوعة الفلسفة، الدكتور عبد الرحمن بدوي، في جزئين، إصدار

المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م .

٣٠١ـ الموسوعة الفلسفية العربية، الدكتور معن زيادة، في جزء واحد، إصدار معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

٣٠٢ـ موسوعة المورد، منير البعلبكي، في أحد عشرة جزءاً، إصدار دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م.

٣٠٣ـ موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق بإشراف الشيخ السبحاني، في اثني عشر جزءاً، إصدار دار الأضواء بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٠٤ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان المشهور بالذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، في أربعة أجزاء، إصدار دار المعرفة للنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ.

٣٠٥ـ النابس في القرن الخامس، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، تحقيق علي نقي منزوي، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م.

٣٠٦ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الحنفي الأتابكي، ستة عشر جزءاً في تسعة مجلدات، إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة.

٣٠٧ـ النص والاجتهاد، الإمام عبد الحسين شرف الدين، في جزء واحد، إصدار مؤسسة الأعلمي بيروت، سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٣٠٨ـ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار (حديث الثقلين ١)، السيد علي الحسيني الميلاني، في عشرين جزءاً ، إصدار مهر قم المقدسة، الطبعة

الأولى سنة ١٤١٤هـ.

٣٠٩ـ نقباء البشر في القرن الرابع عشر، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، تعليقات السيد عبد العزيز الطباطبائي، في أربعة أجزاء، إصدار دار المرتضى للنشر مشهد المقدسة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

٣١٠ـ نهج الحق و كشف الصدق، جمال الدين الحسن بن يوسف المشهور بالعلامة الحلي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة دار الهجرة قم المقدسة ، سنة ١٤٠٧ هـ.

٣١١ـ نهج الفصاحة الحاوي لقصار كلمات الرسول الأكرم ﷺ، أبو القاسم پاينده ، حققه ورتبه الشيخ غلام حسين المجيدي، في جزئين، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.

٣١٢ـ نوابغ الرواة في الرابعة المئات، الشيخ محمد محسن المشهور بآغا بزرك الطهراني، تحقيق علي نقي منزوي، في جزء واحد، إصدار دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٣١٣ـ النوادر، أحمد بن محمد الأشعري، في جزء واحد، إصدار مدرسة الإمام المهدي ﷺ قم المقدسة ، ١٤٠٨ هـ.

٣١٤ـ النوادر، السيد فضل الله بن علي الراوندي، في جزء واحد، إصدار مؤسسة دار الكتاب قم المقدسة.

٣١٥ـ وسائل الإعلام في المستقبل، المؤلف فريدريك فاسّور، في جزء واحد، إصدار عويدات بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

٣١٦ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، في ثمانية أجزاء، إصدار الشريف

الرضي قم المقدسة، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٤ هـ .

٣١٧ـ وقائع الأيام، الشيخ عباس محمد رضا القمي، تعريب السيد محمد باقر القزويني، في جزء واحد، إصدار مؤسسة البلاغ بيروت.

٣١٨ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، في جزء واحد، إصدار مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم المقدسة ، سنة ١٤٠٣ هـ.

٣١٩ـ ولأول مرة في تاريخ العالم، السيد محمد بن مهدي الشيرازي، جزءآن في مجلد واحد، إصدار مؤسسة الرسول الأعظم بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.



المحتويات